



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة غرداية

مجلة الواحات للبحوث والدراسات

تصدر عن جامعة غرداية - الجزائر

رمد: 1112-7163-P
رمد: 2588-1892-E

مجلة الواحات للبحوث والدراسات

République Algérienne Démocratique et Populaire

Ministère de l'Enseignement Supérieur
et de la Recherche Scientifique

Université de Ghardaïa

Revue « ELWAHAT » pour les Recherches et les Etudes

Editée par l'Université de Ghardaïa - Algérie



Lettres et Langues

الأداب واللغات

المجلد: 10 العدد: 02، ديسمبر 2017 الجزء

E

ELWAHAT



الجزء E

المجلد: 10 العدد: 02، ديسمبر 2017

Volume 10 N° 02, Décembre 2017

Section E

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة غرداية

مجلة الواحات للبحوث والدراسات

مجلة أكاديمية فكرية محكمة

تصدر عن جامعة

غرداية - الجزائر

المجلد 10 العدد 2

ربيع الثاني 1439 هـ / ديسمبر 2017م

مجلة الواحات للبحوث والدراسات

الإيداع القانوني رقم: 2006/2763

ردمد P-ISSN:1112 – 7163

ردمد E-ISSN: 2588 – 1892

كل الحقوق
محفوظة

مجلة الواحات للبحوث والدراسات

ردمدم- P 7163 – 1112

ردمدم- E 1892 – 2588

هي مجلة علمية ذات لجنة قراءة متعددة الإختصاصات من جامعيين وخبراء دوليين. تنشر مجلة الواحات للبحوث والدراسات أبحاث في جميع الميادين. تنشر مقالات أصلية، وتحليلات علمية في مختلف المجالات. مجلة الواحات للبحوث والدراسات خمس (5) أجزاء:

جزء A: العلوم التطبيقية

جزء B: الحقوق والعلوم السياسية

جزء C: العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير

جزء D: العلوم الاجتماعية والإنسانية

جزء E: الآداب واللغات

الناشر

جامعة غرداية

حقوق النشر محفوظة

عند قبول مقال للنشر في مجلة الواحات للبحوث والدراسات، يصرح المؤلفون بنقل حقوق النشر للنشر.

للاتصال

ترسل جميع المراسلات عن طريق البريد إلى مدير النشر:

العنوان: مجلة الواحات للبحوث والدراسات – جامعة غرداية ص ب 455
طريق المطار غرداية 47000 الجزائر.

أو عن طريق البريد الإلكتروني: elwahatk.abdellah@gmail.com

الهاتف: +213 029 25 81 14 الفاكس: +213 029 25 81 12

مدير المجلة: الأستاذ الدكتور دادة موسى بلخير

مدير النشر: الدكتور كعاسي عبد الله

اللجنة العلمية

دادة موسى بلخير (الجزائر)	سايدو توري أبو بكر (النيجر)	عجيلة محمد (الجزائر)
حليلات محمد الطاهر (الجزائر)	براندت ستيفاني (فرنسا)	قوي بوحنية (الجزائر)
قندوز بن ريمة عتيقة (الجزائر)	جيلي فيرونك (فرنسا)	بوساليم صالح (الجزائر)
ولد الحاج محمد ديدي (الجزائر)	أوداير جين ماري (فرنسا)	قرليفة حميد (الجزائر)
بيساطييو عافية سامية (الجزائر)	بن يحي يحي (الجزائر)	أولاد سعيد أحمد (الجزائر)
شحمة عبد المجيد (الجزائر)	هادية مشيخي (تونس)	كيحول بوزيد (الجزائر)
بدراوي محمد (المغرب)	توبي مصطفى (المغرب)	حاج محمد قاسم (الجزائر)
بن رحيم حفصية (تونس)	محمود درابسة (الأردن)	قدي عبد المجيد (الجزائر)
تيسي دانيال (فرنسا)	إنيجوانيجو أدولفو (إسبانيا)	غزو محمد أكلي (الجزائر)
تومبسون ميشال (الولايات م أ)	روزان منير (الأردن)	خنور صالح (الجزائر)
خلفاوي فتحي (الجزائر)	باجو مصطفى (الجزائر)	فرج فرج (مصر)
بحاز إبراهيم (الجزائر)	عبدالي محمد (الجزائر)	شايب ساسي (الجزائر)
جبلي نور الدين (الجزائر)	بن سعد محمد سعد (الجزائر)	حجاج عمر (الجزائر)
مصيطفى عمار (الجزائر)	جوادات محمد (المغرب)	حمودة عائشة (الجزائر)
بن سلامة محمد (الجزائر)	الشمري عماد (الأردن)	المجاري عبد الكريم (تونس)
حسيني مسعود (الجزائر)	محفوظ عبد اللطيف (المغرب)	حمادي أحمد (الجزائر)
سنوسي عبد الحكيم (الجزائر)	ماجد عيساني عبدول (الجزائر)	وولف جونج كايزر (فرنسا)
صانون سليمان (يوكينا فاسو)	عبد الخالق عيسى (فلسطين)	بوعبدلي أحلام (الجزائر)
غانمي محمد (تونس)	درماكي عائشة (سلطنة عمان)	خواجة عبد العزيز (الجزائر)
ناتالي موندي (فرنسا)	حسن زيدان سليمان (ليبيا)	بن سانية عبد الرحمان (الجزائر)
وقيد محمد العيد (الجزائر)	موسوي أحمد (الجزائر)	بوعرعور كمال (الجزائر)
شريطي عبد الكريم (الجزائر)	سلامي مختار (الجزائر)	مرزوقي أمجد (تونس)
بلبوخاري الناصر (الجزائر)	معراج هواري (الجزائر)	شول بن شهرة (الجزائر)
يوسف محمد (الجزائر)	مصيطفى عبد اللطيف (الجزائر)	أولاد حيمودة جمعة (الجزائر)
حاج سعيد عبد القادر (الجزائر)	الصمدي مصطفى (المغرب)	بجاس ياسين (العربية السعودية)
حاج عيسى محمد (الجزائر)	غزير مولود (الجزائر)	بلعور سليمان (الجزائر)
وينتن مصطفى (الجزائر)	هيبه سيف الدين (الجزائر)	كواتي مسعود (الجزائر)

الجزء E

الآداب واللغاب

رئيس التحرير

الأستاذ براهيمى طاهر (الجزائر)

لجنة القراءة

الدكتور بن يحيى يحيى (الجزائر)

الدكتور بن سعد محمد سعيد (الجزائر)

الدكتور حمودة مصطفى (الجزائر)

الدكتور بوعامر بوعلام (الجزائر)

الدكتور مولاي لخضر بشير (الجزائر)

الدكتور غزيل بلقاسم (الجزائر)

الدكتور حاج أمحمد يحيى (الجزائر)

مجلة « الواحات » مجلة أكاديمية محكمة، تهدف إلى نشر الدراسات والبحوث الأصيلة المبتكرة في مختلف العلوم التي تهتم بدراسة الإنسان. تقبل المجلة البحوث والدراسات المكتوبة باللغة العربية أو اللغتين الفرنسية أو الإنجليزية.

لنشر في مجلة « الواحات » يشترط احترام قواعد النشر العامة والخاصة الموالية. إن المجلة مفتوحة أمام كل الباحثين العاملين في مختلف الجامعات ومراكز البحث الجزائرية والعربية والأجنبية.

أ- قواعد النشر العامة:

1. أن يكون البحث أصيلاً ، وتتوفر فيه شروط البحث العلمي المعتمد في كتابة البحوث الأكاديمية
2. الالتزام بمراجعة البحث من حيث الأسلوب و اللغة.
3. يجب أن لا تزيد صفحات البحث عن 30 صفحة وأن لا تقل عن 06 صفحات.
- كما تحدد أبعاد الورقة ب 16×24 و هوامش الورقة ب 2×2×2×2
4. الالتزام بكتابة العناوين الرئيسية في وسط السطر والفرعية في الجانب.
5. الالتزام بإرسال السيرة الذاتية المختصرة بالنسبة للباحثين الذين يرسلون المجلة لأول مرة.
6. يجب أن لا يكون البحث قد سبق نشره في السابق و لم يقدم للنشر إلى جهة أخرى.

ب- قواعد النشر الخاصة:

7. فيما يخص كتابة النصوص:

- يكتب نص المقال ببرنامج وورد (Word)، بخط Simplified arabic،

وبحجم 14 بالعربية و 12 باللغات الأجنبية بخط Times New Roman

(العنوان الرئيسي بحجم 16 – والعنوان الفرعي بحجم 15 – والمقال 14 –

والهامش 12)

8. تخصص الصفحة الأولى من المقال لكتابة المعلومات الأساسية الموالية فقط : عنوان البحث، اسم الباحث أو الباحثين والدرجة العلمية، اسم المؤسسة أو المؤسسات التي يعملون لديها ، عنوان المراسلة، البريد الإلكتروني، وعنوان الصندوق البريدي.

9. تخصص الصفحة الثانية من المقال لتقديم ملخص للبحث في حدود 250- 150 كلمة والكلمات الدالة (من 3 إلى 7 كلمات)، باللغة الأم للمقال واللغة الإنجليزية.... يجب أن يعبر الملخص عن محتوى المقال بصورة شاملة وصادقة مع احترام الدقة في هذه الترجمات.

10. يبدأ تقديم البحث من الصفحة الثالثة بتكرار عنوان البحث وبدون تكرار اسم الباحث أو الباحثين.

11. يجب ترقيم الصفحات في الوسط وفي أسفل الصفحة.

12. فيما يخص إعداد الجداول والأشكال:

ترقم الجداول والأشكال ترتيباً تصاعدياً وتوضع في مكانها المناسب في المقال. ويجب أن تقدم هذه الجداول في حدود مقاس الورقة وبالنمط العمودي (Portrait).

13. ترقم الخرائط والصور والأشكال ترقيماً تصاعدياً وتوضع داخل النص، ويشار إلى مصدرها كما يلي: اسم الخريطة أو الصورة أو الشكل رقم ()

فيما يخص الخرائط والصور:

مصدر الخريطة أو الصورة أو الشكل

14. ترسل الخرائط والصور في ملفات مستقلة عن النص، أي ملف لكل خريطة أو صورة وهذا من نوع جبيك (jpeg).

مثال (nom de l'image.jpeg)، شريطة أن تكون نوعية الصورة لا تقل عن (300 dpi).

15. إننا لا نقبل إلا الصور الرقمية ومن نوع جبيك (jpeg).

16. يجب أن يكون عدد الخرائط والصور محدود وتخص فقط تلك التي تقدم معلومات هامة لا يمكن الاستغناء عنها (أقصى حد من الصور هو 5).

17. فيما يخص إثبات المراجع والهوامش:

- تكتب المراجع كما يلي:

18. يشار إلى المراجع في آخر المقال على الشكل التالي :

- تسجل الكتب والمراجع في قائمة مصادر المراجع بصورة مرتبة ترتيبا أبجديا أو ألف بائيا. كما يلي: اسم الباحث أو الباحثين، عنوان الكتاب، رقم الطبعة، دار النشر، مكان النشر.

- تسجل الدوريات في قائمة المراجع كما يلي: اسم الباحث ، عنوان البحث، اسم الدورية، العدد، مكان الصدور.

19. تكتب الهوامش كما يلي:

يجب أن تكون الإحالات (الهوامش) متسلسلة بأرقام متتابعة وتوضع في آخر المقال ومرتبة ترتيبا تسلسليا:

- سجل إحالات الهوامش كما يلي:

- إذا كانت الإحالة إلى كتاب: يكتب رقم الإحالة، اسم ولقب الباحث ، أو الباحثين، عنوان الكتاب، رقم الطبعة، دار النشر، مكان النشر، الجزء أو المجلد، الصفحة التي توجد بها الفكرة أو الفقرة المنقولة.

- إذا كانت الإحالة إلى مقال منشور في دورية: يكتب رقم الإحالة، اسم ولقب الباحث، اسم المجلة أو الدورية ، العدد ، دار النشر، مكان النشر، الجزء أو المجلد، الصفحة التي توجد بها الفكرة أو الفقرة المنقولة.

- عند تكرار ذكر نفس المرجع، يكتب بعد رقم الإحالة نفس المرجع السابق والصفحة،

- في حالة ما إذا كان التكرار مباشر، وإذا فصل تكرار المرجع بمرجع آخر أو عدة مراجع أو صفحة جديدة، يجب ذكر بعد رقم الإحالة اسم ولقب الباحث ، الصفحة ثم مرجع سابق.

20. إذا كان المرجع موقع إلكتروني:

21. اسم الكاتب أو المنظمة. عنوان الصفحة الرئيسية، (شبكة الانترنت). عنوان الموقع URL (تاريخ تصفح الموقع: اليوم، الشهر، السنة).

22. إذا كان المرجع صفحة من موقع إلكتروني:

- اسم الكاتب (عنوان المصدر). عنوان صفحة المصدر أو الوثيقة التي تتضمن المصدر،(عنوان الصفحة الرئيسية)، (شبكة الأنترنت). عنوان الموقع URL (تاريخ تصفح صفحة الموقع: اليوم، الشهر، السنة).

ج - فيما يخص إجراءات النشر

23. تُرسل البحوث والدراسات وجميع المراسلات المتعلقة بالمجلة إلى مجلة الواحات للبحوث و الدراسات عن طريق البريد الإلكتروني المنشور في موقع المجلة حسب الرابط التالي: <http://elwahat.univ-ghardaia.dz>

24. يرفق بالبحث موجز للسيرة الذاتية للباحث، متضمناً عنوان الباحث بالتفصيل، وأرقام هواتفه الخاصة و المنزل والعمل والفاكس - إن وجد - لكي يسهل التواصل مع الباحث عند الضرورة .

25. تخضع كل البحوث والدراسات إلى التحكيم السري من قبل محكمين مختصين.

26. تعرض الدراسات والبحوث على محكمين اثنين على الأقل لتقديم الخبرة حولها. وتعتبر هذه التقارير أساس القبول أو التأجيل لأي بحث أو دراسة. مع العلم أن المجلة يمكنها أن تطلب إدخال التعديلات التي تراها مناسبة بناء على تقارير المحكمين.

27. يُخطر الباحث بقرار صلاحية بحثه للنشر من عدمها خلال ستة أشهر - على الأكثر - من تاريخ الاستلام

28. في حالة ورود ملاحظات من المحكمين، تُرسل تلك الملاحظات إلى الباحث لإجراء التعديلات اللازمة بموجبها، على أن تعاد للمجلة خلال مدة أقصاها شهر.

29. الأبحاث التي لم تتم الموافقة على نشرها لا تعاد إلى أصحابها و يعلم صاحب المقال بنتيجة التحكيم، كما أن المجلة غير ملزمة بتبرير ذلك.

يمنح الباحثون المقبولة بحوثهم نسخة من المجلة التي نشر بها بحثه.



الفهرس

الرقم	العنوان	الصفحة
01	التلقي العربي الراهن لسوسير في ضوء مخطوطاته المكتشفة	1311
	محروس السيد بريك	
02	ظواهر أسلوية في شعر إيليا أبي ماضي	1330
	محمود درابسة	
03	تحديث اللغة العربية بين المحافظة والتماهي	1349
	يحيى بن محمد بن علي المهدي	
04	تمثيلات الانتماء في الثقافة الشعبية	1375
	عبد الحكيم خليل سيد أحمد	
05	التنظيم والسياق وأثرهما في فهم الخطاب الشعري الحديث	1399
	قصيدة "منشورات فدائية" لنزار قباني أنموذجا	
	كادي نورة	
06	البعد التداولي عند الجاحظ من خلال كتابه "البيان والتبيين"	1426
	عقيلة مصيطفى	
07	دلالة اللفظ العربي.. من معجمية المعنى إلى رحابة السياق	1450
	القرآني	
	عبد العليم بوفاتح	
08	الرؤيا وافق الكتابة بين التجريتين الصوفية والشعرية	1484
	قراءة تحليلية في كتابات حركة شعر	
	سمير عبد المالك	
09	اللغة العربية في الثقافة الجزائرية: الراهن والمآل	1503
	عبد الكريم خليل	
10	الحرفية والتصرف في ترجمة أدب الأطفال	1515
	الزبير محصول، باية لكال	
11	العوامل المعنوية في كتاب "معاني القرآن" لأبي زكريا الفراء	1535
	فاطمة رزاق	
12	أضواء على تحقيق كتاب "تخليص العاني" لأحمد أطفيش	1547
	عبد الوهاب بافلح	

1560	الأبعاد الإيحائية للإيقاع الشعري قراءة في قصيدة "أقصيدي رحمائك" للشاعر ابن سانية عبد الرحمن بشير مولاي لخضر	13
1579	التخفيف بالتسكين في كتاب سيبويه عبد الجليل بوخيرة	14
1598	Stratégies Argumentatives Dans Le Discours Rapporté: Cas De L'argument Ad Hominem ROUBACHE Izzeddine	15
1615	De L'usage De La Métaphorisation En Sciences Humaines Et Sociales : Analogie, Détour Et/Ou Détournement De Sens. Réflexions Epistémologiques A Partir De Quelques Phénomènes Sociolinguistiques Perçus En Algérie. BECETTI Ali	16
1637	A Rhetorical Analysis of the Persuasive Strategies in Political Discourse The case of Barack Obama's 2012 electoral campaign speeches HAMITOUCHE Fatiha, MEDJEDOUB Rima	17
1658	A silent shouting towards Suicide Slimane ABDELHAKEM	18



التلقي العربي الراهن لسوسير في ضوء مخطوطاته المكتشفة

محروس السيد بريك

أستاذ مشارك بقسم اللغة العربية وآدابها - جامعة قطر

وكلية دار العلوم - جامعة القاهرة

mmohammad@gu.edu.qa

الملخص -

يحاول هذا البحث أن يقف على ملامح التلقي العربي الراهن لأعمال فردينان دي سوسير؛ وذلك بعد العثور على مخطوطات جديدة اكتشفت في مشتل البرتقال الخاص بآل سوسير عام 1996م . وبخاصة أنه قد وردت بتلك المخطوطات أفكار تعارض بعض ما ورد في كتاب (محاضرات في اللسانيات العامة) الذي نشره بالي وزميله، والذي ذهب رومان جاكسون، في محاضراته بالكوليج دي فرانس، إلى أنه كتاب مؤلف مُختلق.

تمثلت تلك المخطوطات في قصاصات وملحوظات تحضيرية لهذه الدروس بخط سوسير، نشر سيمون بوكي ورودولف إنجلر مائة صفحة منها تحت عنوان (كتابات في اللسانيات العامة) عام 2002م ببافيس، وهي تمثل ثلث تلك المخطوطات المكتشفة، وترجمت تلك الكتابات إلى ثلاث عشرة لغة ليس من بينها العربية للأسف الشديد.

فهل ما زلنا نحن العرب أسرى الأفكار التي وردت بكتاب (المحاضرات)، والتي غدت عندنا أشبه بالمسلّمات اللسانية؟ أم أن هناك فئة واكبت ذلك التطور المعرفي في حقل اللسانيات؟ وهل توقفنا عند مجرد نقل المعرفة وتمثلها أم أن هناك دوراً عربياً في نقد المعرفة اللسانية؟

الكلمات المفتاح -

سوسير - التلقي العربي - مخطوطات مشتل البرتقال - بالي وسيشهاي - كتابات في اللسانيات العامة.

Contemporary Arabic Receive Of Du Saussure After His Discovered Manuscripts Recently

Abstract -

This Research Attempts To Capture The Features Of Arab Reception Of The Writings Of Ferdinand De Saussure, After The Discovery Of New Manuscripts Acquired In Saussure Orange Orchard In 1996. In Particular, These Manuscripts Contained Ideas That Conflicted With Some Of The Book "**Lectures In Public Linguistics**" Published By Paley And His Colleague, Which Roman Jacobson, In His Lectures At The Collège De France, Found It As A Lied Book.

Simon Bocky And Rudolf Engler Published 100 Pages Of These Manuscripts Under The Title "**Writings In Public Linguistics**" In 2002 In Paris, Representing One-Third Of These Manuscripts, Which Translated Into Thirteen Languages, None Of Them Are Arabic.

Are The Arabs Still Prisoners Of Ideas, Which Were Mentioned In The First Book, Which Became Axiomatic? Or Are There Researchers That Accompanied That Cognitive Development In The Field Of Linguistics? Have We Stopped At The Mere Transfer Of Knowledge And Represent It Or Is There An Arab Role In The Criticism Of Linguistic Knowledge?

Keywords -

Susser - Arabic Receive - Orbital Manuscripts - Bali And Sishai - Writings In General Linguistics.

بعد قرن من الزمان على رحيل فردينان دي سوسير عاد مؤسس اللسانيات الحديثة مرة أخرى ليعثر أوراق اللسانيين ويشغل أذهان الباحثين في اللغة والأدب على حد سواء، فشرع فريق منهم يُعيد قراءة لسانياته في ضوء أمرين: أولهما: أن (بالي Bally وسيشهاي Sechehay) لم يطلعا على كل ما دونه جميع تلامذة سوسير خلفه في محاضراته، وأن ما أثبتاه في كتاب (محاضرات في علم اللغة العام) ما هو إلا خلقٌ شائِه من فكر سوسير⁽¹⁾ لا يعبر بصدق عن أفكار سوسير بقدر ما يعبر عن فهمهما الخاص للسانيات سوسير، وبخاصة أنهما لم يحضرا محاضرات سوسير بسبب التزامات مهنية⁽²⁾.

ثانيهما: العثور على مخطوطات جديدة عام 1996م، وردت بها أفكار تعارض بعض ما ورد في ذلك الكتاب الذي نشره بالي وزميله. وتمثلت تلك المخطوطات في:

1- نصوص تحت عنوان (الماهية المزدوجة للغة) وهي نصوص كتبها سوسير في الفترة من 1891 و 1896؛ أي أنها نصوص سابقة عن دروس سوسير التي نشرها بالي وزميله.

2- مدونات بقية الطلبة لدروس سوسير.

3- قصاصات وملحوظات تحضيرية لهذه الدروس بخط سوسير، اكتشفت في مشتل البرتقال الخاص بآل سوسير عام 1996م⁽³⁾. وعُرفت بين الدارسين باسم

(1) "ذهب رومان جاكسون، في محاضراته بالكوليج دي فرانس، إلى أن كتاب (محاضرات في اللسانيات العامة) مؤلفٌ مُخلَق"، كما أن "ألبير ريدلنغر، الذي كانت دفاثره المصدر الأساس لشارل بالي وألبير سيشهاي، قد خلص إلى أن بالي قد بثرَ اللسانيات العامة". انظر: أن نقرأ نصوص دي سوسير، فرانسوا راستييه، ترجمة: حسن المودن، وحافظ إسماعيلي علوي، ضمن كتاب: العودة إلى سوسير، دار كنوز المعرفة، الأردن، 2017م، ص453، و454.

(2) انظر: أن نقرأ نصوص دي سوسير، فرانسوا راستييه، ص452.

(3) نشر سيمون بوكي ورودولف إنجلر مائة صفحة من هذه المخطوطات تحت عنوان (كتابات في اللسانيات العامة) عام 2002م ببائيس، وترجمت تلك الكتابات إلى ثلاث عشرة لغة ليس من بينها العربية للأسف الشديد. ويقوم الآن بوكي وإنجلر بإعداد طبعة جديدة لمحاضرات سوسير اعتمادا على كراسات الطلاب. (انظر: سوسير في المستقبل: كتاباتٌ مُكتشَفَة وتلقّياتٌ جديدة/ مدخلٌ إلى إعادة قراءة سوسير، تأليف: فرانسوا

(مخطوطات مشتل البرتقال)، ولم ينشر منها بالفرنسية سوى ثلثها⁽¹⁾، ولم يترجم ما نشر إلى العربية حتى الآن.

ومن ثم فسوسير الحقيقي لا يتجلى فيما خطه بالي وسيشهاي في الكتاب المنسوب إليه (محاضرات في علم اللغة العام) بل فيما خطه هو بنفسه. فعلى سبيل المثال تطرح مخطوطات سوسير موقفه من البعد الاجتماعي للغة؛ إذ شاع في كتابه الملفق أنه يرى أن اللسانيات تدرس اللغة في ذاتها ومن أجل ذاتها بعيداً عن أية مؤثرات خارجية، وهي فكرة تتضح جلية في السطر الأخير الذي ورد في نهاية كتاب (محاضرات في علم اللغة العام)؛ إذ يثبت نص بالي وسيشهاي أن سوسير يتصور اللسانيات بوصفها "علم اللسان منظوراً إليه في ذاته ولذاته la linguistique a pour unique et véritable objet la langue envisagée en elle-meme et pour elle-meme"⁽²⁾. ويشير فرانسوا راستييه إلى أن هذه الجملة ليست من كلام سوسير بل هي صيغة تعود إلى فرانز بوب (1816م)⁽³⁾؛ أي قبل سوسير بقرن من الزمان.

إن خطورة تلك الجملة أنها جعلت من سوسير بنيوياً صارماً، لا يعبأ بأية مجالات خارج البنية اللغوية، والحال أن مخطوطات سوسير تؤكد اهتمامه بالبعد الاجتماعي للغة؛ حيث ينص على أنه "لا وجود للسان خارج المجتمع، وأن واقع اللسان واقع اجتماعي قبل أي شيء آخر"⁽⁴⁾، وعلى أن "اللسان هو واقعة

راستييه، ترجمه إلى العربية: حافظ إسماعيلي علوي وحسن المودن، نُشر ضمن كتاب (العودة إلى سوسير) الصادر عن دار كنوز المعرفة بالأردن 2017م. ص 396.

(1) انظر: أن نقرأ نصوص دي سوسير، فرانسوا راستييه، ص 458-459.

(2) Ferdinand de Saussure, Cours de linguistique générale, Publié par Charles Bailly et Albert Séchehay, avec la collaboration de Albert Riedlinger, Édition critique préparée par Tullio de Mauro, 1997, p317.

(3) انظر: أن نقرأ نصوص دي سوسير، فرانسوا راستييه، ص 452.

(4) انظر: فهم فردينان دي سوسير وفقاً لمخطوطاته، مفاهيم فكرية في تطور اللسانيات، تأليف: لويك دوبيكير، ترجمة: ريماء بركة، ص 193 وما بعدها، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، سبتمبر 2015م.

اجتماعية... فالإنسان لا يكون كاملاً إلا بما يستعيره من وسطه"⁽¹⁾، وبعبارة أخرى لسوسير: "اللسان واقع اجتماعي، إن الفرد، المعد لأن يتكلم، لن يتمكن من استعمال جهازه إلا من خلال المجتمع المحيط به، هذا بالإضافة إلى كونه لا يشعر بأي حاجة لاستعماله إلا في علاقاته معه. إنه مرتبط كامل الارتباط بهذا المجتمع"⁽²⁾. وهذا يؤكد كون جملة (علم اللسان منظوراً إليه في ذاته ولذاته) من وضع بالي وسيشهاي لا من إملاء سوسير؛ فهي أشبه بالنتيجة التي يتوصل إليها التلميذ بناء على فهمه الخاص للكلام، وليس بناء على إملاء من الأستاذ؛ وبخاصة أن بالي وسيشهاي نفسيهما يثبتان حديث سوسير عن الجانب الاجتماعي للسان في كتاب المحاضرات؛ ومن ذلك قوله: "اللسان له جانب فردي وجانب اجتماعي، ولا يمكن أن نتصور أحدهما بدون الآخر"⁽³⁾. ويشيران إلى أن سوسير يرى أن المظهر الاجتماعي قائم في أذهان أصحاب اللغة؛ إذ اللغة ليست كاملة في الفرد، بل تكتمل في أذهان جميع الأفراد الناطقين بهذه اللغة⁽⁴⁾. فالجانب الاجتماعي عند دي سوسير -وفقاً لهذا العرض- هو الصور الذهنية للكلمات المخزونة في جميع عقول المتكلمين بهذه اللغة.

إن تلك الجملة (الهدف الوحيد للألسنية هو علم اللسان منظوراً إليه في ذاته ولذاته) تعد من أكثر الجمل اقتباساً من كتاب (محاضرات في علم اللغة العام)، وقد استُخدمت لتدعيم الزعم بأن سوسير "لم يكن معنياً إلا بالنظام الشكلي المجرد للغة، وليس بدراسة اللغة في السياقات الاجتماعية الواقعية، ووفقاً لهذا التفسير فإنه لا يمكن فهم القواعد الكامنة للغة إلا بإقصاء التاريخ

(1) كتابات في اللسانيات العامة لفرديناند دي سوسير، نشره: إنجلر وبوكيه، 2002م، ص146، نقلاً عن: أن نقراً نصوص دي سوسير، فرانسوا راستيه، ص457.

(2) كتابات في اللسانيات العامة لفرديناند دي سوسير، ص178، نقلاً عن: فهم فردينان دي سوسير وفقاً لمخطوطاته، لويك دوبيكير، ترجمة: ريماء بركة، ص198.

(3) علم اللغة العام، دي سوسير، ترجمة: يوثيل يوسف، مراجعة: مالك المطلبي، ص26.

(4) انظر: السابق، ص31 وما بعدها.

والمجتمع والثقافة والسياسة والناس والاستعمال"⁽¹⁾، وقد أدى ذلك إلى انحراف الدرس اللساني عن وجهته الحقيقية رداً من الزمن؛ وذلك بدراسة الأبنية اللغوية منعزلة عن المؤثرات الخارجية.

هذه أهم الأفكار التي جرى تحريفها، وهناك عدة أفكار غيرها كشفت عنها مخطوطات سوسير تبين لنا مدى جناية بالي وسيشهاي على سوسير عليه من حيث إرادتهم الإحسان إليه.

لقد أدت جناية بالي وسيشهاي إلى انتقادات عديدة للسانيات سوسير في سبعينيات وثمانينيات القرن الماضي؛ وانصبت أهم تلك الانتقادات على أن لسانيات سوسير السانكرونية (الآنية) قد فشلت وأصابها العقم لأنها استبعدت عناصر جوهرية من حقل اللسانيات هي (الفرد والمجتمع والتاريخ)؛ لذا لابد من إبعاد سوسير ولسانياته عن اللسانيات الدياكرونية (التعاقبية)⁽²⁾.

لم تتوقف جناية بالي وسيشهاي على جانب المحتوى فحسب، بل على الجانب الأسلوبى؛ يقول جاكبسون: "لقد كان هناك تغيير في الأسلوب، فعندما يضع سوسير علامة استفهام، يضع المحرران نقطة نهاية. وبذلك تحول السؤال إلى معتقد"⁽³⁾. ولم يظن بالي وسيشهاي إلى طبيعة الفكر السائد في ذلك الوقت، إنه فكر "ينتمي بلا شك إلى التراث الذي كان يسمى سابقاً تساؤلياً"⁽⁴⁾، وإلى ذلك الضرب من الفكر كان ينتمي سوسير؛ إنه يضع أفكاره في صيغة تساؤلات تقبل النقاش لا في صيغة معتقدات جازمة لا تقبل الجدل.

(1) النظر إلى الوراء لرؤية الآتي: إعادة اكتشاف سوسير، وليم كاراسكو، ترجمة د. محيي الدين محسب، ضمن كتاب: العودة إلى سوسير، دار كنوز المعرفة، الأردن، 2017م، ص369.

(2) انظر: أن نقرأ نصوص دي سوسير، فرانسوا راستييه، ص456-457.

(3) السابق، ص465.

(4) السابق، الصفحة نفسها.

تجليات التلقي العربي الراهن لسوسير الجديد:

ندلف الآن إلى الكشف عن أهم تجليات تلقي الباحثين العرب لسوسير الجديد في الوقت الراهن في ضوء المتغيرات الأنفة الذكر، وذلك من خلال رصد ثلاثة محاور:

- 1- نقل المعرفة: ونرصد من خلالها ترجمة بعض المؤلفات والمقالات التي تدور حول الأفكار الجديدة لسوسير.
- 2- تمثل المعرفة: ونعني بذلك التأليف العربي الراهن حول لسانيات سوسير الجديد.
- 3- الاحتفاء بالمعرفة: من خلال رصد جوانب الاحتفاء بمثوية سوسير.

أولاً: نقل المعرفة:

الناظر في الجهود العربية في مجال ترجمة بعض منجزات الغربيين حول سوسير الجديد يجد أنها تميزت عن تلك التي سبقتها في ترجمة كتابه الذي وضعه بالي وزميله من جهتين:

أولاهما: التنوع في الترجمات الراهنة عن عدة باحثين غربيين من الذين اهتموا بسوسير بعد ظهور تلك المخطوطات المشار إليها.

وثانيهما: إنها اتسمت بالمتابعة شبه السريعة من الجهة الزمنية.

فنقل الكتاب الأول الذي وضعه بالي وسيشهاي إلى اللغة العربية لم يتحقق إلا بعد مرور عشرات السنوات على صدوره عام 1916م؛ وقد سبق نقل ذلك الكتاب ورود بعض أفكار سوسير في كتابات الرعيل الأول من اللسانيين العرب الذين اتصلوا اتصالاً مباشراً باللسانيين الغربيين منتصف القرن العشرين؛ لكن هذا الجيل لم يُقدم على نقل الكتاب إلى العربية، ولعل أهم أسباب ذلك ما ورد في تلك الرواية الشفوية التي يرويها الدكتور الكراعي في مقدمة ترجمته لكتاب سوسير من أن الدكتور كمال بشر أراد أن يترجم هذا الكتاب لكنه أحجم عن ذلك لصعوبة هذا الكتاب في رأيه⁽¹⁾.

(1) انظر: فصول في علم اللغة العام، دي سوسير، ترجمة: أحمد الكراعي، ص4، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 1985م.

ولعل أبرز محاولة لترجمة بعض فقرات من كتاب سوسير هي تلك التي قام بها عبد الرحمن الحاج صالح في بحثه الموسوم "مدخل إلى علم اللسان الحديث" نشره في العدد الأول من مجلة اللسانيات الصادرة عن جامعة الجزائر 1972م. وفي هذا العام نفسه نشر الدكتور كمال بشر بحثاً في مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة بعنوان: "كتاب محاضرات في علم اللغة العام لسوسير وموقعه في آثار الدارسين" قدم فيه عرضاً تعريفيّاً موجزاً بالكتاب، وتناوله بالنقد مبيناً بعض أوجه القصور التي تخللتها من وجهة نظره؛ ومن ذلك ما شاب لغة الكتاب من اضطراب وتعقيد، فسر الدكتور بشر بأن عبارة التلميذ (يعني بالي وزميله) لا ترقى إلى عبارة الأستاذ في الدقة والوضوح، وذلك يؤكد ما ذكره الدكتور الكراعي أن أهم أسباب عزوف الدكتور بشر -وربما كثير من المترجمين في فترة مبكرة- عن ترجمة هذا الكتاب تتمثل في صعوبة لغته والتواء أسلوبه⁽¹⁾.

وأما ترجمة الكتاب كاملاً فقد تأخرت كثيراً حتى الربع الأخير من القرن الماضي؛ إذ صدرت أول ترجمة لكتاب سوسير عام 1984 عن دار نعمان للثقافة - بيروت، بعنوان (محاضرات في الألسنية العامة) وأنجز تلك الترجمة يوسف غازي ومجيد النصر. وصدرت في عام 1985م ثلاث ترجمات للكتاب نفسه؛ أولاهما: ترجمة يوثيل يوسف عزيز ومراجعة مالك المطلبي بعنوان: (علم اللغة العام) عن دار آفاق عربية - بغداد. وثانيها: ترجمة صالح القرمادي ومحمد الشاوش ومحمد عجينة عن الدار العربية للكتاب - طرابلس - ليبيا، بعنوان: (دروس في الألسنية العامة). وثالثها: ترجمة أحمد الكراعي عن دار المعرفة الجامعية بالأسكندرية بعنوان: (فصول في علم اللغة العام). ثم ترجمة أخرى لعبد القادر قنيني عن دار أفريقيا الشرق عام 1987م بعنوان: (محاضرات في علم اللسان العام).

(1) انظر: السابق، الصفحة نفسها.

ولا يخفي عز الدين المجدوب دهشته من غرابة تأخر نقل هذا الكتاب المهم إلى العربية، ويحاول أن يضع أيدينا على بعض الدوافع التي كانت خلف ذلك التأخر؛ نجمل أهمها فيما يأتي⁽¹⁾:

- جدة هذا العلم الطارئ على العرب.
- في هذا الكتاب صعب يرجع بعضها إلى الفترة التاريخية التي كتب فيها، وبعضها الآخر إلى ملابسات نشره بعد وفاة سوسير.
- ظهر الكتاب في حقبة قريبة العهد باللسانيات التاريخية؛ لذا تشيع فيه كثرة الشواهد المستمدة من لغات أخرى؛ مما يضفي على ترجمته صعوبة لا يتيسر الإلمام بها لكثير من المترجمين.
- ظهور مصطلحات سوسيرية جديدة استعملها سوسير بمعنى ثم تطورت اللسانيات فأكسبتها محتوى جديداً يخالف معناها عند سوسير.
- إن من نشر الكتاب ليس مؤلفه بل تلميذاه بالي Bally وسيشهاي Sechehaye؛ مما يعني أن الكتاب كان عرضة لتصرفهما تبعاً لفهمهما الخاص.
- لكنّ الأشد غرابة هو ظهور خمس ترجمات لهذا الكتاب في بضعة سنين من 1984 حتى 1987، وكل ترجمة من هذه الترجمات تختلف عن الأخرى في اللغة والأسلوب وفي كثير من المصطلحات، بل في طريقة الكتابة العربية لاسم (دي سوسير) نفسه! وهذا مردّه إلى غياب مؤسسة عربية جامعة في مجال الترجمة.

هذا في حين أن حركة الترجمة الأنوية لبعض ما يثار حول سوسير الجديد تتسم بالمتابعة شبه السريعة إلى حدٍّ ما، وإن كانت هناك صعوبة بالغة في متابعة كل ما تلقي به المطابع حول سوسير في ظل مخطوطاته المكتشفة مؤخراً، مع الأخذ في الاعتبار أن أهم كتاب في هذا المجال وهو كتاب (كتابات في اللسانيات العامة) الذي نشره سيمون بوكي ورودولف إنجلر عام 2002م بباريس، لم يترجم إلى العربية حتى الآن، في الوقت الذي ترجم فيه إلى ثلاث عشرة لغة أخرى، وتكمن أهمية هذا الكتاب في أنه عبارة عن مائة صفحة من مخطوطات سوسير

(¹) انظر: ثلاث ترجمات لكتاب فردينان دي سوسير، عز الدين المجدوب، حويلات الجامعة التونسية، ع29، 1987م، ص43- 45.

نفسه، علاوة على أن بوكي وإنجلر يعكفان الآن على إعداد طبعة جديدة لمحاضرات سوسير اعتماداً على كراسات الطلاب.

على أية حال، ما زالت الترجمات العربية في هذا المجال في حاجة إلى مزيد من الجهد، وقد قادنا البحث في الترجمات العربية إلى رصد ما يلي:

- البحث عن فردينان دي سوسير، ميشيل أريفييه، ترجمة: محمد خير البقاعي.

نشر المترجم بعض أجزاءها مُنْجَمة خلال عامي 2007م و2009م في مجلة نوافذ الصادرة عن النادي الأدبي في جدة بالسعودية. ثم نشرها كاملة في كتاب صدر عن دار الكتاب الجديد المتحدة، ببيروت، لبنان، عام 2009م. في 324 صفحة من القطع المتوسط منها 26 صفحة فهرس فنية.

- الفصل الرابع من كتاب: النظريات اللسانية الكبرى من النحو المقارن إلى الذرائعية، تأليف: ماري بافو وجورج سرفاتي، نقله إلى العربية: محمد الراضي، ونشرته المنظمة العربية للترجمة عام 2012م.

وقد عرض المؤلفان في هذا الفصل محتوى (الدروس) اعتماداً على الطبعة الأصلية لبالي Bally وسيشهاي Sechehayé بتقديم وتعليق مورو 1995م، وعلى ما نشره كوماتسو وهاريس عام 1993م لمذكرات أحد الطلبة بعنوان (المحاضرة الثالثة في علم اللغة العام)، وعلى نصوص نشرها إنجلر وبوكيه عام 2002م بعنوان (كتابات في علم اللغة العام).

- سوسير واللسانيات المعاصرة، وهو مجموعة بحوث علمية قام بترجمتها د. تحسين رزاق عزيز وأشواق محمد مطلق، وصدر عن بيت الحكمة، بغداد، 2014م، ويحتوي الكتاب على 13 بحثاً هي ثمرة المناقشات التي دارت في طاولة الحوار التي أقامها قسم اللسانيات العامة والأسلوبية بكلية اللغة والآداب في جامعة فرونيش بالتعاون مع قسم اللغة والأدب الفرنسي في الكلية نفسها؛ حيث ناقشت تلك الطاولة المسائل اللسانية النظرية للسانيات المعاصرة التي تأثرت بلسانيات سوسير.

- فهم فردينان دو سوسور وفقاً لمخطوطاته: مفاهيم فكرية في تطور اللسانيات، تأليف: لويك دوبيكير، وترجمة: ريماء بركة، نشرته المنظمة العربية

للترجمة، بيروت - لبنان، سبتمبر 2015م. وهو كتاب في 319 صفحة من القطع المتوسط منها 25 صفحة فهرس فنية.

- أن نقرأ نصوص دي سوسير، بحث من تأليف: فرانسوا راستيه، ترجمه إلى العربية: حسن المودن وحافظ إسماعيلي علوي، نُشر ضمن كتاب (العودة إلى سوسير) الصادر عن دار كنوز المعرفة بالأردن 2017م، وهذا الكتاب هو الجزء الأول من الأبحاث التي ألفت ضمن مؤتمر "ده صوسير بعد مائة عام من الغياب" الذي عقد بجامعة القاضي عياض بالمغرب يومي 13 و14 أبريل 2017م.

- سوسير في المستقبل: كتابات مُكتشفة وتلقّيات جديدة/ مدخل إلى إعادة قراءة سوسير، تأليف: فرانسوا راستيه، ترجمه إلى العربية: حافظ إسماعيلي علوي وحسن المودن، نُشر كذلك ضمن كتاب (العودة إلى سوسير) الصادر عن دار كنوز المعرفة بالأردن 2017م.

- بعد مرور قرن من الزمان مخطوطات سوسير تعود لتبعثر اللسانيات، تأليف: سيمون بوكي، ترجمه عن الفرنسية: د. مبارك حنون، نُشر أيضا ضمن كتاب (العودة إلى سوسير) الصادر عن دار كنوز المعرفة بالأردن 2017م.

- النظر إلى الوراء لرؤية الآتي: إعادة اكتشاف دي سوسير، تأليف: وليم ج. كاراسكو، ترجمة: محي الدين محسب، نُشر كذلك ضمن كتاب (العودة إلى سوسير) الصادر عن دار كنوز المعرفة بالأردن 2017م.

عند النظر في محتوى تلك الترجمات العربية التي بين أيدينا نستخلص عدداً من الأمور المهمة حول اللسانيات السوسيرية في ضوء المخطوطات المكتشفة، ونوجز تلك الأمور فيما يأتي⁽¹⁾:

(1) انظر -إضافة إلى الكتب المترجمة المشار إليها في المتن - الترجمات الآتية التي نشرت ضمن كتاب (العودة إلى سوسير) الصادر عن دار كنوز المعرفة بالأردن 2017م: (أن نقرأ نصوص دي سوسير تأليف: فرانسوا راستيه، ترجمه إلى العربية: حسن المودن وحافظ إسماعيلي علوي). و(سوسير في المستقبل: كتابات مُكتشفة وتلقّيات جديدة: مدخل إلى إعادة قراءة سوسير، تأليف: فرانسوا راستيه، ترجمه إلى العربية: حافظ إسماعيلي علوي وحسن المودن). و(بعد مرور قرن من الزمان مخطوطات سوسير تعود لتبعثر اللسانيات، تأليف: سيمون بوكي، ترجمه عن الفرنسية: د. مبارك حنون).

أولاً: أن كتاب (محاضرات في علم اللغة العام) الذي نشره بالي وسيشهاي عام 1916م ليس من تأليف سوسير، بل هو تلفيق منهما؛ إذ إنهما لم يحضرا أية محاضرة من محاضرات سوسير، كما أنهما اعتمدا على ثلاث مجموعات فحسب من محاضرات سوسير.

ثانياً: أن بالي وسيشهاي لم يكن لديهما ذلك البعد الفلسفي الذي كان لسوسير، فجاء عملهما ملفقاً، وغير مكتمل؛ إذ حذفوا مقدمة الفصل الثاني التي كتبها سوسير والمكونة من 100 صفحة، وفي هذه المقدمة خلاصة فكر سوسير.

ثالثاً: يشير راستييه إلى أن بالي وسيشهاي قد حددوا فكر سوسير بأنه (نظام من اللسانيات السكونية)؛ وكان دافعهما في هذا الحكم على لسانيات سوسير يتغذى على القطيعة بين لسانيات سوسير واللسانيات التاريخية المقارنة، دون أن يبررا تلك القطيعة.

رابعاً: اتسم نشر بالي وسيشهاي لكتاب (محاضرات في علم اللغة العام) بالتناقض خاصة فيما يتصل بتعريف الحقل المعرفي ذاته، وهنا تكمن الخطورة؛ إذ يثبت نص بالي وسيشهاي أن سوسير يتصور اللسانيات بوصفها (علم اللسان منظوراً إليه في ذاته ولذاته)، بينما تقضي مخطوطاته بأن الجانب الاجتماعي والتداولي جزء جوهري في اللسانيات. وبذلك يتضح خطأ تلك الفكرة التي تلقاها اللسانيون عبر سنوات طويلة، إنها فكرة وجود لسانيات منعزلة في برجها البنيوي العاجي.

خامساً: تتفق تلك الترجمات على أن كتاب (محاضرات في علم اللغة العام) الذي نشره بالي وسيشهاي يُعدّ أقل المصادر مصداقية وأكثرها انحرافاً عن فكر سوسير؛ لذا فهو يأتي في ذيل المصادر المعتمدة لفهم تفكير سوسير.

وتختلف تلك الترجمات حول ما ينبغي البدء به؛ فعلى حين يرى بعض الباحثين أنه علينا أن نبدأ بقراءة مخطوطات سوسير أولاً، ثم تدوينات طلابه، يرى بعضهم الآخر أنه ينبغي أن نبدأ بتدوينات الطلاب، ثم بمخطوطات سوسير. ويعلل الفريق الثاني وجهة نظره بأنه من الصعوبة بمكان تأويل كتابات سوسير،

(والنظر إلى الوراء لرؤية الآتي: إعادة اكتشاف دي سوسير، تأليف: وليم ج. كاراسكو، ترجمة: محي الدين محسوب).

كما أن في تواريخها ووضعها بعض الإشكال، في حين تحظى كراسات الطلاب بجودة عالية، كما أنها متطابقة بشكل عام⁽¹⁾.

وعلى الرغم من أن كتاب المحاضرات هو أقل تلك المصادر مصداقية إلا أن هناك فئة كبيرة من العلماء والباحثين ما زالت تستقي فكر سوسير من ذلك الكتاب دون غيره!! وسأمثل لذلك بأمثلة عربية فيما بعد في هذا البحث في المبحث الموسوم بـ: (جهود عربية راهنة لم تتمثل المعرفة الجديدة حول سوسير).

سادساً: تثبت مخطوطات سوسير أنه لم يكن يقصد بثنائياته المشهورة (الدال/المدلول) (اللغة/الكلام) (التزامني/التاريخي) (الفردية/الاجتماعية)... أن تكون متقابلات أو متواجهات أو أزواجاً متضادة، وليس أدل على ذلك من تلك الجمل الدالة التي وردت في كتاب (كتابات في اللسانيات العامة) الذي نشره إنجلر وبوكيه 2002م، وهو عبارة عن مائة صفحة من مخطوطات سوسير كما أسلفنا؛ إذ يرى سوسير:

- "كما أنه لا جدوى من اعتبار الفكرة خارج العلامة، فإنه لا جدوى من اعتبار العلامة خارج الفكرة"⁽²⁾.
 - "لم يعد لكم الحق في أن تُقسَّموا، وأن تقبلوا بالكلمة من جهة، وبدلالاتها من جهة أخرى، فهما يشكلان شيئاً واحداً"⁽³⁾.
 - "سيمولوجيا = موفولوجيا، نحو، تركيب، ترادف، بلاغة، أسلوبية، معجميات، إلخ؛ فهي كلها شيء غير قابل للانفصال"⁽⁴⁾.
- لم يكن سوسير إذن، يقصد بتلك الثنائيات أن تكون جزراً منعزلة، بل كانت رؤية سوسير للغة رؤية شمولية ما دامت السيميائيات تشمل (الصرف، والنحو، والمعجم، والبلاغة، والأسلوبيات، والتداوليات...، وكلها غير قابلة للفصل، وكل فصل بينها هو فصل إجرائي لا غير). فأين سوسير البنيوي الذي زعموه؟!

(1) انظر: سوسير في المستقبل، ص 396، حاشية رقم (1).

(2) كتابات في اللسانيات العامة، بوكي وإنجلر، ص 44، نقلا عن: سوسير في المستقبل، ص 401.

(3) المرجع نفسه، ص 402.

(4) كتابات في اللسانيات العامة، بوكي وإنجلر، ص 45، نقلا عن: سوسير في المستقبل، ص 409.

ثانياً: تمثّل المعرفة: التأليف العربي الراهن حول لسانيات سوسير الجديد:

لم تتوقف جهود العرب في اللحظة الراهنة على نقل المعرفة عن طريق الترجمة، بل تخطّت ذلك إلى الإسهام في تأويل تلك الأفكار الجديدة، والوقوف على أبعادها، ونقدها في بعض الأحيان، وبيان أثرها لا في دراسة اللغة فحسب بل وفي دراسة الأدب والنقد. لكن على الرغم من ذلك بقيت بعض الجهود العربية الراهنة حبيسة تلك الأفكار القديمة التي وردت في كتاب (محاضرات في علم اللغة العام)، وكأن أصحابها لم يعرفوا بعد أن هناك مياهاً جديدة جرت في النهر. وبيان ذلك فيما يأتي:

الاتجاه الأول: جهود عربية تمثّلت المعرفة الجديدة حول سوسير:

ولعل أهم تلك الجهود ما أنجزه الدكتور مصطفى غلفان الذي أصدر سفيرين من أهم ما كتب عن سوسير الجديد؛ وقد صدر كلا الكتابين مطلع هذا العام 2017 عن دار الكتاب الجديد المتحدة - بيروت - لبنان، أحدهما بعنوان (لسانيات سوسير في سياق التلقي الجديد)، ويقع في 380 صفحة من القطع المتوسط، والآخر بعنوان: (اللغة واللسان والعلامة عند سوسير في ضوء المصادر الأصول)، وبلغ عدد صفحاته 344 صفحة من القطع المتوسط.

يتسم هذان الكتابان بالعمق المعرفي والإحاطة بأفكار سوسير؛ إذ اطلع المؤلف على تلك الأفكار في لغتها الأم دون واسطة، واستطاع أن يصوغ رؤيته الخاصة حولها، من خلال حسن العرض ووضوح الفكرة وسلاسة اللغة.

ففي الكتاب الأول (لسانيات سوسير في سياق التلقي الجديد) أثر غلفان معالجة أهم الإشكالات التي أثارها تلقي سوسير الجديد، وفي مقدمتها التحليلات الفيلولوجية التي أنجزها الدارسون حول كتاب (محاضرات في علم اللغة العام) المنسوب لسوسير؛ من خلال تناول أهم المفاهيم التي شاعت في ذلك الكتاب نحو: موضوع اللسانيات، ومفهوم اللغة، واللسان، والكلام، والعلامة اللغوية، والاعتباطية، والسيمولوجيا. ولم يشأ غلفان في هذا التناول أن ينصرف إلى الجزئيات التفصيلية، بل اهتم بالأساس بالقضايا المنهجية العامة لسوسير.

والجديد في عمل غلفان هذا هو أنه تناول تلك القضايا من خلال إطلاع القارئ العربي على جزء من تناول الغربيين حول (سوسير الجديد) أو (سوسير

الحقيقي)، وليس سوسير النمطي الذي عهده الدارسون العرب من خلال الكتاب المعروف.

وأما الكتاب الآخر لغلفان (اللغة واللسان والعلامة عند سوسير في ضوء المصادر الأصول) فيعد مكملاً لما أسلفه في كتابه السابق؛ إذ تناول فيه ثلاثة مفاهيم رئيسية في لسانيات سوسير وفي اللسانيات الحديثة بشكل عام وهي: (اللغة) و(اللسان) و(العلامة اللغوية)، وهو في ذلك ينطلق من جملة من المصادر الأصول التي تتمثل في المخطوطات التي اكتشفت مؤخراً، والتي أشرنا إليها في صدر هذا البحث.

وقد حرص المؤلف في كتابه هذا على وضع ملحق مهم للقارئ العربي، يتمثل في نصوص من طبعة إنجلر Engler النقدية⁽¹⁾ تكشف عمليات التحريف التي أجراها بالي Bally وسيشهاي Sechehayé من خلال الإضافة أو الحذف أو التعديل؛ حيث وضع نصوص بالي وزميله مقابل النصوص التي دوّنها الطلبة نقلاً عن سوسير، ويتبدى للقارئ من خلال المقارنة السريعة أن سوسير المحاضرات (محاضرات في علم اللغة العام) ليس هو سوسير الحقيقي، بل هو صورة غائمة الملامح وربما بدون ملامح حقيقية لسوسير.

إن أهم نتيجة يؤكدّها كتابا غلفان هي أن نسبة التقاطع بين سوسير الذي رسمه بالي Bally وسيشهاي Sechehayé وسوسير الحقيقي (أو الجديد) نسبة ليست بالكبيرة، وأنه بات من الإنصاف إعادة فهم سوسير فهماً جديداً وفقاً لتلك الأصول المكتشفة.

فأما ثاني هذه المحاولات العربية في التأليف حول سوسير الجديد فهي محاولة للدكتور محيي الدين محسب؛ فقد نشر مقالاً في 24 صفحة عام 2016م بمجلة

(1) في عام 1957 ظهرت دراسة روبير غودل Robert Godel (المصادر المخطوطة لمحاضرات في علم اللغة العام)، وتلتها عام 1968 طبعة نقدية أنجزها ألبرني رودولف إنجلر Alberni Rodolf Engler قدم فيها عرضاً إجمالياً عن مجموع كراسات طلاب سوسير المتاحة آنذاك. (انظر: بعد مرور قرن من الزمان مخطوطات سوسير تعود لتبعثر اللسانيات، سيمون بوكي، ترجمة: د. مبارك حنون، ضمن كتاب: العودة إلى سوسير، دار كنوز المعرفة، الأردن، 2017م، ص386).

فصول المصرية ع79، عنوانه: (خطاب اللغة في الأدب وتحولاته الإستمولوجية) أشار في مطلعها إلى المخطوطات السوسيرية المكتشفة حديثاً وما قدمته من أفكار جديدة حول لسانيات سوسير، وي طرح سؤالاً حول علاقة سوسير بقضية اللغة في الأدب، ويؤكد أن لسانيات سوسير أحدثت ثورة في نظرية الأدب تأثيراً وتأسيساً في الشكلانيات والبنىويات والأسلوبيات والسيمائيات، ويصل محيي الدين محسب إلى نتيجة مفادها أن العلاقات والتحولات الإستمولوجية في الخطاب بين النظريات اللسانية في تعاملها مع الظاهرة الأدبية، والنظريات النقدية في تعاملها مع الظاهرة اللغوية، تؤكد - على الأقل - أمراً واحداً حاسماً وهو إسقاط المنظور الأحادي في تفسير هذه الظاهرة.

الاتجاه الثاني: جهود عربية راهنة لم تتمثل المعرفة الجديدة حول سوسير:

سوف نكتفي هنا بالإشارة إلى بعض الجهود العربية الراهنة التي اهتمت بالتأليف حول لسانيات سوسير، لكنها لم تطلع على الدراسات حول المخطوطات السوسيرية الجديدة لا في لغتها الأم ولا في ترجماتها إلى اللغة العربية، فظلت بذلك تدور في فلك سوسير التقليدي المحرف الذي عهده الناس عبر قرن من الزمان.

ولعله من الغريب حقاً أن يصدر عنوان في هذا العام 2017 ولا يلتفت إلى تلك الضجة حول سوسير الجديد؛ إذ نشر الدكتور فوزي الشايب كتاباً عنوانه (سوسير: أبو اللسانيات، الخلفيات والأفكار) صدر عن عالم الكتب الحديث - إربد - الأردن. ومع أن عنوان الكتاب يومئ إلى وجود جديد في ظل تلك الثورة التي أحدثتها مخطوطات سوسير إلا أن فصول الكتاب دارت حول الثنائيات السوسيرية كما وردت في كتابه (محاضرات في علم اللغة العام) الذي نشره بالي Bally و سيشهاي Sechehay، ثم يدور الحوار والنقاش حول ما ورد في ذلك الكتاب دون أن يتسمّع إلى تلك الضجة التي أحدثتها تلك المكتشفات الجديدة.

وعلى هذا النحو كذلك سار ثامر الغزي في بحث له بعنوان (ماذا بقي من سوسير؟) المنشور في مجلة علامات بجدة، المجلد 12 العدد 46، عام 2002م. وعلى الرغم من أن العنوان يغري بوجود جديد، إلا أن المحتوى يدور في فلك اللسانيات

السوسيرية كما وردت في كتابه الذي وضعه بالي وزميله، دون أدنى ذكر للمخطوطات السوسيرية الحديثة أو إشارة إلى ما استجد في الموضوع. وكذلك الأمر في بحث آخر بعنوان: (بحث في دي سوسير عالما لسانيا فذا) لعللي الشروش وعبد الكريم السلامات، نشره في مجلة كلية الآداب - جامعة طنطا - مصر - العدد 29 الجزء 3، وعلى الرغم من أن تاريخ نشر هذا البحث هو العام الماضي 2016 إلا أنه لا يتضمن أية إشارة إلى سوسير الجديد، ويسير كسابقه في فلك سوسير المحرّف كما ورد في كتابه القديم.

ولو استرسلنا في عد الكتب والبحوث التي سارت على هذا النهج لأعيانا الأمر، وهذا يعني أن هناك فئة كبيرة من الباحثين العرب عموما، ومن اللسانيين خصوصا تنأى بنفسها عن متابعة ما يجد من أفكار لسانية متسارعة، في الوقت الذي نشطت فيه حركة الترجمة العربية في مجال اللسانيات، ولم تعد تتأخر في نقل المعرفة كما كانت في السابق، وتلك إشكالية من إشكالات تلقي اللسانيات في ثقافتنا.

ثالثاً: الاحتفاء بالمعرفة. نشير هنا بالاحتفاء إلى بعض النشاطات العلمية التي احتضنتها بعض الجامعات العربية، على غرار الجامعات الغربية، احتفاء بمئوية سوسير ومن ذلك:

1- المؤتمر العلمي الدولي التاسع عشر لكلية الآداب بالجامعة المستنصرية بالعراق، من 2 إلى 4 أبريل/ نيسان 2013م بعنوان (سوسير: حياة في اللغة)، وقد نُشرت بحوث ذلك المؤتمر في كتاب يحمل العنوان نفسه، إعداد وتنسيق: د. مؤيد آل صوينت، وصدر الكتاب عن مكتبة الحضارات ببيروت، في 484 صفحة من القطع المتوسط. وقد احتوى الكتاب على خمسة وعشرين بحثاً، تدور أغلبها حول سوسير التقليدي، سوى بحث للدكتور مصطفى غلفان بعنوان (نص لم يكتبه مؤلفه) بيّن فيه جناية بالي وسيشهاي على سوسير، وهو بحث شكل جزءاً من كتابيه الأنفي الذكر.

2- ندوة (اللسانيات: مائة عام من الممارسة) المنعقدة يوم 26 نوفمبر 2013 بمخبر أبحاث في اللغة والأدب بجامعة بسكرة. ولا توحى عناوين البحوث المقدمة في تلك الندوة بالتنبه إلى سوسير الجديد أيضاً.

- 3- مؤتمر (اللسانيات: 100 سنة بعد دروس دي سوسور) عقد في الفترة (من 14- 16 نوفمبر 2016) نظمتها جامعة الجزائر2 بالاشتراك مع مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية التابع لوزارة التعليم العالي والبحث العلمي الجزائرية، وفي العناوين المقدمة في هذا المؤتمر ما يشير إلى التنبيه إلى تناول سوسير وفق مخطوطاته المكتشفة مؤخراً.
- 4- مؤتمر (ده صوسير بعد مائة عام من الغياب) نظمتها كلية الآداب والعلوم الإنسانية في جامعة القاضي عياض بمراكش - المغرب، في يومي 13 و14 أبريل 2017م، وتدور بحوث هذا المؤتمر حول سوسير الجديد؛ وكانت فئة من هذه البحوث ترجمات لبعض ما كتب حول سوسير بعد اكتشاف مخطوطاته. ونُشرت بعض تلك الأبحاث في كتاب بعنوان (العودة إلى سوسير) وقد عرضتُ إلى البحوث التي احتواها في هذا البحث من قبل.



مراجع البحث -

- أن نقرأ نصوص دي سوسير، بحث من تأليف: فرانسوا راستييه، ترجمه إلى العربية: حسن المودن وحافظ إسماعيلي علوي، نُشر ضمن كتاب (العودة إلى سوسير) الصادر عن دار كنوز المعرفة بالأردن 2017م.
- بحث في دي سوسير عالما لسانيا فذا، علي الشروش وعبد الكريم السلامات، مجلة كلية الآداب - جامعة طنطا - مصر، العدد 29 الجزء 3، 2016م.
- البحث عن فردينان دي سوسير، ميشيل أريفييه، ترجمة: محمد خير البقاعي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، عام 2009م.
- بعد مرور قرن من الزمان مخطوطات سوسير تعود لتبعثر اللسانيات، تأليف: سيمون بوكي، ترجمه عن الفرنسية: د. مبارك حنون، نُشر ضمن كتاب (العودة إلى سوسير) الصادر عن دار كنوز المعرفة بالأردن 2017م.
- ثلاث ترجمات لكتاب فردينان دي سوسير، عز الدين المجذوب، حوليات الجامعة التونسية، ع29، 1987م.
- خطاب اللغة في الأدب وتحولاته الإستمولوجية، د. محيي الدين محسب، مجلة فصول، مصر، ع79، 2016م.
- سوسير: أبو اللسانيات، الخلفيات والأفكار، د. فوزي الشايب، عالم الكتب الحديث - إربد - الأردن، 2017م.

- سوسير: حياة في اللغة، إعداد وتنسيق: د. مؤيد آل صوينت، مكتبة الحضارات، بيروت.
- سوسير في المستقبل: كتابات مُكتشفة وتلقّيات جديدة/ مدخل إلى إعادة قراءة سوسير، تأليف: فرانسوا راستييه، ترجمه إلى العربية: حافظ إسماعيلي علوي و حسن المودن، نُشر ضمن كتاب (العودة إلى سوسير) الصادر عن دار كنوز المعرفة بالأردن 2017م.
- سوسير واللسانيات المعاصرة، مجموعة بحوث علمية قام بترجمتها د. تحسين رزاق عزيز وأشواق محمد مطلق، بيت الحكمة، بغداد، 2014م،
- علم اللغة العام، دي سوسير، ترجمة: يوثيل يوسف، مراجعة: مالك المطلبي، دار آفاق عربية، بغداد، 1985.
- فصول في علم اللغة العام، دي سوسير، ترجمة: أحمد الكراعين، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 1985م.
- فهم فردينان دي سوسير وفقاً لمخطوطاته، مفاهيم فكرية في تطور اللسانيات، تأليف: لويك دوبيكير، ترجمة: ريماء بركة، نشرته المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، سبتمبر 2015م.
- كتاب محاضرات في علم اللغة العام لسوسير وموقعه في آثار الدارسين، كمال بشر، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ج29، 1972م.
- لسانيات سوسير في سياق التلقي الجديد، د. مصطفى غلفان، دار الكتاب الجديد المتحدة - بيروت، لبنان، 2017م.
- اللغة واللسان والعلامة عند سوسير في ضوء المصادر الأصول، د. مصطفى غلفان، دار الكتاب الجديد المتحدة - بيروت، لبنان، 2017م.
- ماذا بقي من سوسير؟، ثامر الغزي، مجلة علامات، النادي الأدبي بجدة، المجلد 12 العدد 46، 2002م.
- مدخل إلى علم اللسان الحديث، عبد الرحمن الحاج صالح، مجلة اللسانيات الصادرة عن جامعة الجزائر، ع1، 1972م.
- النظر إلى وراء الرؤية الآتية: إعادة اكتشاف سوسير، وليم كاراسكو، ترجمة د. محيي الدين محسب، ضمن كتاب: العودة إلى سوسير، دار كنوز المعرفة، الأردن، 2017م.
- النظريات اللسانية الكبرى من النحو المقارن إلى النرائعية، تأليف: ماري بافو وجورج سرفاتي، نقله إلى العربية: محمد الراضي، المنظمة العربية للترجمة، 2012م.
- Ferdinand de Saussure, Cours de linguistique générale, Publié par Charles Baily et Albert Séchehay, avec la collaboration de Albert Riedlinger, Édition critique préparée par Tullio de Mauro, 1997.



ظواهر أسلوبية في شعر إيليا أبي ماضي

محمود درابسة

قسم اللغة العربية، جامعة الشارقة

ص. ب. 27272، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

mdarabseh58@yahoo.com

الملخص -

يعد إيليا أبو ماضي أحد شعراء المهجر الأمريكي البارزين، حيث ساهم في إنشاء الرابطة القلمية التي شكلت اتجاهها شعريا هاما في الأدب العربي الحديث. وقد تميز شعره بالاهتمام بالطبيعة وجمالها، والنزعة التأملية والروحية، إضافة إلى العاطفة تجاه الوطن والمرأة والأسرة.

وفي ضوء هذه التجربة الابداعية للشاعر إيليا أبي ماضي والتي تتعدد زوايا النظر النقدي اليها لتمييزها وخصبها، ولهذا فقد تم معاينة الظواهر الأسلوبية في شعره، وذلك لحضورها المميز في لغة الشاعر، مثل ظاهرة التكرار والتضاد والحوار والتشخيص.

Stylistic Devices In Elia Abu Madi Poetry

Summary –

Elia Abu Madi Is One Of The Most Prominent Arabic Diaspora In America. He Has Partaken In Formation Of The Pen League, A School Is Said To Have Ushered Arabic Literature From Its Age Old Classicism Into The Modern Era.

Abu Madi's Poems Characterized By Focusing On The Nature's Beauty, Meditative And Spiritual Tendencies, And Affections Toward Homeland, Woman, And Family.

In The Light Of Abu Madi's Rich And Fertile Creative Experience, It Brings Multidimensional Literary Criticism, That's Why The Stylistic Devices In His Works Called To Be Studied, Stylistics Includes; Motif, Paradox, Dialogue, And Personification.

Keywords –

. , Elia Abu Madi , Stylistic , Poetry , Paradox, Dialogue

تمهيد -

يعد إيليا أبو ماضي⁽¹⁾ أحد شعراء المهجر الأمريكي البارزين، إذ ساهم في انشاء الرابطة القلمية التي شكلت اتجاهاً شعرياً هاماً في الأدب العربي الحديث.

فالشعر المهجري يعبر عن صراع الانسان العربي بين الوطن والغربة، وبين التفاضل والتشاؤم، كما يعبر عن حال الانسان العربي الذي هجر وطنه ليجد ملاذاً آخر بعيداً عن الاسرة والقرية والوطن، فأخذ الشاعر المهجري يعبر عن نزعتة التفاؤلية والتشاؤمية بل والفلسفية بصور مختلفة تعكس حالة الاضطراب عنده.

كيف لا، وقد هاجر شعراء المهجر عن ديارهم في مطلع القرن العشرين، حيث لا توجد وسائل اتصال بينهم وبين ذويهم في الوطن الأم، كما أن صعوبات اللغة والتكيف الاجتماعي قد فرضت على الشعراء وضعاً نفسياً قاسياً، هذا الوضع وهذه الحال قد تجسدت في شعرهم بشكل كبير.

ولذا فقد تميز شعر ايليا أبي ماضي بالاهتمام بالطبيعة، حيث انعكس جمال الطبيعة وسحرها في نفسه وفي شعره، فوصف مكونات الطبيعة وصفاً دقيقاً معبراً عن حسه وخياله، حيث عاين السماء وجماله، والجداول وخريرها، والاودية والهضاب، والاشجار فجسد بذلك تفاؤله وحزنه معاً، حيث كان يطيل النظر في تفاصيل الامور ليعقد مقارنة بين المكان الغربة والمكان الوطن⁽²⁾.

كما عبر الشاعر عن تجاربه العاطفية المتباينة، فصور حبه للمرأة أصدق تصوير، إذ ظل متعلقاً بفتاة وطنه، التي وجد فيها الاسرة والوطن والحب، ولهذا تزوج من احدي فتيات وطنه في المهجر الأمريكي.

كما تميز شعره كذلك بالنزعة التأملية والروحية، وذلك في أكثر من قصيدة من ديوانه الجداول مثل قصيدة الزمان، حيث عبر عن كل نزعاته بأسلوب رمزي، وهذا الأسلوب يعبر عن أفكاره، وتصوراته للكون والحياة والانسان⁽³⁾.

وفي ضوء هذه التجربة الابداعية للشاعر ايليا أبي ماضي، والتي تتعدد زوايا النظر النقدي اليها لتمييزها وخصبها، فقد اتجه هذا البحث لمعاينة الظواهر الأسلوبية في شعره، والتي تهدف الى تناول لغة الشعر عنده، لأن لغة الشعر هي التي تجسد الطاقات الذهنية والمعنوية، المادية والحسية للغة الشعرية، فاللغة الشعرية هي جوهر الشعر، وسماته الابداعية، ولذلك فإن الظواهر الأسلوبية في شعر ايليا أبي ماضي تمتاز

بأسلوب التكرار وأنماطه المختلفة والمتعلقة بالمقدمات وتكرار الجمل والضمائر والافعال والاسماء، فالتكرار يكشف عن فاعلية هذا النمط من تفجير الطاقات الابداعية في الشعر، كما أن هذا النمط يمنح النص الشعري سمته الشعرية. كما يتجاوز التكرار هذه الانماط الى ظواهر أسلوبية أخرى مثل التضاد والحوار الذي يمثل الابداع الشعري بكل صوره ومعانيه⁽⁴⁾. اضافة الى ذلك فإن اسلوب التشخيص عند الشاعر يمثل الابداع في التصوير الفني، لأن الابداع هو خروج على المألوف، وكسر لحواجز اللغة⁽⁵⁾.

وعليه فسوف يعاين البحث في شعر الشاعر الظواهر الاسلوبية الآتية:

1. التكرار
2. التضاد
3. الحوار
4. التشخيص

1. التكرار:

يعد التكرار قيمة جمالية في الشعر ليس من خلال بعده الصوتي أو الاليقاعي وإنما من خلال اتساقه مع النص، وترباطه مع أفكاره وصوره. ويقوم التكرار بإحداث اثاره نفسية، وهزة شعورية لدى المتلقي، ولشد انتباهه الى نداء الشاعر وصوته العميق.

فالتكرار "يكشف عن فاعلية قادرة على منح النص الشعري بنية متسقة، اذ أن كل تكرار من هذا النوع قادر على تجسيد الاحساس بالتسلسل والتتابع، وهذا التتابع الشكلي يعين في اثاره التوقع لدى السامع، وهذا التوقع من شأنه أن يجعل السامع أكثر تحفزاً لسماع الشاعر والانتباه اليه"⁽⁶⁾.

فالتكرار يشكل قيمة صوتية وجمالية في الشعر، كما أنه يحدث إثارة قوية للسامع. يقول عز الدين السيد في كتابه التكرير: "إذا تكرر الحرف في الكلام على أبعاد متقاربة، اكسب تكرار صوته ذلك الكلام إيقاعاً، مبهجاً، يدركه الوجدان السليم حتى عن طريق العين، فضلاً عن ادراكه السمعي بالأذن"⁽⁷⁾.

وقد أصبح التكرار بأنماطه المختلفة ملمحاً أساسياً في شعر ايليا ابي ماضي ومنها التكرار الاستهلاكي الذي أصبح محورياً رئيساً في كثير من قصائده مثل تكرار الأسماء

والضماائر والحروف والجمل وأساليب النداء وغيرها في بداية النص. يقول في قصيدة أنت...⁽⁸⁾

كيف أمسيت مهبط الأرزاء	مهبط الوحي مطلع الأنبياء
لم يكن في العيون لو لم تُسائي	في عيون الانام عنك بُؤ
رُعليها فأصبحت في الإماء	أنت كالحرة التي انقلب الده
حطي والنشر ما بها من رواء	أنت كالبردة الموشاة أبلى ال
عريت من أوراقها الخضراء	أنت مثل الخميعة الغناء
ه وأحنى عليه طول الثواء	أنت كالليث قلم الدهر طُفري
مدقة... في محفل من الغوغاء	أنت كالشاعر الذي ألف الوح
لال في مشهد من الاعداء	أنت مثل الجبار يرسف في الأغ
أولست قديرة أن تشائي	لو تشائين أرفه حالا
ولئن كنت لا أرى ذا رجاء	أنا ما زلت ذا رجاء كثير
فبكي الساكنوك خوف التناي	قد بكي التاركوك منك قنوطاً
خلتُ أني في حاجة للعزاء	كثر النائحون حولك حتى
إنما اليائسون أهل البكاء	بدلوا دمهم وصنت دموعي
كل عافٍ مدامع الشعراء	لو تُفيد الدموع شيئاً لأحيت
لست في حاجة إلى (أرمياء)	أنت في حاجة الى مثل (موسى)

تتمحور هذه اللوحة في قصيدة "أنت" حول الاسم و بصيغة الخطاب، وهذا يشير الى التحدي والاعتزاز والأنفة عند الشاعر، فضلاً عن استفزاز السامع الى حقيقة المخاطب وهو الوطن والارض، والمكان بكل تفاصيله وصوره وماضيه وحاضره، وهنا محاولة أنسنة المكان، حيث جمع الشاعر عدة صور تجسد روح المكان وجمالياته، وتاريخه، فهو المكان المقدس، الذي نزل فيه الأنبياء، وهو الشجرة الجميلة التي أنتزعت أوراقها الخضراء، وهي الأسد الذي قلم ظفراه، وهي المكان الذي يتباكى عليه الناس، بل هي الأسيرة المكبلة بالأغلال.

إن هذه الصور المتناقضة للوطن وللأرض تعكس حالة القلق والخوف على المكان الوطن وعلى المكان الانسان، ولهذا فقد كرر الشاعر صيغة الخطاب للأرض أكثر من مرة لتجسد قدرة الشاعر على رؤية المكان وتقلبات الزمن. ولهذا فقد حوّل الشاعر المكان الى انسان، حيث أخذ بمخاطبته من خلال رسم صورة الماضي المشرق لهذا الوطن بما يمثله من قيم دينية واجتماعية وجمالية وانسانية.

ومن هنا فقد أعطى الشاعر تكرار صيغة المخاطب "أنت" قوة موسيقية، وجمالية تشد انتباه السامع، وتحفزهُ لسماع خطاب الشاعر، بل لقد أضفت هذه الصيغة في النص تشخيصاً للمكان، الساكن في خيال الشاعر وعقله . ويعود الشاعر في القصيدة ذاتها الى توظيف أسماء الاشارة، في اطار تناوله لصورة الوطن المكان والقداسة. يقول:

وسقى الله أنفُسَ الأبناء	أرضَ آبائنا عليكِ سلامٌ
لا تظنيَّ العقوقَ في الأبناء	ما هجرناكِ إذ هجرناكِ طوعاً
أفترضى الخلودَ في البأساء	يُسأَمُ الخلدُ والحياةُ نعيمٌ
فوقها كلُ عاصفٍ هوجاء	هذه أرضنا بلا قعُ تمشي
مِ وكانت منازلُ الوراقِ	هذه دورنا منازلُ اللبؤ
ربِ وبالوحشِ من بني حواءِ	بدلتها السنونُ شوكةً من الزَّه
نَشْرَكُهُ لنا يدُ الإمساءِ	ما طوتِ كارثاً يدُ الصُّبحِ إلا
قومُ موسى في الليلةِ الليلاءِ	نحن في الأرضِ تائهونَ كأنَّا
دعاءً طوراً وتارةً في الماءِ	تترامى بنا الركائبُ في البِيدِ
من ظلامِ والناسِ من لألاءِ	ضعفاءُ مُحَقَّرُونَ كأنَّا
واغترابُ الضعيفِ بدءُ الفناءِ	واغترابُ القوي عزٌّ وفخرٌ
والعبدُ بالسُّحنةِ البيضاءِ	عابنا البيضُ أننا غيرُ عجمِ

في هذه اللوحة يكرر الشاعر اسم الاشارة "هذه" بشكل يوحي بالتحدي في مخاطبة الاعداء بالنسبة اليه، وهو شعور بقسوة تبدل الحال بعيداً عن الوطن الذي هجره كرهاً لا طوعاً، مما جعله في مواجهة ذل الغربة الموحشة وقسوتها . ولذا فإن اسم الاشارة يشد انتباه السامع الى الشاعر ومعاناته من خلال ترك بيته وأرضه الذي أصبح مسكناً خرباً، ومكاناً للغربان وكذلك للطيور المغردة بين جنباته، وهذا يجسد حالة المعاناة النفسية عند الشاعر . ومن هنا فإن النص الشعري قد تمحور حول ذات الشاعر ومعاناته، ليعكس حالة الضياع والتهميش بعيداً عن وطنه وأمتة . فالأسماء والضمائر تشكل صوت الشاعر، واسترجاع ماضيه وعزته في وطنه. يقول محمد عبدالمطلب: "لأن الضمير يشكل على نحو من الانحاء عالم الشاعر وحدود رؤيته له، وادراكه لأبعاده"⁽⁹⁾.

ويأتي التكرار الاستهلاكي، وهو تكرار البداية في نص قصيدة "الفقير" التي يعبر عنوانها عن الصراع بين الفقر والغنى، وبين الجوع والحرمان والشبع والغنى، وذلك من خلال محور النص الذي يقوم على أداة النداء المكررة التي تؤدي الى ايقاظ ذهن المخاطب المتلقي، بحيث جاءت أدوات النداء مشحونة بدلالات قوية تعبر عن قلق الشاعر وتوتره. يقول: ⁽¹⁰⁾

همّ أَلَمٌ به مع الظلماء	فنأى بمقلته عن الاغفاء
نفس أقام الحزن بين ضلوعه	والحزن نارٌ غير ذات ضياء
يرعى نجوم الليل ليس به هوى	ويخاله كلفاً بهنّ الرائي
في قلبه نار (الخليل) وإنما	في وجنتيه أدمع (الخنساء)
قد عضه اليأس الشديد بنابه	في نفسه والجوع في الاحشاء
يبكي بكاء الطفل فارق أمه	ما حيلة المحزون غير بكاء
فأقام حلس الدار وهو كأنه	لخلو تلك الدار في بيداء
حيران لا يدري أيقتل نفسه	عمداً فيخلص من أذى الدنيا
أم يستمر على الغضاضة والقذى	والعيش لا يحلو مع الضراء
طرد الكرى وأقام يشكو ليله	يا ليل طلت وطال فيك عنائي
يا ليل قد أغريت جسمي بالضنا	حتى ليؤلم فقده أعضائي
ورميتني يا ليل بالهم الذي	يفري الحشا والهم أعسر دائي
يا ليل مالك لا ترق لحالي	أثراك والايام من أعدائي
يا ليل حسبي ما لقيت من الشقا	رحماك لست بصخرة صماء
بن يا ظلام عن العيون فربما	طلع الصباح وكان فيه عزائي
وارحمتا للبائسين فإنهم	موتى وتحسبهم من الأحياء
إنني وجدت حظوظهم مسودة	فكأنما قدت من الظلماء
أبداً يسربنو الزمان ومآلهم	حظ كغيرهم من السراء
ما في أكفهم من الدنيا سوى	أن يكثروا الاحلام بالنعماء

يجسد التكرار لأداة النداء في هذا النص الحالة النفسية التي يعانيتها الشاعر، فقد صور حالة الفقر والحرمان وتغير الحال بالظلام والهموم والوحدة، وقسوة الغربة، حيث خاطب الشاعر الليل مكرراً أداة النداء، اذ ينفرد الانسان مع نفسه، فتتحرك مشاعره وشجونه وهو يتذكر مرارة الغربة، وحالة الفقر والجوع والحرمان، إذ أن الليل وسكونه يساعد الانسان على مناجاة النفس.

فاللوحه تجسد الصراع بين الأنا والآخر أو بين الفقر والحرمان والظلم وبين الغنى والجشع والظلم، حيث يعيش الفقير رهناً للأحلام والآمال، وهذا يعكس حالة الصراع مع الزمان وتقلباته. ولذا فإن أداة النداء تأتي مكررة مع صورة الليل لتوقظ السامع والمتلقي الى ما يعانيه الشاعر بعيداً عن وطنه وأهله. فالشاعر يتخلص من حالة الضغط والتوتر والانفجار الداخلي من خلال هذا النداء المعبر عن حالة اليأس والاحباط، محاولاً أنسه الطبيعة المتمثلة بالليل فيصبح رفيقاً للشاعر يبيته همومه وأحزانه.

ومن أنماطه التكرار عند ايليا أبي ماضي ما جاء في قصيدته الموسومة بصراع وحراك⁽¹¹⁾ التي يكثر فيها أسلوب الاستفهام المعبر عن حالة القلق والحيرة والتردد وفقدان الصواب يقول:

واني أشهدُ في نفسي صراعاً وعراكاً
وأرى ذاتي شيطاناً وأحياناً ملاكاً
هل أنا شخصان يأبى هذا مع ذاك اشتراكاً
أم تراني واهماً فيما أراه؟
لست أدري؟
بينما قلبي يحكي في الضحى إحدى الخمائل
فيه أزهار وأطيّار تُغني وجداول
أقبل العصر وأمسى موحشاً كالقفر قاحل
كيف صار القلب روضاً ثم قفراً؟
لست أدري!
أين ضحكي وبكائي وأنا طفلٌ صغيرٌ
أين جهلي ومَراحي وأنا غضٌّ غريرٌ
أين احلامي وكانت كيفما سِرْتُ تسير
كلها ضاعت ولكن كيف ضاعت؟
لست أدري!

لقد كرر الشاعر صيغ الاستفهام بقوله أم وأين وهي تعكس حالة القلق والصراع النفسي، وهو ما عبر عنه الشاعر في بداية اللوحه الشعرية حينما أشار الشاعر الى ان الصراع والعراك يعتمل في نفس الشاعر ومن هنا أصبحت أدوات الاستفهام محوراً مركزياً تعبر عن حالة القلق، ولذلك كرر الشاعر عبارة لست أدري، وهذا ما وصل إليه الشاعر نتيجة الغربة. والبعد عن الوطن والأهل،

ولهذا نراه مزدوج التفكير بل يرى نفسه شخصين متناقضين لأنه في حالة حيرة وتردد وقلق وخواء.

كما وظف الشاعر التكرار البياني لنقل أحاسيسه وأشجانه الى المتلقي، فبدت الصور متناقضة، والنفس قلقله ومتوترة. ولعل صور التكرار هذه تتجسد في لوحة واحدة حيث يقول:

وإني أشهدُ في نفسي صراعاً وعراكاً
وأرى ذاتي شيطاناً وأحياناً ملاكاً

فقد تقاطعت الصور في هذا النص، حيث الشيطان والملاك، والضحك والبكاء، وهو ما يعبر عن حالة الازدواجية في نفس الشاعر القلقة والمضطربة. فالتكرار البياني يأتي لتأكيد عبارة أو جملة أو رسم وذلك لإثارة السامع المتلقي والمتفاعل مع تجربة الشاعر وصوره الابداعية، فالتكرار عنصر أساسي في بناء النص الشعري ومنحه القدرة الجمالية التي تجعل من النص الابداعي نصاً ابداعياً. يقول عز الدين السيد بهذا الخصوص: "ولكن تكرير البيان قد يجيء للكشف عن المجل بتفصيله، فيكون أعظم تقريراً من التفصيل المبتدأ به، لما سبقه من تشويق اليه ما في المجل من تحريك النفس لكشف المراد".⁽¹²⁾

2. التضاد:

يعد أسلوب التضاد ظاهرة أسلوبية جوهريّة في شعر إيليا أبي ماضي لأنها تعكس مثل غيرها من الظواهر في شعره حالة التناقض والتضاد والقلق في شخصية الشاعر، فالتضاد ليس كلمة تقابلها أخرى وإنما أحداها توضح الأخرى.

ولذلك فإن قيمة التضاد تكمن "في نظام العلاقات، الذي يقيمه بين العنصرين المتقابلين وعلى هذا فلن يكون له أي تأثير ما لم يتداع في توال لغوية وبعبارة أخرى، فإن عمليات التضاد الأسلوبية تخلق بنية، مثلها في ذلك مثل بقية التقابلات المثمرة في اللغة"⁽¹³⁾.

فجدلية التضاد تشكل طاقة مولدة ومحركة لعناصر الجمال في النص، فالتضاد يشرح العلاقات الانسانية، وعلاقات الانسان بالكون والطبيعة، وأحياناً يشرح التضاد والتناقضات الفكرية في ذهن الشاعر أو علاقة الشاعر بالمتلقي.

فصور التضاد تتجسد في تضاد الفعل الماضي مع الحاضر، أو الاسم مع الاسم أو الاسم مع الفعل، ولهذا فقد كان أسلوب التضاد سمة أسلوبية قوية في شعر إيليا أبي ماضي، حيث يقول في هذه اللوحة الشعرية:⁽¹⁴⁾

أنا لا أذكر شيئاً من حياتي الماضية
أنا لا أعرف شيئاً من حياتي الآتية
لي ذاتٌ غيرَ أني لست أدري ما هية
فمتى تعرف ذاتي كنه ذاتي؟
لست أدري؟
إنني جئتُ وأمضي وأنا لا أعلمُ
أنا لغزٌ... وذهابي كمجيئي طلسمُ
والذي أوجدَ هذا اللغزَ لغزٌ مُبهمُ
لا تجادل ذا الحجا من قال إنني....
لست أدري!

يعبر الشاعر هنا عن حالة القلق حول وجوده في هذه الدنيا، وهنا تبدو حالة التوتر والصراع ما بين الماضي والحاضر، وبين المعرفة والجهل، وبين المجيء والرحيل، وهذا ما يشكل جوهر الصراع، الذي يدور في ذهن المرء من خلال وجوده في هذه الحياة، فهو مسير لا مخير، يأتي ويرحل بإذن ربه عز وجل، إن هذا التضاد والتقابل في اللوحة يعطي قيمة جمالية، تشد انتباه المتلقي وتجعله مشاركاً وفاعلاً في العملية الابداعية.

ويظهر التضاد جلياً في قصيدة بلادي⁽¹⁵⁾، حيث يقول:

مثلما يكمن اللظى في الرماد هكذا الحب كامن في فؤادي

لست مغرئ بشادن أو شادٍ أنا صبُّ متيمٍ ببلادي

يا بلادي عليك ألف تحية

هو حبٌ لا ينتهي والمنية لا ولا يضمحلُّ والأمنية

كان قلبي وقبل نفسي الشجية

كان من قبل في حشا الأزلية

وسيبقى ما دامت الابدية

خلياني من ذكر ليلي وهند

واصفرائي عن كل قدَّ وخذ

كل حسناء غير حسناء عندي

أو أرى وجدها بقومي كوجدي

لا حياء في الحب والوطنية

كل شيء في هذه الكائنات

وقديم وحاضر أو آتٍ

من جمادٍ وعالمٍ ونباتٍ

صائرٌ للزوال أو للمماتٍ

غير شوقي إليك يا سورية

أنت ما دمت في الحياة حياتي

فإذا ما رجعت للظلمات

واستحالت جوارحي ذرات

فلتقل كل ذرة من رفاتي

عاش لبنان ولتتش سورية

ربُّ ليلٍ سهرته للصباح

حائراً بين عسكر الأشباح

ليس لي مؤنس سوى مصباحي

ونداء الملاح للملاح

وصراخ الزوارق الليلية

استطاع الشاعر من خلال علاقات التضاد القوية في النص الشعري مثل الحب والكره، والموت والحياة، والليل والصباح، والحياة والجماد خلق فاعلية مركزية في النص الشعري، أخذت تنمو بشكل درامي بحيث خلق حالة من الصراع بين طرفين أساسيين هما الحياة والموت بكل صورهما.

ولعل حالة الحب، والعشق، والحياة التي تمثلت في حب الشاعر لوطنه بكل مكوناته الانسانية، والطبيعية من جمادات وحيوانات تعكس الرغبة بالحياة والانتصار على الموت والفساد، وبالتالي، فإن الحاح الشاعر على عنصرى الحياة والموت يجسد حب الشاعر لوطنه ورفضه للغربة وقسوتها. ولذا فقد شكلت هذه الجدلية عند الشاعر عنصراً جوهرياً قام عليه النص الشعري، ومنحه الحياة والفاعلية.

ولذا فإن الغربة التي يعيشها الشاعر خارج وطنه قد خلقت صراعاً محوره الزمن، فأخذ الشاعر يقارن بين الماضي بكل صور الحب والعشق والحياة للمكان الوطن وبين الحاضر بكل صور الغربة والتشرد والفقر والتمييز، وقسوة الحياة، مما شكل جدلية ضدية لعبت دوراً أساسياً في بنية النص، وشكلت ظاهرة أسلوبية تعزز بنيته اللغوية والجمالية.

3. الحوار:

يعد الحوار ظاهرة أسلوبية في شعر إيليا أبي ماضي، ووسيلة فنية لتجسد أفكاره وآراءه، وشرح فلسفته وتأملاته في الحياة والغربة. كما أن الحوار يعطي قوة للنص من حيث التأثير في المتلقي، وتوظيف الزمن كذلك من حيث سرد الاحداث في الحوار، وهذا ما عبر عنه محمد غنيمي هلال في كتابه النقد الادبي، وذلك في معرض حديثه عن أهمية الحوار ودوره في النص الابداعي سواء أكان في النص الشعري أو المسرحي. يقول: "ولابد من توافر اعتبارات في صياغة كل جملة من الجمل المسرحية، شعرية كانت أم نثرية. ومنها أن يضع الكاتب المسرحي نصب عينيه الفكرة التي تبرر المقولة، وطبيعة الشخصية التي تنطق بهذه الفكرة المصوغة في المقولة، ثم أثر الفكرة المصوغة في الشخصيات المسرحية المتوجة بها اليها. ومن ثم قوة الحوار في الحركة، فالحوار المسرحي فعل من

الأفعال، به يزداد المدى النفسي عمقاً، أو الحدث المسرحي تقدماً إلى الامام، فلا ركود في لغة المسرح⁽¹⁶⁾.

فالحوار في النص الشعري عند إيليا أبو ماضي يمنح النص قوة الحركة، كما أنه يمنح الشاعر طاقة نفسية لمواجهة قسوة الغربة وتداعياتها عليه، ولذا بدأ بالحوار للتخلص من الوحدة، والبعد عن الأهل والوطن، إزاء الصراع النفسي الذي يعانيه، وما هو في نص غزلي يعبر عن حبه لفتاة وطنه، ورفضه للفتاة الغربية التي تعيش تقاليد مختلفة عن تقاليد الشرق وعاداته وأخلاقه، ولذا أجرى الشاعر هذا الحوار في قصيدته الموسومة بحكاية قديمة⁽¹⁷⁾ يقول فيها:

وربت أمريكية خلّت ودّها	يدوم ولكن ما لغانية ودّ
صبوت إلى هند فلما رأيتها	سلوت بها هنداً وما صنعت هند
وأوحت لها عينا أن صباة	تلجج في صدري وأحذر أن تبدو
فألقت إلى اترابها وتبسمت	أعي سكوت الصب أم صمته عمد
فقلت سلام الله قالت وبره	فقلت أهزل ذلك القول أم جد
وأمسكت أنفاسي وأرهفت مسمعي	ففي نفسي جرز وفي مسمعي مد
فقلت وددنا لو عرفنا من الفتى	وما يبتغيه قلت ما يبتغي العبد
له كبد حرّ وقلب مكلّم	غلطت فما للصب قلب ولا كبد
قتيل ولكن ثوبه كفن له	وكل مكان يستريح به لحد
فإن لم يكن من نظرة ترأب الحشا	فردّي عليه قلبه وبه زهد
فصرّج خديها احمراراً كأنما	تصاعد من قلبي إلى خدّها الوجد

يتضح في أسلوب الحوار هنا حوار الحضارات أو الثقافات، حيث يسترجع الشاعر اسم هند من التراث العربي ليجسد حبه لثقافته، وتاريخه، ولهذا بدأ في قصة الحب هذه يحاور ثقافة أخرى أو ليعكس مدى تعلقه بوطنه وأمته، وولعه بأهله ورفضه الاندماج مع الحضارة الغربية. وقد وظف الشاعر أسلوب الالتفات بين الماضي والحاضر، وكذلك وظف الأسلوب الحوارية من خلال فعل القول، علماً أن هذا الحوار قد كان يدور في ذهن الشاعر وقلبه، وهو حوار من طرف واحد يعكس حالة القلق والتوتر والصراع النفسي عند الشاعر ورفضه للحضارة الغربية بدلاً عن حضارة أجداده العرب.

وقد جسّد الشاعر أسلوب الحوار في النص الآتي الموسوم بمصرع حبيبين⁽¹⁸⁾، والذي جاء بأسلوب مسرحي أعطى قوة حركية للنص، وعبر عن حالة الحزن، وهاجس الخوف من المستقبل، ولربما هو تعبير عن لوعة الغربة والفقد للأهل والوطن والذكريات. يقول:

وقفت تحيطُ بها الزهورُ كأنها	قمر تحيطُ به الكواكب في الفضاء
ومشت تحفُّ بها الغصون كأنها	ملك تحفُّ به الجنود إذا مشى
لله زورتها وقد قنط الفتى	فكانها روح جري فيمن توى
هيهات ما ظفر المؤمل بالغنى	بالدُّ من ظفر المتيم باللقا
فدنا يطارحها تحية عاشق	ويقولُ أهلاً بالحبیب الذي أتى
بيننا تصافح من يصافحها إذا	بدموعها سحت فصافحت النرى
ما للعيون تحدّرت عبرائها	وعلام هذا الحزنُ يا ذات البها
قالت حبيبي لو ترى ما قد جرى	في ربنا شاركتني فيما ترى
جار القضاء عليّ في أحكامه	ما حيلة الانسان وإن جار القضا
فابك معي فلربما نفع البكا	إن الليالي لا تدوم على الصفا
قال الفتى والدمع منتثر على	خديه يا أسماء قولتي ما جرى
فتلفتت في الروض خيفة سامع	فكانما الطيبي الغرير إذا رنا
وترددت بكلامها فكانما	تبغي ولا تبغي التفوه بالنبا
قالت ودمع الحزن يخنق صوتها	وشت الحواسد عند من نخشى بنا
وغداً يعود الشمّل مُنفصم العرى	هذا هو الخبر اليقين بلا خفا

وإذا نظرنا في أسلوب الحوار هنا عند الشاعر، نلاحظ أن فعل الحكاية والقول، وأسلوب الخطاب بين طرفين يمثلان ثقافة الشرق التي يحن إليها الشاعر من خلال توظيفه لاسم أسماء يجسد حالة نفسية قوية عند الشاعر، ولذا فإن فعل القول الحواري هنا قد أعطى النص قوة فنية، لأن الحوار يجسد طاقة شعورية تخفف من قسوة الغربة وآثارها. فالمرحلة التي يعيشها إيليا أبو ماضي تعصف بها الصراعات النفسية، والانفعالات الحزينة، ولذا فإن أسلوب الحوار قد وجد طريقه المؤثر في نفسية المتلقي، فأصبح جزءاً من العملية الابداعية، ومشاركاً للشاعر أحزانه، ومعاناته من جراء الغربة عن الوطن والأهل.

4. التشخيص -

إن التشخيص فن تصويري يبت الحياة في الجمادات، ويمنحها صفات انسانية أو حيوانية تتحرك وتعبر عن مشاعرها. ويهدف الشاعر من التشخيص الى بناء الصورة الشعرية التي تعد جوهر العمل الابداعي وأساسه. يقول الناقد حبيب مونسي في مقالة له بعنوان، فاعلية التشخيص في بناء الصورة الشعرية: "إن التشخيص في أبسط تعريف له يتمثل في خلع الحياة على المواد الجامدة، والظواهر الطبيعية، والانفعالات الوجدانية. هذه الحياة التي قد ترتقي فتصبح حياة انسانية تهب لهذه الاشياء عواطف آدمية، وخلجات انسانية. وكأن التشخيص حركة تحويلية ذات مدرج واحد فقط، ترقى بالجامد الى الحي لغاية تعبيرية، ثم تتوقف عند هذا الحد من الجهد والاجتهاد. غير أن الصورة الناشئة عن هذا الارتقاء، لم تعد ملكاً للتشخيص ولا حكراً عليه. فالتشخيص عملية وحسب، انها تقنية تخضع لتحويل رمزي معين. فإذا تمت على الوجه السليم، استحالت صورة. وقد درج البعض على اختزال الصورة في الاستعارة من حيث الجوهر. بيد أن الصورة تكوين آخر أكثر تعقيداً مما يتصور حين تقرر بالاستعارة، ذلك أن الصورة تشكيل للعناصر المنظورة والمحسوسة في اطار محدد، وفق رؤية خاصة، ومسافة مدروسة، لغاية تعبيرية تتجاوز الأسلبة الى فضاء المعنى... وعندما يلجأ الشاعر الى التشخيص، لا يقبل ذلك طلباً لخلع الحياة على الجماد وحسب، وإنما لخلق صورة"⁽¹⁹⁾.

في ضوء هذا الدور الاساسي للتشخيص في خلق الصورة الشعرية، والذي يمثل سمة واضحة في البنية الشعرية عند ايليا أبي ماضي، نراه في كثير من ابداعاته الشعرية يركز على التشخيص بوصفه طاقة محركة وفاعلة في شعره. يقول في قصيدة وردة واميل:⁽²⁰⁾

يا ليتما خلق الزمان أصيلاً	إني أراه كالشباب جميلاً
ولئى، فودعت السماء بهاءها	من بعده وهوى النهارُ عليلاً
جنت ذكاء الى الغروب كأنها	تبغي رقاداً أو ترتد مقيلاً
وتناثرت قطع السحاب كأنها	الجيش اللّهُامُ اذا انثنى مغلولاً
هذا وقد بسط السكون جناحه	والليل أمسى سترهُ مسدولاً

ويتضح من خلال هذه اللوحة قدرة الشاعر على بناء الصورة التشخيصية التي تجسد عوالمه الداخلية، فقد جعل من الزمان انساناً جميلاً في مرحلة الشباب، كما أنه جعل من قطع السحاب جيشاً متحركاً، وكذلك فقد منح السكون صفات حياتية وكأنه طائر بسط جناحيه للهبوط والسكون والنوم.

ولعل الشاعر يحاول تجسيد الصورة الشعرية من خلال التشخيص الذي يخفف من قسوة الغربة والوحدة والعزلة في مجتمع أمريكي غريب في عاداته وتقاليده الاجتماعية ازاء ما كان عليه الشاعر في وطنه، حيث الأسرة المتألفة، والعادات الأصيلة، والروح الانسانية بين الأهل والجيران في الحي والقرية والوطن المكان والأنسان.

فالشاعر يخاطب بصوره الجياشة بالمشاعر والاحزان السامع أو المتلقي لكي يشاركه غربته وصمت الطبيعة من حوله. يقول حبيب مونسى في الصورة والمتلقي: "إن هذا الفهم يجعل الصورة عالماً متحركاً، تتعذر الاحاطة به كلية في جملته لأنه خاضع من ناحية خارجية الى المتلقي سناً، وثقافة، وعصراً، وذوقاً، وكلما عدت القراء فأنت تعدد عطائية الصورة وقدرتها على التعبير. لذلك يجوز لنا أن نزعج الان أن معنى الصورة يقع دوماً خارجها في نقطة ما على المسافة الفاصلة بين الصورة والمتلقي، تلك المسافة يحدد طولها وقصرها عاملاً الانفصال والاتصال"⁽²¹⁾.

وفي صورة أخرى مستوحاة من الطبيعة، محاولاً أنسنتها، فيقول في قصيدة المساء:⁽²²⁾

السحب تركض في الفضاء الرحب ركض الخائفين
والشمس تبدو خلفها صفراء عاصبة الجبين
والبحر ساج صامت فيه خشوع الزاهدين
لكنما عيناك باهتان في الافق البعيد
سلمى... بماذا تفكرين
سلمى... بماذا تحلمين

فالشاعر يقدم هنا في هذه اللوحة صورة انسانية لمظاهر الطبيعة. حيث جعل السحب تركض كالإنسان الخائف والهارب، وهنا صورة تعكس حالة الخوف والهلع في نفس الشاعر ازاء الواقع المفروض عليه في الغربة، كما جعل الشمس

مريضة معصوبة الجبين، وكذلك البحر في حالة خشوع يشبه خشوع العباد الزاهدين.

وإن أنسنة الطبيعة، وبث الحياة في عناصرها من شمس وبحر، يعكس حالة القلق المتجسد في نفسيته، فهو يحاول أن يحمل الطبيعة بكل عناصرها أحزانه وهمومه ووحدته، وهذا ما يفعله الشعراء الرومانسيون الذين يجعلون الطبيعة تشاركهم همومهم وأحزانهم.

فكل الصور الانسانية وصور الطبيعة والجمادات أخذت تتحرك في اطار العالم النفسي الداخلي المضطرب عند الشاعر، ولعل التشخيص وما يتولد عنه من صور شعرية قادر على التعبير عن مشاعر الشاعر وقلقه وغربته القاسية.

اضافة الى ذلك، فقد جعل الشاعر الزمان شخصاً يرقب حركته البطيئة، فيقول إيليا أبو ماضي في قصيدة الزمان:⁽²³⁾

يمشي الزمان بمن ترقب حاجة	متثاقلاً كالخائف المتردد
حتى ليحسبه أسيراً موثقاً	ويراه أبطأ من كسيح مقعد
ويخال حاجته التي يصبو لها	في دارة الجوزاء أو في الفرقد
ويكون ما يرجوه زورة صاحب	ويكون أبعد ما يرجى في غد
فإذا تولى النفس خوف في الضحى	من واقب تحت الدجى أو معتد
طاربت بها خيل الزمان ونوقه	نحو الزمان المدلهم الاسود
فكانها محمولة في بارق	أو عارض أو عاصف في فدفد
ويكون أقصر ما يكون إذا الفتى	مدت له الدنيا يد المتورد
فتوسط اللذات غير منفر	وتوسد الأحلام غير منكدر
فإذا لذيد العيش نغمة طائر	وإذا طویل الدهر خطرة مرود
وإذا الفتى لبس الأسى ومشى به	فكأنما قد قال للزمن اقعد
فإذا الثواني أشهر وإذا الدقا	ثق أعصر والحزن شيء سرمدى
وإذا صباح أخي الأسى أو ليله	متجدد مع همه المتجدد
قهر الورى وأذلهم أن الورى ونوقه	متعلل أو طامع أو مجتد
جعلوا رغائبهم قياس زمانهم	والدهر أكبر أن يقاس بمقصد

لقد رسم الشاعر صورة تشخيصية للزمان، فجعل منه انساناً كسولاً يمشي متثاقلاً، وهو يعكس صراعه مع الزمن، ورغبته في أن يسير الزمن بسرعة ليتمكن من العودة لوطنه وأهله، ولذا أصبح يحس أن الثواني من الزمن قد أصبحت أشهراً طويلة، وهنا احساس بالزمن، ولذا فقد أصبحت الحالة النفسية عند الشاعر شديدة، وقسوة الغربة قوية بحيث أصبح يرى أن مكونات الحياة في الغربة عدوة له، ولا تتعاطف مع مشاعره وأحزانه. ولذا ارتبطت كل الصور عند الشاعر بالحزن والهم الذي تجسد في معظم قصائده، إذ أخذ يحاور هذه المكونات في الطبيعة، إضافة الى الزمن لخلق نوعاً من الحوار الانساني الذي يخفف من وحدته وغربته. ولذا جاءت الظواهر الأسلوبية المتمثلة بالتكرار بأنماطه المختلفة، والتضاد او الحوار والتشخيص قد شكلت طاقة فنية في شعره، منحت النص اشعري القدرة على الحياة والتفاعل مع احزان الشاعر وغربته وآماله، كما شكلت حافزاً هاماً في شد انتباه المتلقي ليشترك الشاعر أحواله ومشاعره.

فالمتلقي كان حاضراً في بنية النص الشعري عند إيليا ابي الماضي، وهذا ما حرص عليه من أجل خلق حوار من أناس يتفاعلون معه في غربته ووحدته وأحزانه وبعده عن وطنه.

ولهذا فإن هذه الظواهر الاسلوبية قد منحت اللغة الشعرية عند الشاعر قوة فنية في التعبير عن نفسيته المتعبة وغربته الموحشة. ولعل الصورة الشعرية قد عكست في شعره نفسيته بشكل كبير، فقد جاءت كثافة الصورة وحركتها قادرة على جذب المتلقي الى المشاركة الوجدانية مع الشاعر والانصات الى صوته الحزين.

الهوامش -

- (1) ولد الشاعر ايليا ظاهر أبو ماضي في قرية المحيدثة بלבنا سنة 1890م، حيث درس المرحلة الابتدائية في قريته ثم تركها ليغادر الى مصر ويعمل بالتجارة. وفي مصر أصدر أولى دواوينه الشعرية بعنوان تذكارات الماضي، ثم غادر بعد ذلك الى أمريكا سنة 1912م، وهناك تعرف على أعمدة الشعر المهجري مثل جبران خليل جبران، وميخائيل نعيمة، وأسس معهم الرابطة التعليمية التي كانت أبرز مقومات الادب العربي الحديث، وساعدت على بروز امكانيات الشاعر ايليا أبي ماضي الابداعية بل وفلسفته الشعرية. ولعل أهم دواوينه تذكارات الماضي والخمائل والغابة المفقودة وتبر وتراب.
- انظر: زهير ميرزا: الشاعر الفقيد (ضمن ديوان ايليا أبو ماضي) دار العودة، بيروت، 1954، ص 20 - 22.
- (2) انظر: زهير ميرزا: الشاعر الفقيد، ص 52 - 54.
- (3) المرجع نفسه، ص 63 - 79.
- ومن المراجع ذات الصلة، انظر: عبد المجيد الحر: ايليا أبو ماضي. باعث الامل ومفجر ينابيع التفاؤل، دار الفكر العربي، بيروت.
- (4) انظر: عصام شرتح، ظواهر اسلوبية في شعر بدوي الجبل، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2005، ص 9-
- عزالدين علي السيد: التكرير بين المثير والتأثير، عالم الكتب، بيروت، 1986، ص 7 -
- (5) انظر: محمد عبد المطلب: البلاغة والاسلوبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1984م، ص 198 .
- (6) موسى ربابعة: التكرار في الشعر الجاهلي، دراسة أسلوبية، مؤتمر النقد الادبي العاشر، جامعة اليرموك، 1988، ص 15.
- (7) عز الدين السيد: التكرير، ص 45.
- (8) ايليا أبو ماضي: ديوان ايليا أبو ماضي، ص 101 - 103.
- (9) محمد عبد المطلب: قراءات أسلوبية في الشعر العربي الحديث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1997م، ص 144.
- (10) ايليا أبو ماضي: ديوان ايليا أبو ماضي، ص 107 - 108.
- (11) المصدر نفسه، ص 206 - 207.
- (12) عز الدين السيد: التكرير، ص 126.
- (13) صلاح فضل: علم الاسلوب مبادئه واجراءاته، النادي الادبي، جدة، 1998، ص 256.
- (14) ايليا أبو ماضي: ديوان ايليا أبو ماضي، ص 214.
- (15) المصدر نفسه، ص 261 - 262.

- (16) محمد غنيمي هلال: النقد الادبي الحديث، دار الثقافة، بيروت، 1973، ص 659.
- (17) إيليا أبو ماضي: ديوان إيليا أبو ماضي، ص 247 - 249 .
- (18) المصدر نفسه، ص 128 - 129.
- (19) حبيب مونسي: فاعلية التشخيص في بناء الصورة الشعرية، مقالة منشورة بصفحة واحدة على الموقع الإلكتروني لمجلة أصوات الشمال، 23 سبتمبر 2015.
- (20) إيليا أبو ماضي: ديوان إيليا أبو ماضي، ص 607.
- (21) حبيب مونسي: فاعلية التشخيص في بناء الصورة الشعرية، المقالة منشورة بصفحة واحدة.
- (22) إيليا أبو ماضي: ديوان إيليا أبو ماضي، ص 764.
- (23) المصدر نفسه، ص 250 - 251.

المصادر والمراجع -

- 1- الحر، عبد المجيد: إيليا أبو ماضي. باعث الامل ومفجر ينابيع التفاؤل، دار الفكر العربي، بيروت.
- 2- ربابعة، موسى: التكرار في الشعر الجاهلي، مؤتمر النقد الادبي العاشر، جامعة اليرموك، 1988م.
- 3- السيد، عز الدين: التكرير بين المثير والتأثير، عالم الكتب، بيروت، 1986.
- 4- شرتح، عصام: ظواهر أسلوبية في شعر بدوي الجبل، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2005.
- 5- عبد المطلب، محمد: البلاغة والاسلوبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1984م.
- 6- عبد المطلب، محمد: قراءات أسلوبية في الشعر العربي الحديث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1997م.
- 7- غنيمي، محمد هلال: النقد الادبي الحديث، دار الثقافة، بيروت، 1973م.
- 8- فضل، صلاح: علم الاسلوب مبادئه واجراءاته، النادي الادبي، جدة، 1998م.
- 9- أبو ماضي، إيليا: ديوان إيليا أبو ماضي، دار العودة، بيروت، 1954م.
- 10- مونسي، حبيب: فاعلية التشخيص في بناء الصورة الشعرية، مقالة الكترونية منشورة على الموقع لمجلة أصوات الشمال، 23 سبتمبر 2015.
- 11- ميرزا زهير: الشاعر الفقيد (ضمن ديوان إيليا أبو ماضي) دار العودة، بيروت، 1954.



تحديث اللغة العربية بين المحافظة والتماهي

يحيى بن محمد بن علي المهدي

قسم اللغة العربية – كلية الآداب والعلوم

جامعة قطر .الدوحة

yalmahdi@qu.edu.qa

ملخص -

لقد شهدت اللغة العربية تطوراً كبيراً؛ حتى استقامت على النحو الذي نزل به القرآن الكريم. ولم تتوقف العربية عند هذا الحد، بل فرضت عليها عملية التطور الذاتي، والتأثر والتأثير الخارجي أن تستمر في عملية التجدد اللغوي؛ شأنها شأن مختلف اللغات الحية؛ وذلك بفضل ما تتمتع به من خاصية توسعية اشتقاقية ذات قدرة استيعابية هائلة، تفي بمتطلبات كل عصر، مع محافظتها على خصائصها الأصيلة التي تميزها عن غيرها.

ومع استشراء التبعية العمياء، والانبهار بالغرب في العصر الحديث - ظهرت دعوات تنادي بالتماهي اللغوي مع الآخر، مهما اختلفت أو تعارضت مع هويتنا اللغوية الأصيلة؛ بادعاء أن هذا هو التحديث المطلوب.

والحق أن تلك الدعوات لا تصدر إلا عن رؤية قاصرة أو مشوهة لمفهوم التجديد، تعتمد على معطيات وهمية خارجة عن حقيقته المنشودة؛ إذ لا يمكن للعربية الفصحى أن تكون انعكاساً لصورة اللغات الأخرى؛ لاختلافها واقعاً وخصوصية.

كلمات مفتاحية -

التحديث - المحافظة - التماهي - التجديد - الأصالة - الذوبان اللغوي.

The Modernization Of The Arabic Language: Between Preservation And Identification

Abstract -

The Arabic Language Has Undergone Great Developments Until It Has Settled Itself In The Manner In Which The Holy Quran Came Down. The Arabic Language Has Not Stopped At That Point. Like Many Other Living Languages, Both The Process Of Evolution And Internal As Well As External Influences Have Forced The Arabic Language To Continue The Process Of Linguistic Evolution, Preserving Its Original Characteristics That Distinguish It From Others. The Arabic Language Is In Constant Change Thanks To The Enormous Capacity Of Its Morphological System That Can Cope With Any Linguistic Changes Required For Any Era.

As The Fascination With The Western Modern Civilization And Blind Imitation Spread, There Were Calls For Linguistic Conformity With The Other, No Matter How Different Or Contradictory This Is To Our Original Linguistic Identity, Claiming That This Was The Desired Modernization.

Indeed, These Claims Only Based On A Narrow Or Blind Vision Of The Concept Of Modernization, That Rely On Misleading Interpretation Of Data Beyond Its Intended Meaning; Classical Arabic Cannot Be A Reflection Of The Image Of Other Languages As It Is Quite Unique In Its Structure And Use.

Keywords -

Modernization - Preservation - Identification - Renewal - Originality - Linguistic Assimilation

المقدمة -

جاروا عليها زاعمين صلاحها في نبذ طارفها وفي تقييدها
لم يعلموا أن اللغات حياتها في بعث تالدها وفي تجديدها
مرت اللغة العربية الفصحى بمراحل عديدة؛ حتى استقامت على النحو
الذي نزل به القرآن؛ حيث خضعت لعمليات تصفية وتنقيح وتهذيب. وقد فرضت
عليها عملية التطور الذاتي، والتأثر والتأثير الخارجي أن تستمر في عملية
التجدد اللغوي؛ شأنها شأن مختلف اللغات الحية. وقد ساعدها في ذلك ميزتها
التوسعية الاشتقاقية الفريدة.

وحاولنا في هذا البحث الإجابة عن التساؤلات الآتية:

- هل اللغة العربية بحاجة إلى التحديث؟ ولماذا؟
 - هل يمكن للعربية أن تواكب الجديد في ظل المحافظة على أصالتها؟
 - ما مظاهر التجديد في العربية عبر مسيرتها الطويلة؟
 - ما المدى الذي يمكن الوصول إليه في عملية التطوير اللغوي للعربية؟
 - ثم ما المخاطر الكامنة وراء تقمص الثقافة اللغوية للآخر؟
- ونزعم أننا قد استطعنا أن نصل إلى هدفنا في هذه الدراسة المقتضبة؛ وهو
إعطاء القارئ تصوراً موجزاً يجيب عن هذه الأسئلة، ويجعل الباب موارباً؛
ليستوعب دراسات قادمة أكثر تفصيلاً.
- وقد جمعنا في تناولنا لموضوع هذه الدراسة بين المنهج الوصفي والتاريخي
المقارن..

فإن كنا قد أصبنا؛ فذلك ما كنا نبغي، وإن كانت الأخرى فحسبنا
الاجتهاد.

والله نسأل التوفيق والسداد،،،

توطئة: حاجة اللغة العربية إلى التحديث:

بما أنَّ اللغة كائن حيٌّ؛ ينمو ويتطور مع الناطقين به؛ فالعربية ليست بدءاً من اللغات، ولا تشدُّ عن هذه الحقيقة؛ فهي تحيا باستعمال أهلها لها، وتتطور بتطويرهم لأساليبها، وتتجدد بتحديثهم لمفرداتها ومصطلحاتها، بما يتناسب مع حركة الزمن واحتياجات كل عصر..

ولا يمكننا أن نتجاهل ما مرت به اللغة العربية من مراحل تكوينية وتطويرية عبر مسيرتها الطويلة؛ فلا يختلف اثنان في كون عربية اليوم تختلف من حيث المفردات والمصطلحات - بل حتى الكثير من طرائق الأداء - عما كانت عليه في العصر الجاهلي، وما تلاه من العصور المتقدمة، سواء أكان ذلك من حيث الكم، أم من حيث الكيف؛ فقد تطورت العربية وتجددت وتوسعت من عصر إلى عصر.

مما سبق يتضح أن تحديث اللغة العربية أمر حتمي، تفرضه السنن الكونية، وطبيعة اللغات الحية، التي لا تتوقف عند حد، بل تستمر في عملية التأثير والتأثر والتجدد والتوسع على الدوام.

وقد يحمل كلامي هذا من لم ينعم النظر فيما ذكر - على التساؤل: هل تزعم أن اللغة لعربية تحتاج إلى التجديد والتحديث، وهي من أضبط اللغات شكلاً، وأقواها دلالة، وأكثرها ثباتاً ومتانة.. بل هي محفوظة بحفظ الله لها؟

أقول: ما دامت العربية تسير الناطقين بها؛ فهي تتأثر بما يتأثرون به، ويعتريها من القدم والبلى ما يعتريهم، كما ينالها من التجدد والتطور ما ينالهم. بل على العكس مما يظنه بعض من لم يستوعب جيداً طبيعة اللغات الحية.. يعد التجديد اللغوي، والتطور، الدلالي، والتوسع المصطلحي - ميزة من ميزات اللغة العربية؛ فهي لم تعجز يوماً عن مواكبة كل جديد مستحدث؛ سواء أكان ذلك في باب المفردات، أم المصطلحات، أم التراكيب، أم المعاني والدلالات.. وصدق "حافظ إبراهيم" إذ يقول -على لسان العربية-⁽¹⁾:

وسِعَتْ كِتَابَ اللَّهِ لُفْظاً وَغَايَةً وَمَا ضِيقَتْ عَنْ آيٍ بِهِ وَعِظَاتِ
فكيف أضيق اليوم عن وصف آله وتنسيق أسماء لمخترعاتي

(1) ديوان حافظ إبراهيم، 1/ 250.

المبحث الأول: مظاهر تجديد العربية في ظل الأصالة:

لا بد من التسليم -بدايةً- بأن عملية التحديث أو لتجديد لا تكون بدءاً من لا شيء؛ بل لا بد من وجود شيء قائم ابتداءً، يكون محوراً لهذه العملية؛ حيث يرى الناس أنه بحاجة إلى إبراز وصقل؛ ليبدو أجمل ما يمكن أن يكون في عيون الناظرين إليه الآن، وليس من نظروا إليه قديماً؛ إذ تختلف المعايير من زمن إلى آخر.

فالقديما كانوا يرونه كاملاً مميّزاً لا يحتاج إلى شيء. ولو خالجهم شك في جدته ومناسبته وقوة دلالته...، لسعوا إلى تصييره جديداً مناسباً. وهذا على خلاف من جاؤوا من بعدهم؛ حيث استجدت في زمنهم أمور كثيرة لم تكن عند أسلافهم، تحتاج إلى مساورة ومواكبة. مع محافظة الفريقين على سماته الأصيلة المميّزة له عن غيره، وعدم تفريطهم في ثوابته المعبرة عن منشئه والمبرزة لهويته.

وهذه الرؤية المسلم بها هي التي ننطلق منها في هذا المبحث المختص بمظاهر التجديد في اللغة العربية في ظل الأصالة.

فبقاء الأصل اللغوي المجدد، وثبات الدلالة الأم لهذا الأصل - شرط لازم لعملية التجديد، وإلا فلا تجديد، بل هدم وابتداع وتبعية على غير هدى. فالتجديد إذن من منظورنا أمر حتمي يفرضه التطور الزمني والفكري، وهو أقرب ما يكون إلى الإحياء والبعث والتوسع والتطوير المستمر باستمرار الحياة وتواصل الأحياء.

ومظاهر التجديد في العربية تتمثل في أمرين:

الأول: داخلي؛ يتعلق بزيادة مفرداتها، والتطور الدلالي لألفاظها واشتقاقاتها المنداحة من تفرعات جذورها الأصيلة؛ فاللغة العربية لغة اشتقاق تقوم في غالبيتها على أبواب الفعل الثلاثي، والتي لا وجود لها في جميع اللغات الهندية والجرمانية.

كما تتميز العربية بتنوع الأساليب والعبارات، والقدرة على التعبير عن معان ثانوية لا تستطيع اللغات الغربية التعبير عنها. ناهيك عن كون العربية هي أقرب اللغات إلى قواعد المنطق⁽²⁾.

لقد استطاعت اللغة العربية بما تملكه من خاصية اشتقاقية واسعة أن تستوعب - عبر القرون - كل ما جد من تحديث لغوي لدى العرب أنفسهم؛ حيث استنسخت العربية من جذورها الأصيلة كمأ هائلاً من المفردات والتراكيب الدلالية الجديدة، التي طرأت وتطراً في حياة الناطقين بها إلى يومنا هذا؛ بفضل ما تتمتع به هذه الجذور من مرونة عالية وقدرة استيعابية فريدة، قد لا تدانيها في ذلك أية لغة أخرى.

ولو رجعت بنا الذاكرة إلى البدايات الأولى الموثقة لألفاظ العربية الفصحى، سواء ما قيل من أشعار العرب، أم ما أثر من نثرهم، لوجدنا أن مفرداتها كانت محدودة، وأساليبها محصورة ضمن أداء لغوي متشابه إلى حد كبير؛ وما ذاك إلا لأنهم يصدرون عن بيئات تكاد تكون متماثلة، وواقع بسيط غير معقد؛ فالعربي لا يرى إلا الصحراء الخالية، ولا يصاحب إلا الخيل أو الناقة إن كان بادياً... وقد يعرف الجبل أو البحر أو جدول الماء إن كان حاضراً...، والكل لا يرى سوى الشمس والقمر والنجوم؛ فيعبر عما يختلج في نفسه من مشاعر بسيطة، ورؤية بدائية ساذجة؛ تجعل من تصويره مشبعا بمفردات هذا الإطار الضيق.

ولو قارنا تلك المفردات بما تحفل به عربية اليوم مما لا يكاد يحصى من المفردات والتراكيب والدلالات؛ لأدركنا حجم التحديث اللغوي الهائل، الذي رافق اللغة العربية عبر مسيرتها لطويلة؛ استجابة لدواع كثيرة، ليست هذه الدراسة موضع بسطها..

ومن المعلوم أن اللغة العربية قد تضخمت كثيراً بعد القرن الثاني الهجري، وهي تحوي الآن مليوني مادة لغوية، بينما اللغتين الإنجليزية والفرنسية مجتمعتين لا تتوفران إلا على أربعمئة ألف مادة كما يقول "الدكتور/ حسين

(2) انظر: الفصحى لغة القرآن، أنور الجندي، دار الكتاب اللبناني (بيروت - لبنان)، 1982م،

الزراعي"⁽³⁾. بل إن "لسان العرب" لـ "ابن منظور" (ت: 711هـ)، قد توفر على ثمانين ألف مادة لغوية، مشتقة من تسعة آلاف ومئتين وثلاث وسبعين جذراً لغوياً. وهذا دليل عملي على السعة الاشتقاقية الهائلة في العربية، وهو كتاب معجمي واحد ضمن عشرات المعاجم اللغوية العربية. وهذا كله يؤكد حتمية التجديد والتحديث اللغوي المستمر للعربية.

وقد منّ الله على الباحث أن تم اختياره ضمن لجان إعداد المعجم التاريخي للغة العربية، الذي تتبناه دولة قطر، ممثلة في مؤسسة معجم الدوحة التاريخي للغة العربية، وأتيح للباحث فرصة الاطلاع على بعض معالم التجديد والتحديث الذي رافق العربية عبر العصور.

ولا يستبعد الباحث فرضية من يشنون الحملات الشعواء على من يرى ضرورة تجديد العربية – لا يستبعد أن هؤلاء يصعدون عن رؤية قاصرة أو مشوهة لمفهوم التجديد، تعتمد على معطيات وهمية خارجة عن حقيقة التجديد الذي نوّكده وننشده في آن معاً.

وقد أصاب "د. عادل مصطفى" في توصيفه لأهل العربية؛ إذ يقول – في تقديمه لكتاب "على هامش التجديد والتقعيد في اللغة العربية المعاصرة" – :
«وقد رأيتُ الناسَ في هذا الأمرِ واحداً من اثنين: إما كاره للعربية بطبيعته ومُسْتَصْعِبٌ لها، وراغب في أن يسمع نعيها في أسرع وقت، وإما مترمت يريد أن يحنطها كما هي ويقف بها حيث وقَفَ الأسلافُ منذ أكثر من ألف عام ... هذا الحزبُ الثاني، حزب الغلاة الغيورين المحافظين، ليس بعيداً في نتائجه عن الأول:

يوشكُ تَنْطَعُهُمُ القائم على أساس مغلوطة ومصادراتٍ باطلة، أن يترك مركبَ اللغة يَغْرُقُ بحمله، وتوشكُ العربيةُ في قبضتهم المتشنجة أن تموتَ اختناقاً.

(3) من مداخله نشرتها صحيفة "نوافيك" الإلكترونية للأستاذ الدكتور/ حسين الزراعي – باحث أكاديمي في معجم الدوحة التاريخي (www.nwafecom.net).

يُنْسَى المحافظون، هواة "قل .. ولا تقل"، أن اللغة ليست كياناً كلسياً نهائياً. إنما اللغة في سيولة دائمة، وفي تحولٍ دائم...»⁽⁴⁾.

ولعل هذا راجع إلى اعتقادهم أن التجديد يعني القطيعة بين الماضي والحاضر، والتخلي عن الأصل، والتنكر له، وهذا لعمري وهم كبير، منشؤه خطأ في تحديد مفهوم التجديد في العربية، ومقارنته بمفهوم التجديد في الغرب. إن مفهوم التجديد عندنا - نحن العرب - يختلف البتة عنه في المفهوم الغربي؛ الذي ينفي العلاقة الواضحة بين القديم والجديد، والثابت والمتغير، فهو يتجاوز السالف إلى الطارف - إن جاز التعبير - ، وهو ما يسمى عندهم بالتبدل والتحول؛ الناتج عن التكيف، وليس التجدد والتطور للأصل الثابت.

ويبدو أن هذا المفهوم الغربي للتجديد ناتج من نواتج الصراع الشديد الذي حصل بين سلطة الكنيسة المحافظة، وتمرد رواد العلم والمعرفة وأنصار العقل عليها؛ مما أحدث قطيعة بائنة بين الطرفين، تقوم على الثورة ضد كل ما هو قديم محافظ؛ وليس هذا مشابهاً لمفهوم التجديد وواقعه في العربية البتة؛ حيث يتقاطع مفهوم لتجديد عندنا مع مفهومي الأصالة والتراث المبرران عن الهوية والوعي بالتطور التاريخي، فيكون التجديد مولوداً من رحمهما.

أما المظهر الثاني من مظاهر التجديد في العربية، هو أمر خارجي؛ يتمثل في تماسها مع اللغات الأخرى، وما اكتسبته من مفردات ومصطلحات جديدة على نطاق واسع؛ وذلك بعد اختلاط العرب بغيرهم من الأجناس، وإطلاعهم على ثقافات الأمم الأخرى وتراثهم العلمي والحضاري.

لما انطلق العربي بعيداً عن الجزيرة العربية إبان الفتوحات الإسلامية، كان مضطراً إلى التعامل مع واقع سياسي واقتصادي واجتماعي وثقافي واسع جداً، ومعقد للغاية، يختلف بشكل كلي عن واقعه البسيط؛ فلم يجد بداً من تطويع لغته؛ لتناسب متطلبات هذه البيئة الجديدة، فاستقرض من مفرداتها، وعمل على تكييفها بما يتناسب مع لغته الأصيلة، معتمداً على أصولها القابلة للتشكل

(4) تقديم أ.د. عادل مصطفى لكتاب "على هامش التجديد والتقييد في اللغة العربية المعاصرة"، أ.

د. سليمان جبران، إصدار: مجمع اللغة العربية، (حيفا - فلسطين)، (د.ت)، ص: 9، 10.

والاشتقاق. مع بقاء هذه الأصول مستعملة بدلالاتها الأولى، والتصرف فيما ينداح منها من ألفاظ ومفردات مستحدثة، بما لا يتعارض مع الأصل..

ومن أبرز الأمثلة على ما نال العربية من تجديد واضح في زمن محدود - حركة الترجمة والتعريب الكبرى التي حصلت إبان العصر العباسي، والتي تعد من أكبر عمليات الترجمة وأضخمها في تاريخ الإنسانية.

لقد شملت حركة الترجمة والتعريب في العصر الذهبي تراثاً مختلف الأمم والحضارات، كالفارسية، والهندية، واليونانية، والرومانية، والسريانية، وغيرها؛ بفضل بمرونتها، واتساع مدلولاتها، وكثرة مصطلحاتها، ودقة ألفاظها. فقد أسس العباسيون «بيت الحكمة أو دار الحكمة، وهي أول مؤسسة في الإسلام تُعنى بشؤون الترجمة والمترجمين، وأغدق الخليفة هارون الرشيد العطايا على المترجمين...»، ثم آلت الأمور إلى ابنه الخليفة العالم المأمون الذي أعطى حركة الترجمة دفعةً قويةً، ومضى قدماً في تقريب الترجمة وإعظام شأنهم، حتى نقلوا روائع المصنفات العلمية في الطب والفلك والفلاحة والرياضيات والفلسفة والمنطق وغيرها من اللغة اليونانية والهندية والكلدانية والفارسية والسريانية إلى لغة العرب.

ويبدو أن تلك الحفاوة كانت نابعة من إدراك العباسيين لما يمكن أن يلعبه هؤلاء المترجمون من دور فعال في الحركة التجديدية اللغوية؛ فما اللغة إلا أصوات الهدف منها التعبير عن خلجات النفس .. وأن الفرد بماله من ملكات ودوافع خلاقية هو المحرك الأساسي لكل تجديد وتغيير في اللغة⁽⁵⁾.

ولم يكتف المأمون بتحويل كتب العلوم النافعة إلى العربية، بل أمر بوضعها موضع التطبيق العملي، فبنيت المراصد والمدارس التي أمر فيها بتعلم الكتب المترجمة، وتعليمها للناهبين من أبناء الأمة، ونبغ في عصره وما تلاه كبار

(5) انظر: بحثاً بعنوان: "التجديد اللغوي بين الإمكان الذهني والإمكان الواقعي"، د. أحمد جار الله الزهراني - جامعة أم القرى، ص: 2.

التراجمة، وبفضل ذلك أصبحت بغداد زمن العباسيين أعظم مركز للترجمة والنقل في العالم»⁽⁶⁾.

وكان من نتائج التواصل والاتصال الكبير بين العربية واللغات الأخرى أن دخل العربية كمّ هائل من المفردات التي تم تعريبها؛ مما أسهم في توسّع العربية بشكل غير مسبوق، بل ظهرت علوم لغوية جديدة تختص بمثل هكذا مفردات، عرفت بعلم: "التعريب"، و"الترجمة"، و"النحت" وغيرها..

ولو أردنا مقارنة مفردات العربية في العصر العباسي -فقط- مع مفرداتها فيما سبقه من عصور، لوجدنا أن هناك فرقاً هائلاً بينها من حيث الكمّ؛ فقد تضاعفت العربية في العصر الذهبي بشكل لافت -كما أشرنا-، يكاد يطبق عليه علماء العربية جميعاً.

وحتى لا يكون البحث مجرد فلسفة لفظية خالية من التطبيق والاستدلال -نورد طرفاً مما تم ترجمته إلى العربية من روائع ونفائس ثقافات الأمم الأخرى؛ وذلك على سبيل المثال لا الحصر:

فقد ترجموا عن الهندية الكتاب المسمى "بالسند هند" في علم النجوم، و"بيافر" في الموسيقى، و"كليلة ودمنة" في إصلاح النفوس وتهذيب الأخلاق.

ونقلوا عن الفارسية: "عهد أردشير" نقله البلاذري، ونقل عبدالله بن المقفع: "خدا ينامه" في السير، و"آئين نامه" في الآيين: (العرف، السلوك)، و"مزدك"، و"التاج في سيرة أنوشروان"، وترجم جبلة بن سالم "رستم واسفنديار"، وترجم "التاج" و"دارا والصنم"، و"أدب الحروب"، و"فتح الحصون"، و"المدائن"، و"تريص الكمين"، و"توجيه الجواسيس"، و"الطلائع والسرايا" و"وضع المسالك".

وترجموا من العبرية "التوراة"؛ ترجمها أبو كثير يحيى بن زكريا الطبراني، وترجمها سعيد بن يعقوب الفيومي، وترجم ابن وحشية كتاب "الفلاحة النبطية" من النبطية أو لسان الكلدانيين.

أما ما تُرجم من اليونانية أو الإغريقية، فإنه يفوق كل ما تُرجم من اللغات الأخرى، فقد تُرجمت كتب جالينوس وشروحها في الطب، وكتب أرسطو

(6) الترجمة والتعريب بين العصرين العباسي والمملوكي، د. سمير الدروبي، منشورات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات، ط 01، 2007م، ص: 14 وما بعدها.

طاليس في الفلسفة والمنطق، وترجم سالم مولى هشام بن عبد الملك رسائل أرسطو طاليس، ونقل أبو عمر يوحنا بن يوسف كتاب أفلاطون في "آداب الصبيان"، ونقل كتاب إفليمون في "الفراسة"، وترجم كتاب إيرخس، أو إيرخس في "أسرار النجوم في معرفة الدول والملل والملاحم"⁽⁷⁾.

إن ما حصل من ثورة كبرى في الترجمة والتعريب في العصر العباسي؛ فهو أكبر دليل على ما يمكن أن تنجزه العربية في مجال التحديث اللغوي لمكوناتها.. والسؤال الذي يفرض نفسه هنا:

هل أثر التجديد الكبير الذي حصل للغة العربية إبان العصر العباسي بوساطة عشرات المصطلحات ومئات المفردات التي تم تعريبها واقتراضها من اللغات الأخرى - هل أثر ذلك سلباً على العربية الفصحى؟

إن المتتبع لعملية الترجمة والتعريب يدرك يقيناً أن هذه العملية قد أسهمت في تجدد العربية، وزيادة حيويتها وتفاعلها مع هذا الجديد عبر العصور، بل هي مصدر من مصادر قوة العربية، وسر من أسرار خصائصها العجيبة، ومعلم بارز على مرونتها وقدرتها التوسعية الهائلة وغير المحدودة.

وعملية التعريب لا ترتبط بزمن محدد، بل هي عملية مستمرة باستمرار الحياة، ونحن في زمننا الراهن أكثر احتياجاً لها من ذي قبل، وهذه الحاجة هي التي فرضت على المجمع الجامع اللغوية أن تتجه إلى التعريب؛ وإلى ذلك يشير "الدكتور إبراهيم أنيس" بقوله: ((ولما رأى المجمع أن للتعريب في عصرنا الحديث فوائد تتلخص في غنى اللغة بذخيرة من الكلمات التي تعبر عن كل ظلال الإنسانية كما أنه يمدنا بفيض من المصطلحات العلمية الحديثة التي لا نستغني عنها في نهضتنا العلمية))⁽⁸⁾.

وما تطالعنا به المجمع اللغوية اليوم من مصطلحات ومفردات، وتراكيب جديدة- ما هي إلا مظهر بارز من مظاهر التجديد في اللغة العربية، وعوامل مهمة تسهم في ترقية الفصحى؛ لتستوعب كل ما يجد في العلوم والفنون

(7) الترجمة والتعريب بين العصرين العباسي والمملوكي، ص: 37 وما بعدها.

(8) أسرار اللغة، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية (القاهرة - مصر)، ط: 6 (1978م)، ص:

الحديثة، وفي بحاجات الحياة العصرية، مع بقاء الفصحى - في الوقت نفسه - محافظة على رونقها الأصيل، وثوابتها المتينة.

وما زالت عربية تكتسب يوماً بعد يوم مفرداتٍ جديدة؛ بفضل التقدم العلمي والطفرة التكنولوجية، التي لا تكاد تهدأ على مدار الساعة الواحدة.

وفي المقابل لم نجد العربية تضعف أو تتواري، بل على العكس من ذلك؛ ففي الوقت نفسه الذي كان العرب يترجمون عن الأمم الأخرى، كانوا ينقلون لغتهم وثقافتهم إلى تلك الأمم، التي استفادت من علوم العرب أيما استفادة إلى يوم لناس الناس هذا.

يقول "الدكتور/ سمير الدروبي": «وقد كانت الترجمة أولى وسائط الاتصال والنقل المعرفي بين الأمة العربية وغيرها من الأمم، وعندهم تعلم الإغريق والرومان، ونقلوا وترجموا»⁽⁹⁾.

ولو أخذنا على سبيل المثال أهم اللغات التي كان لها تماسٌ كبير مع العربية، وتأثير بارز في مفرداتها وهي اللغة الفارسية، سنجد أن اللغة العربية قد أحدثت أثراً أكبر في اللغة الفارسية على الرغم من كون اللغتين لا ينتميان إلى أصل واحد؛ «فاللغة الفارسية تعود أصولها إلى مجموعة اللغات الآرية أو الهند أوروبية، أما اللغة العربية فهي إحدى اللغات السامية»⁽¹⁰⁾.

والعامل الأبرز في تأثير العربية على الفارسية هو العامل الديني؛ كون العربية هي لغة الإسلام الذي اعتنقه الكثير من أهل فارس، كما أصبحت العربية لغة الثقافة والفكر، «والمتتبع لأثر اللغة العربية في اللغة الفارسية يجد أعداداً لا تحصى من المفردات العربية التي أصبحت جزءاً لا يتجزأ من اللغة الفارسية وخاصة منها المتصل بالإسلام والحياة الإسلامية مثل: صلاة، زكاة، حج، مسلم، جهاد ... إلخ»⁽¹¹⁾.

(9) الترجمة والتعريب بين العصورين العباسي والمملوكي، ص: 7.

(10) الترجمة وفعل المثاقفة، زرماس، ص: 18.

(11) بحث بعنوان: حركة الترجمة في العصر العباسي تواصل مع الآخر، د. معن علي

المقابلة: (الأردن)، 2009، ص: 6.

ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد «بل نجد التأثير يصل الى قواعد الفارسية نفسها كالروابط مثل حروف الجر وأسماء الإشارة وحروف النداء والتنبيه واستعمال المفعول المطلق في مجال التاكيد، وتقيد الجمل العربية في التقديم والتأخير وغيرها»⁽¹²⁾.

كما أخذت الفارسية من العلوم العربية أوزان الشعر وعلم القوافي، كما وضعت المعاجم الفارسية على أسلوب المعاجم العربية. إلا أن أهم مظهر من مظاهر تأثير اللغة الفارسية باللغة العربية وهو مثال واضح على التواصل الثقافي بين الحضارتين واللغتين اتخاذ اللغة الفارسية للأحرف العربي أداة للكتابة ... فطيلة القرنين الأول والثاني الهجريين أصبحت اللغة العربية هي اللغة المستخدمة في بلاد فارس⁽¹³⁾. بل لقد أعطت العربية حروفها الهجائية لمئات الملايين من الشعوب، سواءً أكان ذلك في بلاد الفرس أم الهند أم الترك⁽¹⁴⁾.

ومن هنا ندرك أن التجديد اللغوي الذي حظيت به العربية عبر العصور رافقه تأثير بالغ للغة العرب في ثقافات المجتمعات التي تم النقل والترجمة إلى العربية من خلالها. وهذه حقيقة ثابتة في عملية التأثير والتأثر اللغوي لا ينكرها أحد؛ مما يجعلنا نستنتج أن العربية كانت في أوج مجدها، ومنتهى قوتها، محافظة على أصالتها وخصوصيتها، ولم تتخل عن أي من ذلك عندما اكتسبت من غيرها؛ وهذا يفسر لنا سرّ التأثير الكبير للغة العربية في الأمم الأخرى؛ إذ لو كانت العربية قد تخلت عن أصالتها، لما كان لها هذا الزخم التأثيري في ثقافات الآخرين من غير العرب.

ولم تكن مظاهر التجديد في العربية محدودة بجانب معين، بل شملت شتى الجوانب اللغوية؛ فقد تنوعت مجالات التجديد في اللغة العربية؛ من تجديد في المفردات، إلى تجديد في المصطلحات، وتجديد في التراكييب، إلى تجديد في ميادين البحث اللساني والحاسوبي اللغوي، إلى تجديد في مناهج تعليم اللغة

(12) (اللغة العربية في إيران منذ الإسلام حتى اليوم، الكك، فكتور، مجلة عالم الفكر، مجلد: 37، 2008م)، ص: 8.

(13) (انظر: المرجع السابق، ص: 8، 9.

(14) (انظر: الفصحى لغة القرآن، أنور الجندي، ص: 14، 15.

العربية. ناهيك عما تنتجه الجامعات اللغوية، والندوات والمؤتمرات العلمية من ثروة لغوية هائلة تفي بمتطلبات العلوم والفنون الحديثة، وتواكب كل مستحدثات الحياة وحاجاتها العصرية، وتُكَيِّفُهَا وفقاً لخصائصها الأصيلة؛ مما جعلها تتجاوز عامل الزمن.

من خلال ما سبق، واعتماداً على السياق التاريخي والمعطيات الواقعية - ندرك أنّ اللغة العربية قد استطاعت القيام بكل ما من شأنه أن يساعد على ترقيتها، وفقاً لتراثها اللغوي الأصيل؛ فقد واكبت كل جديد مع محافظتها على أصالتها وثوابتها المميّزة لها عن سائر اللغات، كما لم تتوقف في مستوى محدد.. وهو عين ما قصدناه في هذا المبحث.

المبحث الثاني: مخاطر الذوبان اللغوي في الآخر:

لقد آثرت لفظ "التماهي" في العنوان، وهو لفظ اشتهر حديثاً، على السنة المحدثين - وخاصة في مجالات: علم النفس والسياسة والنقد الأدبي؛ ومن ذلك قولنا: "التماهي مع ثقافة الغرب قد بلغ ببعض الناس حدّ التبعية".

ومصطلح "التَّمَاهِي" Identification، "، يفسره البعض بالتَّقْمُص أو التَّوْحُد⁽¹⁵⁾؛ فالتماهي يتقمص شخصية الآخر عن رغبة، ولا يقلده فقط. ومعنى ذلك أنه قد يصل إلى درجة التوحيد مع الآخر، وتبني كل سماته ورواه؛ وهنا تكمن المشكلة.

يعرف "الدكتور/ مصطفى حجازي" التماهي بأنه: «استلاب الإنسان المقهور الذي يهرب من عالمه كي يذوب في عالم المُتَسَلِّط؛ أملاً في الخلاص»⁽¹⁶⁾.

ويذكر "حجازي" أن ظاهرة التماهي بالمتسلط تأخذ صوراً عدة؛ من أخطرها وصول التماهي إلى درجة "الاستعلاء"، لأنه يتم بدون عنف ظاهر، بل من خلال رغبة الإنسان المقهور في الذوبان في عالم المُتَسَلِّط.

وهنا يكون الضحية قد خضع لعملية (غسيل مخ) من خلال حرب نفسية مُنَظَّمَة لتحطيم القيم الاجتماعية والحضارية للفئة المقهورة⁽¹⁷⁾.

(15) (انظر: موقع الألوكة (www.alukah.net)

(16) (التخلف الاجتماعي (مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور)، د. مصطفى حجازي، المركز

الثقافي العربي (الدار البيضاء - المغرب)، الطبعة: التاسعة، (2005م)، ص: 127.

التَّمَاهي - إذن - : هو تماثل وتطابق ناتج عن ذوبان في الآخر، وانسلاخ من الذات، بل إلغاء تام لها؛ يصل إلى حد تغييب العقل، وحرمان المجتمع وثقافته رؤية البدائل المطروحة للأمر موضع البحث والنقاش، ويوصله إلى الجمود الفكري والعقائدي، ويؤدّي - في الأغلب - إلى الخروج عن الطريق الصحيح، وهو - في أضعف آثاره السلبية - يُعْطِلُّ اتخاذ القرار الصائب، ويؤخّر التّقدّم ويحرم أي أمة قِسْماً مهماً من عقولها النيرة، وهو سلوك مُدان بكل المعاني⁽¹⁸⁾.

وقد تنبه أسلافنا إلى الخطر الكبير الذي يحدثه التماهي على الهوية، وحذروا منه؛ ولعل عبارة "ابن خلدون" المشهورة في "مقدمته" ما يغني عما سواها؛ إذ يقول: «إن المغلوب مولع أبداً بالاعتداء بالغالب، في شعاره وزيه ونحلته وسائر أحواله وعوائده؛ والسبب في ذلك أن النفس أبداً تعتقد الكمال في من غلبها ... فانتحلت جميع مذاهب الغالب، وتشبّهت به، وذلك هو الاقتداء. أو لما تراه - والله أعلم - من أن غلب الغالب لها ليس بعصبية ولا قوة بأس، إنما هو بما انتحلته من العوائد والمذاهب»⁽¹⁹⁾.

فغرور القوي زين له أن يجعل من الشعوب العربية والإسلامية يقلبون كتابتهم من اليمين إلى الشمال، ومن الحرف العربي إلى الحرف اللاتيني؛ ليريحوا رجالاتهم وأذنانهم من عناء تعلم العربية⁽²⁰⁾.

لكن لـ: "لتماهي" أصلاً معلوماً؛ فالكلمة مشتقة من جذر عربي هو (م و هـ)؛ جاء في "تاج العروس": «من المجاز: أَمَاهَ الشيءُ: خَلِطَ»⁽²¹⁾. وفي "المعجم الوسيط": «أَمَاهَ الشيءُ بالشيءِ: خَلَطَهُ»⁽²²⁾.

(17) انظر: المرجع السابق، ص: 127.

(18) السابق، ص: 127 (بتصرف).

(19) ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، عبد

الرحمن بن محمد بن خلدون،

تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر (بيروت - لبنان)، الطبعة: الثانية (1408هـ - 1988م)، 1/184.

(20) من حاضر اللغة العربية، سعيد الأفغاني، دار الفكر (دمشق - سورية)، الطبعة: الثانية،

(1971م)، ص: 178.

وجاء بوزن "تَفَاعَل" من هذا الجذر فكان "تَمَاوَه" فَحَدَّثَ قَلْبٌ مَكَانِيَّ بِتَقْدِيمِ عَيْنِ الْكَلِمَةِ عَلَى اللَّامِ، فَصَارَتِ الْكَلِمَةُ "تَمَاهَوَ"؛ مِثْلُ: "تَاءَ" مِنْ "النَّأْيِ"؛ قُدِّمَتْ اللَّامُ مَوْضِعَ الْعَيْنِ، ثُمَّ قَلِبَتِ الْيَاءُ أَلِفًا؛ فَوُزِنَتْ "فَلَع" وَمِثْلُهُ "رَاءٍ" وَ"رَأَى" وَ"شَاءَ" وَ"شَأَى". ثُمَّ قَلِبَتِ الْوَاوُ فِي "تَمَاهَوَ" أَلِفًا؛ لِتَحْرُكِهَا إِثْرَ فَتْحَةٍ، فَصَارَتْ "تَمَاهِي"، وَأَصْلُ الْمَصْدَرِ: "تَمَاهَوٌ"؛ لَكِنْ تَطَرَّفَتِ الْوَاوُ إِثْرَ ضِمَّةٍ؛ فَقَلِبَتِ يَاءً "تَمَاهِي"، ثُمَّ كَسَرَتِ الْهَاءُ لِمَجَانَسَةِ الْيَاءِ فَصَارَ الْمَصْدَرُ: التَّمَاهِي، عَلَى وَزْنِ "النَّفَالَع"؛ بِضَمِّ اللَّامِ؛ لِأَنَّ الْإِعْلَالَ بِالْقَلْبِ لَا يُوَثِّرُ فِي الْمِيزَانِ.

ففي التماهي دلالة التفاعل بين أمرين؛ إذ هي على وزن المشاركة (تفاعل)، مع الانتباه لما في المعنى من دلالة غلبة أحدهما على الآخر - كما بيّنا - . فنحن عندما نقول: تماهى الملح في الطعام، أو تماهى السكر في الماء؛ فإننا نقصد أنه رقَّ حتى اختفى، وأصبح جزءاً من الطعام أو من الماء، وهو ما نطلق عليه "الذوبان".

ومن دلالات هذا الجذر (م وه) الانتشار، كما في انتشار الماء، المشتق من الجذر نفسه؛ جاء في قول "الحسن بن علي" - رضي الله عنهما - أنه قال: "ومن يملك انتشار الماء؟"⁽²³⁾. ؛ والتماهي: انتشار لصفات المُتَسَلِّطِ على غيره من المقهورين.

وجاءت دلالة الصيغة تؤكد هذا المعنى، فالكلمة على وزن "تَفَاعَل" المقلوب إلى "تَفَالَع"، وهذا الوزن من معانيه أنه مُطَاوِعٌ "فَاعَلْتُ" نحو: "بَاعَدْتُه فَتَبَاعَدَ". وهو الوزن المناسب للمعنى المراد؛ مما يدل على أن المعنى الحديث للكلمة مُتَّصِلٌ بأصله العربي القديم.

وهناك مصطلحان آخران - في المعاجم العربية - لفتا نظر الباحث؛ هما مصطلح: "النَّمَه" وهو التغير والفساد، ومصطلح: "المَهْي" وهو رقة الشيء. ولا

(21) انظر: تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهاديّة (د.ت)، 510/36.

(22) انظر: المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، منشورات مجمع اللغة العربية، (د.ت)، 892/2.

(23) المصنف في الأحاديث والآثار، أبو بكر بن أبي شيبة، تحقيق: كمال الحوت، مكتبة الرشيد (الرياض - السعودية)، الطبعة: الأولى (1409هـ)، 93/1.

يستبعد الباحث أن لهما علاقةً ببعض معاني التماهي؛ فقد جاء في "مقاييس اللغة": «التاء والميم والهاء كلمة واحدة تدل على تغيير الشيء»⁽²⁴⁾.

وفي "الصحاح": «تَمَهَ الطَعَامُ (بالكسر) تَمَهًا: فَسَدَ. وقال أبو الجراح: تَمَهَ اللحمُ تَمَاهَةً، وَتَمَهَ اللبنُ: تَغَيَّرَ رَائِحَتُهُ»⁽²⁵⁾. وفي "القاموس": «تَمَهَ الطَعَامُ - كَفَرَحَ - تَمَهًا وَتَمَاهَةً: تَغَيَّرَ رِيحُهُ وَطَعْمُهُ. وَشَاءَ تَمَاهًا: يَتَغَيَّرُ لَبَنُهَا رِيثًا يُحْلَبُ»⁽²⁶⁾.

وفي "اللسان": «تَمَهَ الدُّهْنُ وَاللبنُ وَاللحمُ يَتَمَهُ تَمَهًا وَتَمَاهَةً، فَهُوَ تَمَهٌ: تَغْيِيرُ رِيحِهِ وَطَعْمِهِ، مِثْلُ الزُّهُومَةِ. وَتَمَهَ الطَعَامُ، بِالكسر، تَمَهًا: فَسَدَ»⁽²⁷⁾.

وهذا المعنى قوي في الدلالة على المراد؛ فما التماهي إلا تغير لسمات لأصل وذوبان لها في غيرها؛ إذ تطغى سمات المتماهي فيه على سمات المتماهي، بحيث لا تكاد تظهر؛ وهو عين ما قصدناه في هذا البحث.

أما دلالة "التمه" على الفساد، فهي دلالة حريّة بالتأمل؛ فذوبان المتماهي في المتماهي فيه تعني ضياع الأول البتة؛ لعدم ظهور خصائصه، وبقاء الثاني؛ لوجود خصائصه فقط، أو طغيانها - على الأقل -؛ وبناءً على ذلك ففساد المتماهي تحصيل حاصل؛ فهو سابق للضياع؛ إذ هو مضمن في عملية التماهي نفسها.

أما دلالة المهى على رقة الشيء، فنكتفي بما أورده "ابن منظور"؛ حيث جاء في "لسان العرب": «المهُو من السيوف: الرقيق؛ قال صخر الغي:

وصارمٌ أُخْلِصَتْ خَشِيبَتُهُ ❖ ❖ ❖ ❖ أبيضٌ مهُوٌ في مَتْنِهِ رُبْدٌ

(24) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر (1399هـ - 1979م)، 1/ 354.

(25) تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين (بيروت - لبنان)، الطبعة: الرابعة (1407هـ - 1987م)، 6/ 2229.

(26) القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع (بيروت - لبنان)، طبعة: الثامنة (1426هـ - 2005م)، ص: 1244.

(27) لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الإفريقي، دار صادر (بيروت - لبنان)، الطبعة: الثالثة (1414هـ)، 13/ 481.

... قال ابن جني: وذلك لأنه أرقُّ حتى صار كالماء»⁽²⁸⁾؛ بمعنى أننا لا نكاد نراه في الماء لشدة رقيقته؛ فقد تماهى في الماء؛ كأنه منها؛ فلم نستطع تمييزه. وهو ما نعنيه هنا..

وما يزال هذا اللفظ متداولاً بالدلالة نفسها إلى اليوم؛ فيقال عندنا في اليمن:

"مهى السمن أو الزيت" أي: ذاب. ويستخدمونها مجازاً؛ فيقولون: "مهى فلان أمام فلان من الحياء"؛ أي: تلاشى حياءً منه؛ حتى لكانه لا يكاد يُرى. وكل هذه المعاني التي أشرنا إليها مرادة في هذه الدراسة؛ مطابقةً أو اقتراباً. قد تحدثنا بما فيه الكفاية عن حتمية التأثير والتأثر بين اللغات؛ وبالتالي عدم حجر إفادة اللغات بعضها من بعض؛ ومن ذلك استفادة علماء العربية من النظريات اللغوية الحديثة، التي برع فيها الغربيون.

فليس من المعيب الاقتداء بالآخر فيما فيه منفعة الذات، مهما اختلفنا مع هذا الآخر في الأيدولوجية، أو تبايناً في الثقافات..؛ وهذا أمر مسلم به، بل ومرغّب فيه في موروثنا الديني؛ "فالحكمة ضالة المؤمن، حيث وجدها فهو أحق بها"⁽²⁹⁾. لكن العيب كل العيب في التقليد الأعمى للآخر، واعتناق فرضية أنه لا يخطئ، وكل ما يصدر عنه هو الصواب عينه، أما نحن فعلى النقيض..، الخطأ كل الخطأ في التبعية الخالية من التفكير فيما يؤخذ من ثقافة هذا الآخر ونظرياته ورؤاه وما يُردُّ منها، وما يتوافق مع خصائصنا وخصوصياتنا وما يتعارض..، وما يصلح لنا وما لا يصلح..

«هناك فرق كبير بين التبعية والاقتداء، الأولى تخلو من التفكير، والثانية تقوم على الإعجاب بجوانب معينة في المقتدى به، إضافة إلى أن الاقتداء ينتج عنه كيان قوي، لأنه قائم على انتقاء جوانب القوة في الآخرين، أما التبعية فإنها تتسم بغياب التفكير النقدي، والإحساس بالدونية، وأن السبيل إلى الارتقاء لا يكون إلا بتقليد الآخر، دون التفات إلى الظروف البيئية والمجتمعية المختلفة،

(28) (المرجع السابق، 1 / 352.

(29) (ليس هذا بحديث على الأصح..، وقد ورد في سنن الترمذي برقم (2687)، قيل إنه من مراسيل "زيد بن أسلم"، كما في مسند الشهاب (1/118)، وفي التقريب لابن حجر (1/222).

نتيجة ضعف الثقة في الذات، وعدم تكليفها بالبحث عن جوانب الإبداع الكامنة فيها ..»⁽³⁰⁾.

وإذا كانت التبعية ممقوتة مرفوضة على الإجمال، فالتبعية اللغوية – وهي ما تعيننا هنا – أشد مقنناً ورفضاً؛ كونها أسوأ صور التبعية في العصر الحديث، فهي تمس أظهر معلم من معالم الهوية الدينية والقومية معاً. فما الذي أبقاء السائرون في متاهة التغريب من هوية عربية أو إسلامية؟ وما الذي جناه اللاهثون وراء وهم لغة (العصر) غير السراب؟ وما الذي أبدعه المنبهرون بالثقافات الدخيلة الوافدة مما لم تستطعه الأوائل؟ وما الذي حققه المنادون ليل نهار بالانسلاخ عن التراث اللغوي الأصيل من إنجاز يستحق الذكر؟

ولقد بلغ اليأس ببعضهم حداً أصبح الشفاء منه أمراً مستحيلاً، ووصل تأثير اللغات الأجنبية إلى درجة جعلهم ينظرون إلى كل ما هو أجنبي بعين الرضى، وأنه عين الصواب، وأن كل ما هو عربي مشكوك في أمره، وأنه لا يمكن أن يرقى إلى المستوى المطلوب... وتناسوا أن هذه اللغة تمتاز بخصائص الاشتقاق والترادف والنحت والتوليد.. إلخ، وأن نظامها الصرفي والنحوي يجعلانها لغة لا يمكن أن تنعت بهذه النعوت، خاصة وأن هذه اللغات الأجنبية قد اقترضت من العربية ألفاظاً تعد بالمئات ما تزال مستخدمة حتى الآن)⁽³¹⁾.

ولو تتبعنا الدعوات المحمومة إلى تقليد الآخر في العصر الحديث؛ فسيطول بنا المقام...؛ حيث لا تزال دعوات الناعقين بالتخلي عن الفصحى قائمة، وما تزال المؤامرة على اللغة العربية الفصحى مستمرة لم تتوقف.. لها خيوطها المرتبطة بالاستعمار والاستشراق والتبشير والتغريب.. ثم تضاعفت الدعوة إليها وتنوعت مرتبطة بالصهيونية والماركسية..

(30) (التبعية اللغوية.. وعقدة الإحساس بالدونية، الكاتب الصحفي: إبراهيم متولي، مجلة الوعي الإسلامي (الكويت)، العدد: (570) (ديسمبر – يناير 2013م).

(31) (دراسة بعنوان: اللغة العربية في الجزائر (التاريخ والهوية)، د. عز الدين صحراوي، (مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية – جامعة محمد خيضر "بسكرة" – العدد: (5) – يونيو- 2009م.

وهذه مؤامرة تلبس في بعض حلقاتها ومراحلها ثوب البحث العلمي، وتحاول أن تدعي أنها تستهدف الخير والتقدم .. والصورة المعروضة اليوم تخدع الكثيرين. مازال الاستشراق وتلاميذه من أدياء العرب يشنون الحملة المسعورة تلو الأخرى على اللغة العربية الفصحى، ويتهمونها بالجمود والقصور وعدم التطور. لن أتحدث هنا عن المستشرقين ودورهم في هدم الفصحى؛ فهذا شأنهم...، وتلك وظيفتهم...، والبحث لا يُعنى بهم، لكنني أكتفي بالإشارة إليهم؛ للدلالة على تماهي دعوات تلامذتهم من العرب مع دعواتهم.

ومن أبرز هؤلاء المستشرقين: "ولهم سبيتا" و"وليم ويلكوكس" و"بول" و"فيلوت" الذين تبنا الدعوة لإحلال العامية المصرية، أما المستشرقان الفرنسيان "ماسنيون" و"بنيار" وأمثالهما فقد نصحا أصدقاءهما العرب بكتابة لغتهم بالحروف اللاتينية، وترك حروف الفصحى⁽³²⁾؛ بدعوى أن الكتابة بالحروف اللاتينية مختزلة مختصرة في حين أن الكتابة بالحروف العربية صعبة؛ لتعدد أشكال الحرف الواحد، وكثرة الحروف المتشابهة في الرسم، كذلك افتقار العربية إلى العديد من الحروف الموجودة في اللغات الأخرى⁽³³⁾ - حسب زعمهم -

وقد نسي هؤلاء أو تناسوا ما فعلوه باللغة التركية بعد تبني الحرف اللاتيني؛ حيث صارت مضحكة، فكلمات: "حامد" و"خامد" و"هامد" كلها تكتب: "Hamid" ثم تقلب كل "دال" فتصير "تاء"؛ حتى إن نور الدين تصبح - بقدرة قادر - نور التين. كما أخرست ألسنتهم عن انتقاد أي من اللغات الأخرى التي تضم مئات الحروف والصور كالصينية واليابانية⁽³⁴⁾. ولم ينتقدوا اليهود الذين نبشوا القبور ثم أخرجوا لغة ميتة؛ عمرها ألوف السنين وراحوا يستعملونها!

(32) انظر: الفصحى لغة القرآن، أنور الجندي، ص: 188.

(33) مقال بعنوان: "يسرو النحو للمعربين"، أحمد الخطاب عمر، مجلة العربي (الكويت)، العدد: 229، (1983م).

(34) بحث بعنوان: "هدم اللغة العربية الفصحى"، د. نعمان عبدالرزاق السامرائي، مجلة الأدب الإسلامي/ المجلد: الأول/ العدد: الرابع/ ربيع الثاني (1415هـ)، ص: 27 - 29.

«وقد استجاب ضعاف النفوس وصغار العقول لهذه الدعوات، ناهيك عن المشبوهين في خلقهم ووطنيتهم، وشملت نشاطاتهم الدينية كلا من ساحل الشام (لبنان)، ومصر، والمغرب في فترات متقطعة»⁽³⁵⁾.

فالمصيبة تكمن في تلامذتهم المستغربين؛ أصحاب الدعوات الهدامة، الذين وجهوا - وما زالوا يوجهون - سهامهم المسمومة نحو لغة القرآن؛ ومن أبرزهم "لطفی السيد" الذي كتب عام 1913م مقالات عدة، يدعو فيها إلى استعمال الألفاظ العامية، وإدخالها حرم الفصحى. وكذلك "قاسم أمين" الذي دعا عام 1912م إلى تسكين أواخر الكلمات عوضاً عن الإعراب⁽³⁶⁾. وهو نفسه صاحب دعوة تحرير المرأة التي كانت بمثابة دعوة إفساد بامتياز؛ فانظر كيف يتبنى هؤلاء المستغربون دعوات الهدم لكل أصيل.

ولمثل دعوة "قاسم أمين" في ترك الإعراب دعا "عبد العزيز فهمي" وتبعهما كثيرون مثل: "يوسف الخال"، وكثيرون سواه دعوا إلى ذلك ومن آخرهم أستاذ بجامعة الملك سعود بكلية الآداب؛ يقول عنه بعض طلابه: إنه كان يقول لهم إن عيبه عدم استطاعته إيصال ما يريد لطلابه لضعف لغته، وكانت لغته ضعيفة، ولسانه مطبوع على العامية لا يستطيع الفكك منها.

وما زلنا نسمع بين الحين والآخر هذه الدعوات المشبوهة إلى التماهي والذوبان اللغوي في الآخر؛ فهذه وزيرة التربية الجزائرية تتماهى مع الدعوة إلى تدريس العامية بدل الفصحى.

وهناك باحثون ومفكرون يدعون إلى توحيد اللغة العربية في مستوياتها العامي والفصحى في لغة واحدة بين بين⁽³⁷⁾. ويرى "واي" أن في مثل هذه الدعوى

(35) من حاضر اللغة العربية، سعيد الأفغاني، ص: 179.

(36) انظر: الفصحى لغة القرآن، أنور الجندي، ص: 185، 186.

(37) مقال بعنوان: "دعوات توحيد الفصحى والعامية"، وفاء نجار، مجلة: عود الند الثقافية،

السنة: السابعة، العدد: 80.

هبوطاً من الذرى إلى السفح حيث تقبع العامية معايشة أوكار الجهل، لتستخدم في كافة المجالات التي تعتمد حالياً على العربية الفصحى⁽³⁸⁾.

لقد شجع الإنجليزي و"يلمور" هذه الدعوة إلى توحيد اللغة، داعياً إلى توحيد لهجة مصر. فكان رد "عبد العزيز شاويش" على ويلمور هو:

"هل خطر في بال ويلمور أن يدعو قومه الإنجليز إلى توحيد لغتهم؟ إنه يعلم أن التفاوت بين لهجة أهل لندن ولهجة سائر الولايات المتحدة، أشد من التفاوت بين لهجة مصر ولهجات الدول العربية الأخرى"⁽³⁹⁾.

ولم تتوقف التبعية عند هذا الحد؛ بل وصلت الجراً في التماهي مع ثقافة الغرب إلى درجة المناداة بالعامية مكتوبة بالحروف اللاتينية؛ كما فعل "سلامة موسى"، و"أنيس فريحة"، و"الخوري مارون غصن". وأصدر "فريحة" كتاباً بعنوان "نحو عربية ميسرة" عام 1955م، ضمنه دعوته الهدامة، زاعماً أن العامية هي لغة الحياة⁽⁴⁰⁾، ومتناسياً أن الفصحى كانت وما تزال لغة الحياة القومية لأكثر من ثلاثمائة مليون من العرب، ولغة الفكر والعقيدة والثقافة لأكثر من ألف وخمسمائة مليون من المسلمين.

وفي المقابل ظهر نمط آخر من دعاة العامية ممن يلبسون مسوح حب اللغة العربية .. وعلى رأس هؤلاء "طله حسين" الذي قدم أطروحته التي تبين الطريق للحفاظ على سلامة تكون مقربة من العامية في يسرها، بعيدة عنها في استهتارها وتملصها⁽⁴¹⁾.

(38) (فقه اللغة، د. علي عبد الواحد وإيفي، الطبعة: السابعة، دار النهضة مصر للطباعة والنشر (القاهرة - مصر)، (1972م)، ص: 154 وما بعدها.

(39) (انظر: اللغة العربية بين حمايتها وخصومها، أنور الجندي، دار الكتاب اللبناني، (بيروت - لبنان) (د.ت) ص: 54.

(40) (انظر: نحو عربية ميسرة، أنيس فريحة، دار الثقافة (بيروت - لبنان)، 1973م، ص: 122، 123.

(41) (مشكلات اللغة العربية المعاصرة، مجد البرازي، مكتبة الرسالة (عمّان - الأردن)، الطبعة: الأولى، (1989م)، ص: 57.

ومن هنا فإن محاولة القول الذي تردد كثيراً على السنة "طه حسين" و"سلامة موسى" و"لطفي السيد"، وما يزال يتردد على السنة بعض من يتولون أمر اللغة، بأن اللغة العربية لغتنا ونحن أصحابها، ولنا حق التصرف فيها، هو قول باطل وغير صحيح ومردود؛ ويرده واقع التاريخ ومنطق البحث العلمي .. وربما كان قولاً صحيحاً بالنسبة للغات الأوروبية.

وعلى الرغم من كل تلك الدعاوى المحمومة إلى السير في فلك الغرب والتماهي في تقاليد اللغوية، فالواقع الملموس يكذب كل دعاوى الهدامين والتاريخ أصدق من كل ما يكتبون، فقد استطاعت العربية البدوية أن تساير الحضارة في بغداد، ولم تهزم أمام اللغات الأخرى. ويرى "محمد محمد حسين" أن قواعد النحو التي يزعمون أنها معقدة استطاعت أن تعيش لأكثر من ألف سنة، وأنتج الناس خلالها في مختلف الأمصار العربية وغير العربية ثروة من الكتب العربية التي لا تحصى⁽⁴²⁾.

لقد أراد المستغربون، الذين أشربوا ثقافة الآخر، وأصبحوا جزءاً منه - أن تذوب العربية كما ذابوا، وعملوا على إسقاط مخططات أساتذتهم المستشرقين المشبوهة على الفصحى بكل ما أوتوا من قوة، دونما مراعاة للظروف والخصائص المتباينة. ولكن أحلامهم تبخرت عندما اصطدمت بطود العربية الضاربة أطناباً الأصيلة في أعماق التاريخ.

وستظل العربية حصناً منيعاً، وصخرة صلبة تتكسر عليها كل هذه الدعاوى التي تماهت في ثقافة الآخر، وانسلخت عن أصالتها اللغوية، وتنكرت لكل معاني الانتماء..

(42) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، محمد محمد حسين، دار النهضة العربية للطباعة

(القاهرة - مصر)، الطبعة: الثالثة، (1972م)، ص: 373.

الخاتمة -

تعد اللغة العربية من اللغات التي شهدت تطوراً كبيراً، عبر مسيرتها الطويلة؛ وذلك بفضل ما تتمتع به من خاصية اشتقاقية ذات قدرة استيعابية هائلة في شتى الجوانب العلمية، والسياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية، والحداثيّة وغيرها.. تفي بمتطلبات كل عصر.

وقد رأينا كيف أثّرت اللغة العربية في اللغات الأخرى، وكيف تأثرت بها، وفي الوقت نفسه ظلت محافظة على خصائصها الأصيلة التي تميزها عن غيرها.

وتعد التبعية اللغوية أسوأ أنواع التبعية التي لحقت بنا في العصر الحديث؛ تلك التبعية التي تمثلت في الدعوات الهدامة للغة العربية من الداخل، التي تنادي بالتماهي مع الآخر، والذوبان في ثقافته وتبني رؤاه، مهما اختلفت أو تعارضت مع هويتنا اللغوية الأصيلة؛ نتيجة الانبهار والتقليد الأعمى للآخر؛ مما دفع إلى تضخيمه وتقزيم الذات.

ولو أننا منحنا أنفسنا الفرصة، وأعدنا اكتشاف ما يكمن في لغتنا من إمكانات معطلة، لأمكننا أن نكون إضافة جديدة ومهمة للعالم، الذي لا يعترف إلا بالأقوياء، ولا ينظر إلى المسخ المشوه الذي لا يمثل إلا صورة باهتة ضعيفة، وإنما ينجذب نحو الأصل القوي الذي يبهر الأبصار، يظهر فيه إبداع الصانع النابع من ذاته، وفهمه للهدف الذي من أجله صنع ما صنع.

ولا يمكن للعربية الفصحى أن تكون انعكاساً لصورة اللغات الأخرى؛ لاختلافها واقعاً وخصوصية. وستظل لغة القرآن الفصحى من أقوى روابط العروبة الأصيلة، وأبرز معالم الهوية العربية والإسلامية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها..

فهرس المراجع

- 1- الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، محمد محمد حسين، دار النهضة العربية للطباعة (القاهرة- مصر)، الطبعة: الثالثة (1972م).
- 2- أسرار اللغة، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية (القاهرة - مصر)، الطبعة: السادسة (1978م).
- 3- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية (د.ت).
- 4- تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين (بيروت- لبنان)، الطبعة: الرابعة (1407هـ - 1987م).
- 5- التخلف الاجتماعي (مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور)، د. مصطفى حجازي، المركز الثقافي العربي (الدار البيضاء - المغرب)، الطبعة: التاسعة، (2005م).
- 6- الترجمة والتعريب بين العصرين العباسي والمملوكي، د. سمير الدروبي، منشورات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات، ط 01، 2007م.
- 7- الترجمة وفعل الثقافة، زرماس.
- 8- ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر (بيروت- لبنان)، الطبعة: الثانية (1408هـ - 1988م).
- 9- ديوان حافظ إبراهيم.
- 10- على هامش التجديد والتقييد في اللغة العربية المعاصرة، أ. د. سليمان جبران ، إصدار: مجمع اللغة العربية، (حيفا - فلسطين)، (د.ت).
- 11- الفصحى لغة القرآن، أنور الجندي، دار الكتاب اللبناني (بيروت- لبنان)، 1982م.
- 12- فقه اللغة، د. علي عبد الواحد وإيفي، الطبعة: السابعة، دار النهضة مصر للطباعة والنشر (القاهرة- مصر)، (1972م).
- 13- القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع (بيروت - لبنان)، طبعة: الثامنة (1426هـ - 2005م).
- 14- لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الإفريقي، دار صادر (بيروت- لبنان)، الطبعة: الثالثة (1414هـ).
- 15- اللغة العربية بين حماتها وخصومها، أنور الجندي، دار الكتاب اللبناني، (بيروت- لبنان) (د.ت).

- 16- مشكلات اللغة العربية المعاصرة، مجد البرازي، مكتبة الرسالة (عمّان - الأردن)، الطبعة: الأولى، (1989م).
- 17- المصنف في الأحاديث والآثار، أبو بكر بن أبي شيبة، تحقيق: كمال الحوت، مكتبة الرشيد (الرياض - السعودية)، الطبعة: الأولى (1409هـ).
- 18- المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، منشورات مجمع اللغة العربية، (د.ت).
- 19- من حاضر اللغة العربية، سعيد الأفغاني، دار الفكر (دمشق - سورية)، الطبعة: الثانية، (1971م).
- نحو عربية ميسرة، أنيس فريحة، دار الثقافة (بيروت - لبنان)، 1973م.

الأبحاث:

- 1- دراسة بعنوان: اللغة العربية في الجزائر (التاريخ والهوية)، د. عز الدين صحراوي، (مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية - جامعة محمد خيضر (بسكرة - الجزائر) - العدد: (5) - يونيو - 2009م.
- 2- التجديد اللغوي بين الإمكان الذهني والإمكان الواقعي، د. أحمد جبار الله الزهراني - جامعة أم القرى.
- 3- حركة الترجمة في العصر العباسي تواصل مع الآخر، د. معن علي المقابلة، (الأردن)، 2009.
- 4- اللغة العربية في إيران منذ الإسلام حتى اليوم، الككفكتور، مجلة عالم الفكر، مجلد: 37، (2008م).
- 5- هدم اللغة العربية الفصحى!، د. نعمان عبدالرزاق السامرائي، مجلة الأدب الإسلامي/ المجلد: الأول/ العدد: الرابع/ ربيع الثاني (1415هـ).

المقالات:

- 1- التبعية اللغوية.. وعقدة الإحساس بالدونية، الكاتب الصحفي: إبراهيم متولي، مجلة الوعي الإسلامي (الكويت)، العدد: (570) (ديسمبر - يناير 2013م).
- 2- دعوات توحيد الفصحى والعامية، وفاء نجار، مجلة: عود الند الثقافية، السنة: السابعة، العدد: 80.
- 3- يسروا النحو للمعربين، أحمد الخطاب عمر، مجلة العربي (الكويت)، العدد: 229، (1983م).

المواقع الإلكترونية:

- 1- موقع الألوكة (www.alukah.net).
- 2- صحيفة "نوافيك" الإلكترونية (www.nwafecom.net).



تمثلات الانتماء في الثقافة الشعبية

عبدالحكيم خليل سيد أحمد

أستاذ العادات والمعتقدات والمعارف الشعبية

بالمعهد العالي للفنون الشعبية .أكاديمية الفنون

القاهرة – مصر

abdo_folk2000@yahoo.com

ملخص -

تعتبر الثقافة الشعبية أحد أركان مفهوم الانتماء الذي يولد وينمو بداخلها، من خلال تحديد طبيعة العلاقات التي تربط الأفراد بعضهم بعضاً من جانب، وعلاقتهم بالدولة من جانب آخر، بالإضافة إلى تحديد طبيعة مسؤولية الأفراد التي تفرضها هذه العلاقات. والتي باتت أكثر وضوحاً في تفكير الكثير من الأفراد ومشاعرهم وممارساتهم وطموحاتهم، قيمهم، عاداتهم، ومعتقداتهم بل وحكمتهم التي يصورون بها ماضيهم وواقعهم ومستقبلهم بمايسهم بشكل مباشر في بناء المجتمع وتقدمه.

الكلمات المفتاحية -

تمثلات . الانتماء . الثقافة . الشعبية

Portrayals Of Belonging In Popular Culture

Abstract -

Popular Culture Is One Of The Pillars Of The Concept Of Loyalty That Breeds And Grows Inside, By Selecting The Nature Of The Relationships That Bind Individuals To Each Other On One Side, And Their Relationship With The State On The Other Hand, In Addition To Determining The Nature Of Individual Responsibility Imposed By These Relationships. And Which Has Become More Distinct In Many People Thoughts And Their Feelings As Well As In Their Practices And Aspirations Of Thinking, Values, Habits, And Beliefs And Even Wisdom With Which They Portrayed The Realities Of Their Past And Their Future, What Contribtes Directly In The Construction And The Progress Of The Society.

Keywords -

Representations - Belonging- Popular - Culture

توطئة -

تعتبر الثقافة الشعبية أحد أركان مفهوم الانتماء الذي يولد وينمو بداخلها، من خلال تحديد طبيعة العلاقات التي تربط الأفراد بعضهم بعضاً من جانب، وعلاقتهم بالدولة من جانب آخر، بالإضافة إلى تحديد طبيعة مسؤولية الأفراد التي تفرضها هذه العلاقات. والتي باتت أكثر وضوحاً في تفكير الكثير من الأفراد ومشاعرهم وممارساتهم وطموحاتهم، قيمهم، عاداتهم، ومعتقداتهم بل وحكمتهم التي يصورون بها ماضيهم وواقعهم ومستقبلهم بمايسهم بشكل مباشر في بناء المجتمع وتقدمه.

ويعد تأسيس الولاء والانتماء لدى أفراد المجتمع من أهم سبل تشكيل الشخصية الوطنية، بما يبرز دور الأسرة كمؤسسة تربية في مواجهة مظاهر الخلل الثقافي التي من شأنها تشويه وإضعاف الهوية الثقافية، فالحفاظ على الهوية الثقافية . وخاصة في ظل التحولات العالمية . يستوجب غرس تنمية شعور قوي بالولاء والانتماء لدي الناشئين والشباب على حد سواء .

وتهدف هذه الدراسة إلى رصد تمثيلات⁽¹⁾ الانتماء في الثقافة الشعبية، من خلال رؤية علمية لثمتين أواصر الانتماء عند الفرد لأُمته ومجتمعه علنا نساهم من موقعنا، في تقديم إضافة تُثري البحث في فهم الأسس التي تنبني عليها ثقافة التغيير والتحويلات التي تدور في فلك الثقافة الشعبية العربية تأثيراً وتأثراً. وتنحصر أهداف هذه الدراسة في:

- أ. إبراز دور الثقافة الشعبية في تشكيل معالم الانتماء. وذلك من خلال:
 - (1) النظر إلى التراث الشعبي كرافد هويتي وأساسي في تشكل عملية الانتماء.
 - (2) الإيمان بدور التراث الشعبي كهوية متحركة تؤثر وتتأثر مع أفراد المجتمع.
 - (3) دور هذا التراث في تلقين الشباب وتعريفهم بهويتهم.
- ب. تأطير الجدل الدائر حول قضايا التراث الشعبي والانتماء.
- ج. تلمس تجليات الانتماء داخل ثقافتنا الشعبية، وبيان القيمة العملية لقيم الانتماء مثل التسامح والتعاون والتفاهم والتكافل والعمل الجماعي.
- د. العمل على تأصيل الهوية الثقافية بما يتفق مع ثقافة المجتمع، بحيث يؤدي ذلك إلى تجاوز التحديات التي تضعف تلك الهوية.
- هـ. لفت نظر المعنيين بشئون المجتمع، وتقديم مقترحات لهم؛ لبناء استراتيجية عربية تساعد في تعزيز الهوية الثقافية والحفاظ عليها.
- واعتمد الباحث المنهج (الاستقرائي) وذلك بتتبع المعلومات المتعلقة بمفهوم الانتماء ثم بتتبع آثاره في الثقافة الشعبية المتصلة بالموضوع لرصد أبرز ملامح الانتماء وتمثالاته في الثقافة الشعبية.
- وفي محاولة الباحث الرجوع إلى دراسات سابقة مرتبطة مباشرة بموضوع الدراسة الحالية، يمكن عرض أهم ما توصلت إليه الدراسات. ذات الصلة. التي حصل عليها الباحث على النحو التالي:

1 تعرف التمثيلات بأنها: "أنماط معرفية مصاغة ومتقاسمة اجتماعياً تحمل رؤية ملموسة، تطبيقية تسعى لبناء واقع أو حقيقة خاصة بمجموعة اجتماعية جد محددة".

أ. الولاء للموطن مرهون بالإشباع المادية والمعنوية لأفراده، وأنها الأطر التي يستقي منها في التنشئة الاجتماعية بما فيها من لغة، وفكرة، وفن (الثقافة)⁽²⁾.

ب. أكثر دوائر الانتماء أهمية في حياة الشباب الأسرة والأصدقاء، ثم الدين والمؤسسات الدينية (دور العبادة)، ثم الانتماء لزملاء العمل والدراسة. كما اتضح أن الانتماء لمنطقة السكن، والانتماء للمجتمع المحلي (المدينة التي يعيش فيها الشخص)، والمجتمع القومي يحتل درجة أقل من سابقتها. فمن الواضح أن مشكلة الانتماء تكمن في أن الدوائر الأولية الصغيرة كالأسرة وجماعة الأصدقاء والزملاء تحتل أهمية تفوق الدوائر المتسعة كالانتماء الوطني والقومي⁽³⁾.

ج. وجود ارتباط دال بين الشعور بالانتماء وأبعاد الاتجاه نحو التغيرات المجتمعية وهي على الترتيب: البطالة . الخصخصة . الرشوة . الانقلاب الطبقي. كما يوجد ارتباط سالب دال إحصائياً بين الشعور بالانتماء وكل من البطالة والخصخصة والرشوة والانقلاب الطبقي كأبعاد للتغيرات المجتمعية التي ظهرت وتفاقمت مع بداية مرحلة الانفتاح (1975م) وما نتج عنها من تأثير سلبي على منظومة القيم الأصيلة للمجتمع المصري⁽⁴⁾.

د. زيادة الانتماء للجماعة (تعزيزه) تؤدي إلى زيادة قدرة الأعضاء على تحدي الإعاقة، متمثلاً في: تأكيد الذات، وزيادة القدرة على العمل واكتساب

2 <http://www.islamonline.net/arabic/adam/2001/10/article15.shtm>.

3 هاني عياد (تحرير)، الإنسان المصري وتحديات المستقبل، الهيئة القبطية للخدمات الاجتماعية، القاهرة، 2007م، ص37.

4 السيد محمد عبد العال، دراسة أثر بعض التغيرات المجتمعية على الشعور بالانتماء لدى الشباب الجامعي، 1998م.

مهاراته، وزيادة القدرة على الاندماج في المجتمع، وزيادة الإيمان بالقضاء والقدر⁽⁵⁾.

هـ هناك فروقاً ذات دلالة إحصائية بين الذكور والإناث على بعد الانتماء للوطن وكانت الفروق لصالح الإناث⁽⁶⁾.

و. ضعف الانتماء عند بعض البدو للمجتمع المصري⁽⁷⁾.

ويتضح من نتائج الدراسات السابقة الآتي:

أ. ندرة الدراسات العربية حول الانتماء وعلاقته بالثقافة الشعبية.

ب. تباين الدراسات في الموضوعات التي تناولتها حول الانتماء.

ج. أغلب الدراسات اهتمت بالشباب وبخاصة طلبة المدارس والجامعات وهذا ما التقت معه الدراسة الحالية.

أولاً: الانتماء Belongingness :

1. مفهوم الانتماء:

الانتماء لغة: مأخوذ من النماء أي الزيادة والارتفاع والعلو. ويقال نميته إلى أبيه أي نسبته إليه. ويقال أنماه إلى جده أي رفعه إليه⁽⁸⁾.

5 محمد رفعت قاسم وبدر الدين كمال، تعزيز الانتماء للجماعة وعلاقته بزيادة قدرة ذوي الاحتياجات الخاصة

على تحدي الإعاقة، جمعية أولياء أمور المعاقين والجمعية الخليجية للأعاقة، مؤتمر الإعاقة والخدمات ذات العلاقة، 2018 مارس 2008م، ص23.

6 عثمان بن صالح العامر، أثر الانفتاح الثقافي على مفهوم المواطنة لدى الشباب لسعودي، اللقاء السنوي

الثالث عشر لقادة العمل التربوي، الباحة، السعودية، 2005م.

7 حامد المهادي، "مشاركة الشباب وسيلة للحد من التطرف والعنف: دراسة استطلاعية في مدينة الطور.

محافظة جنوب سيناء"، رابطة المرأة العربية بالقاهرة، 2007م.

8 أحمد بن محمد بن علي الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، القاهرة، وزارة الأوقاف المصرية، 1921م. الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ص1727؛ ابن منظور، لسان

والانتماء اصطلاحاً: هو الانتساب الحقيقي للدين والوطن فكراً وتجسده الجوارح عملاً والرغبة في تقمص عضوية ما لمحبة الفرد لذلك والاعتزاز بالانضمام لهذا الشيء، ويكون الانتماء للدين بالالتزام بتعاليمه والشبات على منهجه، أما بالنسبة للوطن الذي يعني الشعب والأرض فيجسد بالتضحية من أجلها، تضحية نابعة من شعوره بحب الوطن وشعبه⁽⁹⁾.

وورد في معجم العلوم الاجتماعية أن الانتماء هو: "ارتباط الفرد بجماعة؛ حيث يرغب الفرد في الانتماء إلى جماعة قوية يتقمص شخصيتها ويوحد نفسه بها مثل الأسرة أو النادي أو الشركة"⁽¹⁰⁾.

والانتماء بمفهومه البسيط يعني الارتباط والانسجام والإيمان مع المنتمي إليه وبه، وعندما يفقد الانتماء لذلك فهذا يعني أن به خللاً ومع هذا الخلل تسقط صفة الانتماء. وهو قيمة مجتمعية راسخة في الوجدان الجمعي للمواطنين تتجسد في السلوك اليومي (وهو العادات) ويؤمن بوجوده (وهو المعتقد).

والانتماء شأنه شأن أي مبحث في العلوم الاجتماعية . يرتبط بعدد من المفاهيم، مثل: (الولاء . الهوية . المواطنة) كمقومات وركائز للانتماء والاغتراب كقابل سلبي له. ومن ثم سوف يتم تناول هذه المفاهيم على النحو التالي:

العرب، ط1، ج15، بيروت، دارصادر للطبع والنشر، 2000م، ج15، ص342. المعجم الوجيز مادة (نما).

9 هذان التعريفان مأخوذان من: عمر سليمان بدران، هكذا يكون الانتماء، (د.ن)، (د.م)، ط1، (د.ت)، ص15.

. قاسم محمد الدروع و عبدالله راشد العرفان، نحو تربية وطنية هادفة، (د.ن)، (د.م)، (د.ط)، 1999م، ص32. إبراهيم عبد الله ناصر، المواطنة، ط1، عمان، مكتبة الرائد، 2003م، ص23.

10 أحمد ذكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت، 1978م، ص16.

أ. الولاء Loyalty :

الولاء لغة: هو من الولي أى القرب والدنو، ويقال: بينهما ولاء أي: قرابة، والوليُّ: ضد العدو وهو المحب والصديق والنصير، ووالى فلان فلاناً إذا أحبه، والولاء: ضد الملك، والولاية والولاية: النصرة⁽¹¹⁾. واصطلاحاً: يشترك مع المعنى اللغوي بأن كليهما يعني القرب والحب والنصرة والصداقة.

ويمكن تعريف الولاء بمفهومه العام بأنه مشاعر الفرد وأحاسيسه الإيجابية بالمحبة والنصرة تجاه موضوع معين⁽¹²⁾. أما الولاء بمفهومه الخاص وهو الولاء للوطن: فهو المشاعر والأحاسيس الإيجابية بالمحبة والنصرة تجاه الوطن. ومن أنواعه: الولاء "الأسري . البيئي . الوطني . السياسي" . الولاء للمكان . الولاء لشعب الوطن . الولاء العالمي.

وتأسيساً على ما تقدم، تظهر العلاقة بين المفهومين الولاء يتضمن الانتماء؛ لأن الفرد لن يحب وطنه وينصره إلا إذا انتسب إليه، أما الانتماء فليس بالضرورة أن يتضمن الولاء، لأن الفرد قد ينتمي إلى وطن، ولكنه لا يمنحه الحب والنصرة والعطاء⁽¹³⁾. والانتماء يوجد بوجود الفرد، أما الولاء فيكتسبه الفرد من مدرسته

11 أنظر: الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ص1732؛ ابن منظور، لسان العرب، ج15، ص407، 411.409.

12 محمود قطام السرحان، الولاء والانتماء لدى الشباب الأردني وأثره في بناء الشخصية، مطبعة التوفيق، عمان،

(د.ط)، 2003م، ص41؛ وانظر: جلييلة صياحات العليمات، الانتماء والولاء، (د.ن)، (د.م)، ط1، 1995م، ص34.33؛ ناصر، المواطنة، ص229.

13 السرحان، الولاء والانتماء، مرجع سابق، ص41.40، فهد ابراهيم الحبيب، الاتجاهات المعاصرة في تربية

المواطنة، مجلة المعرفة، العدد (120)، ربيع الأول، 1426هـ. ابريل 2005م، ص29.

وبيئته ومجتمعه، إذا الانتماء أولاً ثم يأتي الولاء⁽¹⁴⁾. كما أن الولاء يظهر صدق الانتماء⁽¹⁵⁾، أي أن الولاء وسيلة للتعبير عن الانتماء.

ويمكن أن نوضح العلاقة بين الولاء والانتماء في النقاط التالية:

(1) كل منهما يدفع الفرد إلى التضحية بنفسه في سبيل الحفاظ على وطنه ورفعته.

(2) يترتب عليهما تضامن اجتماعي بين مواطني الدولة.

(3) يؤديان إلى توجيه العمل نحو المصلحة العامة.

(4) من المقومات الأساسية للوطنية.

(5) يستمدان مقوماتهما من عناصر راسخة في الهوية الثقافية.

(6) قاعدتهما الراسخة قوة الاعتقاد ووسطية في السلوك.

(7) اللغة والدين والتاريخ فيهما سمات مشكلة للهوية.

ب. الهوية identity:

الهوية عرفها البعض بأنها: "مجموعة من السمات الثقافية التي تتصف بها جماعة من الناس في فترة زمنية معينة، والتي تولد الإحساس لدى الأفراد بالانتماء لشعب معين، والارتباط بوطن معين، والتعبير عن مشاعر الاعتزاز والفخر بالشعب الذي ينتمي إليه هؤلاء الأفراد".

وهذا التعريف يوضح العلاقة بين الانتماء وبين الهوية، حيث أن كلاهما يؤثر في الآخر ويتأثر به، فالإنسان عندما يعرف أن هويته ترتبط بهوية المجتمع الذي يوجد فيه، فإن هذا يجعله يتمسك ويرتبط بمجتمعه. كما يشتركان في خصائص عامة تنبع من المكونات الأساسية والأولية للثقافة، أي

14 أنظر: جليلة صياحات العليمات، الانتماء والولاء، (د.ن)، (د.م)، ط1، 1995م، ص87؛ فهد ابراهيم

الحبيب، الاتجاهات المعاصرة في تربية المواطنة، مجلة المعرفة، العدد (120)، ربيع الأول، 1426هـ. ابريل 2005م، ص29.

15 فهد ابراهيم الحبيب، الاتجاهات المعاصرة في تربية المواطنة، المرجع السابق، ص29.

اللغة والأعراف والعادات الاجتماعية وأساليب ممارسة الحيلة اليومية ونسج علاقاتهم بالكون وبالأخرين⁽¹⁶⁾.

وانطلاقاً من أن الشعور بالهوية ينشأ من خلال الانتماء، وأن الانتماء يدعم الهوية ويقويها. فمن الضروري الإشارة إلى مدى العلاقة التبادلية بينهما فالهوية باعتبارها وليدة الانتماء، وهي الوجه الإيجابي الذي يؤكد وجوده والانتماء يؤدي إلى الهوية، مما يحتم ضرورة الوعي بالهوية على أنها سبب للانتماء ونتيجة له في آن واحد.

ج. المواطنة Citizenship :

المواطنة في اللغة العربية تعني الانتماء إلى الوطن، وهو المنزل الذي يقيم فيه الإنسان، والجمع أوطان، ويقال وطن بالمكان وأوطن به أي أقام، وأوطنه اتخذته وطناً، وأوطن فلان أرض كذا أي اتخذها محلاً ومسكناً يقيم فيه⁽¹⁷⁾.

والمواطنة اصطلاحاً: مكانة أو علاقة اجتماعية تقوم بين فرد طبيعي ومجتمع سياسي (دولة) ومن خلال هذه العلاقة يقدم الطرف الأول الولاء، ويتولى الطرف الآخر الحماية، وتتحد هذه العلاقة بين الفرد والدولة عن طريق القانون⁽¹⁸⁾.

ويعرف الباحث المواطنة بأنها علاقة انتماء بين الفرد والأخرين الذين يشاركونه العيش على أرض محددة (كيان سياسي) يتبنى الاختيار الديمقراطي الذي يضمن للجميع الحقوق والواجبات والمشاركة في تقرير المصير المشترك.

ويرتبط بمفهوم المواطنة مفهوم آخر، يمثل الجانب الأدائي الممارسي للمواطنة وهو مفهوم "الوطنية". وهي: "تعبير قويم يعني حب الفرد وإخلاصه

16 سامي خشبة، مصطلحات الفكر الحديث، ج2، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب، 2006م، ص366.

17 ابن منظور، لسان العرب، مرجع سبق ذكره.

18 عاطف محمد غيث، قاموس علم الاجتماع، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1995م، ص56.

لوطنه الذي يشمل الانتماء إلى الأرض والناس والعادات والتقاليد والفخر بالتاريخ والتفاني في خدمة الوطن⁽¹⁹⁾.

2. أنواع الانتماء:

للانتماء أنواع متعددة وقد يأخذ صوراً مختلفة، منها:

أ. الانتماء الديني:

ويقصد به الانتماء الذي يكون مبنياً على أساس العقيدة الواحدة، كالمسلمين والمسيحيين، ويشملهم الانتماء جميعاً سواء كانوا داخل دولتهم أم خارجها، وتسمى بالأخوة الدينية التي لاتفرق بينهم مهما اختلفت بلدانهم وجنسياتهم ولغاتهم.

ب. الانتماء للوطن:

وهو من لوازم المواطنة؛ والانتماء هو شعور داخلي يجعل المواطن يعمل بحماس وإخلاص للارتقاء بوطنه وللدفاع عنه. ومن مقتضيات الانتماء أن يفتخر الفرد بالوطن والدفاع عنه والحرص على سلامته وكل رمزياته نشيداً وعلماً ولغة وأعرافاً إلى درجة التضحية في سبيله.

ج. الانتماء الاجتماعي:

الشعور بالانتماء للمجتمع من أهم دعائم المجتمع، والتي تحافظ على استقراره ونموه وهو يشير إلى مدى شعور أفراد المجتمع بالانتماء إلى مجتمعهم ويمكن أن نستدل على ذلك من خلال (المشاركة الإيجابية في أنشطة المجتمع، الدفاع عن مصالح المجتمع، الشعور بالفخر والاعتزاز بالانتماء للمجتمع، المحافظة على ممتلكات المجتمع، وكل هذه المؤشرات يمكن أن تقاس ويستدل عليها بالمجتمع. فأساس الانتماء هو مشاركة سكان المجتمع وحث الآخرين على التعاون معهم لمواجهة المشكلات ووضع البرامج المناسبة لمواجهتها⁽²⁰⁾.

19 الموسوعة العربية العالمية، الرياض، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، 1996م، ص110.

20 يقابل مفهوم الانتماء الاجتماعي على الضد مفهوم الاغتراب الذي يعني: الابتعاد النفسي للفرد عن ذاته وعن

د الانتماء السياسي:

في السياسة يأخذ الانتماء إلى التنظيمات السياسية بتجلياتها (الأحزاب) الشكل الأوضح وفي حالة أرقى إلى القيادات الأوسع منها القومي ومنها الديني ومنها الرأسمالي والاشتراكي وتعدد أيضاً المسميات والتقسيمات بتفرعاتها⁽²¹⁾.

هـ الانتماء القانوني:

والذي يسهم في تنظيم العلاقة بين الحكام والمحكومين استناداً إلى العقد الاجتماعي الذي تقوم عليه العلاقة بينهما للموازنة بين مصالح الفرد ومتطلبات المجتمع.

و. الانتماء الاقتصادي:

والذي يستهدف إشباع الحاجات المادية الأساسية للبشر وتوفير الحد الأدنى اللازم منها لحفظ كرامتهم وإنسانيتهم.

ز. الانتماء الثقافي والحضاري:

ويهتم بالجوانب الروحية والنفسية والمعنوية للأفراد والجماعات على أساس احترام خصوصية الهوية الثقافية ويرفض محاولات الاستيعاب والتهميش والتغريب⁽²²⁾.

جماعته. بما يفقد الفرد انتماءه لجماعته من جانب ويواجه برفض الجماعة الأخرى له من جانب آخر لاختلاف عاداته وقيمه ونمط شخصيته وخبراته مما يسبب غربته من ناحية وعدم انتمائه لمجتمعه من ناحية أخرى.

21 الانتماء السياسي يقابله المواطنة أو الجنسية: وهو عبارة عن صهر المجتمع المدني في أمة واحدة على الرغم

من التنوع الثقافي والعقدي، والعنقي، وهو الأمر الذي يجعل كافة المواطنين يتمتعون بنفس الحقوق والمميزات ويخضعون لكافة الواجبات والمسؤوليات التي يفرضها عليهم انتمائهم السياسي.

22 محمد شخمان، مفهوم المواطنة، 2010م،

<http://www.almichaal.org/spip.php?article289>

ح. الانتماء الإنساني:

في مجرى الحياة يعبر عن الانتماءات الإنسانية بالسلوك وبالممارسة، فالحب انتماء، وممارسة السلوك والأخلاق العامة انتماء، وخرق المألوف الاجتماعي انتماء.. الخ⁽²³⁾. فالانتماء هو شعور لدى كل فرد يشعر من خلاله أنه جزء من المجتمع الذي يعيش فيه ويفتخر بارتباطه بمجتمعه، حيث تربطه بأهله أو أصر كثيرة.

3 وظائف الانتماء:

ويؤدي الانتماء وظائف هامة في المجتمع منها:

- أ. أنه بمثابة ضمير داخلي يوجه الفرد ويرشده إلى ما فيه صالح وطنه.
- ب. يعمل على حماية المجتمع من عوامل الفساد والانحراف، والظواهر السلبية كالفساد والتجسس، وعمليات التخريب والإرهاب وغيرها التي تظهر في غيابهما⁽²⁴⁾.

ج. يؤدي إلى التعاطف الوجداني بين أفراد الوطن والميل إلى المحبة والعطاء والإيثار، مما يحقق الوحدة الوطنية، وينمي لدى الفرد تقديره لذاته وإدراكه لمكانته ومكانة وطنه⁽²⁵⁾.

ثانياً: الانتماء ثقافة وممارسة:

يرتبط الانتماء ارتباطاً وثيقاً بثقافة المجتمع المراد الانتماء إليه وعاداته وتقاليده والوعي بجملة من التصورات والمعتقدات والرؤى التي تعين الإنسان على هذا الانتماء وتحدد سلوكه في ضوء دلالات ذاتية اجتماعية. مثل القيم

23 http://furat.alwehda.gov.sy/_archive.asp?

24 محمود قطام السرحان، الولاء والانتماء، مرجع سبق ذكره، ص47.

25 أنظر: شاكر عبد الحميد وآخرون، علم النفس العام، دار أتول، القاهرة، ط1، 1989م، ص453-454.

محمد فرغلي فراج و عبد الستار ابراهيم، السلوك الإنساني، دار الكتب الجامعية، القاهرة، ط1، 1974م، ص138.

والاتجاهات والمعتقدات والتوجهات والافتراضات الأساسية التي تشكل ركائز لما هو سائد بين الأفراد داخل المجتمع.

كما تتأثر مظاهر الانتماء بما هو سائد في المجتمع فكراً وممارسة بما يبث من أفكار حول الديمقراطية والحرية وعدم التمييز وحب الوطن وحقوق المواطنة.. وغيرها من قيم تدعم من ثقافة الانتماء والمواطنة ويعززهما لدى أفراد المجتمع المصري على وجه الخصوص.

لذا يمكن القول بوجود علاقة تكاملية بين الثقافة والممارسة. فالثقافة تفرز الممارسة؛ أو قل إن الممارسة تُعد وسيلة الفرد لترجمة ثقافته الشخصية، والتعبير عنها، في سلوكه تجاه الآخرين. أشخاص حقيقيين أو اعتباريين.. ومن ناحية أخرى تشترك الثقافة والممارسة في أنهما تتشكلان لدى الفرد من مصادر متعددة داخل المجتمع ينهل منها. ويمكن أن تتغير بما يطرأ على هذه المصادر من تغير كمي أو نوعي.

وتتمثل ثقافة أفراد المجتمع المعبرة عن انتمائهم لهذا المجتمع وولائهم له من خلال الممارسات السلوكية لأفراد المجتمع بما يحدث قدر من التجانس في تصرفاتهم ويقوي الروابط بينهم، إضافة إلى أن الأعراف التي يشترك فيها أبناء الشعب، من أفكار وآراء ومعتقدات نشأت عبر تاريخهم المشترك، وهذا ما ينعكس على أعمالهم وسلوكهم، ويخضع الأفراد لها في فكرهم وعقائدهم، فهي تمثل دستوراً. غير مكتوب. لهم؛ له قوة التوحيد عندهم، يساهم في تمسكهم به، وبالتالي سيساعد على تحقيق الوحدة الوطنية في المجتمع ويدعم من انتمائهم وولائهم للمجتمع، أيضاً التقاليد بما تمثله من قواعد السلوك الخاصة، عندما يشترك فيها أفراد المجتمع، فإنها تساعد على حل الصراعات والنزاعات فيه، وهذا يؤدي إلى زيادة قوة الوحدة الوطنية أيضاً⁽²⁶⁾.

26 إبراهيم محمد أحمد بلولة، الوحدة الوطنية والقيم الروحية، العدد (20) شعبان 1431هـ/يوليو 2010م.

وتتطلب سلوكيات الانتماء المكتسبة عملية تنشئة وتربية على الانتماء وحب الوطن لتصبح بذلك جزءاً لا يتجزأ من ثقافته الشعبية المكتسبة. وتذكر العادات والمعتقدات الشعبية بالرموز الموروثة الداعمة لثقافة الانتماء في الوعي الشعبي، مثل بعض العادات التي انطبع وقع حوافرها بقوة في الذاكرة الشعبية للمجتمعات العربية ومنها المجتمع المصري، كعادة تلقين الميت، وسعف النخيل، وليلة الخامس عشر، والأربعين. وهي من العادات والتقاليد والأعراف والأفكار التي تعبر عن وجدانها في شتى عصورها ومعتقداتها في الحياة. والتي من خلالها يمكن التأكيد على الهوية الثقافية للمجتمع المصري بوجه خاص، وفتح آفاق المشاركة في الحياة الثقافية مع المجتمعات الداعمة لمنظومات قيم مشابهة لنا قصد دعم التفاهم والاعتبار والاحترام بين الأفراد والأوطان.

ثالثاً: قيم الانتماء في الثقافة الشعبية:

تقدم الثقافة الشعبية . بوصفها المعين الذي لا ينضب من القيم الاجتماعية والروحية . قيماً هامة للجماعة الشعبية داعمة لثقافة الانتماء والولاء إبداعاً وممارسة على السواء؛ تخلق مناخاً إيجابياً للعلاقات الاجتماعية كافة، من اللغة والعادات والتقاليد والمعتقدات والأعراف الشعبية والأنظمة والقوانين الوضعية وغيرها. تمثل في مجملها ضرورة حياتية بالنسبة للمجتمع البشري بشكل عام ولأفراده بشكل خاص، بهدف الحفاظ على المجتمع وتغييره إلى الأفضل. ودفعه إلى الاستمرار من خلال تراثه وقيمه.

ونظراً لأن القيم هي الأساس الجوهرى الذي تتمايز به الثقافات في تحديد نمط السلوك نحو الغايات، فإن سلم القيم Value system في مجتمع ما يعد ركيزة أساسية في تحديد هويته الثقافية. الأمر الذي يشير من زاوية أخرى إلى أن دعم ثوابت المنظومة القيمية في مجتمع ما هو تجسيد لعوامل "القيمة،

والقوة" في شخصية هذا المجتمع لتحديد إطارات الحركة نحو غايات متجددة⁽²⁷⁾.

والقيم الاجتماعية يفسرها "علم الاجتماع": "بأنها مجموعة الضوابط الأخلاقية التي ترتضيها كل مجموعة بشرية، لترتيب مناشطها الحياتية والاعتقادية والسلوكية بالصورة التي تميز كل مجموعة من تلك المجموعات عن غيرها، طبقاً لما تواضعت عليه كل مجموعة من الالتزام بأعراف وقيم خاصة"⁽²⁸⁾.

أما مفهوم القيم في الثقافة الشعبية فهي عبارة عن: ضوابط ومعايير معترف بها ومقبولة تقوم بها تصورات الفرد وتصرفاته، تعمل على توجيه سلوك الأفراد داخل الكيان الاجتماعي الذي يعيش بداخله وتصير ضمن نسيج شخصياتهم، وتستند إلى أسس مرجعية أصيلة، وهي: القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وتراث المجتمع الثقافي.

ومن أهم خصائص هذه القيم النابعة من تراث المجتمع وثقافته الحياتية:

1. الثبات: ومعناها أن القيم ثابتة لا تتغير بتغير الزمان والمكان وتبدل الظروف والأحوال ولكن قد تتغير وسائل تحقيقها.

2. الاستمرارية: ومعناها أن الإنسان مطالب بتحري هذه القيم والتزامها في مختلف مناحي الحياة.

3. الشمولية: ومعناها أن هذه القيم توجه سلوك الإنسان في مختلف مجالات الحياة حيث تشمل علاقته بربه وبنفسه وأسرته وجيرانه وبالناس أجمعين، وبالبيئة المحيطة به.

27 عبد الودود مكرم، المضامين القيمية في ثقافة التغيير، المؤتمر السنوي السادس عن "استراتيجيات الإصلاح ومنظومة القيم"، 15، 16 من مارس 2008م.

28 مهدي ساتي، الإسلام والقيم الاجتماعية للجماعات الأرواحية في إفريقيا جنوب الصحراء، كلية الآداب، إفريقيا العالمية.

4. **الخصوصية:** بما يملكه كل مجتمع أو فرد على السواء من إطار قيمي يتكون نتيجة للتفاعل الاجتماعي بين الأفراد، وكذلك نتيجة لتجارب المجتمع في الماضي والحاضر، ويتمشى مع ما يتصوره المجتمع والفرد لنفسه في المستقبل.

وتؤدي القيم وظائف هامة في الثقافة الشعبية، فهي:

1. ترسم وجهة السلوك وتحدد إمكانات التفاعل فهي مكمّن قوة وشدة السلوك السوي.

2. تطبع الإنسان على عناصر الحضارة فالحضارة لا تنطلق إلا وتحددها مجموعة من القيم وهي أسلوب حياة.

3. تساعد المجتمع بأفراده وجماعاته على التمسك بمبادئه الثابتة والمستقرة.

4. تساعد على مواجهة المتغيرات.

5. تعمل على إعطاء النظم الاجتماعية أساساً عقلياً يصبح عقيدة في ذهن أعضاء المجتمع المنتمين إليه.

6. تقي المجتمع من الأناية المفرطة، ومن النزعات والشهوات الطائشة، وتزوده بالصيغة التي يتعامل بها مع العالم.

7. تحدد له أهداف ومبررات وجوده، ومن ثم يسلك في ضوءها مسالك حياته.

8. تعمل على إصلاح الفرد نفسياً وخلقياً، وضبط شهواته ومطامعه، كي لا تتغلب على عقله ووجدانه⁽²⁹⁾.

وتتجسد قيم الانتماء في الثقافة الشعبية في الأهمية التي ينطوي عليها العيش المشترك من قبل الفرد والجماعة (قبيلة، طبقة، شعب،... إلخ). ذات أهداف مشتركة تحظى بشعبية واسعة وتداول كثيف، بما لديهم من وعي وإدراك إلى تأثيرها في حياتهم العامة والخاصة على السواء، بما لها من قدرة على التغلب

29 محمد عبد العليم مرسى: في الأصول الإسلامية للتربية، ج1، الإسكندرية، المكتبة الجامعية، 2000م، ص 113. 114.

على مرارة صعوبات الحياة التي تعترض سبيلهم من قبل عناصر تعيش في قلب المجتمع، يمكن من خلالها الكشف عن المعاني السامية لقيم الانتماء والولاء داخل الوطن الواحد.

على أية حال؛ بإمكاننا . في هذا السياق . أن نعرض لبعض هذه القيم الداعمة لمفهوم الانتماء والتي تستند إلى مكونات ثقافته الشعبية التي تعتمد على ما هو شفاهي، وعلى التعبير الرمزي، في مواجهة التحديات الكبرى، والمشكلات اليومية... الخ، على النحو التالي:

1. اللغة:

لا يمكن بلورة ثقافة الانتماء المعبرة عن الوطنية وحب الوطن المنشود إلا إذا كانت بلغتنا الوطنية . اللغة العربية .. التي تعبر عن الفكر والوجدان والثقافة المشكلة لهوية المجتمع.

واللغة هي القيمة الأولى والمعبر الأول عن الثقافة الشعبية أو المجتمعية أو وبتعبير أعم الحضارة. فاللغة ليست أداة تقنية للتخاطب فقط، وإنما هي، وبالأساس، الوعاء الحضاري للأمم، تحمل العادات والتقاليد والمعارف وأنماط الحياة والتجارب التاريخية المعاشة.

وتقوم اللغة بدور مهم في تحقيق الانتماء والولاء والوحدة الوطنية بين أفراد الشعب، لأنها تقاربهم في الفكر وتجعلهم يتماثلون ويتعاطفون أكثر من سواهم ممن يتكلم لغات أخرى وتصبح هذه اللغة سمة مميزة لهم من خلال جعلهم متماثلي التفكير والشعور بالانتماء داخل جماعة واحدة لأن اللغة هي واسطة التفاهم ووسيلة التفكير ونقل الأفكار والمكتسبات من جيل سابق إلى جيل لاحق، وهي العامل الأول في تنمية وتقوية الروابط العاطفية والفكرية بين الفرد والجماعة، فهي تزيد مجالات النشاط الاجتماعي والثقافي والاقتصادي، وبذلك تساهم في فعالية الوحدة الوطنية⁽³⁰⁾.

30 إبراهيم محمد أحمد بلولة، الوحدة الوطنية والقيم الروحية، مرجع سبق ذكره.

وتتمثل اللغة في الثقافة الشعبية . غالباً . في التعبير الشفاهي (غير المكتوب)، ممثلاً في أجناس مختلفة من الفنون، ومن التعبير الحركي الذي يتخذ الجسد مادة له في المقام الأول. وفي الغناء والأمثال والسير الشعبية، والنحت والفض التشكيلي، وفي العمارة والنقش على الخشب أو المعادن والجبس والرخام... إلخ. وفي الوشم ("النقش" على الجسد)، وفي التطريز والحياسة وسوى ذلك، نصوص من التعبير الثقافي لا تقل قيمته عن النصوص المكتوبة في مضممار التعبير عن نوازع الذات وحاجاتها الجمالية، وعن نوع تفاعلها مع العالم المحيط، بل نستطيع أن نرصد التجليات المختلفة لهذا التعبير الثقافي حتى في المأكل، والملبس، وطقوس العبادة، ومراسيم الاحتفالات والأعياد والمواسم والمآتم وغيرها، فيما يسمى بمنظومة العادات والتقاليد والمعتقدات. إنها جميعاً أشكال مختلفة من الإفصاح عن الذات وعن الوجدان الفردي والجمعي، وعلى صفحاتها، تمكن قراءة المجتمع الذي تعبر عنه، وبنيته العقلية . بتعبير كلود ليفي شتراوس . وشخصيته الحضارية. ففيها يخرج ما بداخل مستودع الذاكرة من معطيات قابلة للتحليل الاجتماعي⁽³¹⁾.

تلك اللغة القادرة على أداء مهمة التوعية والتثقيف، وكذلك قدرتها على بناء وعي تاريخي بتراكمه الرمزي؛ لأفراد الجماعة الشعبية، بما يجعلها قادرة على المحافظة على قدر كبير من الهوية الثقافية المعبرة عن الشخصية المصرية بقدر ما تدعم أواصر الانتماء لدى أفراد الجماعة الشعبية نتيجة البني التقليدية لكيان الجماعة الشعبية.

2. الأخوة والتآخي؛

وهي من أهم القيم الاجتماعية التي تجعل المجتمع متماسكاً قوياً فالوحدة المتماسكة بين المسلمين غاية وهدف إسلامي، حتى أن القرآن الكريم اعتبرها أمراً بديهاً وتلقائياً بين الصادقين في الإيمان.

31 محمد حسن عبدالحافظ، الثقافة الشعبية والمجتمع المدني؛ نحو مدخل فولكلوري

للتنمية، الحوار المتمدن،

العدد (1147)، 2005/3/25م، موقع الحوار المتمدن.

حيث قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ (32) (33).

والأخوة والمؤاخاة في الوطن هو نوع آخر من أنواع الأخوة المعبرة عن الانتماء لوطن واحد، تجمع ولا تفرق بين أبناء الوطن على اختلاف مللهم وعقائدهم وانتماءاتهم الحياتية.

3 التسامح والتعايش مع الآخر:

التسامح هو التغاضي عن هفوات الآخرين وإيجاد الأعذار لهم. وهو يؤدي إلى تماسك واستقرار المجتمع. وهو قيمة ناجمة عن الاعتراف بكرامة الإنسان وحريته في أن يكون مختلفاً عن الآخرين، أن يؤمن ويتصرف كما يحلو له. والتسامح يعني الاستعداد لتقبل المختلف واحترام البشر المختلفين من حيث المظهر، لون البشرة، الجنس، الديانة والمعتقدات (34).

والتسامح يعتبر مبدأ هاماً في الديمقراطية؛ فبفضله ينال الفرد والجماعة الحقوق في الدولة مثل: حرية التعبير عن الآراء المختلفة، حرية انتظام كل مجموعة، الاختلاف والمساواة بين الأفراد. كما أنه يتيح المنافسة الحرة والانفتاح أمام الآراء المختلفة، حتى وإن كانت غير مقبولة. وهكذا تنشأ سوق حرة من الآراء.

ولا يتحقق التسامح وقبول الآخر، إلا بالحوار والتواصل، والمشاركة الحقيقية في اتخاذ القرار، لأن إقامة حوار بناء، وخلق فضاء للنقد والفكر المستقل يسود المجتمع حالة من الاستقرار والسلام والتعايش مهما اختلفت أعراق ومعتقدات أبنائه.

وتعد أهم قيم التسامح الديني:

أ. أنه ضرورة وجودية:

32 سورة الحجرات، الآية (١٠).

33 منصور الرفاعي عبيد، إسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي، القيم والأخلاق (دليل المعلم)، 2003. 2004م، ص 26: 36.

34 وقاد أجاد فولتير التعبير عندما قال: "أنا لا أوافقك الرأي، لكنني أدافع حتى آخر رفق عن حقك في قول رأيك".

فالإنسان ابن بيئته، فهي التي تُنشئه وتُكونه وتُلوّنه، وهي التي توفر له ما تملك مما يفي بحاجاته الأساسية، كما أنها هي التي تُكيّفه مع ما تقدّس من شعائر وتطبعه بما تقدر من عادات، وهي التي تُأقلمه بشكل يجعل ما هو من متعلقات ذاتيته يتناسق مع روحها العامة وينسجم مع ما لديها من غاية مشتركة.

وهكذا نلاحظ اختلاف الناس وتنوعهم في الطبائع والأمزجة والمواهب والميول والمؤهلات والطموحات. إنه تنوع في أنماط الممارسات الاعتقادية وتباين في التمثيلات الطقوسية وتغاير في التجليات السلوكية وتمايز في المنطلقات الفكرية. بما يجعلهم أشد احتياجاً لتسامحهم وتعايشهم مع بعضهم رغم اختلافهم، كون هذا التسامح ضرورياً ضرورة الوجود نفسه.

ب. أنه يقتضي الاحترام المتبادل:

مما تقدّم، نتبيّن أن قيمة التسامح الديني تتمثل في كونه يُقرّ الاختلاف ويقبل التنوع ويعترف بالتغاير ويحترم ما يميز الأفراد من معطيات نفسية ووجدانية وعقلية ومخيال، ويقدر ما يختص به كل شعب من مكونات ثقافية امتزج فيها قديم ماضيه بجديد حاضره ورؤية مستقبله، هي سبب وجوده وسرّ بقاءه وعنوان هويته ومبعث اعتزازه.

ج. أنه يقتضي المساواة في الحقوق:

فمن الواضح أن قيمة التسامح الديني تتمثل في كونه يقتضي التسليم المطلق. اعتقاداً وسلوكاً وممارسة. بأنه إذا كان لهؤلاء وجود فلاولئك وجود، وإذا كان لهؤلاء دين له حرّمته فلاولئك دين له الحرمة نفسها، وإذا كان لهؤلاء خصوصية ثقافية لا ترضى الانتهاك فلاولئك خصوصية ثقافية لا تقبل المسّ أبداً.

د. أنه إرهاب لإقامة مجتمع مدني:

من الجلي أن التسامح الديني يُعدّ أرضية أساسية لبناء المجتمع المدني وإرساء قواعده، فالتعددية والديموقراطية وحرية المعتقد وقبول الاختلاف في الرأي والفكر وثقافة الإنسان وتقدير المواثيق الوطنية واحترام سيادة القانون،

خيارات استراتيجية وقيم إنسانية ناجزة لا تقبل التراجع ولا التفريط ولا المساومة، فالتسامح. إذن. عامل فاعل في بناء المجتمع المدني، ومشجع على تفعيل قواعده.

4. العمل:

للعمل قيمة اجتماعية ضرورية لتكوين الشخصية الاجتماعية للفرد، وكوسيلة للارتقاء والتطور في المجتمع.

وتتأثر قيم حب العمل والسعى له والانتماء لمنظمات الأعمال بالموروث من هذه القيم، وما وصلت إليه هذه القيم من تطور عبر الأجيال، وهناك العديد من الأمثال التي تحث على العمل وتقّدر الأيدي التي تعمل، وتندد بالأيدي العاطلة سواء في الموروث الشعبي أو العقائد الدينية التي تحث الناس على العمل⁽³⁵⁾:

- . الإيد البطالة نجسه.
- . الإيد التعبانه شعبانه.
- . الحركة بركة.
- . ازرع كل يوم تاكل كل يوم.
- . النذب بالطار ولا قعاد الرجال في الدار.
- . الزبده ما تطلعش إلا بالخض.
- . لو جار عليك الزمن جور على ذراعك.
- . صنعه ف الإيد تغني عن الفقر.
- . أكل البلح حلو بس النخل ف العالي.

5. المشاركة والتعاون بين الأفراد في خدمة المجتمع:

تعد المشاركة قيمة شعبية ترتبط بقيمة التعاون التي حثت عليها الرسالات السماوية منذ القدم. وهي قيم تدعمها الثقافة الشعبية وتحض عليها بل ويطربى عليها الفرد داخل جماعته وهو حريص على أدائها بأشكالها المختلفة متى طلب

35 محمد البنا، منظومة القيم والتنمية الاقتصادية في مصر، المؤتمر السنوي السادس عن "استراتيجيات الإصلاح ومنظومة القيم"، 15، 16 من مارس 2008م.

منه ذلك. وفي كثير من الأوقات يؤديها بدون طلب لأنها تدعم أواصر المحبة والانتماء على مستوى الجماعة، ومن ثم تدعم ثقافة الانتماء على مستوى المجتمع العام. بما تمثله المشاركة من صمام الأمن للاستقرار الاجتماعي الذي يشكل القاعدة الصلبة للسياسات الاقتصادية والاجتماعية، التي تدعم وتساهم في نشر ثقافة التغيير الجذري في إطار عمليات التنمية المجتمعية.

6. الشعور بالمسؤولية الاجتماعية:

وهي قيمة نابعة من داخل الإنسان تجاه الأعباء التي ارتضى لنفسه أن يتحمل أعباءها أمام نفسه وأمام الجماعة التي يعيش بداخلها؛ لصالح المجتمع المراد إحداث تغيير إيجابي من خلال تطويره وتنميته. وهي قيمة حقيقية نابعة من اتجاه اجتماعي ومبادئ ثقافية أخلاقية تستوجب النهوض بالواجب اتجاهها. يقول عنها الرسول (صلى الله عليه وسلم): "كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته". وبهذا يكون جميع ما يتحمله الإنسان (فرداً وجماعة) مسؤولية فحياة الإنسان أمانة تتطلب المسؤولية، والدين أمانة تتطلب المسؤولية، والأبناء أمانة يتطلبون المسؤولية، والحرفة أمانة تتطلب المسؤولية.

والشعور بالمسؤولية ينشأ عند الفرد الإنساني من مصدرين أساسيين هما: المصدر الاجتماعي ويتمثل في جملة الخبرات الاجتماعية التي يمر بها الفرد أو من الأوامر والنواهي التي يتلقاها الصغار من الكبار خلال عملية التنشئة الاجتماعية. والمصدر الأخلاقي الذي وإن كان الفرد يعتمد على الخبرات الاجتماعية، إلا أنه يأخذ اتجاهًا ذاتيًا يشعر فيه بأنه هو مصدر أفعاله ومنشؤها، وأنه هو السبب فيما ينتج عن أفعاله من نتائج، وبهذا يمكننا أن نحدد نوعين من المسؤولية هما:

النوع الأول: المسؤولية الاجتماعية؛ وهي مسؤولية الفرد عن أفعاله حيال السلطة الاجتماعية، وما تمثله من أعراف وتقاليد وعادات ورأي عام، وتتميز هذه المسؤولية بعودة السلطة فيها للقانون أو العرف، وتكون العبرة فيها بالضرر والنتائج.

النوع الثاني: المسؤولية الأخلاقية: وهي التي يشعر بها صاحب الفعل، إما بشعور الارتياح إذا قام بالواجب، أو بالندم إذا خالف بفعله أمر الواجب، وتشترط هذه المسؤولية العقل المميز بين الخير والشر. والحرية في اختيار أحدهما وتفضيله عن الآخر.

7. احترام كبار السن:

يمثل كبار السن ثروة الوطن التي ترعى المجتمع وتوجه طموحاته من خلال الخبرة والتجربة، واحترامهم في مجتمعاتنا العربية والإسلامية قيمة شعبية وتقليد متوارث، لهم مكانتهم داخل أسرهم ومجتمعاتهم فهم واجهة هذه الجماعات وتاريخها وجذورها، وهم يتعدون كونهم بشراً ليصبحوا رمزاً لجماعاتهم وأسرهم. فهم كنوز بشرية بوصفهم حَمَلة التراث وخلاصة الخبرة الإنسانية، التي تجعلهم شركاء فاعلين في عملية البناء والتنمية المجتمعية. وهم همزة الوصل في الموروث الشعبي بين الماضي والحاضر.

هذا إلى جانب دور كبار السن وأساليبهم في حل النزاع والعمل على إرضاء كافة أطراف النزاع عن حل نزاعاتهم عن طريق المجالس العرفية لما تتمتع به من مصداقية وثقه وحياد وديمقراطية تعطي لأحكام هذه المجالس قوة الأحكام القضائية ولا تقل عنها والتي يفصل فيها كبار السن⁽³⁶⁾.

وتمثل عملية نقل المعرفة والخبرات التراثية من جيل إلى جيل مقبل تحمل فيها خبرات كبار السن ومعارفهم وتجاربهم الحياتية من أهم العادات والتقاليد المتوارثة التي يحرص عليها كبار السن مع أبنائهم وأحفادهم سواء كان ذلك عن طريق النقل الشفاهي أو الممارسات والسلوكيات اليومية، والتي تحمل بداخلها آثار الماضي وهو ما يدعم وينقل إلى الأجيال اللاحقة ثقافة الانتماء إلى الجماعة أو القبيلة ومن ثم إلى المجتمع الأكبر.

36 عزة أحمد صيام، مشاركة كبار السن في إدارة شئون القرية: مع إشارة خاصة إلى أساليب حل النزاع، مؤتمر: القرية المصرية: الواقع والمستقبل، 12.10 أبريل 1994م، منشورات المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجناائية، 1996م. (بتصرف).

لذا فنحن نقرب بأهمية وضروة ما يلي:

1. دعم القيم الدينية والاجتماعية باعتبارها قيما أصيلة ومميزة للمجتمع العربي عامة والمصري خاصة؛ تحفظ وحدته وقوته وتماسكه ، وكذلك دعم القيم الإيجابية نحو العمل والقيم الداعية للانتماء والولاء للوطن.
2. الإعلاء من قيم الثقافة الشعبية الداعمة للانتماء والولاء والمواطنة للارتقاء بالفرد والمجتمع.
3. إطلاق مبادرة مجتمعية لدعم وتعزيز مفهوم الانتماء والولاء والمواطنة لدى الشباب تكون الريادة فيها للشباب أنفسهم.
4. تنمية التوجه العلمي النظري والتطبيقي والميداني على السواء؛ لدى جماعة المثقفين التي عليها أن تعيد النظر في منظومة الثقافة الوافدة، وأن تصفيها من محمولاتها الإيديولوجية، وأن تعيد اكتشاف ما تكتنزه الثقافة الشعبية من قيم رمزية، وصولاً إلى رؤية تصلح لتأسيس نظام ثقافي جديد غير مغترب عن العصر.
5. إيلاء مفهوم الانتماء والولاء والمواطنة الأهمية القصوى في المناهج الدراسية وخاصة المرتبطة بالمعهد العالي للفنون الشعبية في جميع مراحل الدراسة . كمادة دراسية أساسية . ووسائل الإعلام المختلفة خاصة المرتبطة بالتراث الشعبي للمجتمع. لتعزيز مفهوم الانتماء والولاء والمواطنة لدى أبناء المجتمع الواحد.
6. تعاظم أهمية تطبيق طروحات مماثلة في شتى فروع وتخصصات الثقافة الشعبية في القضايا المجتمعية شديدة الصلة للمحافظة على هذا التراث وحمايته من الضياع.



التنغيم والسياق وأثرهما في فهم الخطاب الشعري الحديث

قصيدة "منشورات فدائية" لنزار قباني أنموذجا

كادي نورة

قسم اللغة والأدب العربي، كلية الآداب واللغات

جامعة يحي فارس، المدية،

القطب الحضري المدية . 26000 الجزائر

mradjai@yayoo.com

ملخص -

يحاول هذا البحث أن يطرق بعض الظواهر الصوتية التطريزية ممثلة في "التنغيم intonation" ويكشف عن استجابة الأداء الشعري لها من خلال تجسيدها في بعض المقاطع الشعرية من قصيدة نزار قباني، ولا يمكن الوصول إلى هذا الهدف إلا باستقصاء بعض المفاهيم التي حاولت أن تقدم تعريفات دقيقة له. كما يقدم نظرة تكاملية بين التنغيم كعامل صوتي مهم وانسجامه مع السياق الذي عُدّ على قدر كبير من الأهمية في البلاغة العربية.

المصطلحات المفاتيح -

التنغيم، الأداء الشعري، السياق، البلاغة.

**Toning and context and their impact on understanding the
modern discourse of poetry
(The poem "Redeeming Publications" by Nazar Qabbani is a
mode)**

Abstract -

This paper attempts to study one of most important prosodic elements which is "intonation". It seeks to reveal how the poetic performance responds to intonation through some passages of Nizar Qabbani's poem. This objective can be reached only by investigating some of the concepts that tried to present specific definitions. The study also provides an integrative vision that reveals the coherence between intonation, and the context of the poem.

Key Terms -

intonation, poetic performance, context, rhetoric.

تمهيد -

اللغة ظاهرة إنسانية عامة في المجتمع البشري كله، وهي وسيلته للتواصل والتفاهم وهي إلى ذلك كله ناقل حقيقي للمعارف والأفكار والتجارب والخبرات. وعلى أساس هذه الأهمية والشأن العظيم، قدّم كثير من العلماء العرب والغربيين تعريفات لها لا مجال لحصرها هنا، ولكن يمكن أن نختصرها في التعريف الدقيق الذي قدّمه العالم العربي والنحوي الفذّ "ابن جني" حين أكد أنّها أصوات يعبر بها كلّ قوم عن أغراضهم.

إنّ اللغة في جوهرها إذن، ذات طبيعة صوتية ممّا يجعل استبعاد توهم أنّها ظاهرة مكتوبة أمراً محسوماً، فالتاريخ يشهد أنّ الإنسان نطق لغته أولاً ولم يدونها إلاّ بعد ظهور الكتابة، ومن هذا المنطلق اتّجهت همم علماء اللغة بالناية والتركيز على الجانب الصوتي لها. والجدير بالذكر هنا أن نشير إلى أنّ الرّخم المعرفي الذي عرفته هذه الدّراسات لم تكن وليدة العصر الحديث، ولا بدعة ابتدعتها لغويّون هذا العصر، بل هي دراسات سجّلت حضورها منذ القديم وضربت بجذورها منذ فجر التّاريخ.

لقد حاول علماء اللغة الإلمام بجميع جوانب الصوت الإنساني تحليلاً ووصفاً، تشريحاً وتطبيقاً، وقد سمح ذلك بميلاد علم خاص احتضن هذه الدراسات و انضرد بها سُمِّي ب "علم الأصوات"، وهو فرع من فروع اللسانيات التي اهتمت هي الأخرى من جانبها بالدراسة العلمية للغة، غير أن الفارق يتضح بين العلمين في أن الأول يهتم باللغة المنطوقة، والثاني يختص بالبحث في اللغتين المنطوقة والمكتوبة. إن علم الأصوات إذن لا يهتم إلا بالتعبير اللغوي، دون المضمون¹.

ومن المنطقي جداً أن يُبرر توجه جهود علماء الأصوات أو الأصواتيين صوب هذا الاتجاه، لأن اللغة في أساسها أصوات وعليه تبنى هذا العلم منذ نشأته الجانب المنطوق منها دون الاعتبار للغة المكتوبة، لأن التحليل العلمي الدقيق والسليم يفرض وصف أصوات اللغة في حالتها الطبيعية، وهي مادة خام، أي في مرحلتها الأولى قبل أن تتحول إلى مرحلة ثانية هي الكتابة، وهي المرحلة التي تفقد فيها اللغة كثيراً من السمات النحوية التي تميزها كالتنغيمات وبعض الخصائص الصوتية فلا تظهر².

لقد لاحظ هؤلاء الدارسون من خلال مقارنتهم بين اللغة المنطوقة والمكتوبة " أن ما يستطيع الكلام أن يعبر عنه لا من المعاني العامة فحسب، بل ومن الأحاسيس والمشاعر الشخصية ما تعجز عنه اللغة المكتوبة عجزاً جزئياً أو عجزاً كلياً³". وبتعبير آخر يمكن أن نقول إن "تحليل النطق الفعلي هو الذي يكشف عن تلك الوحدات التي تبني وتكوّن النظام اللغوي"⁴.

إن البحث في الوحدات الصوتية للغة الإنسانية إذن، فتح شهية العلماء أكثر لمعرفة النظام الذي تبنى عليه، ولذلك قدّم الأصواتيون في هذا المجال خدمات جليلة لا يمكن أن ينكرها جاحد، فقد استطاعوا أن يقدموا وصفاً دقيقاً

¹ برثيل مالبرج: علم الأصوات، تع: عبد الصبور شاهين، مكتبة الشباب، القاهرة، 1985، ص 06.

² ينظر محمود السّعران: علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ص 225.

³ نايف خرمة: أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، العدد 9، الكويت، سبتمبر 1978، ص 206.

⁴ ستيفن أولمان: دور الكلمة في اللغة، تر: محمد كمال بشر، مكتبة الشباب، ص 31.

لها (الوحدات الصوتية)، ويحدّدوا وظائفها، كما لاحظوا التغيرات التي تطرأ عليها في الاستعمالات الفعلية لها أثناء عملية تركيب الوحدات اللغوية. كلّ هذه النتائج وغيرها كثير، ساهم مساهمة فعّالة وقدم يد العون في حلّ مشكلات عويصة في مجال تعلم اللغات، إذ لا مناص لمن يريد أن يتعلّم لغة، أي لغة كانت، تعلّم سليماً من عدم إغفال الجانب الصوتي وذلك لما له من أهمية قد تحسم التعلّم الجيّد والصحيح من التعلّم الرديء والسقيم، وشتان بين الاثنين.

لم يكتف علماء الأصوات بهذه النتائج، فقد لاحظوا أن كثيراً من الظواهر الصوتية موجودة بالفعل في اللغة البشرية، وهي ظواهر تجمع بين العديد من اللغات على الرغم من البون الواضح في نظام كلّ لغة، ومن هذه الظواهر وجود ملامح غير تركيبية، وهي ظواهر ليست "أجزاء من التركيب اللغوي في الجملة، ولكنها أحداث تطرأ على التركيب وتصاحبه"¹. وهي إلى ذلك ظواهر ليست ثابتة، إذ يفرض عليها السياق في كثير من الأحيان التغيّر.

إنّ هذه الظواهر غير التركيبية التي تضطلع بها العديد من اللغات هي في واقع الأمر خصائص صوتية وملامح تميّز وتفرق بين العديد من الكلمات والعبارات من حيث المعنى، وإن اشتركت في الوحدات اللغوية التي تكونها. ويمكن حصرها في ظواهر متنوعة كالنبر والوقف والمقطع والتنغيم. بيد أنّ المقام هنا لا يسمح بتفصيلها جميعاً، ولكن على الأقل يسمح لنا بتناول الظاهرة الأخيرة وهي التنغيم تنظيراً وتطبيقاً. إذ لا بد أن يتلازم التطبيق مع التنظير. والتطبيق هنا يقتضي البحث في مدى فاعلية هذه الظاهرة الصوتية وأهميتها في الأداء الشعري، بحيث يشكّل انسجامها (التنغيم) مع الظاهرة اللغوية (قصيدة شعرية)، تحدياً للقارئ حتى يكتشف البنية الكبرى للخطاب الشعري وبالتالي فهمه مدعوماً طبعاً بالإحاطة الكلية للسياق.

وقد كان الاختيار منصّباً على تطبيق الجانب النظري على الخطاب الشعري وتحديد الشعر العربي المعاصر، لأن الشعر، كان ولم يزل، أرقى الفنون

¹ يوسف عبد الله الجوارنة: التنغيم ودلالته في العربية، مجلة الموقف الأدبي، صادرة عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق، العدد 369، كانون الثاني، 2002، ص 02.

وأقربها إلى النفس البشرية، ثم إنَّ الشعر المعاصر تعبير عن أحداث العصر وقضاياها وهو محاولة لاسْتِكْنَاه الحياة لا مجرد الانفعال بها¹.

والشعر قبل أن يكون كذلك هو موسيقى ساحرة تأسر المشاعر وتدغدغ الوجدان وتحرر الأبدان، ولا شك أن تلوّن الخطاب الشعري بالظواهر الصوتية ممثلة في التّنغيم يحمل المتلقي على التأثّر والتوحد بينه وبين النصّ الأدبي الشعري، لأنّ الهدف من هذا التلون في النهاية هو فرض عملية تواصلية ناجحة يكون فيها المرسل والمرسل إليه شريكين فاعلين في صنع المعنى.

لقد أدرك اللغويون أن عملية التّواصل الناجحة لا تقف عند إنتاج وحدات لغوية منظّمة ومركبة تركيباً جيداً فحسب، بل بما تحقّقه من التّأثيرات المنشودة التي تمارسها اللغة المنطوقة على المتلقين والمشاركين، ولن يتأتى ذلك إلا من خلال ممارسة تلك الظاهرة الصوتية، أي التّنغيم في الكلام، وممارسة ظواهر غير تركيبية أخرى لا يتسع الحديث عنها هنا.

1- ماهية التّنغيم:

أ- التعريف اللّغوي:

وقبل الخوض في التعريفات الكثيرة التي قدمها علماء اللغة للتّنغيم، حريّ بنا أن نعود أولاً إلى بعض المعاجم العربية التي جاءت على ذكر هذا المصطلح عودة خاطفة، ففي لسان العرب أورده ابن منظور قائلاً: "النّغمة جرس الكلمة، وحسن الصّوت في القراءة وغيرها، والنغمة: الكلام الحسن"². أمّا المعجم الوسيط فقد أخذ عن ابن منظور التعريف نفسه دون إضافات أو حذف، وفي القاموس "التّنغيم: تغيير حدة الصوت"³.

¹ عزالدين اسماعيل: الشعر العربي المعاصر (قضاياها وظواهره الفنية و المعنوية)، المكتبة الجامعية، ط5، ص13.

² ابن منظور: لسان العرب، ج3، دار صادر بيروت، ط2، 1412 هـ المجلد السادس، (باب النون)، ص449.

³ المعجم الوسيط: تأليف جماعة من الباحثين إعداد مكتب الدراسات والبحوث (مجمع اللغة العربية)، ج3، دار الفكر، ص226.

وفي المعجم "الغني": تنغم الرجل: تكلمه بكلام خفي، وتنغم المغني: ترتّمه، تطريبه، وتنغم تنغماً: طرب في الغناء. وفي معجم "الرائد": تنغم الملحن في الغناء: نغم، أدّى نغمات موسيقية، طرب فيه.¹

و إذا عدنا إلى تعريفات المعاجم الغربية، وجدنا أن روبنز يعرفه بقوله: "إنّه عبارة عن تتابعات مطّردة من الدّرجات الصّوتية المختلفة"².

وعلى الرّغم من الاختلاف الواضح بين هذه التعريفات، إلّا أنّنا يمكن أن نجد قاسماً مشتركاً وجامعاً بينها، وهو إدراك هؤلاء المعجميين أنّ التّنغم لا يمكن أن يدرك كنهه إلّا مسموعاً، أي في الكلام المنطوق فقط، فالأذن هنا عضو وعنصر هامّ في إدراك هذه الظاهرة فهي التي تستطيع أن تميّز بين التغيرات التي تطرأ عليه.

ب- التعريف الاصطلاحي:

إنّ هذا التّوجّه الذي نلمسه في هذه المعاجم هو نفسه عند علماء الأصوات، إذ لا يمكن عندهم تفسير هذه الظاهرة وشرحها في اللغة المكتوبة، غير أنّ الفرق الجوهرى بين التّوجّهين يكمن في المحاولات الجادّة لعلماء الأصوات في وصف وتحليل هذه الظاهرة الصّوتية وصفاً وتحليلاً دقيقاً.

إنّ مجهودات هؤلاء العلماء خطت خطوات واسعة في مجال البحث العلمي القائم على الدقة والتنظيم والموضوعية، وقد اعتمدوا في كل ذلك منهجاً يقتضي فحص الظاهرة وتقديم النتائج بعد الملاحظات، واستقراء المادة اللغوية³. لقد استقرأ علماء الأصوات الكلام الإنساني وحملهم ذلك إلى اكتشاف أمر جميل وهو أنّ الصّوت الإنساني لا يعرف الثبات ولا يقيم وزناً للرتابة، فهو يتغير ويتكيف حسب الحاجة، ورأوا أنّ أقرب تسمية لهذه الظاهرة "التّنغم"، والمصطلح هنا كغيره من المصطلحات الكثيرة التي تُرجمت عن اللّغات الأجنبية، حظي هو

¹ الرائد (معجم لغوي عصري)، تأ: جبران مسعود، دار العلم للملايين، بيروت، ط7، 1992، ص813.

² نقلا عن مزاحم مطر حسين: أثر التّنغم في توجيه الأغراض، البلاغية لعلم المعاني، مجلة القادسيّة في الآداب والعلوم، ص39.

³ ينظر البدراوى زهران: محاضرات في علم اللغة العام، دار العربي، القاهرة، ط1، 2008، ص14، 15.

الآخر بتنوعات في التسمية، فلم يستقر على مصطلح واحد في كتبنا، فمنهم من سَمى هذا الملمح غير التركيبي موسيقى الكلام أو ميلوديا الكلام أو إيقاع الكلام أو النغمة الصوتية أو التلوين الصوتي.

التنغيم إذن من الخصائص الصوتية الموجودة في الكثير من اللغات، وقد عرفه علماء الصوت بأنه تغيير يطرأ على الصوت ارتفاعاً وانخفاضاً حسب الحاجة إلى ذلك. إن الإنسان الذي يعيش باللغة ويتواصل بها داخل مجتمع بشري، هو إنسان يتأثر بالمواقف الانفعالية التي يعايشها كل يوم وهي مواقف لا شك تختلف بين الغبطة والسرور والحزن والغضب والرضا والدهشة... وغيرها. وقد أثبتت الملاحظات أن هذا الكائن البشري له من القدرات اللغوية والصوتية ما يجعله يتكيف مع هذه التغيرات والتجارب المختلفة، وقد وجد علماء الأصوات أن التنغيم واحد من الظواهر الصوتية التي تبني علاقة وثيقة الصلة بين المتكلم وانفعالاته المتنوعة، فالتنغيم يعكس إرادة المتكلم في التعبير عن مختلف المواقف التي قد يقع فيها، فلا يجد الناطق لغة مندوحة عن تحقيق التنغيم في كلامه تعبيراً صادقاً منه عما يجيش بصدوره من مشاعر متضاربة ومتناقضة هي في مجملها تعكس أطياف الحياة التي تتلون بين الحين والآخر بألوان السعادة أو الملل أو الكآبة وغيرها من ألوان الفخر والتحقير والسخرية والتعجب والاستفهام... وغيرها كثير.

ولأن التنغيم لا يدرك جوهره إلا في اللغة المنطوقة، فقد عدّه علماء الأصوات من الظواهر التطريزية فوق التركيبية¹، أو الفوققطعية²، على أنه تنوب عنه في الكتابة رموز هي ما يُعرف بعلامات الوقف كالاستفهام والتعجب والنقطة التي "تضي بتصوير المنطوق قدر المستطاع حتى يحفظ لها خواصها الأدائية"³. وكل هذه المصطلحات تؤكد أن التنغيم فونيم ثانوي، ما يحملنا على استنتاج وجود فونيمات أساسية، والحقيقة أن هذا التقسيم أوجده علماء

¹ ينظر كمال محمد بشر: علم الأصوات، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2000، ص 210.

² ينظر منصور بن محمد الغامدي: الصوتيات العربية، مكتبة التوبة، ط 1، 2001، ص 79.

³ كمال بشر: علم الأصوات، ص 27.

الأصوات المحدثون، فهم يرون أنّ الوحدات الصوتية تتشكل ضمن تقسيمين: فونيمات رئيسية وأخرى ثانوية، "ويعنّون بالرئيسية تلك الوحدة الصوتية التي تكون جزءاً من أبسط صيغة لغوية ذات معنى منعزلة عن السياق، أو هي ذلك العنصر الذي يكون جزءاً أساسياً من الكلمة المفردة، وذلك كالباء والتاء والشاء، أما الوحدات الثانوية فهي صفة صوتية تظهر في الكلام المتصل"¹.

ولا شكّ في أنّ هذا التقسيم الذي أحدثه الأصواتيون والذي نتج عنه وجود فونيمات تركيبية وأخرى غير تركيبية، إنّما تلتقي في نقطة تقاطع ومماس لكليهما، وهو الدور التمييزي للمعنى الذي ما فتئت تضطلع به كل من الوحدات الرئيسية والوحدات الثانوية.

على أنه لا بدّ من التذكير هنا أنّ التّغيم في جزء كبير منه يعكس لهجات الأفراد المتباينة وعاداتهم النطقية المختلفة، ممّا يجعل تعقيد هذه الظاهرة التّطريزية وضبطها وفق قوانين صارمة أمراً يكاد يكون مستحيلاً²، فاللغة وإن كانت تفرض قيوداً على مستعملها من خلال إتباع قواعدها في عمليات التركيب، فهي تفشل فشلاً ذريعاً في منع المتكلم من تلوين كلامه بألوان موسيقية تتباين وفق المقام وتختلف في أغراض التعبير، وهو الأمر نفسه الذي أكّد عليه ماريوباي حين قال: "ومن الأسلم ألاّ يحاول المرء وضع قانون صارم يحدّد النطق"³.

يمكن لنا بعد ذلك أن نقدم تعريفاً دقيقاً ومختصراً للتّغيم، وهو الذي اجتمع عليه معظم علماء الأصوات، إنّهُ "رفع الصّوت وخفضه في الكلام"⁴. وقد وُجدت بعض التعريفات المختلفة له، على الرّغم من أنّها تصبّ في الأخير في التّعريف السّابق، فبعض اللّغويين يؤكّدون أنّه "الصورة العامة التي تتمثل في

¹ غانم قدور الحمد: المدخل إلى علم الأصوات العربية، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2004، ص232.

² ينظر أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللّغوي، عالم الكتب، القاهرة، 1997، ص366.

³ ماريوباي: أسس علم اللّغة، تر: أحمد مختار عمر، جامعة طرابلس، ليبيا، 1973، ص95.

⁴ نور الهدى لوشن: مباحث في علم اللغة و مناهج البحث اللغوي، المكتبة الجامعية، الإسكندرية، 2001، ص136.

مجموعة النغمات التي يشملها نوع خاص من أنواع الحدث اللغوي".¹ أو هو من الظواهر التطريزية، أي الملامح الصوتية التي تصاحب الكلمات المتصلة أو الجمل، فتؤدي وظيفة دلالية.² وهو كذلك "الخاصة الصوتية الجامعة التي تلف المنطوق بأجمعه، وتتخلل عناصره المكوّنة له، وتكسبه تلويحاً موسيقياً معيناً حسب مبناه ومعناه وحسب مقاصده التعبيرية، وفقاً لسياق الحال أو المقام".³

ومهما يكن من أمر، فإنّ هذه التعريفات الأخيرة تشير كلّها إلى وجود مجموعة من النغمات، ما يؤكد على وجود إشارة ضمنية بالتغيير الذي يطرأ على الكلام، فهو تغيير يشبه تغيير نغمات الموسيقى. لأنّ الموسيقى في جوهرها أصوات وهي تكتسي هذه الميزة فلا تحافظ أبداً على نغمة وإيقاع ولحن واحد، بل تتغير هي الأخرى تبعاً لاندفعالات صاحبها تغييراً يجعلها بعيدة عن الملل والرتابة. ولعل مصطلح التنغيم الذي يدل في ذاته على التنوع قد أخذ عن علم الموسيقى، ولكنه حُمّل فيما بعد حمولة جديدة في علم الأصوات ليدلّ على التنوع في الأداء الكلامي للفرد صعوداً وهبوطاً، ومما لا شك فيها هنا أنّ الموسيقى كفن كان له سبق الظهور على علم الأصوات. إنّ كثيراً من المصطلحات ذات الدلالة الفنية المتواترة عند الموسيقيين والمغنيين كالنغمة واللحن والإيقاع، تُستخدم هي الأخرى في دراسة الأصوات اللغوية، ولكن بدلالات متواضعة عليها من طرف الأصواتيين تتصل بعلم الأصوات وليس بالموسيقى.⁴

2- الفرق بين النغمة والتنغيم:

وتجدر الإشارة في هذا المقام أن نذكر أنّ كثيراً من التعريفات التي أتت على التنغيم حاولت أن تميّز بين هذا المصطلح الأخير و مصطلح النغمة، فالأول إنّما يقع على جملة كاملة أو أجزاء متتابعة، فهو وصف للجمل وأجزاء الجمل⁵،

¹ عبد الرحمن أيوب: أصوات اللغة، مطبعة الكيلاني، ط2، 1968، ص155.

² كونغ إجو: نظرية علم اللسانيات الحديثة وتطبيقها على الأصوات العربية، ص130.

³ كمال بشر: علم الأصوات، ص531.

⁴ ينظر غانم قدوري الحمد: المدخل إلى علم أصوات العربية، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2004، ص242.

⁵ عبد العزيز سعيد الصبغ: المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، دار الفكر، دمشق، ط1، 2000، ص263.

والثاني فيقع إرتفاع الصّوت وخفضه على مستوى الكلمة المفردة¹، على أن الاثنين يلتقيان في تغيير الصوت وتلويينه قصد الإبانة عن معان معينة.

و النغمة كفونيم غير تركيبى تستعمله كثير من اللّغات النغمية، وقد سُميت كذلك، لأن النغمة فيها عامل مهم في بيان المعاني المتعددة للكلمة الواحدة، وعليه يتضح أن ارتفاع الصّوت وانخفاضه على مستوى الكلمة الواحدة يؤدّي دوراً بالغاً وخطيراً في منع اللبس الذي يعترئها بسبب وجود معانٍ متنوعة، ولا سبيل إلى التفريق بين هذا المعنى أو ذاك سوى درجة الصوت، ففي اللّغة الصينية كلمة "فان" تؤدّي ستّة معاني لا علاقة بينها هي: نوم، يحرق، شجاع، واجب، يقسم، مسحوق، وليس هناك من فرق سوى النغمة الموسيقية في كل حالة².

واللّغة العربية كغيرها من اللّغات تتميز بوجود هذا العامل أي النغمة، ولكنّه لا يؤدّي دوراً تمييزياً للمعاني المتعددة في الكلمة الواحدة كما في اللّغة الصينية وبعض لغات إفريقيا وفي الشرق الأقصى، ولكنها تدل على معانٍ إضافية، ومن أمثلة ذلك من اللّغة العربية المعاصرة³:

لا: إذا نُطقت بنغمة هابطة تكون جملة تقريرية، بمعنى لا أوافق.

وإذا نُطقت بنغمة صاعدة هابطة تدل على دهشة و استنكار.

وإذا نُطقت بنغمة هابطة صاعدة تكون توكيدية.

والشيء ينسحب كذلك على التّنغيم، إذ له دلالة مهمة في التمييز بين معاني الجملة الواحدة التي يقع فيها اللبس، ويبقى هو الفيصل الحاسم في منع ذلك. فالجملة الواحدة قد تحمل معنى التقرير، أو الإستفهام أو التعجب.... أو غيرها، ومن الأمثلة الحسنة في هذا الباب قوله تعالى في ذكره الحكيم : إِنَّ الَّذِينَ يُلْجِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (40)⁴ وقوله عليه الصلاة

¹ نور الهدى لوشن: مباحث في علم اللّغة ومناهج البحث، ص138.

² إبراهيم أنيس: الأصوات اللّغوية، مكتبة نهضة، مصر، ص103.

³ أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللّغوي، عالم الكتب، القاهرة، 1997، ص366.

⁴ فصلت: الآية 40.

والسلام في شأن من حضر بديراً " إعملوا ما شئتم"، فاتحاد العبارتين في نفس الوحدات اللغوية وفي ترتبيها وحتى في حركاتها الإعرابية لا يمنع من وجود اختلاف بين المعنيين، فالعبارة الأولى يكون فيها التنغيم صاعداً، وعليه يكون معنى الأمر في الآية تهديداً لأنه حديث مع الكفار، بينما في الحديث يكون التنغيم هابطاً، مما يستدعي أن يكون الأمر تلطفاً مع أصحابه عليه الصلاة والسلام. وعلى الرغم من وحدة الصيغة إلا أن اختلاف التنغيم في العبارتين يقتضي انصراف الدلالة في التركيبين الأول والثاني مرة إلى التهديد ومرة إلى التلطف.

3- أهمية التنغيم وتأثيره في المعنى:

اللغة الإنسانية من الوسائل التي تمدّ جسور التواصل بين البشر، وهي تعتمد على الصوت بالدرجة الأولى، والتركيز على هذا الجانب بالذات مهم جداً في تغير معاني التعبيرات التي يُنشئها المتكلم تبعاً لتغير المواقف والسيّاقات. والكلام هو الآخر لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يتّبع نمط واحد في الصوت، فهو يتغير بتغير احتياجات المتكلم في توضيح مقاصده إما ارتفاعاً أو انخفاضاً، أو تسريعاً أو تبطيئاً. وعليه فإن "استيعاب الكلام لابد أن يرجع لهذه الظاهرة التّطريزيّة"¹. (أي التّغيم).

إنّ التعبير عن المعاني المختلفة لابد أن يصحبه تغيير في درجة تذبذب الأوتار الصوتية، فالمتكلم الذي يرفع صوته في موقف معين تهتزّ أوتاره الصوتية بطريقة تختلف عن الذي يخفضه، وهكذا في تسريع الصوت أو تبطيئه. وكلّ هذه التغيرات يفرضها السيّاق ورغبة المتكلم في إيصال المعاني إلى المتلقي حتى وإن لم يصرح بها، ويبقى التّغيم هاهنا كفيلاً بمعرفة خفايا النفس البشرية وما يختلج فيها. إنّ العبارة التالية مثلاً: جاء رئيس الجامعة تحتّم أن تكون ذات معان متباينة كاللّقرير ومجرد الإخبار، أو يمكن أن تحتّم معنى التعجب عندما يُراد التعبير على أنّ مثل هذا الرئيس لا يأتي في ساعة مبكرة إلى الجامعة نظراً لمسكنه البعيد، كما يمكن لنفس العبارة أن تحمل في ثناياها معنى السّخرية عندما يُراد التلميح بأنّ حضور هذا الرئيس أو غيابه سواء، وأخيراً

¹ كونغ الجو: نظرية علم اللّسانيات الحديثة وتطبيقها على أصوات العربية، ص122.

يمكن أن تكون كذلك استفهاماً، وعلى الرغم من أن هذه الجملة واحدة - كما نرى - إلا أن إمكانية ظهور معانٍ مختلفة عن طريق التنغيم أمرٌ واردٌ لا يمكن إنكاره.

وعلى غرار الجملة السابقة يمكن أن تؤدي الجملة الآتية: "نجحت في الامتحان" بنغمة صاعدة إلى الاستفهام، وبنغمة منخفضة إلى الإخبار والتقرير، أما تأديتها بنغمة هابطة صاعدة فتشير إلى تعجب السائل نظراً لثقلته بأن هذا الذي نجح في الامتحان، من المستحيل أن يتحصل على هذه النتيجة.

وفي القرآن أمثلة كثيرة قد يصعب على القارئ إلى الوصول إلى معنى معين من دون الاعتماد على التنغيم كأداة فاعلة في تحديده، ولعل قوله تعالى: "وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ (75) فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ (76) فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ (77) فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسُ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (78)"¹. إن العبارة "هذا ربي" يحتم فيها المقام قراءة صاعدة لتدل على الاستفهام على الرغم من إضمار الحرف الذي يدل على هذا الغرض البلاغي، والأصل إذن أن تكون العبارة استفهاماً "أهذا ربي"، بنغمة صاعدة، مما يبعد تمام قراءة العبارة السابقة بنغمة هابطة، لأن في ذلك تقرير من إبراهيم أن الإله هو قمر أو شمس، والسياق هنا يؤكد حالة الاستفهامات الكثيرة التي يطرحها نبي الله، كان القصد من ورائها قطع الشك باليقين، ويأتي الجواب على لسان إبراهيم إنني لا أحب الآفلين تأكيداً على التأمل العميق في آيات الله في كونه وهي آيات كما رآها إبراهيم زائلة وآفلة، للوصول إلى حقيقة أن الله خالق لا يزول.

يفرض السياق في هذه الآية الكريمة نوعاً خاصاً من الأداء الموسيقي تأديةً تفرق بين الاستفهام وهو المقصود فيها وبين أسلوب التقرير الذي يستبعد كلياً، وبين النغمتين اختلافٌ واضحٌ بين المعنيين.

¹ الأنعام: الآية 75 - 78.

إنّ هذا التّغيير في الدرجات الصوتية يفرضه السّياق أولاً، كما يفرضه في حالات كثيرة حاجة المتكلم إلا ضرورة الإبانة عن مقاصده، وهذا ليصل المعنى إلى المتلقي من دون تشويه أو نقص خاصة عندما تتشابه البنية اللّغوية وتتماثل مع غيرها.

والتشابه هذا قد يؤدي إلى اللبس وضياح المعنى المقصود، لذا نرى إلحاح الدكتور كمال بشر على ضرورة وجود "طلاء من ألوان مختلفة يفرق بينها (البنيات) ويميّزها بعضها من بعض، ويجعل لكل منها نوعاً من الاستقلال و الكيان الخاص بها"¹.

إنّ التّنغيم وعلى هذا الأساس ليأتي دالاً على المعنى الوظيفي للجملّة، وسيكون تحديد نوعها إذا كانت استفهاماً أو إثباتاً أو تعجباً أمراً مقدوراً عليه من طرف المتلقي. إذن هو العنصر الوحيد الذي تسبّب عنه تباين هذه المعاني، لأنّ التركيب المنطوق لم يتعرض لتغيير في بنيته إضافة، أو حذفاً².

وما يحملنا على إدراك القيمة الحقيقية للتّنغيم، ما يظهر مثلاً في باب النداء، فهو باب له أدواته الخاصة به، ولكن أشهرها "يا" لأنّها دائرة في جمع وجوده، فهي تُستعمل للقريب والبعيد والمستيقظ والنائم والغافل والمقبل، وتكون في الاستغاثة والتعجب وقد تدخل في النّدبة بدلاً من "وا"³. ولكن ما السبيل إلى الفصل بين هذه المعاني؟ إنّ قول الشاعر: **فيالك من ليل كأنّ نجومه بكل مغار الفتل شدّت إلى يذبل**

بنية تركيبية عناصرها ياء النداء والمنادى، لا شك، أنها تختلف في معناها عندما ننادي شخصاً بعيداً نريد لفت انتباهه. وعليه يكون التعبير بالتّنغيم قرينة هامة في تحديد المعنيين، إذ التّنغيم يفرض في البيت الشعري نغمة هابطة تدل على التعجب وليس على النداء، أما التركيب الثاني بنغمة صاعدة تدل على لفت الانتباه وجلب استماع المنادى، وهذا الاختلاف إنّما يُدرك عن طريق التلوين الموسيقي صعوداً أو هبوطاً.

¹ كمال بشر: علم الأصوات، ص 547.

² ينظر تمام حسّان: اللغة العربية (معناها ومبناها)، دار الثقافة، المغرب، ص 228.

³ ابن يعيش: شرح المفصل للزمخشري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 2001، ج 05، ص 48.

ولأنّ الأمثلة في هذا المجال ممّا لا يمكن حصرها، فقد حاول الدكتور كمال بشر توضيح الجمل التي تنضوي ضمن النغمة الهابطة و الجمل التي تلونها النغمة الصاعدة، أما النغمة الهابطة falling tone، فهي تتصف بهبوط في نهايتها، وأمثلتها تظهر في الجمل التقريرية، وهي الجمل التامة التي تقدم معنى تاماً. وفي الجمل الاستفهامية التي تحتوي على أدوات خاصة مثل: متى، أين،... وغيرها. وأخيراً في الجمل الطلبية التي تحتوي على فعل أمر أو نحوه. أمّا النغمة الصاعدة rising tone فتتميّز بصعود في نهايتها و أمثلتها الجملة الاستفهامية التي يجاب عنها "بنعم" أو "لا"، و الجمل المعلقة التي لم يكتمل معناها إلا بذكر عناصر أخرى كالجملة الشرطية¹.

وإضافة إلى أهمية التّغيم في توضيح المعاني فهو من الوسائل التي يمكن أن تكشف عن "هوية المتكلم، عن جنسه، عن سنّه وعن حالته النفسيّة أو الجسميّة"². ولعلماء اللغة الاجتماعيون كذلك نظرتهم إلى هذه الظاهرة التّطريزيّة، فهم يعدّونها دليلاً يمكن الأخذ به في فهم الطبقات الاجتماعيّة، فهم يرون أنّ "هذه الطبقات تختلف فيما بينها في طرائق أداء الكلام وأنّ إطار موسيقى الكلام عندهم يختلف إلى حد ما من طبقة إلى أخرى وفقاً لمواقع كل طبقة في المجتمع ومحصولها الثقافي"³.

بعد هذه الجولة السريعة في مفهوم التّغيم وبيان أهميته، يحسن بنا أن نحول هذا المسلك النظري إلى اتجاه أكثر فعالية وهو الجانب التطبيقي، بحيث نحاول الإجابة على الإشكالية التي مفادها كيف ينسجم التّغيم مع سياق الحال في كشف البنية الكبرى للظاهرة اللّغوية ممثلة في الخطاب الشعري الموسوم بـ "منشورات فدائية على جدران إسرائيل" لنزار قباني⁴.

¹ كمال بشر: علم الأصوات، ص 535 - 536 - 537.

² خولة طالب الابراهيمي: مبادئ في اللسانيات، دار القصبة للنشر، الجزائر، ط2، 2006، ص 82.

³ كمال بشر: علم الأصوات، ص 540.

4- التنغيم وفهم السياق في قصيدة "منشورات فدائية":

الشعر العربي في جوهره موسيقى، وهذا العنصر الغنائي في القصيدة العربية هو الذي مكن لها من البقاء منذ العصر الجاهلي، وصنع لها مكانتها التي تبوّأتها منذ القديم ولم تزل إلى الحاضر، ولعل وجود هذا التلوين الموسيقي الجميل هو الذي يفرض أداء متميزاً يفرقه بلا شك عن النثر.

والأداء الشعري هنا فنٌّ، والفن كما هو معلوم نشاط عملي لا ترتبط نجاعة ممارسته بجملة من القوانين المضبوطة¹، وإنما في قدرة الشاعر على جعل النص الشعري يمتلك وجدان المتلقي ويؤثر فيه التأثير المقصود، ولا سبيل للوصول إلى هذه الغاية المنشودة إلا حين يضيف الشاعر على إنتاجه مسحة من التلوين الموسيقي خاصة التنغيم الذي يفرض تغييراً في الصوت صعوداً وهبوطاً. هذا التغيير الذي يكسر حاجز الرتابة في موسيقى الكلام لدى المتلقي وقد يسمح ذلك، بلا شك، من جعل المتلقي قارئاً فاعلاً وصانعاً للمعنى، إذ لم يعد هدف الشاعر في كثير من خطاباته أن ينقل أفكاره إلى المستمع أو يصف مشاعره، ولكن الأهم من ذلك هو التأثير في المرسل إليه تأثيراً فاعلاً، بحيث يصبح النص الشعري هنا قوة إنجازية هامة في تغيير السلوك الإنساني إلى الوجهة التي ترسم في ذهن الشاعر فترتد الفكرة عملاً فعلياً وأداءً حقيقياً.

إن الأداء الشعري الفاعل يفرض وجود تنغيمات خاصة تتوافق مع سياق الحال، ومع الظروف التي تحيط بالشاعر. كما تنسجم بالضرورة مع الجهة التي ستستقبل هذا الخطاب أو ذاك، ولأن الشعر في جوهره بناء لغوي أساسه الصوت، فهو يحتاج إلى إبراز هذه الخاصية عن طريق النطق والأداء، وإغفال هذا الجانب الأدائي للشعر وتحويله إلى كتابة، يقتل كثير من الخصائص التنغيمية التي تضيف على القصيدة الشعرية رونقاً وجمالاً، وهي الخصائص التي حافظت على بقاء الشعر إلى هذا العصر. الأداء الشعري إذن له ميزة الحياة

¹ عبد السلام المسدي: مباحث تأسيسية في اللسانيات، دار الكتاب الجديدة المتحدة، لبنان، ط1،

والحركة¹، وبه تحافظ اللغة على ديناميكيته وحيويتها بعيداً عن جمود الكتابة.

ومما يزيد من قوة الأداء الشعري وهيبته توظيف الشاعر لأعضاء الجسم توظيفاً يخدم السياق ويؤثر في المتلقي، كتلك الحركة التي تصحب الكلام أو الحركة من اليد أو الوجه².

الشعر إذن، هو الحياة بكل ألوانها وهو بذلك يتجاوز رسم البناء بالكلمات إلى رسم عالم بأكمله يمقت الجمود، إنه (أي الشعر) مادةٌ وروح، وحسن الأداء هنا يعني تحويل اللغة إلى روح عذبة تمارس تأثيرها الساحر على المتلقي دون أن يدرك السحر الممارس عليه.

قلنا إن السياق من جملة العناصر المهمة التي لا بد أن يركز عليها الأداء الشعري، فالشاعر وهو يمارس هذا الفن، تحيطه ظروف خاصة تفرض عليه أداء معيناً من خلال خطابه الشعري الذي يوجه نحو مرسلٍ إليه. والسيّاق كما عرفه هاليداي هو "النص الآخر أو النص المصاحب للنص الظاهر، وهو بمثابة الجسر الذي يربط التمثيل اللغوي ببيئته"³.

إن الخطاب الشعري إذن لا يخرج في إنتاجه عن ظروف وملابسات خارجية معينة، وهي التي تفرض على الذي يؤديه تنغيماً خاصاً يراعي فيه هذه الأمور. والسيّاق في قصيدة "منشورات فدائية على جدران إسرائيل" عناصره كثيرة لا مجال للخوض فيها جميعاً، وإنما نكتفي بالحديث عن عنصرين حديثاً مختصراً، حتى يتوضح للقارئ أهمية السيّاق في الأداء الشعري وكيف يؤثر في التنغيم، هما المرسل إليه، وزمان كتابة المنشورات.

1- المرسل إليه: وهو جوهر العملية التواصلية، إذ لا يمكن أن نتصور فعلاً تواصلياً في غياب الأطراف المساهمة في خلقه وتشكيله وبنائه⁴، وهو في "منشورات

¹ تمام حسان: اللغة العربية، معناها ومبناها، ص227.

² البدراوي زهران: محاضرات في علم اللغة العام، ج1، ص84.

³ يوسف نور عوض: علم النص ونظرية الترجمة، دار الثقة للنشر والتوزيع مكة المكرمة، ط1، 1990، ص29.

⁴ علي آيت أوشان: السياق والنص الشعري (من البنية إلى القراءة)، الدار البيضاء، المغرب، 1996، ص136.

فدائية على جدران إسرائيل" طرفاً ليس مجهولاً، فنزار(المرسل بضمير المتكلم نحن الدال على كل الفلسطينيين) لم يُخفِ الوجهة التي يتّجه إليها خطابه، وقد أعلن عنه في بداية القصيدة وحمل العنوان هذه المهمة، وهذا دليل على الجهر بعدم الخوف من هذا العدو الظالم وهو الكيان الصهيوني الذي مارس أبشع الجرائم ضد الإنسانية.

2- زمان كتابة المنشورات: المرحلة التي كُتبت فيها هي سنة 1970، وهو التاريخ الذي شكّل أزمة تاريخية مرّت بها الأمة العربية لأنّها كُتبت بعد هزيمة حزيران في 1967، إثر انهزام الجيوش العربية أمام المد الصهيوني الظالم، بحيث تم احتلال بقاع واسعة من الأرض العربية في سيناء والجولان، إضافة إلى الضفة الغربية إلى نهر الأردن وقطاع غزة، واصلت إلى قناة السويس¹. لقد بات هذا التوسّع يهدد كل الوجود العربي، بحيث لم يعد الصّراع صراع حدود وحسب، بل غدا صراع وجود.

لقد اعتُبرت هذه النكسة فيما بعد عاراً على كل عربي، خاصة عندما اتّضح تخاذل الأنظمة العربية وخيانة بعضها للقضية الفلسطينية، وقد نتج عن ذلك شعور بالإحباط والحزن والتمزق واليأس، بعدما تُركت فلسطين وحيدة تصارع قوى القهر والجور والتشريد، ولذلك كان لابد للفلسطينيين أن يؤكدوا للعدوّ، أنّ أيّ حلّ يعتمد طردهم بالقوة من أريافهم التي تقوم فيها بيوتهم وأشجارهم وأضرحتهم ومقابرهم وجميع الذكريات والروابط العاطفية التي تواكب الحياة المستقرة على الأراضي، إنّ أيّ حل كهذا لابدّ من أن يقاوم بالقوة². هذه القوة التي كانت ردّة فعل منطقية على الهزائم والانكسارات في زمنٍ من الاختلاط العظيم بين الشهادة والخيانة والفداء والتواطؤ والإقدام المتهور والتخاذل البليد³.

¹ عماد علي سليم أحمد الخطيب: التراث في نقد الشعر العربي المعاصر، مؤتمر جامعة اليرموك النقدي، الأردن، 2004، ص25.

² جورج أنطونيوس: يقظة العرب (تاريخ حركة العرب القومية)، تر: ناصر الدين الأسد و إحسان عباس، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1974، ص515.

³ زيد خليل القرالة: التشكيل اللغوي وأثره في بناء النصّ، مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإنسانية)، المجلد السابع عشر، العدد الأول، يناير 2009، ص179.

إنّ هذه اللّوحة السّريّة، لبعض عناصر السّياق تمكّنا الآن من معرفة المحاور الأساسيّة التي تدور عليها قطب الرّحى في قصيدة منشورات، وبالتالي تفرض هذه العناصر أداء شعرياً متميّزاً ينسجم فيه التّغيم مع سياق الحال ومع السّياق النفسي للشاعر، ذلك الشاعر الذي جاء مجسّداً في كل مقاطع النّص الشعري بضمير المتكلم "نحن".

يبدأ المقطع الأوّل من القصيدة بمخاطبة العدو الإسرائيلي بصيغة النّفي التي يؤكّد الشاعر من خلالها رفضه للإبادة، وهي تحمل من العناد والكبرياء ما يجعل السطر الأوّل منها للنغمة الصاعدة فيقول:

لن تجعلوا من شعبنا

شعب هنود حمر¹

فالسّياق هنا يفرض على الشاعر علو الصوت، والجهر به توضيحاً وبياناً منه بعدم الخوف منه على الرغم من ممارساتها التي تسعى إلى إبادة شعب بأكمله، كما تفرضه طبيعة الجهة التي ستستقبل هذا الخطاب إنّّه العدو الذي جعل الشاعر يعبر عن حقه عليه برفع الصوت وتسريعه، لأنّه لا سبيل إلى مخاطبة الظالم المستبد إلّا بهذه الطريقة، ولكنّ التّغيير في موسيقى الكلام يأتي واضحاً عندما ترتد النغمة الصاعدة إلى الهبوط والانخفاض التدريجي، وهذا حين يقرّر الشاعر مجموعة من الحقائق والإثباتات في قوله:

في هذه الأرض التي تلبس في معصمها

إسورة من زهر

فهذه بلادنا

فيها وجدنا منذ فجر العمر

فيها لعبنا.. وعشقنا.. وكتبنا الشعر

مُشرّشون نحن في خلجانها

مثل حشيش البحر

مُشرّشون نحن في تاريخها

¹ نزار قباني: الأعمال السياسيّة الكاملة، منشورات نزار قباني، بيروت، ج3، ط3، 1983، ص168.

في خبزها المرقوق... في زيتونها

في قمحها المصفر

مشرشون نحن في وجدانها

باقون في آزارها

باقون في نيسانها¹

و الانخفاض هنا ليس انخفاضاً كلياً، إذ تبقى بعض أسطر هذا المقطع مما يتلون بالنغمة الصاعدة خاصة في قوله فهذه بلادنا إذ يتضح أن التواتر الأساسي في اسم الإشارة "هذه" يكون متوسطاً يميل إلى الصعود، ثم يأخذ في الانخفاض السريع. غير أن المقارنة بين أداء هذه العبارة الأخيرة والسّطر الأول من منشورات فدائية يحملنا على إدراك أن في البداية أشد قوة وصعوداً منها.

إنّ الأسطر الكثيرة التي جاءت في غالبيتها إخباراً وتقريراً، جاءت في العموم ذات تنغيم منخفض، يبدأ متوسطاً ويستمر كذلك ثم ينتهي ضعيفاً. وهذه النغمة المنخفضة أو الهابطة نلمسها أكثر في آخر سطر ورد في المقطع الأول للقصيد في قول الشاعر: وفي الوصايا العشر.

وهذا الانتهاء يمثل هذا التنغيم الهابط في آخر المقطع الذي بدأ الشاعر به قصيدته، كأنما هي استراحة، ستهيئ لبداية جديدة ونغمة مرتفعة تظهر أكثر في المقطع الثاني برمته، يقول الشاعر فيه:

لا تسكروا بالنصر

إذا قتلتم خالداً

فسوف يأتي عمرو

وإن سحقتم وردة

فسوف يبقى العطر²

وأول سطر فيه يبدأ بأسلوب النهي الذي يمتلك منحى نغمياً خاصاً به، إذ يبدأ متوسطاً ليبلغ قوته حتى الذروة ثم ينعطف ليصل إلى الانخفاض أخيراً.

¹ نزار قباني: الأعمال السياسية الكاملة، ص 168.

² المصدر نفسه، ص 169.

إنّ هذه التغيرات التي ندركها، هي بالدرجة الأولى "تغيرات في نسبة ذبذبة الوترين الصوتيين، هذه الذبذبة هي التي تحدث نغمة موسيقية"¹، وهي النغمة التي نشعر بها حين نتحرك من مقطع لآخر في هذه القصيدة.

إنّ أسلوب النهي الذي يتلوّن بالنغمة الصاعدة، جاء معناه واضحاً وعليه يحدث الوقف هنا. ليستأنف بمجموعة كلامية هي أسلوب الشرط، يُنطق بنغمة صاعدة دليلاً على أنّ المعنى لم يتم، فتمامه بالشرط الثاني الذي ينتهي بنغمة هابطة دلّت على تمام الكلام معنىً ومبنىً، وتمام المعنى هنا يكون في الجوابين اللذين قدمهما نزار: فسوف يأتي عمرو، فسوف يبقى العطر.

والشيء نفسه ينطبق على مقطع آخر، إذ يقدم الشاعر مجموعة من الأسباب ذات نغمة تصاعدية تشبه تماماً أسلوب الشرط، وهذه الأسباب لا يتم معناها إلا في آخر سطر من المقطع الذي يرتد بنغمة منخفضة دليلاً على الجواب، والجواب هنا يأتي ليكمل المعنى ويوضح الدلالة بحرف الفاء التي تربط بين الأسطر الأولى والأخيرة، يقول نزار:

لأنّ موسى قُطعت يداه

ولم يعد يُتقن فنّ السحر

لأنّ موسى كُسرت عصاه

ولم يعد بوسعه ..

شقّ مياه البحر ..

لأنكم .. لتسثمّ كأمرىكا

ولسنا كالهنود الحمر

فسوف تهلكون عن آخركم ..

فوق صحاري مصر²

والجدير بالذكر هنا أن نلفت الانتباه أنّ هذه المقاطع التي تميزت في مجملها بالصعود والانخفاض من حين إلى آخر، كان للتّغيم فيها حضوراً متميّزاً هو الذي خلق هذه الموسيقى، وهو التّغيم، لا شك، موجوداً كذلك في

¹ محمود السعران: علم اللّغة، ص192.

² نزار قباني: الأعمال السياسية الكاملة، ص170.

نهاية كل سطر من أسطر المقاطع التي تم تحليلها. إن الانتقال إلى سطرين آخرين من مقطع مغاير، هما:

وليست النار، وليس الحريق

سوى قناديل تضيء الطريق¹

يمكننا من احتمال قراءة هذين الأخيرين استفهاماً، وهو الأسلوب الذي يحتم ارتفاع الصوت، أي نغمة تصاعدية عالية، وهذا إما بإضافة أداة الاستفهام "الهمزة"، أو بالاستغناء عنها، مع بقاء نغمة دالة على السؤال. إن تنعيم الاستفهام هنا يبدأ مرتفعاً جداً ثم يضعف أو ينخفض ليرتفع مرة أخرى، والانخفاض هنا ندركه في آخر السطر الثاني، أي في العبارة التالية "تضيء الطريق".

و إنصافاً للسياق هنا، فإنه لا بد أن يُقرأ هذان السطران الأخيران قراءة منخفضة، أو بطريقة النغمة الهابطة التي تدل على النفي الذي يُقصد من خلاله الإثبات والتقرير والإخبار على دلالة ماثلة أمامنا هي إيمان الشاعر بضرورة الصمود ضد كل أساليب القمع التي لن تكون إلا دافعاً ومحركاً يقوي عزائم الفلسطينيين ويشحن همهم ليتحقق وعد الله بالنصر.

وإذا انتقلنا إلى مقطع آخر تمثل لنا النداء في أول سطر منه في قول الشاعر:

يا آل إسرائيل .. لا يأخذكم الغرور

عقاربُ الساعات إن توقفت

لا بد أن تدور²

والنداء هنا يكتسي ميزة نغمية خاصة به، إذ تبدأ النغمة منخفضة في أول الكلام ثم ترتفع تدريجياً حتى يبلغ مستوى قياسياً عالياً. وهو هنا ليس لمجرد لفت انتباه السامع ولكنه يخرج لغرض التهديد والوعيد. ومن أساليب النداء كذلك قول الشاعر نزار:

¹ نزار قباني: الأعمال السياسية الكاملة، ص 171.

² المصدر نفسه، ص 176.

تسعون مليوناً ..

من الأعراب ، خلف الأفق غاضبون

يا ويلكم من ثأرهم ..

يوم من القمقم يطلعون¹

والسياق هنا يفرض نغمة تصاعدية وصوتاً مرتفعاً، لأن الخطاب موجه إلى العدو، فالتنغيم في هذا المقام يلعب دوراً كبيراً في الوصول إلى الدلالة الحقيقية، كما يعدّ قرينة صوتية تعين على كشف ما يختلج الشاعر من حقدٍ وكراهيةٍ اتجاه من اغتصب البلاد وشرّد العباد، ويتضح ذلك أكثر في مد ألف النداء "يا" ليطول بها الصوت ويطول بها التهديد.

وتهديد الشاعر يستمر عبر مقاطع كثيرة مما يفرض تنغيماً متوسطاً ثم يقوى، يظهر في صيغة الأمر وهذا حين يقول الشاعر:

إنتبهوا .. !

إنتبهوا .. !

أعمدة النور لها أظافر

وللشبابيك عيونٌ عشر²

إنّ الأمر من الأفعال التي وظفها الشاعر خاصة عندما يخاطب اسرائيل، وهذه الصيغة تمتلك منحنى نغمية خاصاً به، يجنح في عمومها إلى الارتفاع والصعود، وهذا في قول نزار:

تذكروا ..

تذكروا دائماً

بأنّ أمريكا -على شأنها -

ليست هي الله العزيز القدير

¹ المصدر نفسه، ص 189.

² المصدر نفسه، ص 175.

وأنَّ أمريكا -على بأسها -

لن تمنح الطيور من أن تطير¹

إنَّ القصيدة التي بين أيدينا مبنية على ثنائية الضمير نحن والأنتم، فالأول جاء ليدل على أبناء فلسطين والذي يعتبر الشاعر واحدا منهم والآخر وهو المغتصب، وعليه فإنَّ كثيرا من الحقائق التي يذكر الشاعر بها تأخذ في تنعيمها تلويها موسيقيا قائما على الانخفاض والهبوط. إنَّ تنعيم التقرير والإخبار يبدأ متوسطا ويستمر كذلك ثم ينتهي ضعيفا، وأمثلته كثيرة في المنشورات. يقول الشاعر:

طويلة معارك التحرير.. كالصيام

ونحنُ باقونَ على صدروكم

كالنقش في الرخام ...

باقونَ في صوت المزاريب ..

وفي أجنحة الحمام

باقونَ في ذاكرة الشمس ..

وفي دفاتر الأيام²

إنَّ التَّغْيِيمَ في الأداء الكلامي وخاصة في الشعر يزيد من قدرة التعبير ويبين المعنى المقصود الذي يتَّجه إلى قارئ هو في الحقيقة مشارك في صنعه (المعنى). وهو في هذه المقاطع أداة تعين القارئ أو المستمع على الوصول إلى البنية الكبرى للمنشورات الفدائية.

إنَّ الوصول إلى هذه البنية يعني تحقُّق الفهم وهو نتيجة لوجود وسائل كثيرة من أهمها التَّغْيِيم، إذ يعدّ وسيلة هامة في الأداء الشعري الذي يقوم عليه بالدرجة الأولى، وهو بذلك يعكس الخطاب وموضوعه أو ما يقوله أو ما يقدمه. إنَّ قدرة القارئ تبدو كبيرة وهو يستعين بهذه الوسيلة التَّطْرِيْزِيَّة الجمالية في فهم كل القضايا التي يدور حولها الخطاب الشعري، والتي تتجسد في قضية

¹ المصدر نفسه، ص 179.

² المصدر نفسه، ص 179.

كبرى هي: الإصرار على التجذّر والبقاء على الرغم من سياسة الإبادة التي ينتهجها العدو ضد الفلسطينيين.

خاتمة -

بعد هذه الجولة السريعة في مفهوم التنغيم والسياق وعلاقتها بالأداء الشعري ودورها في فهم البنية الكبرى للخطاب، مكن لنا هذا البحث من الخروج بنقاط مهمة يمكن أن نختصرها فيما يلي:

1- التنغيم من الظواهر التطريزية التي تؤدي دوراً فاعلاً في الأداء الشعري، إذ يجعل النص الشعري يحيا به ويمكن للغة من إثبات قدرتها على تجسيد ديناميكيته وحيويتها.

2- علاوة على ذلك يوضّح التنغيم القدرات الصوتية لدى كل فرد، فالأصوات التي هي أساس اللغة وجوهرها تتكيف مع التغيرات النفسية والانفعالات الشخصية.

3- التنغيم بتواتره التصاعدي والمنخفض يساعد على فهم السياق العام ويحمل المتلقي على استيعاب الخطاب الشعري وموضوعه، ومن ثمة الوصول إلى تحديد بنية كبرى له.

4- إنه كذلك فيصل "حاسم" بين كثير من التراكمات التي يصعب تنميطها، وبالتالي يصعب الوصول إلى تحديد معناها الدقيق.

5- قصيدة نزار قباني تجنح في مجملها إلى التقرير والإخبار، وإثبات لحقائق كثيرة لا ينكرها التاريخ، عكست صورة العدو الصهيوني، فإذا هي صورة مشوهة تفاصيلها مليئة بالدم والظلم والقمع، فالإثبات هنا يفرض عموماً تلويحاً كلامياً هابطاً أو بعبارة أخرى نغمة منخفضة، لأنها حقائق لا تقبل الشك والجدل ولا تحتاج إلى رفع الصوت، فالحقيقة كالشمس لا يمكن إخفاؤها.

6- الأداء الشعري الجميل الذي يترك أثراً في النفس فنّ يحتاج إلى الاستعانة بكثير من الظواهر الصوتية من أهمها التنغيم.

7. لا يمكن أن نفهم النسيج الشعري مالم نركز على كل العناصر التي تشكّل العملية التواصلية، كمعرفة المرسل أو المتكلم، المتلقي، الزمان والمكان

وبالتالي يسهل على المتكلم معرفة مواضع التّغيم لأنّ السّياق هو الذي يفرض تلويها موسيقيا في الخطاب الشعري إمّا ارتفاعاً أو هبوطاً.

وأخيراً، يمكن القول بأنّ الخطاب الشعري بنية معقدة تتضافر فيه مستويات كثيرة ومتنوّعة، والقارئ له لابدّ عليه هو الآخر أن يكون على قدر كبير من المعرفة والإدراك لهذه المستويات من خلال الاعتماد على وسائل يمكنها في النهاية أن توصل إلى فهم صحيح لهذا الخطاب أو ذاك.

والقارئ المحلل في كلّ ذلك يسعى إلى اكتشاف الدلالات الثاوية في أعماق النسيج اللغوي الشعري انطلاقاً من وسائل لغوية تسهم بقدر في رسم معالم بنيته في شكلها الظاهر، بيد أنّ الاعتماد على هذه الوسائل فحسب يبقى أمراً غير مقبول نظراً لقصور هذه الأخيرة في تقديم صورة كلية لموضوع الخطاب الشعري، وهو ما يفرض حضور الوسائل غير اللغوية كأداة فاعلة في الفهم والتحليل والتأويل.

وبما أنّ فهم الخطاب الشعري الحديث مرهون بوجود هذه الوسائل غير اللغوية، فمن الضروري أن نركّز على ثنائيتي التّغيم والسّياق، واللّتان عدّتا على قدر كبير من الأهمية في الوصول بالمتلقي إلى اكتشاف دلالات النّص الشعري خاصة عندما ندرك أنّ الشعر يستمد حيويته وفاعليته من عنصر التلويح الموسيقي ولحن الكلام للتعبير عن العواطف المتباينة إمّا ارتفاعاً أو صعوداً. ولعلّ السّياق كذلك من الوسائل التي تفرض نفسها في الإحاطة بعالم الخطاب الشعري، إذ لا يمكن أن نفهمه بعيداً عن الملابس والظروف الخارجية التي تحيط به.

إذن، فأى عملية ناجحة لفهم الخطابات الشعرية على تنوع مواضيعها، لا يمكن أن تكون ذات قيمة ما لم يُوظف التّغيم والسّياق.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم .

أولاً : قائمة المعاجم العربية :

- 1- ابن منظور: لسان العرب ، ج 3 ، دار صادر بيروت ، ط2، 1412 هـ .
- 2- الرائد (معجم لغوي عصري)، تأ: جبران مسعود، دار العلم للملايين، بيروت، ط7، 1992.
- 3- المعجم الوسيط : تأليف جماعة من الباحثين (مجمع اللغة العربية) ، ج3، دار الفكر.

ثانياً: الدواوين الشعرية :

- 1- نزار قباني : الأعمال السياسية الكاملة، منشورات نزار قباني ، بيروت ، ج3، ط3، 1983

ثالثاً: المراجع العربية -

- 1- إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، مكتبة نهضة مصر.
- 2- يعيش: شرح المفصل للزمخشري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2001، ج05.
- 3- أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، 1997.
- 4- البدر اوي زهران :محاضرات في علم اللغة العام، دار العربي ، القاهرة ، ط1، 2008.
- 5- تمام حسان : اللغة العربية (معناها ومبناها) ، دار الثقافة ، المغرب .
- 6- خولة طالب الابراهيمى: مبادئ في اللسانيات، دار القصة للنشر، الجزائر، ط2، 2006.
- 7- رمضان عبد التواب: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1985.
- 8- موفّق الدين أبي البقاء: شرح المفصل للزمخشري، ج5، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2001.
- 9- عبد الرحمن أيوب: أصوات اللغة، مطبعة الكيلاني، ط2، 1968
- 10- عبد السلام المسدي: مباحث تأسيسية في اللسانيات، دار الكتاب الجديدة المتحدة، لبنان، ط1، 2010.
- 11- عبد العزيز سعيد الصيغ: المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، دار الفكر، دمشق، ط1، 2000.
- 12- عز الدين إسماعيل: الشعر العربي المعاصر (قضايا وظواهره الفنية و المعنوية)، المكتبة الجامعية، ط5.
- 13- على آيت أوشان: السياق والنص الشعري (من البنية إلى القراءة)، الدار البيضاء، المغرب، 1996.

- 14- غانم قدور الحمد: المدخل إلى علم الأصوات العربية، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2004.
- 15- كمال بشر: علم الأصوات، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2000.
- 16- كونغ إجو: نظرية علم اللسانيات الحديثة وتطبيقها على أصوات العربية.
- 17- محمود السَّعْران: علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت.
- 18- منصور بن محمد الغامدي: الصوتيات العربية، مكتبة التوبة، ط1، 2001.
- 19- نور الهدى لوشن: مباحث في علم اللغة و مناهج البحث اللغوي، المكتبة الجامعية، الإسكندرية، 2001.
- 20- يوسف نور عوض: علم النص ونظرية الترجمة، دار الثقة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ط1، 1990.

رابعاً: المراجع المترجمة -

- 1- برثيل مالبرج، علم الأصوات، تع: عبد الصبور شاهين، مكتبة الشباب، القاهرة، 1985.
- 2- جورج أنطونيوس: يقظة العرب (تاريخ حركة العرب القومية)، تر: ناصر الدين الأسد وإحسان عباس، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1974.
- 3- ستيفن أولمان: دور الكلمة في اللغة، تر: محمد كمال بشر، مكتبة الشباب.
- 4- ماريو باي: أسس علم اللغة، تر: أحمد مختار عمر، جامعة طرابلس، ليبيا، 1973.

خامساً: المجالات والندوات :

- 1- زيد خليل القرالة: التشكيل اللغوي و أثره في بناء النص، مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإنسانية)، المجلد السابع عشر، العدد الأول، يناير 2009.
- 2- عماد علي سليم أحمد الخطيب: التراث في نقد الشعر العربي المعاصر، مؤتمر جامعة اليرموك النقدي، الأردن، 2004.
- 3- مزاحم مطر حسين: أثر التنغيم في توجيه الأغراض البلاغية لعلم المعاني، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، العددان 3- 4، المجلد 06، 2007.
- 4- يوسف عبد الله الجوارنة: التنغيم ودلالته في العربية، مجلة الموقف الأدبي، صادرة عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق، العدد 369، كانون الثاني، 2002.
- 5- نايف خرمة: أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، العدد 9، الكويت، سبتمبر 1978.



البعد التداولي عند الجاحظ من خلال كتابه "البيان والتبيين"

عقيلة مصيطفى

جامعة غرداية. الجزائر

ص ب : 455 طريق المطار غرداية 47000. الجزائر

akilamessai07@gmail.com

الملخص -

تهدف هذه الدراسة إلى البحث عن تجليات التداولية تنظيرا وممارسة في فكر الجاحظ، وعن إضافاته في هذا الموضوع، بالبحث عن شروط العملية الإبداعية التي تضمن نجاح التواصل الأدبي، والبحث أيضا عن منهجه وآلياته في معالجة الأساليب الكلامية، ومن تلك القضايا المدروسة: مبدأ القصديّة، نظرية السياق تطبيقاته في إنتاج القول وتلقيه، أقطاب العملية التواصلية أولا المتكلم مكوناته وطرائق التوصيل الفني والتأثير في المتلقي، ثانيا المتلقي وطرائق اكتساب الدلالة وشروط التلقي الجيد، وهو ما سيمكن الدارس من البحث عن تقاطعات فكر الجاحظ التداولي مع ما توصلت إليه النظريات الحديثة.

الكلمات الدالة -

التداولية - القصديّة - الإفهام - الفائدة - السياق - المتكلم - المتلقي

Deliberative Dimension For El Jaheth In His Book "Albayanwaetabyin"

Abstract -

The Present Study Aims To Discuss The Impact Of Pragmatic Theoretically An Practically On The Reflection Of Al Djahid And His Contributions In This Theme By Determining The Conditions Of The Creative Act Which Is Concerned With The Success Of The Literary Communication And Its Methods In Addition To Its Mechanisms Of Treating The Styles Of Speech. Among The Elements Approached: The Principle Of The Intention Of Communication, The Context And Its Application In Producing And Receiving The Speech. The Partners Of The Act Of Communication Involves First, The Speaker And His Processes Of The Artistic Communication And The Influence On The Addressee, Second, The Addressee And The Processes Of Acquiring The Signifier And The Effective Reception. This Factor Will Help The Researcher To Discover The Convergence Of The Reflection Of Al Djahid With The Modern Theories

Keywords -

Pragmatic, The Intention Of Communication, The Cotexte, Enonciateur, Addressee.

تتلخص مهام التداولية في دراسة استعمال اللغة، التي لا تدرس البنية اللغوية ذاتها، ولكن تدرس اللغة عند استعمالها في الطبقات المقامية المختلفة، أي باعتبارها كلاما محددا صادرا من متكلم محدد، وموجها إلى مخاطب محدد بلفظ محدد في مقام تواصل محدد لتحقيق غرض تواصل محدد¹.

إن الباحث في ثنايا التراث العربي البلاغي والنحوي والأصولي والنقدي لا يعدم أن يجد تلك النظرات التداولية المبكرة التي تصف العملية التواصلية بكل عناصرها من: المخاطب المتكلم والمخاطب المتلقي، والرسالة، والقناة، والأثر، وإن افترقت إلى التنظير العلمي الكافي.

لذلك تعتبر البلاغة العربية من الميادين الخصبة التي استثمر فيها الدرس التداولي آلياته، لاسيما في تحديد البلاغيين لمفهومها بأنها مراعاة مقتضى الحال، أي الاهتمام بالمقام الذي تكون فيه أطراف التخاطب، إضافة إلى ربطهم جمالية القول بالجانب الإقناعي فيه.

ج- مقام التخاطب ومقتضياته عند الجاحظ :

إن المقام أو السياق المقامي هو مجموعة المعارف والمدارك التي تتوافر في موقف تواصل لدى كل من المتكلم والمخاطب².

ولا يُنكر أن دلالة السياق تجعل الجملة ذات الهيئة التركيبية الواحدة بمفرداتها نفسها إذا قيلت بنصها في مواقف مختلفة، تختلف باختلاف السياق الذي ترد فيه مهما كانت بساطة هذه الجملة وسداجتها³.

لقد كان مصطلح المقام من أكثر المصطلحات البلاغية تداولاً عند البلاغيين القدماء كثيرا، وإن فكرته عندهم تختلف في كثير من جوانبها عما

قصده أصحاب النظرية السياقية، وقد كان ابن المقفع من أوائل من وظفوه حين سئل عن معنى البلاغة، قال: "البلاغة اسم جامع لمعان تجري في وجوه كثيرة، فمنها ما يكون في السكوت ومنها ما يكون في الإستماع، ومنها ما يكون في الإشارة، ومنها ما يكون في الإحتجاج، ومنها ما يكون جواباً، ومنها ما يكون ابتداءً، ومنها ما يكون شعراً ومنها ما يكون سجعاً وخطباً، ومنها ما يكون رسالة، فعامّة ما يكون من هذه الأبواب الوحي فيها والإشارة إلى المعنى والإيجاز هو البلاغة...وليكن في صدر كلامك دليل على حاجتك، كما أن خير أبيات الشعر البيت الذي إذا سمعت صدره عرفت قافيته فقل له: فإن مل السامع الإطالة التي ذكرت أنها حق ذلك الموقف؟ قال: إذا أعطيت كل مقام حقه، وقمت بالذي يجب من سياسة ذلك المقام، وأرضيت من يعرف حقوق الكلام، فلا تهتم لما فاتك من رضى الحاسد والعدو، فإنه لا يرضيهما شيء، وأما الجاهل فلست منه و ليس منك"⁴.

يكشف نص ابن المقفع عن ملامح السياق في حديثه عن المقام الذي هو عنده من دواعي القول ومقتضياته التي قد تكون إطالة أو إيجازاً، سكوتاً أو استماعاً أو إشارة أو احتجاجاً، والمقام حسبه هو الذي يستدعي نمط القول الذي قد يكون شعراً أو خطباً أو رسالة، يكون بذلك البلاغيون قد أدركوا فعلاً معنى السياق اللغوي وسياق الحال، ووظفوه لاستنتاج الأغراض التي خرجت عن معناها الحقيقي إلى معان أخرى ليست أصلاً فيها.

ولما نادى البلاغيون بأن لكل مقام مقال، إنما قصدوا أن الموقف قد يتطلب أسلوباً ما قد يكون من أساليب الحقيقة أو المجاز، ومن عباراتهم الشهيرة في هذا الباب " لكل كلمة مع صاحبها مقام"⁵.

يرى الجاحظ أن نجاح الخطاب من المتكلم أو المبدع يتوقف على مدى تطابق وتوافق سلوك الكلام مع أحوال المخاطبين ومقاماتهم، وبذلك فإن ربط

المقال بالمقام وملاءمته لمقتضى الحال هي فكرة جوهرية ورئيسية مهيمنة في تصور الجاحظ اللغوي، والتي يقيم عليها كل مادته البلاغية⁶.

أكد الجاحظ في مواضع عدة ضرورة الحرص على المطابقة بين القول والمقام فيقول في باب "تناسب الألفاظ مع الأغراض": "ولكل ضرب من الحديث ضرب من اللفظ، ولكل نوع من المعاني نوع من الأسماء: فالسخيف للسخيف، والخفيف للخفيف، والجزل للجزل، والإفصاح في موضع الإفصاح، والكناية في موضع الكناية والاسترسال في موضع الاسترسال، إذا كان موضع الحديث على أنه مضحك ومُلهٍ، وداخل في باب المزاح والطيب، فاستعملت فيه الإغراب، انقلب عن جهته. وإن كان في لفظه سخف وأبدلت السخافة بالجزالة، صار الحديث الذي وضع على أن يسر النفوس يكره بها، ويأخذ بأكظامها"⁷.

يوضح الجاحظ أن من تمام نجاح المتكلم ألا يكلم الناس حتى يجد منهم اهتماما يشجعه على الاسترسال في الحديث، وإلا سكت وأحجم .
الثقافية والاجتماعية .

أ- الفهم والإفهام:

يظهر البعد التداولي بوضوح في كتب الجاحظ لاسيما في كتابه "البيان والتبيين"، حين يشير إلى ضرورة وضوح طرائق القول لتحقيق الإفهام، إذ غاية الكلام حسبه هي الفهم والإفهام.
إن العلاقة بين المقال والمقام فكرة قديمة سبق إليها الجاحظ ولم يبتدعها، فهي متعلقة بكل فعل قصد به الإبلاغ، مما يحمل المتكلم على التزام جملة من الضوابط تحقق له الإفهام⁸.

كما نهى الجاحظ عن استخدام الألفاظ والمعاني التي لا يفهمها العامة، أو استخدام ألفاظ لا تليق بمقام الخاصة، يقول: "وكما لا ينبغي أن يكون اللفظ عاميا وساقطا سوقيا، فكذا لا ينبغي أن يكون غريبا وحشيا، إلا أن يكون المتكلم بدويا أعرابيا فإن الوحشي من الكلام يفهمه الوحشي من الناس، كما يفهم السوقي رطانة السوقي، وكلام الناس في طبقات كما أن الناس أنفسهم طبقات"⁹.

اهتم الجاحظ بفكرة المستويات اللغوية و أطال المكث عندها و لذلك مبرراته في بنية المجتمع.

و لقد فسر الجاحظ تلك المستويات تفسيراً مادياً اجتماعياً، وذلك منزع أصيل في التفسير عنده، مما يزعم استقرار ذلك التفكير اللغوي المثالي الذي يريد أن يقنع بوحدة اللغة أو بالأحرى وحدة اللغة والاستعمال¹⁰.

يؤكد الجاحظ ارتباط كل طبقة من الناس بلغة معينة، يحسن بالمتكلم إن هو أراد مخاطبتها أن يراعي اللغة التي تتطلبها مستواها الثقافي، ولتعدد طبقات الناس وتباينها تعددت طبقات الكلام وتباينت.

يقول الجاحظ: "وكما لا ينبغي أن يكون اللفظ عاميا، وساقطا سوقيا، فكذا لا ينبغي أن يكون غريبا وحشيا، إلا أن يكون المتكلم بدويا أعرابيا؛ فإن الوحشي من الكلام يفهمه الوحشي من الناس، كما يفهم السوقي رطانة السوقي. وكلام الناس في طبقات كما أن الناس أنفسهم في طبقات، فمن الكلام الجزل والسخيف، والمليح والحسن، والقبيح والسمج، والخفيف والثقيل؛ وكله عربي، وكل قد تكلموا، وكل قد تمادحوا وتعابوا.

فإن زعم زاعم أنه لم يكن في كلامهم تفاضل، ولا بينهم في ذلك تفاوت، فلم ذكروا العيب والبكيء، والحصر والمضم، والخلل والمسهب، والمتشدد والمتفهيق، والمهماز، والثرثار، والمكثار والهماز؟ ولم ذكروا الهجر والهدر، والهديان،

والتخليط، وقالوا: رجل تَلِقَّاعَه، وفلان يتلَهَّيَع في خطبته. وقالوا: فلان يخطئ في جوابه، ويحيل في كلامه، ويناقض في خبره؟ ولولا أن هذه الأمور قد كانت تكون في بعضهم دون بعض لما سمي ذلك البعض البعض الآخر بهذه الأسماء"¹¹.

ففي قول الجاحظ إحياء أعظم بذلك البعد التداولي المبكر في الفكر اللغوي العربي، مفاده أن الفرد يملك القدرة على تمثيل اللغة ولكن ليس بإطلاق، وإنما على قدر الحاجة، ووفق ما حصله من واقعه الثقافي والاجتماعي، فصورة الفكر واستعداد الأفهام متأثرة بفعل التجربة والزمن، فلا شيء يتأتى للمرء فهمه من الصناعات مثلاً دون سابق دربة ومراس¹².

وهكذا فالتفكير البلاغي للجاحظ يقوم على فكرة اختلاف وتعدد المستويات اللغوية لاختلاف منزلة المتكلمين

د- مقام الفن الأدبي عند الجاحظ:

أدرك الجاحظ مبكراً أن لكل فن أدبي مقتضيات و ظوابط يتوقف عليها نجاحه.

لذلك يشدد على ضرورة الأخذ بمقام التخاطب لإنجاحه، وهو جملة الظروف الحافة بالنص، فالخطابة مقام يختلف عن مقام الشعر مثلاً، ولذلك تطلب كل فن منهما بعض الخصائص النوعية¹³.

1- الخطابة :

ولقد كان مقام الخطابة في مقدمة المقامات التي استقطبت اهتمام الجاحظ، وكانت غاية تأليفه في البيان، ومنطلق تصوراته لبلاغة النص فغدت بذلك مقاماتها مصدراً لدراسة البلاغة العربية¹⁴.

وهي حسبها تتطلب من القائل علما بمواضعها ومناسباتها، فتتطلب في الخطيب هيئة مخصوصة، وطريقة في النطق معلومة¹⁵.

وبناء على ذلك يصبح مفهوم النسبية بارزا في تحديد بلاغة النص، فبحكم ترابط "المقال" و"المقام" ترابطا جدليا، تصبح خصائص الكلام غير منفصلة عن السياق الذي يحتويه.

إن الحكم للكلام أو عليه لا يتعلق بشيء في ذاته، ومواصفاته تتولد داخله تولدا ذاتيا، ولذلك تختلف المقاييس باختلاف المواضع، وأكبر دليل على ذلك في آثاره، اعتماده في تحديد الأساليب البلاغية على ملاءمتها للسياق، مما يؤكد أن قيمتها البلاغية ليست قيمة مجردة يمكن ضبطها في قوائم تصلح لكل موضع وحال¹⁶.

ثمة نصوص عديدة في الغرض ذاته، وعلى غاية من الإيجاز والتأليف، ذكر فيها أهم تلك المقتضيات مرتبة بحسب أهميتها، في صدارتها نص رواه عن أحد العلماء، اعتمد فيه مجاز الاستعارة، حيث استعار للخطابة صورة الطائر وأحل كل شرط من الشروط مكان عضو من الأعضاء¹⁷.

قال: "وسمعتة يقول: ((رأس الخطابة الطبع، وعمودها الدرية، وجناحاها رواية الكلام، وحليها الإعراب، وبهاؤها تخير الألفاظ. والمحبة مقرونة بقلّة الاستكراه)). وأنشدني بيتا له في صفة خطباء إياد:

يَرْمُونُ بِالْخُطْبِ الطَّوَالَ وَتَارَةً وَحَيَّ الْمَلَأَ حِظَّ خُفْيَةِ الرُّقَبَاءِ

فذكر المبسوط في موضعه، والمحدوف في موضعه، والموجز، والكناية والوحي باللمحظ ودلالة الإشارة. وأنشدني له الثقة في كلمة له معروفة¹⁸:

أوضح الجاحظ في هذا القول أن أسلوب الكتابة أو القول يتلقى خصائصه من طبيعة الموقف والمقام ذاته، فمقامات تقتضي الإطالة وأخرى تستوجب القص.

يقول في باب "مواضع الإسهاب": "وجدنا الناس إذا خطبوا في صلح بين العشائر أطالوا، وإذا أنشدوا الشعر بين السماطين في مديح الملوك أطالوا، وللإطالة موضع وليس ذلك يخل، وللإقلال موضع وليس ذلك من عجز"¹⁹.

2- النادرة :

ومن أجناس الكلام التي أشار إليها النوادر: إذ تنعكس وظيفتها وهيئة الكلام فيها، مما يستوجب على حاكمها وناقلها احترام خصائص اللغة لدى الطبقة التي ينقل عنها، ويشمل ذلك صورة الكلام ومخارجه وعادتهم في أدائه، ذلك أن المقاصد قد تتم بالخصائص السلبية كالسخر والعجمة، وهذا يعني أن الوظيفة ليست دائماً، رهينة مكانة النص في الفصاحة والبيان بل إن فصاحتها وبلاغتها في خروجها عن المألوف منها²⁰.

وقد اعتنى في هذا النطاق، عناية خاصة بالنوادر باعتبارها نوعاً أدبياً قائماً بذاته قصده الإضحاك والإعجاب، يحكيها المتكلمون ويتناقلها الناس ولا يقف الأمر عند هذا الحد، ذلك أن عدم احترام القصد والغفلة قد يتجاوز الإخلال بها إلى خلق حالة في السامع معاكسة لما كنا نروم منه²¹.

- شخصية الخطيب ومتطلبات المشافهة والمواجهة :

"فمسألة الفهم والإفهام في الخطابة كانت من القضايا التي شغلت رواد الفكر العربي لحرصهم على التواصل الذهني بين الخطيب وجمهوره. فإذا انقطع

التواصل بينهما؛ لعجز المتكلم أو لسوء فهم السامع فقد فقد الكلام غايته وحظه من البلاغة²².

لمقام الخطابة عوامل عدة تتفاعل لإخراجه الإخراج الأمثل، فأساس التواصل بين الطرفين وبلوغ القصد فيها يعتمد على المشافهة والتلفظ بضرب من التلقي المباشر، وهو ما سيجبر المتكلم على تحقيق كل المظاهر المتعلقة بالنص وغيره التي يستوجبها التواصل.

يستلزم الأمر أن يكون النص جاهزا للإستهلاك وقت إلقائه، فما كان ثانويا في الكتابة صار أساسيا في التلفظ، كقوة الصوت وتصريفه وتنويعه حسب المعنى وقدرة المتكلم على النطق الصحيح، وكذا الأداء الصوتي للحروف وفق قواعد الأداء الفصيح، وإحلال الكلمات محلها الصحيح من الإعراب والبناء أهمها في مؤلفات الجاحظ هي الخطابة، التي تتطلب من القائل علما بمواضعها ومناسباتها، فتتطلب في الخطيب هيئة مخصوصة، وطريقة في النطق معلومة²³. إضافة إلى متطلبات المشافهة والمواجهة، فالتوجه إلى الجماعة في مناسبة معلومة وموضوع مضبوط، يتطلب من الخطيب خصالا نفسية وشخصية تشد من أزره، وتقوي عزمه وفق ما يقتضيه المقام، دحرا لعلامات الارتباك والرهبنة وتقطع الأفكار، دون إغفال للأثر الذي تخلفه الخلقة والهيئة، اعتبارا من أن المتلقين يتأثرون أيضا بالظروف الأخرى الحافة بالنص، إلى جانب كيفية أداء النص وما يقتضيه إخراجه من خصائص في تركيب الكلام، واستغلال لسلم الصوت والمطابقة بينه وبين المعنى وإشارة باليد أو بالرأس، وما يظهر على القسمات من انفعال لتتم معه الاستجابة السريعة والمباشرة²⁴.

فلا سلاح للمتكلم في مثل هذه الحالة إلا اقتداره وقوة عارضته وثقته بنفسه، ومن أجل ذلك تراجع أغلب الناس دون هذا المقام، واعترف بتلك الصعوبة نفسها الجاحظ في كثير من المواطن، ولعل روايته عن عبد الملك بن مروان تلخص تلك المصاعب تلخيصاً بليغاً²⁵:

هـ- مقومات المتكلم البليغ الفكرية والحسية عند الجاحظ:

إن للمتكلم من نظرية الجاحظ البلاغية منزلة مرموقة، باعتباره طرفاً أساسياً في عملية الكلام، ويعد عنصراً فعالاً في تحديد خصائص النص، فعلى عاتقه تقع كلفة إخراجه على سمت يستجيب لمقتضيات الوظيفة والإبانة والمقام²⁶.

لذلك نجده يتوجه للمتكلم توجهاً تداولياً مباشراً، بحيث يرشده إلى ضرورة استحضار مقام المتلقين لخطابه، ويبني عليه قوله، فبذلك وحده يصيب هدفه، فينجح خطابه وينال بحاجته، وذلك بأن يبني قوله على ثلاثة متفاعلات هي: مقام السامع الذي يتلقى الخطاب، ومقام المتكلم الذي ينشئه، والظرف الذي يجمعهما معاً.

يقول في كتابه "البيان والتبيين": >> ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وأقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاماً، ولكل حالة من ذلك مقاماً، حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات، فإن كان الخطيب متكلماً تجنب ألفاظ المتكلمين، كما أنه إن عبر عن شيء من صناعة الكلام واصفاً أو مجيباً أو سائلاً، كان أولى الألفاظ به

ألفاظ المتكلمين، إذ كانوا لتلك العبارات أفهم، وإلى تلك الألفاظ أميل لأن كبار المتكلمين كانوا فوق أكثر الخطباء والبلغاء <<²⁷.

وعن الأسباب التي تجعل قول المتكلم بليغا و تضمن له أكبر قدر من التداول والإبلاغ، يحدد الجاحظ عددا من الصفات التي تخص المتكلم وتميزه:

- الطبع:

وهو أخص الصفات التي ألح الجاحظ على ضرورة أن يتصف بها المتكلم لاسيما الخطيب.

يقول الجاحظ داعيا إلى الطبع و تجنب التكلف في كل أمر: << سمعت أبا داود بن حريز يقول وقد جرى شيء من ذكر الخطب وتحبير الكلام واقتضابه، وصعوبة ذلك المقام وأهواله، فقال: تلخيص المعاني رفق، والاستعانة بالغريب عجز، والتشادق من غير أهل البادية بغض، والنظر في عيون الناس عي، ومس اللحية هلك، والخروج مما بني عليه أول الكلام إسهاب >>²⁸.

يروى الجاحظ كلام بشر بن المعتمر إلى إبراهيم بن جبلة وهو يعلم فتياه الخطابة محذرا من التعقيد الذي يفضي به إليه التكلف والتوعر في الكلام، مستوجبا تخير اللفظ للدلالة على المعنى الأليف الصائب والنافع للعامة والخاصة، ومراعاة مقام التلفظ، فبذلك فقط يكون بليغا .

يقول : <<.. وإياك والتوعر، فإن التوعر يسلمك إلى التعقيد، والتعقيد هو الذي يستهلك معانيك، ويشين ألفاظك. ومن أراغ معنى كريما فليلتبس له لفظا كريما؛ فإن حق المعنى الشريف اللفظ الشريف، ومن حقهما أن تصونهما عما يفسدهما ويهجنهما، وعما تعود من أجله أن تكون أسوأ حالا منك قبل أن تلتبس إظهارهما، وترتهن نفسك بملاستهما وقضاء حقهما. فكن في ثلاث منازل؛ فإن أولى الثلاث أن يكون لفظك رشيقا عذبا، وفخما سهلا، ويكون معنك ظاهرا مكشوفًا، وقريبا معروفا، إما عند الخاصة إن كنت للخاصة قصدت، وإما

عند العامة إن كنت للعامة أردت، والمعنى ليس يشرف بأن يكون من معاني الخاصة، وكذلك ليس يتضع بأن يكون من معاني العامة، وإنما مدار الشرف على الصواب وإحراز المنفعة، مع موافقة الحال، وما يجب لكل مقام من المقال. وكذلك اللفظ العامي والخاصي، فإن أمكنك أن تبلغ من بيان لسانك، وبلاغة قلمك، ولطف مداخلك، واقتدارك على نفسك، إلى أن تفهم العامة معاني الخاصة، وتكسوها الألفاظ الواسطة التي لا تلطف عن الدهماء، ولا تجفو عن الأكفاء، فأنت البليغ التام²⁹.

ويسترسل الجاحظ حاثا المتكلم أو الكاتب أن يغتنم فرصة نشاطه وصفاء ذهنه، فذلك له معين على استحضر الطبع في القول أو الكتابة، وتجنب التكلف والصنعة.

فيقول: >> خذ من نفسك ساعة نشاطك وفراغ بالك وإجابتها إياك، فإن القليل تلك الساعة أكرم جوهرًا، وأشرف حسبا، وأحسن في الأسماع، وأحلى في الصدور، وأعلم أن ذاك أجدى عليك مما يعطيك يومك الأطول، بالكد والمطاول والمجاهدة، وبالتكلف والمعاناة، ومهما أخطأك لم يخطئك أن يكون مقبولا قصدا، وخفيضا على اللسان سهلا؛ وكما خرج من ينبوعه ونجم من معدنه...<<³⁰.

- الدرية:

أدرك الجاحظ أن الطبع وحده غير كاف للخطيب أو المتكلم الناجح بل لابد له من طول درية ومراس، فقد كان كثير التشجيع للمبتدئين، وكثير ضرب الأمثلة عن حال أقطاب البلاغة والخطابة، وأول عهدهم بالكتابة، ودعوتهم الحثيثة على المثابرة وإرادة التفوق، وحديثه عن واصل بن عطاء وغيره ممن

تسمنوا قمة الخطابة مع نقص الآلة ، فاللسان المتمكن والقوة المتصرفه إعلاء
لشأن الدربة وحمل الكتاب على مغالبة اليأس³¹.

كما يرفض الجاحظ من المتكلم إفراط ثقته في نفسه وعجبه بثمرة
عقله، وذلك استبعاد منه لسلطة الرأي في تقييم الكلام، إذ الإنسان كثير الميل
والموالة لذويه وأحبابه ،مما يبعده عن الصواب³².

يقول الجاحظ : >> فلا تثق في كلامك برأي نفسك؛ فإني ربما رأيت
الرجل متماسكا وفوق المتماسك، حتى إذا صار إلى رأيه في شعره، وفي كلامه،
وفي ابنه، رأيته متهافتا وفوق المتهافت <<³³.

يخص الجاحظ الناشئة والمبتدئين بالنصح ، اتقاء غلبة الرأي والهوى،
وصرفهم إلى الاهتداء برأي العلماء لطول تمرسهم بالصناعة، ومعرفتهم بوجوه
الكلام المختلفة، فهم لا يصدرون إلا عن رأي ثابت وحكم عادل يسلم به، فيظل
كذلك مهتديا بدربهم حتى يستقيم رأيه و يستقل، ولا يجاوز رأي هؤلاء
العلماء في ما يعرض عليهم ، فهم إما أن يستحسنوه ويستزيدوا منه، وفي هذا
دليل على تفوق الكاتب، أو أن يعرضوا عنه ويعاملوه معاملة المتروك فلا بد من
معاودته والمثابرة على تنقيحه وتهذيبه³⁴.

قال: وسمعتة يقول: >>رأس الخطابة الطبع، وعمودها الدربة، وجناحها
رواية الكلام، وحليها الإعراب، وبهاؤها وتخير الألفاظ. والمحبة مقرونة بقله
الاستكراه <<³⁵:

كما حرص العرب ومنهم الجاحظ حرصا بالغاً، على أن يتذكر المتكلم أول كلامه وأن يحفظ ما سلف من منطقته وألا يخرج عما بنى عليه أول الكلام³⁶.

يقول الجاحظ : >> وكان أذكر الناس لأول كلامه، وأحفظهم لكل شيء سلف من منطقته<<³⁷.

ويقول أيضاً : " >> والعنابي حين زعم أن كل من أفهمك حاجته فهو بليغ لم يعن أن كل من أفهمنا من معاشر المولدين والبلديين قصده ومعناه، بالكلام الملحون، والمعدول عن جهته، والمصروف عن حقه أنه محكوم له بالبلاغة كيف كان<<³⁸.

وبذلك فطريق المتكلم إلى البلاغة هي الطبع والدربة وأمور أخرى مضافة أهمها:

- 1- إدراك المقام الذي أنتج فيه الخطاب.
 - 2- احترام قوانين اللغة الموظفة للتواصل.
 - العلم ورواية الكلام:
- يشدد الجاحظ على ضرورة تحصيل المتكلم ما استطاع من المعارف المعينة على الإبلاغ الحسن كعلوم البلاغة، فبها ينطلق اللسان.
- يقيم الجاحظ علاقة تناسب طردي بين تمكن المتكلم في البيان وتمكنه في العلم، بحيث يكون حظه من الأول على أقدار حظه من الثاني، فبالعلم يكتسب المرء القدرة على التصرف، مما يمكنه من إيفاء كل معنى حقه³⁹.

وكان الجاحظ شديد الحرص على الملاءمة بين منطق الرجل وعقله⁴⁰ وملاءمة كل ذلك لمقدار علمه ومعرفته .

يقول الجاحظ : >> قالوا: وذكر محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، بلاغة بعض أهله فقال: إني لأكره مقدار لسانه فاضلا على مقدار علمه، كما أكره أن يكون مقدار علمه فاضلا على مقدار عقله<<⁴¹.

إن للرواية دورا هاما في تحصيل العلم وصقل اللسان ليجري على كلام العرب وموازينته.

سعى الجاحظ كثيرا إلى إبراز دور الرواية في فصاحة اللسان، وتنمية قدرة المتكلم على البيان، ولقد كان المعتزلة من أكثر الناس حرصا على حفظ الأشعار ورواية الأخبار ومؤلفات الجاحظ نفسه شهادة بينة لأهمية الرواية في صقل اللسان وتهذيب الذوق⁴².

- حسن الاختيار:

يعد مبدأ الاختيار أجل دور للمتكلم عند الجاحظ يقع في صدارة المقاييس في التمييز بين الأسباب وتفضيل بعضها على بعض.

إن أسس الاختيار، في هذا المضمار هي: تحقيق الملاءمة بمعنييها: العام والخاص، أي بين الأطراف الداخلة في تركيب الكلام وبين السياق الحاف بها، ويبرز الاختيار دور المتكلم المسؤول في تحقيق تلك المناسبات، والتي يصاغ الكلام وفقها، وذاك أمر عسر على المتكلم العادي⁴³.

ثم لابد أن يشفع الاختيار بحسن الملاءمة بين المقام والمقال.

ويقتضي الاختيار من المتكلم أن يكون عارفاً بوجوه تصاريف الكلام وهو ما لا يتم إلا للبغاء والأبيناء ممن جبلوا على طبع أدبي قوموه بالدربة والمران، وزكوه بالرواية لعيون الأدب⁴⁴.

يقول الجاحظ على لسان سهل بن هارون: >> وكان سهل بن هارون يقول: ((سياسة البلاغة أشد من البلاغة، كما أن التوقي على الدواء أشد من الدواء))، وكانوا يأمرهم بالتبين والتثبت، وبالتحرز من زلل الكلام، ومن زلل الرأي، ومن الرأي الدبري. والرأي الدبري هو الذي يعرض من الصواب بعد مضى الرأي الأول وفوت استدراكه <<⁴⁵.

يسترسل الجاحظ مخاطباً المتكلم واصفاً الطريقة المثلى التي تجعل منه ناجحاً يؤثر في متلقيه ويحمله على الإستجابة الفورية، ومنه يتحقق الغرض الذي من أجله نسج الرسالة أو قائلها.

يقول: >> قال عمرو: فكأنك إنما تريد تخير اللفظ في حسن الإفهام، قال: نعم. قال: إنك إن أوتيت تقرير حجة الله في عقول المكلفين، وتخفيف المؤونة على المستمعين، وتزيين تلك المعاني في قلوب المرئيين، بالألفاظ المستحسنة في الأذان، المقبولة عند الأذهان، رغبة في سرعة استجابتهم، ونفي الشواغل عن قلوبهم بالموعظة الحسنة، على الكتاب والسنة، كنت قد أوتيت فصل الخطاب<<⁴⁶.

– الموازنة بين الألفاظ والمعاني:

فيكون المعنى على قدر اللفظ والعكس، فلا يطول اللفظ ويقصر المعنى أو العكس، وذلك تمام البلاغة.

يقول: >> وقال بعضهم – وهو من أحسن ما اجتبيناه ودَوَّنَاهُ – لا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه، ولفظه معناه، فلا يكون لفظه إلى سمعك أسبق من معناه إلى قلبك<<⁴⁷.

فسر التفوق عنده ومكمن البراعة في تنزيل المتكلم كلامه المنزل الملائم، والبليغ الخطيب عنده من يجعل أقدار اللغة وتصارييف الكلام مواتية لأقدار السامعين وما تتطلبه أحوالهم، من أجل ذلك كثف عنايته بالمتكلم بشكل خاص⁴⁸.

اللغة عند الجاحظ مستويات وهذه المستويات ترتبط بالناحية الاجتماعية، حتى يكاد يكون لكل طبقة في المجتمع لغة خاصة، يصبح معها لزاما على المتكلم من تمام نجاحه أن يتقن استعمال لغة طبقته.

و- المتلقي السامع:

إن موضوع التلقي في التراث العربي ومنزلة المتلقي خاصة قد استقطبا اهتماما كبيرا، حرصا على تقويم النصوص خاصة منها الشعرية، وتصنيفها من حيث سبق وجودها، ولهذا فإن التراث العربي بشكل عام قد حاول وضع المتلقي "في منزلة مهمة من منازل الأدب وقصده بخطابه قصدا، وحث الشعراء على أن يكون شعرهم متوجها إليه، وهو ما يجعل المبدع الشاعر منشغلا في المقام الأول إلى درجة الهوس باستقطاب هذا المتلقي السامع وحياسة رضاه، وعيا منه بأن في ردود أفعال المتلقي وخاصة من المتخصص إقرارا للحق في نصابه، وقضاء للمبدع بالشعرية أو نقيضها وكأن حضور المتلقي في عملية تلقي النص مبعوث مكتوبا أو مسموعا، مما يورق الشاعر صاحب النص فيدفعه إلى إجادة صنيعة، مرغما إياه على التماس رضى متلقيه أكثر مما يلتمس رضى نصه، بل إن فعل التلقي أشد ارتباطا بالشعر شفاهيا وسماعا، ومنه انضوت تحت مصطلح السامع الشامل مختلف أنماط التلقي الشفاهية أو السماعية فضلا عن القرائية⁴⁹.

و هكذا لقي المتلقي من الجاحظ اهتماما بالغا، إذ شدد على ضرورة أن يكون بينه وبين مخاطبه المتكلم انسجام حول التواضع اللغوي وما آل إليه الإستعمال.

يقول: >> فمن زعم أن البلاغة أن يكون السامع يفهم معنى القائل، جعل الفصاحة واللكنة، والخطأ والصواب، والإغلاق والإبانة، والملحون والمعرب، كله سواء وكله بيانا، وكيف يكون ذلك كله بيانا، ولولا طول مخالطة السامع للعجم وسماعه للفاسد من الكلام، لما عرفه، ونحن لم نفهم عنه إلا للنقص الذي فينا، وأهل هذه اللغة وأرباب هذا البيان لا يستدلون على معاني هؤلاء بكلامهم، كما لا يعرفون رطانة الرومي والصقلي⁵⁰.

والنص إنما يثبت إلى شخص جدير بتفعيله، حتى وإن كان الأمل في وجوده معدوما، وإن كانت كفاية المتلقي لا تساوي بالضرورة كفاية الباعث⁵¹.

- القصدية:

إن القصدية: هي الغاية التواصلية من الخطاب، وإن لصاحب الخطاب إلى جانب مقاصده التواصلية الموضوعية مقصدا تواصليا إجماليا، يدرك من خلال مجموع بنى للخطاب⁵².

إن المتكلم مدعو، لتحقيق المناسبة المرجوة وحتى لا يخرج عن حد البلاغة، إلى مراعاة الغرض الذي يسعى الحديث إلى تحقيقه، فلا يخلط بين أقدار الألفاظ وأقدار المعاني، ولا يتصنع الجد حيث يجب الهزل.

ولقد أتى الجاحظ على القسم الكبير من هذا الجانب عند حديثه عن منزلة المخاطب، الذي يطالب المتكلم بأن يوفي المنازل حقها فلا يستعمل اللفظ المنطقي مثلا، إلا إذا كان السامع من أهل الصناعة⁵³.

ح- شروط الأدب الجيد عند الجاحظ:

تتأتى المقومات الخاصة بالأدب الجيد وفق ضوابط ثلاثة هي:

- الوظيفة:

وأصلها الفهم والإفهام، وهي تقتضي من المتكلم احترام جملة من النواميس اللغوية، وقد حلت من تفكيره، محل الأساس الضروري لكل عملية تواصل لغوي، وهذا ما يفسر استطراداته العديدة إلى قضايا لغوية عامة تبدو لدارس مؤلفاته غريبة عن البحث البلاغي والأدبي الذي هو بصده.

2- السنة :

إن مخطط التواصل عند الجاحظ يكاد يقترب من الاكتمال، فبالإضافة إلى العناصر الأربعة التالية: المتكلم، السامع، الخطاب، بنية وموضوعا، وما يقوم بينهم من روابط يضيف، عنصرا خامسا هاما يصطلح عليه

بـ "السنة"، وما ذاك إلا دليل على سعة إدراكه لكنه التفاهم الحاصل بين المتخاطبين، من ضرورة انتمائهما إلى سنة لغوية مشتركة، عبرها يكون التكامل بين عمليتي تركيب الرموز من المتكلم وتحليلها من طرف السامع⁵⁴. وعن الإيجاز يقول: "... وإنما ينبغي له أن يحذف بقدر ما لا يكون سببا لإغلاقه، ولا يردد وهو يكتفي في الإفهام بشطره، فما فضل عن المقدار فهو الخطل"⁵⁵.

وضوح الدلالة :

كما أن المقام عند الجاحظ قد يقتضي من الكاتب أو القائل الإستغلاق وعدم الإفهام، والإشكال على المتلقي، وتلك أداة لغاية وهي حمل الآخرين بما فهموا على طلب ما لم يفهموه منها.

يقول الجاحظ : >> وقلت لأبي الحسن الأخفش: أنت أعلم الناس بالنحو، فلم لا تجعل كتبك مفهومة كلها، وما بالناس نفهم بعضها ولا نفهم أكثرها، وما بالك تقدم بعض العويص وتؤخر بعض المفهوم؟ قال: أنا رجل لم أضع

كتبي هذه لله، وليست هي من كتب الدين، ولو وضعتها هذا الوضع الذي تدعوني إليه، قلت حاجاتهم إليّ فيها، وإنما كانت غايتي المنالة، فأنا أضع بعضها هذا الوضع المفهوم، لتدعوهم حلاوة ما فهموا إلى التماس فهم ما لم يفهموا... <<⁵⁶.

بل إنه يستحسن الصمت في مواضع يحسن فيها، غير أنه الخطأ بعينه إن استخدم في مواضع أخرى، كما قد تكون الكناية في مواضع أبلغ من الإفصاح. وهكذا يرتبط أيضا عنده الحسن بالنفع والنجاعة، ولا بلاغة للقول عنده ما لم تنكشف وظيفته، وما لم تتحقق فيه شروط الملاءمة بين القول ومقامه الذي قيل فيه.

ويتحقق تلك الوظيفة يتحقق الإفهام، يقول الجاحظ : >> وعلى قدر وضوح الدلالة وصواب الإشارة، وحسن الاختصار، ودقة المدخل، يكون إظهار المعنى، وكلما كانت الدلالة أوضح وأفصح، وكانت الإشارة أبين وأنور، كان أنفع وأنجع، والدلالة الظاهرة على المعنى الخفي هو البيان الذي سمعت الله عز وجل يمدحه ويدعو إليه ويحث عليه، بذلك نطق القرآن، وبذلك تفاخرت العرب، وتفاضلت أصناف العجم <<⁵⁷.

كما نبه إلى وجه ثان يقوم بدور هام في شد السامع إلى المتكلم وفتح ذهنه ونفسه إلى الفهم، وهو أن تكون هناك مناسبة في الاهتمام بموضوع الحديث وهذه المناسبة تخلق توازنا بين إرادة الكلام عند المتكلم وإرادة الفهم والتقبل عند السامع.

يقول الجاحظ على لسان أبي عقيل بن درست: "وقال أبو عقيل بن درست. إذا لم يكن المستمع أحرص على الاستماع من القائل على القول، لم يبلغ القائل في منطقه، وكان النقصان الداخل على قوله بقدر الخلة بالاستماع منه"⁵⁸. واستمرار التواصل أثناء البث يعتبر نتيجة من نتائج التعلق بالوظيفة التي ترتبط بدورها، بالبعد العقائدي في نظرية الجاحظ البلاغية⁵⁹. يقول الجاحظ: >> ومدار الأمر على إفهام كل قوم بمقدار طاقتهم، والحمل عليهم على أقدار منازلهم، وأن تواتيه آلاته، وتتصرف معه أدواته، ويكون في التهمة لنفسه معتدلاً، وفي حسن الظن بها مقتصدًا"⁶⁰.

الخاتمة -

وتحصيلًا لما سبق يبدو الجاحظ كثير الأخذ بالأسباب التداولية للحكم على النصوص محل الدراسة، مستحضرا في أغلب دراساته أغلب عناصر دورة التخاطب، ففي تراث الجاحظ البلاغي الكثير من النظرات والفكر الحدائثية، التي استلهمها غيره من بعده وأنضجها وأخرجها مخرجا جديداً .

الإحالات -

- ¹ - ينظر مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة، بيروت، (ب ط)، (ب ت)، ص: 26.
- ² - ينظر د أحمد المتوكل: المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي، الأصول والامتداد، دار الأمان الرباط، ط: 01، 2006، ص: 22- 23 .
- ³ - ينظر صلاح حسنين، علم الدلالة دار الكتاب الحديث، القاهرة، (ب ط)، 2008، ص: 77.
- ⁴ - الجاحظ: البيان والتبيين، ج: 1، م س: ص: 116/115.
- ⁵ - ينظر تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، م س، ص: 337.
- ⁶ - ينظر حمادي صمو: التفكير البلاغي عند العرب، م س، ص: 202.

- 7- الجاحظ: الحيوان، تح: عبد السلام هارون، مطبعة مصطفى الحلبي وأولاده بمصر، ط: 02، 1965، ج: 03، ص: 39.
- 8- ينظر حمادي صمو، م س، ص: 213.
- 9- الجاحظ: البيان والتبيين، ج: 01، م س، ص: 144.
- 10- ينظر المصدر نفسه، ص: 206.
- 11- الجاحظ: الحيوان، تح: عبد السلام هارون، مطبعة مصطفى الحلبي وأولاده بمصر، ط: 02، 1965، ج: 01، ص: 144/145.
- 12- ينظر حمادي صمو، م س، ص: 206.
- 13- ينظر المرجع نفسه، ص: 201.
- 14- ينظر المرجع نفسه، ص: 233.
- 15- ينظر المرجع السابق، ص: 211.
- 16- ينظر المرجع نفسه، ص: 214/215.
- 17- ينظر المرجع نفسه، ص: 220.
- 18- الجاحظ: البيان والتبيين، ج: 01، م س، ص: 44.
- 19- الجاحظ: الحيوان، ج: 01، م س، ص: 92/93.
- 20- ينظر المرجع نفسه، ص: 211/212.
- 21- ينظر المرجع نفسه، ص: 212.
- 22- محمد عباس عبد الواحد: قراءة النص وجماليات التلقي، بين المذاهب الأدبية الحديثة وتراثنا النقدي، دراسة مقارنة، دار الفكر العربي، مدينة نصر، مصر، ط: 01، 1996، ص: 132.
- 23- ينظر المرجع السابق، ص: 211.
- 24- ينظر المرجع نفسه، ص: 233.
- 25- ينظر حمادي صمو، م س، ص: 234.
- 26- ينظر المرجع نفسه، م س، ص: 248.
- 27- الجاحظ: البيان والتبيين، ج: 02، م س، ص: 139.
- 28- المصدر نفسه، ص: 44.
- 29- المصدر السابق، ص: 136.
- 30- الجاحظ: البيان والتبيين، ج: 02، م س، ص: 135/136.
- 31- ينظر حمادي صمو، م س، ص: 225.
- 32- ينظر المرجع نفسه، ص: 225.
- 33- الجاحظ: البيان والتبيين، ج: 01، م س، ص: 204.
- 34- ينظر حمادي صمو، م س، ص: 226.

- 35- الجاحظ: البيان والتبيين، ج: 01، م س، ص: 44.
- 36- ينظر حمادي صمو: م س، ص: 244.
- 37- الجاحظ: البيان والتبيين، ج: 01، م س، ص: 339.
- 38- المصدر نفسه، ص: 161.
- 39- ينظر حمادي صمو، م س، ص: 227.
- 40- ينظر المرجع السابق، ص ن.
- 41- الجاحظ: البيان والتبيين، ج: 01، م س، ص: 85.
- 42- ينظر حمادي صمو، م س، ص: 232.
- 43- ينظر المرجع نفسه، ص: 218.
- 44- ينظر المرجع نفسه، ص: 249.
- 45- الجاحظ: البيان والتبيين، ج: 01، م س، ص: 197.
- 46- المصدر نفسه، ص: 114.
- 47- المصدر نفسه، ص: 115.
- 48- ينظر حمادي صمو، م س، ص: 203.
- 49- ينظر ينظر عبد القادر عواد: التلقي والتواصل في التراث العربي، العدد: 12، 2012 ص: 15-25
- 50- ينظر الجاحظ: البيان والتبيين، ج: 01، م س، ص: 162.
- 51- ينظر أمبرتو إيكو، القارئ في الحكاية، التعاضد التأويلي في النصوص الحكائية، ترجمة: أنطوان أبو زيد، المركز الثقافي العربي، ط: 01، 1996، ص: 64.
- 52- ينظر: أن رويول وجاك موشلار: التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ترجمة سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، المنظمة العربية للترجمة، دار الطليعة للطباعة والنشر، لبنان، ط: 1، 2003، ص: 206.
- 53- ينظر حمادي صمو، م س، ص: 211.
- 54- ينظر المرجع نفسه، ص: 202.
- 55- الجاحظ: الحيوان، ج: 01، م س، ص: 91.
- 56- المرجع نفسه، ص: 92/91.
- 57- الجاحظ: البيان والتبيين، ج: 01، م س، ص: 75.
- 58- المصدر نفسه، ص: 315.
- 59- ينظر المصدر نفسه، ص: 211.
- 60- المصدر نفسه، ص: 93.



دلالة اللفظ العربي.. من معجمية المعنى إلى رحابة السياق القرآني

عبد العليم بوفاتح

قسم اللغة والأدب العربي، كلية الآداب واللغات

جامعة عمار ثلجي - ص ب 37G طريق غرداية

الأغواط. الجزائر

abdelalimboufatah@yahoo.fr

ملخص -

الدلالة المعجمية هي الدلالة الأصلية الأولى الملازمة للفظ وهو منفرد خارج عن السياق. أما وجود اللفظ داخل السياق فيخرج به عن دلالاته المعجمية، إذ يصبح معناه مرتبطا بالقرائن المحيطة به والسياقات المختلفة التي توجه دلالاته. ولكن عندما يستعمل هذا اللفظ في السياق القرآني، فإننا نتحدث حينئذ عن دلالات أوسع وإحياءات أبعد له، وذلك مما يميز اللفظ العربي في الاستعمال القرآني... وقد قمنا هنا بدراسة تطبيقية لجملة من الألفاظ العربية المستعملة في القرآن الكريم، ووقفنا على مختلف أبعادها وأسرارها، مما يدل على تميزها وارتقائها من حيث عمق الدلالة وقوة الإحياء، عندما وردت في السياق القرآني..

الكلمات المفتاحية -

المعنى المعجمي، السياق القرآني، اللفظ .

The Significance of the Arabic word .. From the Lexical Meaning to the Spaciousness of the Quranic Context

Abstract -

The lexical meaning is the first original meaning that inherent the pronunciation of the meaning and which is unilateral out of the context. But the existence of the word within the context, brings it out of its lexical meaning , where it becomes linked to the indications that surround it, as well as to the different contexts that guide its significance. But when this term is used in The Quran, then we are talking about broader connotations and more distant references. This what distinguishes the Arabic pronunciation in Quranic usage. We have made an applied study of a number of Arabic words used in the Holy Quran with a clarification of its deep connotations in the context of the Quran.

Keywords –

Lexical Meaning . Quranic Context. the word.

توطئة : الدلالة المعجمية للألفاظ –

للمعنى المعجمي حدوده المتمثلة في دلالة اللفظ على المعنى الإفرادي المعروف الموضوع له في أصل الوضع، فهو المادة الأصلية للغة في الاتصال المتبادل بين الناس، وقد " استعمل البشر من القديم إشارات ورموزا تدل على معان في أذهانهم أو تشير بها كل جماعة إلى معاني الأشياء التي يقصدونها. ولو حللنا عملية الكلام : أي اتصال إنسان بآخر عن طريق اللغة لوجدنا ثلاثة عناصر أساسية : أولها اللفظ أو الصورة الصوتية وهو ما أحدثه المتكلم .. وثانيها المعنى أو الصورة الذهنية التي أثارها الكلام في ذهن السامع .. وثالثها الشيء المعنى أو الصورة الخارجية المقصودة . فاللفظ الدال والمعنى المدلول (عليه) والشيء الخارجي المقصود الذي ينطبق عليه المعنى: هي العناصر الثلاثة التي تتألف

منها عملية الكلام أو الاتصال اللغوي".⁽¹⁾ فالمعنى المعجمي إذا هو ما اتفق عليه المجتمع في إطار لغته، وهو " تلك الدلالة الاجتماعية (العرفية) التي يفهمها الفرد في المجتمع ، ويتفق معه على هذا الفهم بقية أفراد المجتمع ويتعلمها الأطفال إلى أن يكبروا فيفهموا بها لغة مجتمعهم".⁽²⁾

وتختلف الدلالة المعجمية عن الدلالة الصرفية والدلالة التركيبية للكلمة، فلو أخذنا مثلاً جملة : أقبل زيد . وأردنا تحديد دلالاتها الثلاث التي ذكرناها لقلنا إنّ : (أقبل) هي (أتى) معجمياً ؛ وهي صرفياً : (فعل ماضٍ ثلاثي تام متصرف) ؛ وهي نحويًا أو تركيبياً : (فعل ماضٍ مسند. وأما (زيد) فمعناه المعجمي: هو (شخص ذكر...) ومعناه الصرفي: هو (اسم مفرد دالّ على الذات) ؛ ومعناه النحوي أو التركيبي: هو (فاعل مسند إليه). وبهذا نستنتج أن الدلالة المعجمية هي دلالة ملازمة للكلمة وهي منفردة خارجة عن السياق ومعزولة عن الجملة ، ذلك لأنّ وجودها داخل السياق يخرج بها عن دلالتها الأصلية الأولى التي وضعت لها ويصبح معناها مرتبطاً بالقرائن المحيطة بها والسياقات المختلفة التي توجهها. " ولتفادي التراكيب غير المعقولة ، فإن استعمال الوحدات المعجمية يستدعي مراعاة السياق الذي يتدخل في وصف المواقع الممكنة للوحدة المعجمية".⁽³⁾ . وإذا نظرنا إلى معنى الكلمة وجدناه يتألف من اجتماع عدة عناصر يضاف بعضها إلى بعض ويحدده ، وهذه العناصر هي: الأصل الاشتقاقي أو المادة الأصلية التي ترجع إليها الكلمة . وهي تتألف من مجموعة أصوات أو حروف؛ ثم البناء الصرفي أو صيغة الكلمة ؛ ثم حياة هذه الكلمة والتاريخ الذي تقلبت فيه فحدد استعمالاتها الكثيرة ووجوه معناها أو معانيها

⁽¹⁾ - محمد المبارك: فقه اللغة وخصائص العربية . ص 166 - 167

⁽²⁾ - د/ محمد أبو الفرج : المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث - دار النهضة العربية - بيروت / ط1 (1966) . ص 102

⁽³⁾ - سليم بابا عمر وباني عميري : اللسانيات العامة الميسرة - علم التراكيب - طبعة أنوار - الجزائر (1990) . ص 61

المتعددة. ويحدد سياق الكلام أو الاستعمال في نص خاص أحد هذه الوجوه أو المعاني.⁽⁴⁾

ولقد حظيت الدراسة المعجمية - كغيرها - باهتمام العلماء قديما ، فمنهم من ألف المعاجم لاستقصاء المعاني المعجمية للكلمات، ومنهم من تناولها في تفاريق مؤلفاته وضمن دراساته في العلوم الإسلامية وتحليل النص القرآني على ضوء علوم العربية.. وقد ذكر محمد المبارك من أن معاجم اللغة العربية حتى نهاية القرن الأول للهجرة تدون المعاني الأصلية الأولى للكلمة والمعاني الأخرى التي طرأت على الكلمة. وتقف عند هذا الحد، وأما المعاني التي طرأت بعد هذا التاريخ فليس من معجم يجمعها إلا بعض أنواع منها جمعت في كتب خاصة كمصطلحات الفقهاء أو الفلاسفة، ولكن أكثرها غير مجموع. وأمام الباحثين عمل كبير في تتبع معاني الألفاظ في النصوص القديمة منذ القرن الثاني للهجرة في كتب الأدباء والمؤرخين والفلاسفة والفقهاء والصوفية ومختلف الوثائق الأخرى.⁽⁵⁾

تكامل الأصل والفرع في دلالة اللفظ :

لعل من أبرز الذين تحدثوا في هذا الباب من أصحاب المعاجم أحمد بن فارس في معجمه الموسوم بـ " مقاييس اللغة " إذ نجده يأتي بالأصول الثلاثية للمواد اللغوية ثم يذكر أصول الدلالات المناسبة لها على التقابل، وكلما تفرعت مادة لغوية عن الأصل نضرع عنها معنى معين مناسب لها. وبهذا جعل الألفاظ أصولاً وفروعاً ، وكذلك فعل مع المعاني، وقد بنى فكرته هذه على مقياس معين يتمثل في تفرع المعاني والدلالات العامة عن أصل لغوي واحد، ثم تأتي باقي التفرعات المتصلة بالمادة الأصلية.

وبهذا أثبت ابن فارس أمرين، أولهما: أن دراسة المادة اللغوية تقوم على مقاييس وضوابط علمية، وتتجلى هنا في قضية الأصلية والفرعية في اللفظ ومعناه، وثانيهما: أن المعاني والدلالات تتوزع إلى زمر ومجموعات لا ينفك بعضها عن بعض، فهي كلها ترجع إلى مادة لغوية واحدة تجمعها سماها

⁽⁴⁾ - فقه اللغة وخصائص العربية. ص 170

⁽⁵⁾ - المرجع نفسه: ص 211

(الأصل)، إذ يقول: "إن لغة العرب مقاييس صحيحة وأصولاً تتفرع منها فروع، وقد ألف الناس في جوامع اللغة ما ألفوا ولم يعربوا في شيء من ذلك عن مقاييس من تلك المقاييس ولا أصل من تلك الأصول، والذي أومأنا إليه باب من العلم جليل، وله خطر عظيم، وقد صدرنا كل فصل بأصله الذي تتفرع منه مسائله، حتى تكون الجملة الموجزة شاملة للتفصيل، ويكون المجيب عما يسأل عنه مجيباً عن الباب المبسوط بأوجز لفظ وأقربه".⁽⁶⁾

هذا، وإنّ الفكرة التي نريد إقرارها تشبه إلى حدّ كبير ما انتهجه ابن فارس في "معجم مقاييس اللغة" إلا أنّ ابن فارس جعل مواد اللغة زُمرّاً، بحيث تتقارب دلالات هذه المواد فيما بينها على مستوى كلّ زمرة على حدة؛ أمّا ما نرمي إليه هنا فهو إثبات التقارب بين دلالات الألفاظ في الزمر كلّها، بحيث لا تعارض في الأصل بين هذه الدلالات، بل إنّها تصل أحياناً إلى حدّ الاتحاد فيما بينها لبلوغ المقاصد التي أريد التعبير عنها، خصوصاً فيما يتعلّق بالاستعمال القرآني للفظ..

مستويات دلالة اللفظ :

تقوم دلالة اللفظ في الأساس على الترابط الحاصل بين اللفظ من جهة اختياره صوتاً وصيغةً، وبين المعنى من حيث كونه دافعاً إلى اختيار لفظ دون آخر، وهذا يقتضي بالضرورة أن يكون اللفظ مناسباً للمعنى، إذ لا يمكن التعبير عن معنى معين بغير لفظه، إمّا حقيقةً أو على سبيل المجاز، على اعتبار أنّ المجاز لا ينفصل عن أصل المعنى، حتى وإن تشعبت دلالاته..

هذه الفكرة التي نتحدث عنها هي المنطلق عند علماء العربية - ولا سيما أولئك الذين بحثوا في إعجاز لغة القرآن - في تحديد دلالة اللفظ على المعنى. ولناخذ على سبيل المثال رأي الخطابي من أنّ جهات إنشاء الكلام ثلاث هي "لفظ حاصل، ومعنى به قائم، ورباط لهما ناظم. وإذا تأملت القرآن وجدت هذه الأمور

⁶ - ابن فارس: معجم مقاييس اللغة - بتحقيق وضبط عبد السلام هارون - طبعة دار

الجيل :بيروت: (1420هـ / 1999م) ص3

منه في غاية الشرف والفضيلة، حتى لا ترى شيئاً من الألفاظ أفصح ولا أجزل ولا أعذب من ألفاظه..⁽⁷⁾

ولقد حظي اللفظ القرآني بأهمية كبيرة لدى العلماء قديماً، يدل على ذلك ما خلفوه من أعمال تجمع بين الكثرة والتنوع في هذا الباب. ولندكر على سبيل المثال من كتب الغريب كتاب "غريب القرآن وتفسيره" لأبي عبد الرحمن البيهقي؛ وكتاب "تفسير غريب القرآن" لابن قتيبة؛ وكتاب "تحفة الأريب بما في القرآن من غريب" لأبي حيان الأندلسي؛ وكتاب "مفردات القرآن" للراغب الأصفهاني الذي جعل معرفة ألفاظ القرآن شرطاً في معرفة معانيه.. وهذا إضافة إلى كتب المجاز القرآني ككتاب "مجاز القرآن" لأبي عبيدة؛ وكتاب المعاني ككتاب "معاني القرآن" للفرّاء، وكتاب "معاني القرآن" للأخفش الأوسط، وهما كتابان يغلب عليهما المنحى النحوي في التحليل.. وهناك غير هذه الكتب مما يدل على اهتمام العلماء قديماً بدراسة اللفظ القرآني والوقوف على أسرار دلالاته.

ثم نقف عند ظاهرة أخرى تتمثل في جريان استعمال اللفظ العربي على مستويين: مستوى حقيقي أصلي انطلاقاً من الوضع اللغوي، ومستوى مجازي قائم على ظاهرة العدول باللفظ عن معناه الأصلي، كي يستجيب لمقاصد المتكلمين والأغراض المراد التعبير عنها، وفي هذه الحال الأخيرة يأخذ اللفظ عدة مظاهر تدخل في مجال البلاغة بفنونها المختلفة من مجاز واستعارة وكناية وغيرها من السياقات التي توجه دلالات اللفظ بحسب تنوعات استعماله.. فهل راعت المعاجم العربية هذا التنوع الدلالي في استعمال اللفظ وجريانه على الحقيقة أو المجاز؟

الحق أن المعاجم في مجملها اهتمت بالدلالة الأصلية الإفرادية للفظ، من غير النظر في استعمالاته المجازية وسياقاته المختلفة وما يفرضه من إحياء دلالية، باستثناء بعض الجهود المتفرقة التي بُذلت في هذا الشأن، كالذي قام به الزمخشري في معجم أساس البلاغة.. ومن جهة أخرى نلاحظ اهتمام علماء اللغة حديثاً بدراسة اللفظ من جهة دلالاته الحسية المستمدة من بيئته، إذ

⁷ - بيان إعجاز القرآن: ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ص 24

قدّموها على الدلالة المعنوية. فالأولى تقابل الدلالة الحقيقة للفظ، بينما تقابل الثانية دلالاته المجازية. وهذا كذلك لا نجده عند أصحاب المعاجم إلا في حدود معينة. إذ " الملاحظ عند علماء اللغة المحدثين أن المعاني الحسية أسبق في الوجود من المعنويات، وأن المعنويات فرع الحسيات بطريق المجاز، غير أن أصحاب المعاجم العربية لم يفرقوا بين الحقيقي والمجازي في هذه المعاني الكثيرة التي جمعوها للكلمات في معاجمهم".⁽⁸⁾

الاستعمال القرآني وتنوعات دلالة اللفظ العربي :

نريد أن نتحدث هنا عن ظاهرتين لهما من الأهمية ما لا يخفى: تتمثل الأولى في ذلك التغيّر الذي طرأ على الألفاظ العربية بمجيء الإسلام. فبعض الألفاظ القرآنية لم تكن موجودة فأضافها الإسلام إلى المعجم العربي في إطار تأثير القرآن في الثقافة العربية وإثرائها بمواد لغوية جديدة بألفاظها ومعانيها . وبعضها تغيرت دلالاته تأثراً بالاستعمال القرآني، فلم تعدّ يُستعمل كما عهد عند العرب قبل الإسلام. وقد " لاحظ المفسرون وعلماء اللغة ورود كلمات في القرآن الكريم بمعان غير المعاني التي وردت فيها في الشعر الجاهلي وفي استعمال العرب قبل نزول القرآن ، فأرادوا أن يميزوا بين المعنى العربي والمعنى الإسلامي ، فقالوا : هذا اسم لغوي وهذا اسم شرعي..

وقد تحدث أحمد بن فارس عن هذه الظاهرة قائلاً : " كانت العرب في جاهليتها على إرث من إرث آبائهم في لغاتهم وآدابهم ونسائهم وقرايبهم ، فلما جاء الله جل ثناؤه بالإسلام حالت أحوال ونُسخت ديانات وأبطلت أمور ، ونُقلت من اللغة ألفاظ من مواضع إلى مواضع أخرى بزيادات زيدت وشرائع شرعت وشرائط شُرطت ، فعفى الآخر الأول. فكان مما جاء في الإسلام ذكر المؤمن والمسلم والكافر والمنافق.." ⁽⁹⁾ فهذه إشارة مهمة إلى ما طرأ على كيان اللفظ العربي من تغيير، إمّا كلياً باستعمال ألفاظ لم تكن معروفة من قبل، أو جزئياً

⁽⁸⁾ رمضان عبد التواب: فصول في فقه العربية، ص328.

⁽⁹⁾ - أحمد بن فارس : الصحابي في فقه اللغة ص:44 - 45 (وينظر : في المصطلح الإسلامي

للدكتور إبراهيم السامرائي:ص8- 9)

بتغيير دلالات كثير من الألفاظ التي كانت مستعملة على غير ما كان معروفاً لدى العرب من قبل.

لقد تطورت ألفاظ كثيرة من دلالاتها القديمة المحدودة إلى دلالات جديدة أوسع ومعانٍ أرحب وأبعد.. وهذا ما أقره علماء المعاجم أنفسهم ، فهذا ابن فارس يقول في موضع آخر : " .. إن العرب إنما عرفت المؤمن من الأمان والإيمان وهو التصديق ، ثم زادت الشريعة شرائط وأوصافاً بها سمي المؤمن بالإطلاق مؤمناً ، وكذلك الإسلام والمسلم ، إنما عرفت منه إسلام الشيء ، ثم جاء في الشرع من أوصافه ما جاء ، وكذلك كانت لا تعرف من الكفر إلا الغطاء والستر ، فأما المنافق فاسم جاء به الإسلام ليقوم أبطنوا غير ما أظهره ، وكان الأصل من نافقاء اليربوع ."⁽¹⁰⁾

هكذا تحدث علماء اللغة والمعاجم عن هذه الظاهرة وأوردوا أمثلة من الألفاظ القرآنية بينوا فيها الألفاظ الجديدة التي جاءت مع القرآن ، كما بينوا تطور دلالات كثير من الألفاظ عما كانت عليه قبل مجيء القرآن .⁽¹¹⁾

إن هذه الظاهرة لتنبئ عن مدى تأثر اللفظ العربي بالاستعمال القرآني من جهة الدلالة ، وأن القرآن الكريم منح اللفظ العربي سعة ما كانت لتكون لولا هذا التأثير الذي كان عاملاً أساسياً من عوامل الحفاظ على نضارة العربية ومرونتها ومسيرتها لنواميس التطور والازدهار ..

وأما الظاهرة الثانية ، وهي التي تعيننا أكثر في هذا المقام ، فتتمثل في ذلك التعانق الغريب والتقارب العجيب بين الألفاظ العربية من خلال تلك الإحياء الدلالية التي تستمدّها من وجودها ضمن النص القرآني بسياقاته المتعددة ، بما يتجاوز حدود معانيها ودلالاتها في المعجم . حتى كأن كلّ مادة لغوية أصلٌ لما ينتج عنها من المعاني ، وكأنّ هذه المعاني من منبع واحد مهما تفرعت وتنوعت .. وهذا ما يجعلنا نقول : إنّ اللفظ القرآني يستمدّ دلالاته من مشكاة واحدة ، إذ لا

10 - معجم مقاييس اللغة : ص 78

11 - يرجع في هذا الشأن إلى : الصحابي لابن فارس ؛ وبصائر ذوي التمييز للفيروز آبادي ؛

والزهري للسيوطي ؛ وغيرها ..

سبيل إلى إنكار ما هنالك من تواشج بين مختلف الدلالات التي يفرزها اللفظ القرآني في استعمالاته المتعددة.

فعلى الرغم مما يبدو من تباين في معانيها اللغوية التي أوردتها المعاجم ، نجد بين هذه الألفاظ من الروابط والأسباب ما يصل بين معانيها ويقرب دلالاتها ويجمع شتاتها.. وهذا ما سنعمل على بيانه وإثباته من خلال دراسة تطبيقية لبعض الألفاظ من حيث دلالاتها في المعاجم وعلاقات الترابط والتداخل بين هذه الدلالات، وما تحمله من المعاني والإيحاءات التي تستمدّها من استعمالها في النص القرآني.. وما هذه الألفاظ إلا نماذج أردنا أن نبين من خلالها سعة دلالة اللفظ القرآني وتميّز هذه الدلالة عن دلالاته في المعجم . ولعلّ هذه الدراسة سيكون لها ما بعدها بغية التطرّق لدلالات جديدة من استعمالات أخرى للألفاظ القرآنية.. وذلك من خلال الجمع بين معانيها في المعجم ودلالاتها في النص القرآني ، قصد بيان سعة دلالة اللفظ في الاستعمال القرآني عنها في استعمال المعجم .

وقد لفتت هذه الظاهرة نظرنا من مطالعاتنا لدلالات الألفاظ، فأردنا أن نشير إليها في هذه الدراسة التي اخترنا فيها بعض المواد اللغوية التي يمكن البحث في دلالاتها وإيحاءاتها القرآنية ضمن السياق تارة، وتنويع استعمالها تارة أخرى، بما يدعو إلى الاهتمام بها ، علماً أنّ هذه الدراسة يمكن أن تشمل عدداً أكبر من الألفاظ العربية المستعملة في القرآن الكريم بدلالات أوسع وإيحاءات أبعد مما ورد في المعاجم العربية، أو حتى في الاستعمالات التي تداولها العرب في شعرهم ونثرهم.. كما تجدر الإشارة إلى أنّ كل مادة لها خصوصيتها الدلالية، إنّ في المعجم أو في السياق القرآني، وذلك بحسب طبيعة المادة نفسها وما تحمله من معنى على ضوء السياق الذي ترد فيه..

دراسة تطبيقية لدلالات بعض الألفاظ القرآنية :

انتقينا هنا بعض الألفاظ لدراستها دراسة تطبيقية تتجلى من خلالها أبعاد اللفظ العرب في الاستعمال القرآني.. غير أنّ هذه الألفاظ التي سنوردها لا تمثل إلا نموذجاً يسيراً يبين أنّ استعمال الألفاظ العربية استعمالاً قرآنياً يمنحها حيّزاً واسعاً في المجال الدلالي ، من شأنه أن يثري المعنى ويسهم في

تحقيق فهم أفضل للنص القرآني ويمكن من استكشاف بعض ما ينطوي عليه من الأسرار في هذا الجانب..

لفظ (أنس):

جاء في مفردات الراغب أنَّ الإنسان خلاف الجن ، والأنس خلاف النفور. والإنسي منسوب إلى الإنسان، يقال ذلك لمن كثر أنسه ولكل ما يؤنس به .. والإنسي من كل شيء ما يلي الإنسان .. وجمع الإنسان: أناسي وقوله (حتى تستأنسوا) أي : تجدوا إيناسا. والإنسان : قيل سمي بذلك لأنه خلق خلقة لا قوام له إلاَّ بأنس بعضهم ببعض ولهذا قيل : الإنسان مدني بالطبع من حيث لا قوام لبعضهم إلاَّ ببعض. ولا يمكنه أن يقوم بجميع أسبابه .وقيل سمي بذلك لأنه يأنس بكل ما يألفه وقيل هو "إفعلان" وأصله "إنسيان" سمي بذلك لأنه عهد إليه فنسي.⁽¹²⁾

أما في اللسان فأصل الإنسان : إنسيان لأن العرب قاطبة قالوا في تصغيره : أنيسان.. وأصل الناس كما قال أبو الهيثم: أناس فالألف فيه أصلية ثم زيدت عليه اللام للتعريف ، ثم كثرت في الكلام فكانت الهمزة واسطة فاستثقلوها فتركوها ، وصار الباقي: الناس بتحريك اللام بالضمه ، فلما تحركت اللام والنون أدغموا اللام في النون ، فقالوا: "الناس" فلما طرحوا الألف واللام ابتدأوا الاسم فقالوا: قال ناس من الناس. هذا تعليل النحويين. وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : إنما سمي الإنسان إنسانا لأنه عهد إليه فنسي . وقال أبو منصور: إذا كان الإنسان في الأصل إنسيان فهو : إفعلان من النسيان وقول ابن عباس حجة قوية له ، وهو مثل : أضحيان من: ضحى يضحى، وقد حذفت الياء فقليل : إنسيان.⁽¹³⁾ وقيل الكثير في أصل كلمة (الإنسان). ومادة (أنس) قيل فيها أكثر من عشرة معان في اللسان وفي غيره وكثرت فيها أقوال العلماء مما لا يتسع له المقام وهنا.

وأما ابن القيم فيرى أنَّ الإنسان سمي إنسانا " لأنه يونس (أي : يرى بالعين) . والناس فيه قولان: أحدهما : أنه مقلوب من (أنس) وهو بعيد . والأصل عدم

⁽¹²⁾ - معجم مفردات ألفاظ القرآن مادة (أنس) ص24

⁽¹³⁾ - لسان العرب : مجلد : 6 ص 10 مادة (أنس) [باب السين ، فصل الهمزة]

القلب . والثاني : وهو الصحيح أنه من (النوس) وهو : الحركة المتتابعة فسمي الناس ناسا للحركة الظاهرة والباطنة كما سمي الرجل بـ(حارث وهمام) وهما أصدق الأسماء كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "لأن كل أحد له هم وإرادة وهي مبدأ وحرث وعمل هو منتهى فكل أحد حارث وهمام." والحرث والهم حركتا الظاهر والباطن. وهو حقيقة (النوس) . وأصل (ناس) (نوس) تحركت الواو وقبلها فتحة فصارت ألفا. هذان هما القولان المشهوران في اشتقاق الناس.⁽¹⁴⁾

فالإنسان - على قول ابن القيم - مشتق من (النوس) وهو الحركة المتتابعة . وسمي الناس بهذا الاسم لحركتهم الظاهرة والباطنة، ف(حارث) اسم إنسان يدل على الحركة الظاهرة وهي "الحرث" ؛ و(همام) أيضا اسم إنسان يدل على الحركة الباطنة وهي "الهم أو الهمة" . وكل أحد (حارث وهمام) كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم . أي أن كل إنسان له حركة ظاهرة وباطنة ، وهذا ما بنى عليه رأيه مرجحا اشتقاق (الإنسان) من (نوس) ومستبعدا أن يكون (الإنسان) مشتقا مقلوبا من (أنس) .

أما القول بأن (الإنسان) مشتق من (النسيان) وأنه سمي إنسانا لنسيانه. ومنه الناس. فمردود لما هنالك من الفرق بين مادتي الكلمة (إنسان ونسيان) في أصل اشتقاقهما، إذ إن (النسيان) مادته (ن س ي) و(الإنسان) مادته (ن و س). والنسيان بعيد أيضا من الإنس الذي مادته (أن س). ويبين أن " الإنسان هو (فعلان) من (أنس) والألف والنون في آخره زائدتان لا يجوز فيه غير هذا البتة، إذ ليس في كلامهم (أنسن) حتى لا يكون (إنسانا - إفعالا) منه، ولا يجوز أن يكون الألف والنون في أوله زائدتين إذ ليس في كلامهم (انفعل) فيتعين أنه (فعلان) من الإنس. ولو كان مشتقا من (نسي) لكان نسيانا لا إنسانا.⁽¹⁵⁾

وبناءً على ما ذكرنا، يكون اشتقاق الإنسان من (نوس) وليس من (نسي)، كما يكون أيضا من مادة (أنس) التي منها الإنس والأنس ، للمناسبة الموجودة بين هذا اللفظ ومعناه مع ثبوت وحدة المعنى لتقابل هذه المادة وتصرفاتها. فالإنس والإنسان على هذا مشتقان من الإيناس وهو الرؤية

⁽¹⁴⁾ - بدائع الفوائد : 2 / 394

⁽¹⁵⁾ - المصدر نفسه : 2 / 394 - 395

والإحساس. ويُستدل على هذا بقوله تعالى: ﴿ أَنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا ﴾ [القصص/29] وقوله تعالى ﴿ فَإِنْ أَنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا ﴾ [النساء/6] . ففي الآية الأولى : (أنس) بمعنى (رأى) وفي الآية الثانية (أنستم منهم رشدا) بمعنى أحسستموه ورأيتموه.⁽¹⁶⁾

نستنتج أن مادة (أنس) ناتجة عن تقليب مادة (نوس) وأن (الإنسان) يصح أن يكون مشتقا من المادتين كلتيهما. ف(الإنس) بينها وبين (الإنسان) مناسبة في اللفظ والمعنى ، وإذا استعملنا هذه المادة (أنس) صار (الإنس) أو (الإنسان) مشتقا من (الإناس) وهو الرؤية والإحساس. أما إذا رجعنا إلى المادة الأولى (نوس) فيكون الإنسان مشتقا من (النوس) وهو الحركة المتتابعة كما ذكرنا. وفي كلتا الحالتين يُستبعد أن يكون (الإنسان) مشتقا من (النسيان) ، لأن مادة (ن س ي) تختلف عن مادتي (أنس) و (ن وس) اختلافاً بيّناً .

ولكننا بالرجوع إلى استعمالات هذه المادة في النص القرآني نجد سياقات أخرى تفرز دلالات متنوعة لمادة (أنس) وما يشتق منها.. ففي قوله تعالى: ﴿ إِذْ رَأَىٰ نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدٍ عَلَىٰ النَّارِ هُدًى ﴾ [طه/ 10] تناولت المعاجم العربية مادة (أنس) من الناحية اللغوية على أن: آنَس الشيء أبصره ، و آنَس الصوت سمعه، وأما

(استأنس) فمعناها اللغوي: استأذن. ولكنّها لم تشر إلى المعنى المراد من استعمال هذا اللفظ دون سواه . فاستعمال (أنس) في الآية السابقة يدل على معنى الاطمئنان والارتياح الذي يبعث في النفس الإقبال على الشيء ، بحيث يكون النفور والإعراض ما لم يوجد هذا الاطمئنان . وبهذا يظهر أن الاستئناس ليس مجرد الإبصار أو السماع ، وإنما جاء اختيار هذا اللفظ دون غيره لما يحمله من دلالة تتصل بالجانب النفسي ، وتستجيب للسياق الذي وردت فيه..

وكذلك في قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ﴾ [النور/ 27] ليس الاستئناس هنا مجرد الاستئذان كما جاء في المعاجم، وإنما يحمل هذا اللفظ معنى القرب والطمأنينة بما يجعله يقترب من البيت، ولذلك جاء السلام على أهله بعد

⁽¹⁶⁾ - المصدر نفسه : 394/2

الاستئناس مباشرة . فدخل البيت لا يكون إلا بعد وجود هذا الإحساس من الارتياح لدى الطارق، فيدفعه إلى الاقتراب والاستئناس بالكلام وغيره إلى أن يصل إلى مدى أقرب يجعله يسلم على أهل البيت، ثم الدخول إن أُذِنَ له. وهذا من الآداب التي يغرسها القرآن في نفوس المسلمين المؤمنين الذين يراعون حرمة البيوت وآداب الزيارة..

وفي قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ أَنْسَمَ مِنْهُمْ رَشْدًا ﴾ [النساء/6] لا يقف المعنى عند مجرد الرؤية والإحساس، وإن كانا هما الأصل، وإنما علينا أن ننظر في البعد الدلالي لهذا اللفظ الذي يتجاوز إبصار العلامات الحسية الدالة على الرشد والبلوغ لدى الأبناء، إلى دلالات أوسع تتمثل في التأكد والتحقق بعد الامتحان، حتى يكون الاطمئنان إلى رشدهم بالفعل من غير شك ولا تردد، حرصاً من المسلمين على عدم مخالفة تعاليم دينهم، فتكون أحكامهم في هذا الباب مؤسسة على التثبت والتيقن من هذا الأمر.. ولا نجد في المعاجم العربية من مثل هذه الإشارات الدلالية في دراسة الألفاظ القرآنية، مع أن النص القرآني حمّل أوجه كما يقال.. وإذا أنعمنا النظر في تنوعات هذه المادة وجدناها تتفق في الدلالة على الإنسان على الرغم من اختلاف العلماء في ذلك. فإن الإنسان مأخوذ من الأنس والنوس والنسيان، من غير إبعاد واحد من هذه المعاني. ذلك أن الإنسان لا يمكنه أن يعيش بعيداً عن بني جنسه، فهو اجتماعي بطبعه. كما أن الله سبحانه خلق الإنسان وأمره، فيما أمره، أن يتعامل مع سائر الناس لأن مصالحه متشابكة بينه وبين غيره.. ولذلك جعل الله الناس مختلفين ليستفيد بعضهم من بعض ويخدم بعضهم بعضاً، وبين أن هذا الأمر بالغ الأهمية إذ قرنه بخلق السماوات والأرض، قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَخِلْقَ الْإِنسَانِ﴾ [الروم/22] كما أن هذا الأمر (أي اختلاف الألسنة والألوان) جاء في سياق تعدد ذكر آيات الله باستعمال عبارة " ومن آياته " ست مرات إلى جانب ذكر آيات أخرى لم ترد فيها هذه العبارة.

إن هذا الاختلاف من أكبر دواعي التعارف والتعايش بين الأفراد والشعوب، لقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا

وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير ﴿ [الحجرات / 13] . فقله تعالى: لتعارفوا معناه ليعرف بعضكم بعضاً.. وهذا التعارف يقتضي تميّز الشعوب فيما يتعلّق بالعوادات والتقاليد وغير ذلك من المواصفات الخاصّة بكلّ شعب وأمة، ومنها اختلاف اللغات وما تحمله من أفكار وثقافات وعلوم وموروثات وذلك أرقى أنواع التعارف. فإذا تميّز كلّ شعب بما يختص به أمكن للشعوب الأخرى أن تستفيد ممّا تميّز به فيزيدها ذلك معرفة جديدة، مع ما يتبعه من التقارب والإحسان وتبادل المنافع والتجارب في كل ميدان.. وليس بمُعجزة جلّت قدرته أن يجعل الناس أمة واحدة، ولكنه شاء لهم هذا الاختلاف بحكمته سبحانه، بل خلقهم من أجل الاختلاف على قول بعض العلماء.. قال تعالى: ﴿ ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم ﴾ [هود / 118] . وقد قال الشاعر قديماً :

الناس للناس من بدو وحاضرة ❖❖ بعض لبعض وإن لم يشعروا خدم
إن هذه الأبعاد التي اشرنا إليها ، ويتضمنها لفظ (أنس) حريّ بها جميعاً أن
تتصل بمعنى (الأنس) الذي يعود إلى الألفة والتقارب والتآلف بين الناس ، وفي
اشتقاق هذه المادة ، على الشاكلة التي ذكرناها، حتّى على المعاني التي بيّناها
على أنها ممّا ينبغي أن يتصف به الإنسان تجاه أخيه الإنسان.. وأمّا من جهة
دلالة لفظ (الإنسان) على الحركة اشتقاقاً من (النوس) فإنّ من أبرز صفات
الإنسان وسماته أن وجوده وبقائه في هذه الحياة يقومان على الحركة ، فلا
يمكنه العيش بدونها، إذ الحركة والسعي دأب الإنسان في كل شؤونه . وقد أمر
الله الإنسان بالحركة والسعي وتهيئة الأسباب، ثمّ أمره بالتوكّل عليه في
حركته وسعيه. والنصوص الدالة على ذلك كثيرة.. وهذا وجه آخر في توجيه
دلالة هذه المادة نحو مقاصد بعينها ذات صلة بالحكمة من التشريع الذي تضمّنه
الخطاب القرآني.. والأخذ بهذه الدلالة الثانية للمادة لا يتنافى مع دلالتها
الأولى، بل إن بينهما تكاملاً واتحاداً ، إذ إنّ حركة الإنسان ينبغي أن تكون فيما
ينفع أخاه الإنسان، وإنّ سعيه موجه إلى تعمير الأرض ونشر الفضيلة . وتلك هي
رسالة هذا الدين الذي بيّنه هذا الكتاب...

لفظ (بتل) :

يقول ابن فارس : " الباء والتاء واللام أصل واحد يدل على إبانة الشيء من غيره. يقال : بتلت الشيء إذا أبنته من غيره .. ومنه يقال لمريم العذراء "البتول" لأنها انفردت فلم يكن لها زوج. ويقال: نخلة مبتل إذا انفردت عنها الصغيرة النابتة معها. قال المنتخل الهذلي :
❖ ذلك ما دينك إذ قربت ❖
أجمالها كالبر المبتل⁽¹⁷⁾ [السريع]

والتبتيل : إخلاص النية لله تعالى والانقطاع إليه. قال تعالى ﴿ وتبتل إليه تبتيلاً ﴾ [المزمل/8] أي انقطع إليه انقطاعاً⁽¹⁸⁾. وهو ما ذهب إليه في المجمل⁽¹⁹⁾. وجاء في اللسان المعنى نفسه⁽²⁰⁾ وهو ما ذهب إليه الراغب الأصفهاني في مفرداته من خلال الآية المذكورة⁽²¹⁾.

ولم يُشر أصحاب المعاجم إلى مخالفة القياس في صياغة المصدر (تبتيلاً) من غير فعله في هذه الآية.. إذ القياس: (تبتّل تبتُّلاً وبتّل تبتيلاً) لكننا نجد ابن قتيبة يشير إلى ذلك في كلامه عن هذه الآية إذ قال بأنّ (تبتّل) جاء على (بتل) وذكر شاهداً عليه قول الشاعر:⁽²²⁾

وخير الأمر ما استقبلت منه ❖ ❖ وليس بأن تتبّعهُ اتّباعاً [الوافر]
فجاء على (اتبعت) مع أن فعله (تتبّع)⁽²³⁾. هذا في الماضي . وأما مضارعه فهو " يَتَّبَعُ " والمصدر " تَتَّبَعاً " . وأصل الفعل هنا في البيت : " تَتَّبَعُهُ " ، من باب : " تفعلّ - يتفعلّ " .. فالتاء الأولى للمضارعة ، و الثانية من حروف الزيادة ، وأما الثالثة فهي أصلية في الفعل . وقد حذفت التاء الأولى - في البيت المذكور- تجنباً للثقل الحاصل من تكرار الحرف نفسه ثلاث مرات متتالية..

⁽¹⁷⁾ - المبتل : أراد جمع مبتلة كتمرّة وتمر/ ماديّنك : أي : ذلك البكاء دينك وعادتك /

البكر : جمع بكور وهي التي تدرك أول النخل.

⁽¹⁸⁾ - معجم مقاييس اللغة : 1/195 - 196 مادة (بتل)

⁽¹⁹⁾ - المجمل: 1/115

⁽²⁰⁾ - لسان العرب : مادة (بتل) باب اللام فصل الباء.

⁽²¹⁾ - مفردات الراغب الأصفهاني: مادة (بتل) ص107

⁽²²⁾ - هو القطامي (وهذا البيت يضرب مثلاً في الأخذ بالحزم)

⁽²³⁾ - أدب الكاتب . 511

وهذا متداول في كلام العرب ، وقد ورد كثيرا في القرآن الكريم ، ومنه مثلاً قوله تعالى في سورة القدر: ﴿ تنزّل الملائكة والروح فيها.. ﴾ [القدر/4] والأصل " تنزّل " بتاءين وحذفت إحداهما وبقيت الأخرى دالة عليها. وقد اختلف بين النحاة في أيهما المحذوفة ، فقال البصريون بأن الأصلية هي المحذوفة وقال الكوفيون بأن تاء المضارعة هي المحذوفة.. وهما يكن فوجود إحداهما يدل على الأخرى على الرغم من اختلافهما في الدلالة ، وهذا من أسرار اللفظ القرآني.

ونجد لدى ابن القيم زيادة على ما أوردته المعاجم في هذه المادة، إذ ينطلق من الآية المذكورة ليذكر أنّ " التبتّل هو الانقطاع وهو (تفعل) من : البتل ، وهو : القطع. وسميت مريم: البتول لانقطاعها عن الأزواج، وعن نظراء نساء زمانها ، ففاقت نساء الزمان شرفا وفضلا وقطعت منهنّ.

ومصدر تبتّل إليه تبتيلاً ⁽²⁴⁾ كالتعلم والتفهم ولكن جاء على (التفعل) مصدر فعل ⁽²⁵⁾ لسرّ لطيف ، فإنّ في هذا الفعل إيذاناً بالتدريج والتكلف والتعمّل والتكثّر والمبالغة. فأتى بالفعل الدالّ على أحدهما وبالمصدر الدالّ على الآخر، فكانه قيل : بتّل نفسك إلى الله تبتيلاً ، وتبتّل إليه تبتلاً. ففهم المعنيان من الفعل ومصدره . وهذا كثير في القرآن وهو من حسن ⁽²⁶⁾ الاختصار والإيجاز. ⁽²⁷⁾

تتضح دلالة المادة ههنا من سياق الآية، فهناك حكمة في استعمال الفعل الثلاثي (بتل) مع المصدر الرباعي (التبتّل) والفعل الرباعي (تبتّل) مع المصدر الثلاثي (التبتيل) . فلم يقل: " تبتّل إليه تبتلاً " ، وكذلك لم يقل: " وبتّل نفسك إليه تبتيلاً " مع أن هذا هو القياس ؛ ولم يقل أيضاً على غير القياس: " وبتّل نفسك إليه تبتلاً " . وإنما اختار أن يقول على غير القياس: " وتبتّل إليه تبتياً " . وهذا من حسن إيجاز القرآن وبلاغته. وثمة أبعاد أخرى لهذا الاستعمال ، وذلك أنّ فعل الأمر (تبتّل) من الفعل (تبتّل) يدلّ على أنّ التبتّل من

⁽²⁴⁾ - الصحيح: (تبتلاً)

⁽²⁵⁾ - ورد عنده بصيغة (تفعل) ، ولعله سقط سهواً ، والصواب هنا : (فعل) ، لأنه يقال في

القياس: فعل تفعيلاً ، وتفعّل تفعلاً .

⁽²⁶⁾ - في مدارج السالكين (.. من أحسن الاختصار : 30/2)

⁽²⁷⁾ - التفسير القيم ص. 501 - 502

الإنسان صفة ملازمة وامتنال لأمر خالقه ، وليس فعلاً يقوم به ويزول عنه بمجرد إمضائه، ولما تحقق هذه المعنى جاء المصدر (تبتيلاً) قياساً على أخذه من الفعل (بتل) الذي يدلّ على (التفعل) أي : إحداث الأثر في الغير ، وهو ما يُستفاد من معنى التعدية ، ومن هذا المعنى يُستخلص بُعد دلالي آخر يتمثل في أنّ عمل المؤمن يجري على نفسه إذ يُؤثر فيها فيخضعها لأمر الله ، لأنّ النفس بطبيعتها أمارة بالسوء، فلزم أن يقع عليها الفعل لإرغامها على الامتنال، وذلك انسجاماً مع ما تضمّنه قوله تعالى: ﴿ وما أبرئ نفسي إنّ النفس لأماراة بالسوء إلاّ ما رحم ربّي إنّ ربّي غفور رحيم.﴾ [يوسف/ 12] . وهذا لَوْن من رحمة الله به؛ فيوسف عليه السلام من حيث بشريّته هو مُجرّد عن العصمة ومن الممكن أن تحدث له الغواية؛ لكن الله سبحانه عصمه من الزلّ.. ومن لطف الله أن قال عن النفس: إنها أمارة بالسوء؛ وفي هذا توضيح كافٍ لطبيعة عمل النفس؛ فهي ليست أمرّة بالسوء، بمعنى أنها تأمر الإنسان لتقع منه المعصية مرة واحدة وينتهي الأمر. فجاء الأمر بـ(التبتّل) من العبد المؤمن موافقاً لإرادته بدافع إيمانه ولطف الله به، هذا أولاً؛ ثم جاء مصدر (التبتيل) منه ثانياً لتطويع هذه النفس وردّها وردعها بسبب كونها كثيرة الأمر بالسوء ، فوجب عليه العمل على إرجاعها إلى الجادة.. وهذا التنويع في استعمال الأفعال والصيغ من بديع القرآن وبلاغته، وفيه توجيه لمقاصد الخطاب القرآني بما يوافق مقاصده..

لفظ (ترب) :

ترب : من المواد ذات الأصلين⁽²⁸⁾ عند ابن فارس. أحدهما: التراب وما يشتق منه والآخر: تساوي الأمرين .. ويقال ترب الرجل: إذا افتقر، كأنه لصق بالتراب ؛ وأترب : إذا استغنى، كأنه صار له من المال بقدر التراب ... ومن الأصل الثاني : التّرب: وهو الخدن ، والجمع : أتراب ، ومنه : التّريب وهو الصدر عند تساوي رؤوس العظام.⁽²⁹⁾ وجاء في مفردات الراغب أنّ " (ترب : افتقر) كأنه لصق بالتراب ن لقوله تعالى: ﴿ أو مسكيناً ذا متربة ﴾ [البلد/ 16] أي: ذا لصوق بالتراب

⁽²⁸⁾ - يريد ابن فارس بكلمة (أصل) معنى ، وبـ (أصلين) معنيين ، وبـ(ثلاثة أصول) ثلاثة معان.

⁽²⁹⁾ - معجم مقاييس اللغة . مادة (ترب) 346/1

لفقره ؛ و (أترب) : استغنى ، كأنه صار له المال بقدر التراب... (30) . وأما لفظ (أتراب) من قوله تعالى : ﴿ وعندهم قاصرات الطرف أتراب ﴾ [ص/52] فمعناه : " لدات ، تُنشأن معاً تشبيهاً في التساوي والتماثل بالتراب التي هي ضلوع الصدر ، لوقوعهن معاً على الأرض ، وقيل : لأنهن في حال الصبا يلعبن بالتراب معاً. " (31)

هكذا نجد الراغب الأصفهاني يميز بين مادتي : (ترب و أترب) فهذه ثلاثية وتلك رباعية ، وهذا ما جعله يفرق بينهما في المعنى ، من غير إشارة إلى ما بينهما من التقارب.. وفي الآية نفسها قال أبو عبيدة وأبو إسحاق : أقران ، أسنانهن واحدة . وقال ابن عباس وسائر المفسرين : مستويات على سنّ واحدة ، وميلاد واحد ، بنات ثلاث وثلاثين سنة. وقال مجاهد : أتراب : أمثال وقال إسحاق : هن في غاية الشباب والحسن. وسمي نداء الإنسان وقرنه : تربه : لأنه مسّ تراب الأرض معه في وقت واحد. " (32) . ولفظ (أتراب) عند ابن القيم جمع ترب . وهو لذا الإنسان ، والمراد من قوله (أتراب) هو استواء أسنانهن : أي : ليس فيهن عجائر، فهن باقيات على حسنهن وقدرتهن. (33)

ولم نجد إشارة إلى الربط بين المعنيين : أي ما يتصل بالتراب ، ومنه الفقر والغنى ؛ ثم ما يتصل بالأتراب ، ومنها التساوي والتماثل. وهذا ما يجعلنا نقف عند هذا السرّ القرآني حيث يمكن الجمع بين هذين المعنيين على ما يبدو بينهما من التباعد.. فالتراب أصل الإنسان ، لقوله تعالى : ﴿ خلقكم من تراب ﴾

[فاطر/ 11] ولقول الإنسان النادم يوم القيامة عندما يرى العذاب والعقاب ﴿ يا ليتني كنت تراباً ﴾ [النبأ / 40] . وما دام الأمر هكذا فإن الله قد خلق الناس سواسية متساوين ، واختار لهم شيئاً واحداً خلقهم منه ، حتى لا يتكبر بعضهم على بعض ولا يطغى بعضهم على بعض ، بدليل أنّ هذا التكبر والطغيان حصل من إبليس عليه اللعنة ، إذ جهر بذلك قائلاً فيما أوردته الله بلسانه : ﴿ أنا خيرٌ منه خلقتني من نار وخلقته من طين ﴾ وقوله : ﴿ أسجد لما خلقت طينا ﴾

(30) - مفردات ألفاظ القرآن: ص164

(31) - المصدر نفسه: ص165

(32) - ينظر : التفسير القيم : 459 - 460

(33) - المصدر نفسه : ص460

فقد رأى لنفسه التميز على الإنسان تكبراً وتجبراً فكان عاقبته النار.. ثم إنَّ الإنسان عندما يأنف من تكبر أخيه الإنسان عليه يذكره بأنه مخلوق مثله من التراب ، وأنَّ الله سبحانه قد سوى بينهما وجعلهما من أصل واحد ؛ وكذلك يُذكر التراب في التقريب بين بني الإنسان وتوحيد صفوفهم لأنهم ينحدرون من أصل واحد هو التراب ، لقوله صلى الله عليه وسلم: " كلُّكم لآدم وآدم من تراب. " فأبو البشرية واحد وأمهم واحدة والأصل واحد هو التراب ، وهذه كلها مظاهر للتساوي والتماثل بين البشر.. أفلا يكون ثمة تكامل بين دلالة التراب ومعنى التساوي بين البشر ؟ بلى ، وإنَّ النصَّ القرآني قد استعمل لفظ (التراب) ولفظ (الأتربة) وبينهما ما لا يخفى من التوافق في المعنى والبعد الدلالي للناظر المتأمل في نسيجه العجيب..

لفظ (الحيوان) :

الحيوان عند الراغب الأصفهاني : " مقرّ الحياة ، ويقال على ضربين: أحدهما: ما له الحاسة ، والثاني: ما له البقاء الأبديّ ، وهو المذكور في قوله عز وجل: ﴿ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ [العنكبوت/64]. وقد نبّه بقوله: ﴿ لَهِيَ الْحَيَوَانُ ﴾ أنَّ الحيوانَ الحقيقيَّ السرمدِيَّ الذي لا يفنى ، لا ما يبقى مدّة ثم يفنى ؛ وقال بعض أهل اللغة: الحيوان والحياة واحد. وقيل: الحيوان: ما فيه الحياة ، والموتان: ما ليس فيه الحياة . والحيا: المطر ، لأنه يحيي الأرض بعد موتها ، وإلى هذا أشار بقوله تعالى:

﴿ وجعلنا من الماء كل شيء حيّ ﴾ [الأنبياء/30]...⁽³⁴⁾

والحاء والياء والحرف المعتل (حيى) عند ابن فارس أصلان (أي: معنيان) : أحدهما : خلاف الموت؛ والآخر: الاستحياء الذي [هو] ضد الوقاحة . فأما الأول - فالحياة والحيوان: وهو ضد الموت والموتان ، ويسمى المطر حياً لأنَّ به حياة الأرض - ويقال : ناقة (محي ومحيية) لا يكاد يموت لها ولد... والأصل الآخر: قولهم : استحييت منه استحياء. وقال أبو زيد: حييت منه أحيا : إذا استحييت...⁽³⁵⁾

⁽³⁴⁾ - معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم :ص 269

⁽³⁵⁾ - معجم مقاييس اللغة : مادة (حيى) : 122/2

ولهذه الكلمة عند أهل اللغة عدة معان : فالحيوان عند المفسرين تعني: دار الحياة التي لا موت فيها ؛ وعند أبي عبيدة وابن قتيبة: الحياة هي الحيوان . والحياة والحيوان والحي - بكسر الحاء - وهذه الثلاثة عند أبي علي الفارسي مصادر . فالحياء : فعلة كالجبلية ؛ والحيوان : كالتزوان والغليان؛ والحي : كالعلي. كما في قول العجاج:

... ❖ ❖ كُنَّا بِهَا إِذَا الْحَيَاةُ حَي [الرجز]

أي: إذا الحياة حياة . وأما أبو زيد فخالفهم ، وقال: الحيوان: لما فيه روح ؛ والموتان الموت: مما لا روح فيه.⁽³⁶⁾

ويتوسع ابن القيم فيما ذهب إليه أبو عبيدة وابن قتيبة ، مؤيدا ما ذهب إليه الفارسي . يقول ابن القيم : " والصواب: أنَّ الحيوان يقع على ضربين ، أحدهما: مصدر، كما حكاه أبو عبيدة ؛ والثاني: وصف كما حكاه أبو زيد . وعلى قول أبي زيد: الحيوان مثل الحي ، خلاف الميت ، ورجح القول الأول : بأن الفعلان : بابه المصادر، كالتزوان والغليان ، بخلاف الصفات، فإن بابها فعلاان كسكران وغضبان ... فيحتمل قوله تعالى ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾ [العنكبوت/64] معنيين: أحدهما : أنَّ حياة الآخرة هي الحياة فيكون "الحيوان" على هذا مصدرا ؛ والثاني: أن يكون المعنى : أنها الدار التي لا تفضى ولا تنقطع ولا تبديد كما يفنى الأحياء في هذه الدنيا..."⁽³⁷⁾

فكلمة (الحيوان) عنده مصدر ليست صفة ، ووزنه (الفعلان) - بفتح الفاء والعين - لأنَّ وزن الصفة هو (الفعلان) بفتح الفاء وتسكين العين ، وهذا لا يتأتى هنا فرجح المصدر . ثم إنَّ هذا المصدر يتضمن - حسب رأيه - معنيين : الأول كونه مصدرا مع ما لدلالة المصدر من الإطلاق ؛ والثاني : بقاء هذه الدار وبقاء الحياة فيها دون فناء .

إنَّ لفظ (الحيوان) غير لفظ (الحياة) فالأول (الحيوان) يشير طوله إلى طول الحياة ، وهي الحياة الباقية في الدار الآخرة ، كما بيّنته الآية السابقة، في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت/64] ؛

⁽³⁶⁾ - التفسير القيم :ص 470

⁽³⁷⁾ - المصدر نفسه : ص 471

بينما يشير قصر اللفظ الثاني (الحياة) إلى الحياة المحدودة ما لم يرد في الكلام من القرائن ما يدل على طولها ؛ ويؤيد هذا قوله في ختام الآية: في قوله عز وجل: ﴿ لو كانوا يعلمون ﴾ فدل ذلك على أنهم لا يعلمون شيئاً كثيراً عن حياة الدار الآخرة كما يعلمون عن الحياة الدنيا ، وقد قال سبحانه في موضع آخر: ﴿ ولكن أكثر الناس لا يعلمون يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا ﴾ فبين أنهم لا يعلمون إلا ظاهراً من الحياة الدنيا ولا يعلمونها كلها ، أمّا الحيوان (الحياة الآخرة) فلا يعلمون عنها شيئاً.. وبهذا يتضح أنّ لفظ الحيوان أوسع دلالة من لفظ الحياة ، لكون الأولى متصلة بالحياة الباقية في الآخرة والثانية متصلة بالحياة الفانية في الدنيا.

لفظ (الخبت) :

جاء في اللسان أنّ الخبت : ما اتسع من بطون الأرض . وهي عربية محضة وجمعه : أخبات وخبوت. وقال ابن الأعرابي : الخبت ما اطمأنّ من الأرض واتسع وقيل : هو ما اطمأنّ من الأرض وغمض فإذا خرجت منه أفضيت إلى سعة . وقيل : هو سهل في الحرّة ؛ وقيل : هو الوادي العميق الوطيء . وقيل هو الخفي المطمئنّ من الأرض فيه رمل . وخبت ذكره : إذا خفي ، وقال ومنه المخبت من الناس.⁽³⁸⁾

قال الراغب : الخبت : المطمئن من الأرض ، وأخبت الرجل : قصد الخبت أو نزله نحو : أسهل وأنجد ، ثم استعمل الإخبات استعمال اللين والتواضع . قال الله تعالى : ﴿ وأخبتوا إلى ربهم ﴾ [هود/23] وقال تعالى : ﴿ وبشر المخبتين ﴾ [الحج/34] أي : المتواضعين..⁽³⁹⁾

لقد اهتمت المعاجم بمعنى (الخبت) من جهة اللغة ، وتناول بعضها دلالاته الحسية كالماكن المطمئن المنخفض من الأرض ، ودلالاتها المعنوية كالتواضع واللين . ولكنها لم تتحدث عن العلاقة بين المعنيين وما بينهما من تكامل، ولا عن دلالات هذا اللفظ في النص القرآني.. ونجد لدى بعض العلماء إشارات مهمة إلى الدلالة المعنوية للخبت في القرآن ، لكنها لا تشير إلى صلة هذا المعنى بذلك.. فقد

⁽³⁸⁾ - لسان العرب: مادة (خبت) [باب الناء ، فصل الخاء] مجلد : 2 ص 27.

⁽³⁹⁾ - معجم مفردات ألفاظ القرآن : مادة (خبت) ص 272

ذكر ابن القيم أنّ الخبت في أصل اللغة : هو المكان المنخفض من الأرض.. وبهذا المعنى فسر ابن عباس وقتادة لفظ المخبتين ، وقالوا : هم المتواضعون ⁽⁴⁰⁾ في قوله تعالى ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأخبتوا إلى ربهم أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون ﴾ [هود/23] وقوله تعالى ﴿ وبشر المخبتين الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ﴾ [الحج/34] .

وجاء في الدر المنثور للسيوطي: " عن مجاهد في قوله ﴿ وبشر المخبتين ﴾ قال: المطمئنين ، وعن عمرو بن أوس ﴿ وبشر المخبتين ﴾ قال: المخبتون، الذين لا يظلمون الناس، وإذا ظلموا لم ينتصروا. وعن الضحاك رضي الله عنه ﴿ وبشر المخبتين ﴾ قال: المتواضعين. وعن السدي رضي الله عنه ﴿ وبشر المخبتين ﴾ قال: الوجلين. وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، أنه كان إذا رأى الربيع بن خثيم قال: ﴿ وبشر المخبتين ﴾ وقال له: ما رأيته إلا ذكرت المخبتين. ⁽⁴¹⁾

ونقل ابن القيم قول مجاهد، بأنّ " الخبت: المطمئن إلى الله عز وجل ، قال: والخبت: المكان المطمئن من الأرض، وقال الأخفش: الخاشعون. وقال إبراهيم النخعي: المصلّون المخلصون . وقال الكلبي: هم الرقيقة قلوبهم. وقال عمرو بن أوس: هم الذين لا يظلمون وإذا ظلموا لم ينتصروا ... وهذه الأقوال تدور على معنيين: التواضع والسكون إلى الله عز وجل . ولذلك عدّي بـ (إلى) تضمينا لمعنى الطمأنينة والإنابة والسكون إلى الله. " ⁽⁴²⁾

إنّ دلالة الخبت حسيّاً على الأرض المطمئنة والمكان المنخفض ، ودلالاتها معنويّاً على التواضع واللين بينهما ما لا يخفى من الاتصال. فاطمئنان الأرض وانخفاضها موافق لخلق التواضع واللين والطمأنينة والإنابة والسكون ، وما إلى ذلك من هذه المعاني. كما تسمى الأرض الصعبة المسالك حزناً وتسمى الأرض المستوية سهلاً ؛ فكل ذلك مرتبط ببعضه ببعض آخذاً به، ولا سبيل إلى إنكار هذا التوافق والاتصال، حتى كأنّ المعنيين يخرجان من مشكاة واحدة. ويستطيع

⁽⁴⁰⁾ - التفسير القيم : 310 ؛ ومدارج السالكين : 3/2

⁴¹ - السيوطي : الدر المنثور في التفسير بالمأثور 4 / 360

⁽⁴²⁾ - التفسير القيم : ص310

الناظر المتأمل أن يقف على هذه المعاني والدلالات المتشابكة في كثير من الألفاظ القرآنية. ولو استعمل لفظ آخر للمخبتين ما أدى المعنى المراد. فكأن لفظ (الخبت) الذي استعمل للدلالة على الأرض المطمئنة هو المناسب للدلالة على التواضع واللين والطمأنينة ، أو لنقل العكس إن شئنا.. والآية التي تضمنت هذا اللفظ دلّت على معنى الحث على هذه الصفات التي ذكرها المفسرون ، لأنها ما ينبغي أن يكون بين المسلمين من لين الجانب وخفض الجناح والرفق واللين والحلم في التعامل فيما بينهم..

لفظ (خنس) :

يقول الزمخشري في معنى (خنس) : " خنس الرجل من بين القوم خنوسا إذا تأخر واختفى ؛ وخنسته أنا وأخنسته ؛ وأشار بأربع وخنس إبهامه ؛ ومنه : الخناس وفي الحديث: " الشيطان يوسوس إلى البعد فإذا ذكر الله خنس) ؛ وفي أنفه خنس : وهو انخفاض القصبه وعرض الأرنبة ؛ والبقر : خنس . ومن المجاز: خنس الكوكب: رجع. قال تعالى ﴿ فلا أقسم بالخنس ﴾ [التكوير/15]؛ وخنس عن حقي، وأخنسه: أخره وغيبه. وخنس الطريق عنا : إذا جاوزه وخلفوه وراءهم ، قال الشاعر:⁽⁴³⁾

وصهباء من طول الكلام زجرتها ❖ وقد جعلت عنه الأحرّة تخنس

[الطويل]

وأخنسوا أوعار الطريق : جازوها . "⁽⁴⁴⁾ والخناس : الشيطان الذي يخنس " أي ينقبض إذا ذكر الله تعالى وقيل : الخنس في الآية : هي زحل والمشتري والمريخ لأنها تخنس في مجراها أي : ترجع ، وأخنست عنه حقّه : أخرته.⁽⁴⁵⁾

لقد ذكر الزمخشري المعنى الحقيقي والمعنى المجازي لهذه الكلمة ، وتلك طريقته في معجمه " أساس البلاغة" مع كل المواد التي تتقلب بين الحقيقة

⁽⁴³⁾ - البيت للبعيث وهو من شعراء النقائض في العصر الأموي .

⁽⁴⁴⁾ - الزمخشري : أساس البلاغة : مراجعة وتقديم الأستاذ : إبراهيم كيلاني - دار الهدى

للطباعة والنشر والتوزيع - عين مليلة - الجزائر (1998م) مادة (خ س) ص 182

⁽⁴⁵⁾ - الراغب الأصفهاني : معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم - تحقيق : نديم مرعشلي

- دار الكتاب العربي - (1972 م) ص 161.

والمجاز . وقريب منه - في المعنى الحقيقي - ما قاله ابن فارس في هذه المادة ذات الأصل الواحد (أي: المعنى الواحد) الذي يدل على استخفاء وتستر . وقالوا : الخنس : الذهاب في خفية .. والخنس : النجوم تخنس في المغيب . إذ قال : " قال قوم : سميت بذلك لأنها تخفى نهارا وتطلع ليلا ؛ والخناس من صفة الشيطان لأنه يخنس إذا ذكر الله تعالى ؛ ومن هذا الباب : الخنس في الأنف : انحطاط القصبة . والبقر كلها خنس." (46)

ونجد ابن القيم يزيد هذا المعنى توضيحا وتوسيعا إذ يرى أن حقيقة اللفظ (خنس) اختفاء بعد ظهور ، وليست لمجرد الاختفاء . ولهذا وصفت بها الكواكب في قوله تعالى ﴿ فلا أقسم بالخنس ﴾ [التكوير/ 15] لأنها تبدو بالليل وتخنس بالنهار . وعند طائفة من العلماء : " الخنس هي الرجعة التي ترجع كل ليلة إلى جهة المشرق . وهي السبعة السيارة . وقالوا : أصل الخنوس : الرجوع إلى وراء . و"الخناس" مأخوذ من هذين المعنيين . فهو من الاختفاء والرجوع والتأخر . فإنَّ العبد إذا غفل عن ذكر الله جثم على قلبه الشيطان وانبسط عليه وبذر فيه أنواع الوسواس التي هي أصل الذنوب كلها ، فإذا ذكر العبد ربّه واستعاذ به ، انخنس وانقبض ، كما ينخنس الشيء ليتوارى - وذلك الانخناس والانقباض هو أيضا تجمع ورجوع وتأخر عن القلب إلى خارج ، فهو تأخر ورجوع معه اختفاء." (47) . فهو يرى أنَّ (خنس) معناها اختفاء كان قد سبقه ظهور ، وليس معناها الاختفاء فقط . أي أنها تدل على اختفاء وظهور بصفة متكررة ، ومنه وصف الكواكب (بالخنس) لأنها تختفي وتظهر باستمرار؛ ووصف الشيطان (بالخناس) لأنه كلما غفل العبد عن ذكر ربه عاد إليه ، فإذا ذكره اختفى . ونحن نرى في هذا الكلام دقة في تحديد المعنى المناسب لهذه الكلمة . ولا يكتفي ابن القيم بتوضيح المعنى لهذه الكلمة بل يشير إلى وظيفتها ويحدد علاقتها بغيرها إذ يتكلم عن كونها صفة ثانية- بعد الوسواس- للشيطان ، وتتبعها صفة ثالثة له في قوله تعالى ﴿ الذي يوسوس في صدور الناس ﴾ [الناس/ 5] فهناك صفات متعددة لموصوف واحد هو الشيطان .

(46) - معجم مقاييس اللغة : مادة (خنس) 2/223

(47) - التفسير القيم :ص 606

كما يتكلم ابن القيم عن صيغة الكلمة ووزنها والسبب في اختيار هذه الصيغة فيقول: " وجيء من هذا الفعل بوزن فعّال الذي للمبالغة دون الخانس والمنخنس : إيدانا بشدة هروبه ورجوعه ، وعظم نضوره عند ذكر الله ، وأن ذلك دأبه وديده ، لا أنه يعرض له ذلك عند ذكر الله أحياناً ، بل إذا ذكر الله هرب وانخنس وتأخّر.." ⁽⁴⁸⁾ وهذه إشارة مهمة في مجال دلالة اللفظ انطلاقاً من معناه اللغوي، لكن تتبّع أبعاد اللفظ وإيحاءاته يتجاوز حدود المستوى المعجمي إلى المستويين التركيبي والصرفي ، لما لهما من أهمية في بيان سبب اختيار هذه الصيغة للفظ دون سواها.

وإذا رجعنا إلى دلالة مادة (خنس) في كل تنوعاتها وجدناها تعود إلى التأخّر والاختفاء من جهة أو أخرى ، فخنوس الرجل تأخّره واختفاؤه ؛ والشيطان خناس لأنه يتسبّب في تأخّر الإنسان عن الامتثال لأمر ربه في أداء العبادات وذلك بما يلقيه في نفسه من وساوس، ثم إنه يخنس أي يتأخّر ويختفي إذا استعان المؤمن بذكر ربه فلا يستطيع التقدم والظهور أمام قوّة الذكّر واستعانة المرء بالله سبحانه ؛ وفي هذا حثّ وترغيب للمؤمن على ذكر الله والاستعانة به في كل أحواله وأوقاته...

والخنس في الأنف هو نوع من التأخّر عن الامتداد إلى الأمام ، فكأنما أخذ منه شيء ، وهو بعض الاختفاء يُؤدّي إلى عدم البروز بشكل واضح ؛ وأمّا الكواكب في قوله تعالى: ﴿ فلا أقسم بالخنس الجوارى الكنس ﴾ [التكوير/15] فهي خنس لأنها تظهر متقدّمة في أفلاكها لتراها الأعين ، ثم تتأخّر وتختفي ليتساءل الإنسان عنها ويعتبر من هذه الظاهرة الكونية العجيبة ، فيُقبل الإنسان على ربه مؤمناً ويزداد المؤمن إيماناً.. وذلك من حكمة سبحانه في ملكوته..

هكذا نجد أنّ معنى التأخّر والاختفاء يُفهم من لفظ الخنوس على اختلاف تنوعاته ، فهذه المادة اللغوية تتفرّع عنها عدة دلالات تعود إلى أصل واحد، فهي دلالات متقاربة وإن تعددت سياقاتها واختلفت. وقد جاء اختيار هذا اللفظ دون غيره لحمل كل هذه الدلالات المتواشجة فيما بينها..

(48) - المصدر نفسه: ص 606 - 607

لفظ (زوج) :

(الزوج): البعل ؛ والزوج أيضا : المرأة . قال الله تعالى ﴿ اسكن أنت وزوجك الجنة ﴾ [البقرة / 35]، ويقال لها (زوجة) أيضا . قال يونس : ليس من كلام العرب (زوج به امرأة) بالباء ، ولا (تزوج بامرأة) بل بحذفها فيهما . وقوله تعالى ﴿وزوجناهم بحور عين ﴾ [الدخان / 54] أي : قرناهم بهنّ ، من قوله تعالى ﴿ احشروا الذين ظلموا وأزواجهم ﴾ [الصافات/ 22] أي : وقرناهم . وقال الفراء: تزوّج بامرأة لغة. والزّوج ضد الفرد ، وكلّ واحد منهما يسمّى زوجا وأيضا يقال للثنتين : هما زوجان ، كما يقال: هما سيان، وهما سواء . قال الله تعالى ﴿ من كلّ زوجين اثنين ﴾ [هود/ 40] وقال: ﴿ثمانية أزواج﴾ [الأنعام/ 143] وفسرّها بثمانية أفراد.⁽⁴⁹⁾

وعند ابن فارس : " الزاء والواو والجيم: أصل يدلّ على مقارنة شيء لشيء من ذلك [الزوج: زوج المرأة ؛ والمرأة : زوج بعلاها] وهو الفصيح. قال الله جل ثناؤه : ﴿ اسكن أنت وزوجك الجنة ﴾ [البقرة / 35]. فأما قوله جل وعز في ذكر النبات: ﴿ من كل زوج بهيج ﴾ فيقال: أراد به اللون، كأنه قال: من كل لون بهيج. وهذا لا يبعد أن يكون من الذي ذكرناه لأنه يزوج غيره مما يقارنه. وكذلك قولهم للنمط الذي يطرح على الهودج زوج لأنه زوج لما يلقي عليه..."⁽⁵⁰⁾ فكلمة زوج إذا تطلق على الشينيين أو الشخصين إذا اجتمعا واقترن أحدهما بالآخر. وفي مفردات الراغب : " قال لكل واحد من القرينين من الذكر والأنثى في الحيوانات المتزاوج زوج ، ولكل قرينين فيها وفي غيرها زوج. كالحفّ والنعل ، ولكل ما يقترب بآخر مماثلاً له أو مضاداً: زوج. قال تعالى: ﴿ فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى ﴾ [القيامة/ 39]⁽⁵¹⁾. وينقل ابن لقيم رأي يونس بأنّ قوله: "زوجناهم" يعني : قرناهم بهنّ وأنّ العرب لا تقول : تزوّجت بها ، وإنما تقول : تزوّجتها. كما في قوله تعالى ﴿ فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها ﴾

⁽⁴⁹⁾ - الرازي : مختار الصحاح : ضبط وتخريج وتعليق : د/ مصطفى ديب البغا - دار الهدى

للطباعة والنشر - عين مليلة - الجزائر / ط4 (1990م). مادة (زوج). ص 183

⁽⁵⁰⁾ - معجم مقاييس اللغة ، مادة (زوج) . 35/3

⁽⁵¹⁾ - معجم مفردات ألفاظ القرآن (زوج) . ص 220

[الأحزاب/37] ونقل لنا ما قاله ابن سلام من أن تميما تقول : " تزوّجت امرأة وتزوّجت بها" . وهو ما حكاه الكسائي أيضا...⁽⁵²⁾ وأما أبو عبيدة الذي يقول في "زوّجناهم" : جعلناهم أزواجا كما يزوّج النّعل بالنّعل⁽⁵³⁾ أي: جعلناهم اثنين اثنين. وعلى هذا يكون المراد من لفظ (زوّج) أن يقرن بين الاثنين أي يجمع بينهما أو أن يكون الزّواج الذي يقع بين الرجل والمرأة.

ويرى ابن القيم أنه لا يمتنع أن يراد الأمران معا. فلفظ التزويج يدل على النكاح. كما قال مجاهد: أنكحناهم الحور، ولفظ الباء تدل على الاقتران والضم وهذا أبلغ من حذفها⁽⁵⁴⁾. فيكون قولنا: تزوّج بامرأة أبلغ من قولنا: تزوّج امرأة، على رأي ابن القيم. ونشير بعد هذا إلى العلاقة القائمة بين لفظ (زوج) بما يحمله من معاني القرب والجمع والاقتران وبين ما يوحي به هذا اللفظ من معاني الألفة والمودة بين الزوجين، على اعتبار أن ذلك هو الأصل في المعنى. ولو استعمل لفظ الاقتران أو الجمع أو النكاح أو غير ذلك، فهل كان سيؤدّي الدلالة نفسها التي أُريدت من هذا اللفظ ؟ لا شك أن مادة (زوج) أدلّ على التلاحم والملازمة بين الزوجين، ولذلك جاء في القرآن ذكر التقوى والمودة والرحمة في سياق الحديث عن الزواج كقوله تعالى: ﴿وجعل بينكم مودة ورحمة﴾ ولم يأت الحديث عن مجرد الجمع والاقتران، بينما لا يتعدّى المعنى مجرد الجمع والاقتران فيما عدا ذلك..

لفظ (السّكر) :

جاء في القاموس أن : سكر : كفرح : سكر ا ، وسكرا ، وسكرا ، وسكرانا ، نقيض: صحا ، فهو سكر وسكران، وهي سكرة وسكرى وسكرانة والجمع : سكارى وسكارى . وقوله تعالى: (سكرت أبصارنا) أي : حبست عن النظر وحيّرت ، أو : غطّيت وغطّيت وسكرت بالتخفيف : أي: حبست .⁽⁵⁵⁾ ويقول ابن

⁽⁵²⁾ - التفسير القيم :ص 437 ؛ وحادي الأرواح :ص 178

⁽⁵³⁾ - لعل من غير اللائق استعمال هذا التشبيه هنا .

⁽⁵⁴⁾ - التفسير القيم :ص 437

⁽⁵⁵⁾ - الفيروز آبادي : القاموس المحيط : دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان / ط1

(1415هـ/1995م)، مادة سكر (باب الرءاء / فصل السين) 115/2.

فارس: "السين والكاف والراء أصل واحد (أي : معنى واحد) يدل على حيرة . من ذلك: السكر من الشراب ؛ يقال : سكر سكرًا ؛ ورجل سكير : أي : كثير السكر . والتسكر : التّحير ، في قوله عز وجل (لَقَالُوا سَكِرْتُ أَبْصَارُنَا) وناس يقرؤونها : سكرت (مخففة) قالوا : ومعناه: سحرت.. والسكر : حبس الماء ... وأما قولهم : ليلة ساكرة. فهي الساكرة التي [هي] طليقة ليس فيها ما يؤدي ؛ قال أوس بن حجر⁽⁵⁶⁾ :

تزداد ليالي في طولها ❖ ❖ فليست بطلق ولا ساكرة . [المتقارب]

ويقال سكرت الريح : أي : سكنت... وحكى ناس: سكره: إذا خنقه والبعر يسكر الآخر بذراعه: يكاد يقتله.⁽⁵⁷⁾

فالمعاني التي تشملها هذه الكلمة هي : الحبس عن النظر ، والتّحير والتّغطية حسب القاموس ؛ وزاد عليها صاحب المقاييس: السحر وحبس الشيء ، والسكون ، والخنق وما يقرب من القتل . وهي معان يقترب بعضها من بعض ، فهي من باب واحد لوجود الصلة بين دلالات هذه المادة.

ولابن القيم في هذه الكلمة رأي يجول من خلاله في معانيها ويستقصي دلالاتها في ضوء الاستعمال اللغوي ، ثم ينظر إليها نظرة دينية تصوفية إضافة إلى دراستها دراسة لغوية يدعمها بإيراد شواهد من الشعر . فهو يقول في هذه المادة : " السكر لذة ونشوة يغيب معها العقل الذي يحصل به التمييز ، فلا يعلم صاحبه ما يقول .. فالسكر يجمع معنيين : وجود لذة ، وعدم تمييز وقد يقصد أحدهما ... وقد يكون السكر غير تناول المسكر: إمّا ألم شديد يغيب به العقل حتى يكون كالسكران ، وقد يكون سببه مخوف عظيم هجم عليه وهلة واحدة حتى يغيب عقل من هجم عليه. ومن هذا قوله تعالى ﴿ وترى الناس سكارى وما

⁽⁵⁶⁾ - أوس بن حجر : ديوانه: تحقيق وشرح: د/ محمد يوسف نجم - دار صادر - بيروت (1380هـ / 1960م) ص34. والبيت من مقطوعة -بلا عنوان- قالها وقد وقع عن ناقته فأصيب في فخذه حتى لم يقدر على مواصلة سيره، وكان ذلك بصحراء بني أسد، فنصبوا له بيتا بمكانه أقام فيه إلى أن برأ ثم رحل. وقد قال هذا البيت ضمن المقطوعة المذكورة واصفا حاله ومعاناته. [و ليلة ساكرة: ساكنة الريح ؛ وطلق: حسنة]

⁽⁵⁷⁾ - معجم مقاييس اللغة ، مادة (سكر) . 89/3

هم بسكاري ولكن عذاب الله شديد ﴿الحج/2﴾ . فهم سكارى من الدهش والخوف ، وليسوا بسكاري من الشراب فسكرهم سكر خوف ودهش لا سكر لذة وطرب .. وقد يكون سببه قوة الفرح بإدراك المحبوب بحيث يختلط كلامه وتتغير أفعاله بحيث يزول عقله ويعربد أعظم من عريدة شارب الخمر.. وقد يوجد غضب شديد يحول بين الغضبان وبين تمييزه . بل قد يكون سكر الغضب أقوى من سكر الطرب ، لهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم : (لا يقضي القاضي بين اثنين وهو غضبان) .. ومن أسباب السكر حب الصور وغيرها سواء كانت مباحة أو محرمة ، فإن الحب إذا قوي واستحكم أسكر صاحبه ، وهذا مشهور في أشعارهم وكلامهم . كما قال الشاعر:

سُكران: سكرُ هوى، وسكرُ مدامة ❖ ❖ ومتى إفاقة من به سُكران ؟

[الكامل]

وقال آخر : تسقيك من عينها خمرا ومن يدها ❖ ❖ خمرا ، فما لك من سكرين من بدّ

لي سكرتان وللندمان واحدة ❖ ❖ شيء خصصت به من بينهم وحدي (58)

[البسيط]

ومن أقوى أسباب السكر الموجبة له : سماع الأصوات المطربة ، لاسيما إن كانت من صورة مستحسنة وصادفت محلا قابلا، فلا تسأل عن سكر السامع. (59)

لقد ذكر ابن القيم أكثر من معنى للسكر : كاللذة والنشوة ؛ والألم الشديد ؛ وشدة الخوف ؛ وقوة الفرح بإدراك المحبوب ؛ والغضب الشديد ؛ وحب الصور وغيرها.. وهذه المعاني - باستثناء المعنى الأول - هي في الحقيقة أسباب تؤدي إلى السكر وليست هي السكر نفسه . وقد عبّر عنها حين قال في البداية : " السكر لذة ونشوة يغيب معها العقل الذي يحصل به التمييز". (60) وبعدها تكلم عن أسبابه وأشكاله موضحا كلاً منها بإسهاب ومبيناً صلته بواقع الحياة وحكم الشرع فيه . وهو لا يكتفي هنا بالمعنى المعجمي للكلمة بل يتوسع في

(58) - مدارج السالكين : 318/3

(59) - المصدر نفسه : 318/3 وما بعدها

(60) - المصدر نفسه : 319/3

هذا المعنى وما يترتب عليه من الدلالات الأخرى ذات الصلة به من جهة أو أخرى.. والمعاني التي ذكرها أشمل وأوسع دلالة من التي اقتصرنا عليها معاجم اللغة. وشواهد التي أوردها دليل على ذلك.

إن لفظ (السَّكْر) يحمل أكثر من دلالة . وليس مقتصراً على السكر المعروف الذي يغيب معه العقل عن وعيه ، فثمة سكر آخر لا يغيب معه العقل حقيقة بل مجازاً ، إذ هو نشوة يشعر بها المرء نتيجة أمر يزيد في سروره ، أو هو دهشة تعتريه جراء خوف عظيم يلم به . فيكون للسكر نوعان: سكر تطمئن إليه النفس، وآخر تضطرب منه، وشتان بين المعنيين في ظاهرهما، ولكنهما يلتقيان في أن كلا منهما تخرج معه نفس الإنسان عن حالته المألوفة إلى حالات طارئة.. وعلى هذا فالسكران قد يكون كذلك في حال غياب عقله عن الوعي ، وقد يكون في أتم عقله ووعيه. وهكذا تتنوع دلالات هذا اللفظ وتتقابل على الرغم من التضاد الحاصل بينها..

لفظ (المطر) :

جاء في مفردات الراغب الأصفهاني أن " المطر " هو الماء المنسكب.. يقال: مطرنا السماء وأمطرنا ، وما مُطِرْتُ منه بخير؛ وقيل : إنَّ (مَطَرَ) يقال في الخير ، و(أَمَطَرَ) يقال في العذاب ... والمستمطر: طالبُ المطر والمكان الظاهر للمطر، ويُعَبَّرُ به عن طالب الخير..."⁽⁶¹⁾

لقد أشار الراغب إلى دلالة لفظ (مطر) الثلاثي على الخير ، ودلالة لفظ (أمطر) الرباعي على العذاب ، استناداً إلى السياق ، وذكر بعض الآيات التي أيدت رأيه ، حيث دلَّت (أمطر) على العذاب ، ومنها قوله تعالى: (وأمطرنا عليهم مطراً فساء مطر المنذرين) [الشعراء/ 173] وقوله تعالى : (وأمطرنا عليهم مطراً فانظر كيف كان عاقبة المجرمين) [لأعراف/ 84] وقوله تعالى: (وأمطرنا عليهم حجارةً) [الحجر/ 74] وقوله تعالى: (فأمطر علينا حجارة من السماء) [الأنفال/ 32] . ولكنه لم يورد أية واحدة تدلّ على استعمال (مطر) في سياق الخير ، غير ما استند إليه من الشعر في قول امرئ القيس:⁽⁶²⁾

⁽⁶¹⁾ - الراغب الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن: ص770
⁽⁶²⁾ - ديوان امرئ القيس : ص72 ؛ والبيت من قصيدة مطلعها قوله :

لها وثباتٌ كوثب الأطباء ❖❖ فواد خطاء وواد مَطَرٌ
ولكن الجاحظ قبله أشار إلى أن لفظ (المطر) لم يرد في القرآن إلا في سياق العقاب.. وهو يعني عموم ما دلّ عليه لفظ " المطر " باختلاف صيغ مادته ، وأورد عدة آيات ، بعضها ما ذكره الراغب..

إنّ بين لفظي (الغيث و المطر) ما لا يخفى من الفرق في المعنى، كما أنهما متصلان من جهة إطلاقهما على ما ينزل من السماء من الماء.. فمن اختلافهما أنّ لفظ (الغيث) ورد في القرآن ضمن سياق الخير والعطاء ، لقوله تعالى: ﴿وينزل الغيث﴾ وقوله تعالى: ﴿إذ تستغيثون ربكم﴾ [الأنفال/9] وأمّا لفظ (المطر) فلم يرد إلا في سياق العذاب والعقاب كما سبق بيانه، مع أنّ لفظ (مطر) دلّ في قول الشاعر على وجود الخير والنماء .

وهذا يدعونا إلى القول بأنّ دلالة (المطر) في القرآن غير دلالتها في الشعر، وهو دليل على دقة الاستعمال القرآني عندما يُخصّص كلّ لفظ بدلالته ، وتكون الغاية هي إيضاح القصد وتحديد معنى بعينه دون سواه.. ومن اتصا لهما أنّهما يدلّان على شيء واحد منّزل من السماء ، قد يكون فيه الخير فيسمّى غيثاً ، وقد يكون فيه الهلاك فيسمّى مطراً.. وليست العبارة بمجرد القلة أو الكثرة ، وإنما يتعلّق الأمر بطريقة نزول هذا الماء نفسه ، فربما نفع في مكان وضرّ في مكان آخر.. فالدلالة قائمة على شيء واحد لكنّ كيفية النزول وظروفه وأحواله هي التي تحدّد طبيعة هذا الماء المنزّل أهو غيث أم مطر..؟

ويبدو لنا أنّ لفظ (مطر) ، زيادة على دلالاته التي ذكرناها ، يوحي بالكثرة . وربما كانت هي المقصودة من استعمال هذا اللفظ ، وأحيانا يستعمل لفظ (وابل) نيابة عن (المطر) دليلاً على هذه الكثرة والغزارة ، ولكنّ (الوابل) في الاستعمال القرآني، وإن كان من المطر ، فهو مخصوص دقيق الدلالة ؛ فقوله تعالى فيمن ينفق ماله رياء الناس: ﴿فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون على شيء مما كسبوا والله لا يهدي القوم الكافرين.﴾ [البقرة/264] جاء في سياق الدّم من الوبال ، فكأنّ إنفاقه هذا انقلب وبالا عليه عوض أن ينال منه الثواب.. وأمّا قوله تعالى في الذين ينفقون

أحاربنَ عمرَ كأتى خمرٌ ❖❖ ويعدو على المرء ما ياتمرُ

أموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتاً من أنفسهم: ﴿ كمثل جنّة بريوة أصابها وابلٌ فأنت أكلها ضعفين فإن لم يُصبها وابلٌ فطلٌّ والله بما تعملون بصير. ﴾ [البقرة/ 265] فقد جاء لفظ (الوابل) في سياق المدح والثناء دالاً على مضاعفة الأجر والثواب.. وجاءت الآيتان متتابعتين لحكمة أرادها الله ، لعلها بيان الفرق بين هذا العمل وذاك ، بين من ينفق ماله رياء الناس ومن ينفقه ابتغاء مرضات الله ، حتى يظهر أنّ الجزء من جنس العمل ويظهر تفضيل الثاني على الأول ؛ فجاء الوابل الأول في سياق يشبه سياق المطر ، وجاء الوابل الثاني في سياق يشبه سياق الغيث ، فجُمعت دلالتا المطر والغيث في لفظ (الوابل) ، وهذا من عجائب اللفظ القرآني وإسرار دلالاته.

لقد اشتملت هذه الورقة على نماذج لدراسة بعض الألفاظ دراسةً تتجاوز مستواها المعجمي إلى مستويات دلالية أوسع؛ وأردنا من خلال هذا البحث أن نحقق بعض الأهداف : منها بيان تنوع دلالة اللفظ الواحد بحسب القرائن والسياقات ، ومنها احتمالُ اللفظ لأكثر من معنى، وقد تكون هذه المعاني مترادفة متقاربة ، كما قد تكون متضادة متباعدة ، ومنها إبراز البُعد الدلالي للفظ العربي ، خصوصاً في استعمالاته ضمن النص القرآني ، حيث يكون للسياق دور أساس في تحديد المعنى المناسب للمقاصد المراد التعبير عنها.. ولعلّ أبرز غاية أردناها هنا هي إثبات ما هنالك من تقارب وتواشج بين المعاني والدلالات التي يفرزها اللفظ الواحد ، مهما اختلفت بين حسية ومعنوية ، ومهما اختلفت سياقاتها وتعددت. خصوصاً فيما يتعلق باللفظ القرآني وما له من المزايا والخصائص، وهذا ما أردنا أن نبّه على أهميته ، لكثرة وروده وتداوله في القرآن الكريم.. ولعله يكون نواة لدراسة أوسع وأعمق في المستقبل بعون الله.

- المصادر والمراجع :

1. الأصفهاني (الراغب) : معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم - تحقيق : نديم مرعشلي - دار الكتاب العربي - (1972 م)
2. الخطابي (أبو سليمان حمد بن محمد) : بيان إعجاز القرآن: ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، دار المعارف، مصر/ ط3 (1976)
3. الزمخشري (محمود جار الله) : أساس البلاغة : مراجعة وتقديم الأستاذ : إبراهيم كيلاني- دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع - عين مليلة- الجزائر (1998م)
4. الرازي: مختار الصحاح : ضبط وتخريج وتعليق: د/ مصطفى ديب البغا، دار الهدى..، عين مليلة، الجزائر/ ط4 (1990م).
5. سليم بابا عمر وباني عميري : اللسانيات العامة الميسرة - علم التراكيب - طبعة أنوار - الجزائر (1990)
6. السيوطي: المزهري في علوم اللغة وأنواعها، ط/ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع (د.ت)
7. عبد التواب (رمضان) (د) : فصول في فقه العربية، مكتبة الخانجي، القاهرة / ط6 (1420 هـ / 1999م)
8. ابن فارس (أبو الحسين أحمد بن زكريا) : الصحابي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها: تحقيق الدكتور عمر فاروق الطباع - مكتبة المعارف - بيروت / ط1 (1414 هـ / 1993م).
9. ابن فارس (أبو الحسين أحمد بن زكريا) : المجمل: مؤسسة الرسالة ، بيروت، لبنان / ط2 (1406 هـ - 1986 م)
10. ابن فارس: معجم مقاييس اللغة- بتحقيق وضبط عبد السلام هارون- طبعة دار الجيل :بيروت: (1420هـ / 1999م)
11. أبو الفرج (محمد) (د) : المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث - دار النهضة العربية - بيروت / ط1 (1966)
12. الفيروز آبادي (مجد الدين) : بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز : تحقيق الأستاذ محمد علي النجار- دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني - بيروت - القاهرة- (1398 هـ / 1978م) .
13. الفيروز آبادي (مجد الدين): القاموس المحيط :دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان / ط1 (1415 هـ / 1995م).
14. ابن قتيبة (أبو محمد عبدالله بن مسلم) : أدب الكاتب، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان (د.ت)
15. ابن القيم (محمد بن أبي بكر): بدائع الفوائد: ضبط أحمد عبد السلام: دار الكتب العلمية، بيروت لبنان/ ط1 (1414 هـ / 1994م)

16. ابن القيم (محمد بن أبي بكر) : التفسير القيم: ط/ دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان (د.ت)
 17. ابن القيم (محمد بن أبي بكر) : مدارج السالكين...، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3 (1416 هـ - 1996 م)
 18. المبارك (محمد): فقه اللغة وخصائص العربية : دار الفكر/ ط7 (1401 هـ/ 1981 م).
 19. ابن منظور (جمال الدين الأنصاري) : لسان العرب ، دار صادر/ ط3 (1414 هـ/ 2010 م)
-



الرؤيا وأفق الكتابة بين التجريبتين الصوفية والشعرية قراءة تحليلية في كتابات حركة شعر

سمير عبد المالك

قسم اللغة والأدب العربي، كلية الآداب واللغات

جامعة غرداية. الجزائر

ص ب : 455 طريق المطار غرداية 47000. الجزائر

samir.abdmalek@gmail.com

الملخص -

تسعى هذه الدراسة إلى كشف العلاقة بين الكتابة في التجربة الفنية ونظيرتها الصوفية من خلال مصطلح الرؤيا الذي أضحي نقطة وصل بين التجريبتين في الأدب المعاصر، فكان ذلك بعرض تجربة لكوكبة من شعراء حركة شعر التي تعمل جاهدة على أن تثبت الطبيعة الروحية للإبداع، وتعيد العلاقة بين فردية الشاعر وقصيدته التي يتذكر فيها تجاربه الذاتية العميقة ويستعيد من خلال لغتها ترادف التعبير والمعبر عنه، إذ من الرؤيا الذاتية تنبثق اللغة المعبرة وبتلك الرؤيا يصبح الشاعر هو الضمير المعبر عنه.

الكلمات المفتاحية -

الرؤيا، التصوف، حركة شعر، الكتابة الشعرية.

The Vision And The Horizon Writing Between The Sufi And The The Poetic Experiments Critical Vision In The Writings Of Poetry Movement

Abstract -

This Study Seeks To Uncover The Relationship Between Writing In The Technical Experience And Its Counterpart Mysticism Through The Vision Of The Term, Which Has Become A Link Point Between The Two Experiments In Contemporary Literature, The Purpose For That Was The Experience For A Cluster Of Poets Of Poem Movement Which Is Working Hard To Set The Spiritual Nature Of Creativity, And Restore The Relationship Between The L Poet Individuality And His The Work, In Which He Recalls The Deep Self Experiences And Through Which He Brings Back Via The Language Synonym Of The Expression And Expressed That From The Self Point Of View Emerges The Expressive Language And From That Vision, The Poet Becomes The Conscience Of The Expressed.

Keywords -

The Vision ,Escetic, Poem Movement , Poetic Writing

تمهيد -

لا يخفى على الدارسين في مجالي الأدب الحديث والنقد تلك العلاقة الوطيدة التي تربط بين التجريبتين الفنية والصوفية، ولا أدل على ذلك الدراسات النقدية التي كتبت في بيان الصلة بين التجريبتين من جهة وعلاقة الشاعر المعاصر بالموروث الصوفي من ناحية أخرى. فالتجارب الفنية باعتبارها عملية للإدراك الواعي تنقل صاحبها من أطر الذاتية الضيقة إلى العالم بشاعته، والفنان أو الشاعر بطبيعته يسعى إلى التعبير عن تجاربه الحياتية من خلال أعماله الإبداعية، إذ يتخذ من الكتابة مطية لأهدافه، فيتجاوز الإطار الذاتي الضيق ليصل إلى عالمه الموضوعي الكلي، إضافة إلى ذلك كون

«التجربة الفنية معاناة وجدانية وفكرية وتأملية، يستخدمها الإنسان متى توفّرت له شروطها المناسبة»⁽¹⁾.

ومن هذا المنطلق تعمل (حركة شعر) جاهدة على أن تثبت الطبيعة الروحية للإبداع، وتعيد العلاقة بين فردية الشاعر وقصيدته التي يتذكر فيها تجاربه الذاتية العميقة، ويستعيد من خلال لغتها ترادف التعبير والمعبر عنه، إذ من الرؤيا الذاتية تنبثق اللغة المعبرة وبتلك الرؤيا يصبح الشاعر هو الضمير المعبر عنه.

هذا المفهوم الذي نادت به (جماعة شعر) وعلى رأسهم يوسف الخال وعلي أحمد سعيد (أدونيس) مستمد في حقيقته من التجربة الصوفية التي ترى أن الشعر يصدر عن حالات التأمل والاستبطان بين الصوفي والوجود، وكلما عاد الشاعر إلى ذاته كلما استطاع أن يدرك الوجود من حوله بشكل أعمق، ولا يكون ذلك إلا بالفصل بين نوعين مختلفين من الوعي؛ وعي الجماعة الذي يقدم نموذجاً موحداً للشعر يتقيد ببنود ثابتة أقرتها الجماعة، ووعي جديد ذاتي وفردى يدعو إلى التخلص من التقليد، والإصغاء دائماً للذات⁽²⁾.

وفي هذا المقام أيضاً ينبغي علينا الإشارة إلى عمق الصلة التي تربط الصوفي القديم بالشعر ذلك أن « متصوفينا الكبار أمثال: الحلاج وابن عربي، وابن الفارض، ورابعة، وسواهم كانوا في نفس الوقت شعراء كباراً، وقد استخدموا الشعر في التعبير عن كثير من جوانب تجربتهم الصوفية»⁽³⁾؛ فكان ذلك دأب الكثير من شعراء (حركة شعر) الذين امتزجت تجاربهم الشعرية بتلك النفحات الصوفية التراثية، فأدونيس يربط بين الشعر والتصوف في كتابه (زمن الشعر) فيرى أن «الشعر رؤيا- بطبيعتها- قفزة خارج المفهومات السائدة، فالشعر كشف عن عالم يظل أبداً في حاجة إلى الكشف، ولا يمكن للشعر أن

1- سهير حسانين. العبارة الصوفية في الشعر العربي الحديث. دار شرقيات. القاهرة، مصر. 2000. ص19.

2- عبد الحميد هيمة. الرمز الصوفي. ص 107.

3- علي عشري زايد. استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر. دار غريب. القاهرة، مصر. 2006. ص105.

يكون عظيما إلا إذا رأينا وراءه رؤيا للعالم»⁽⁴⁾. فالناظر إلى الشعر باعتباره بحثا عن المجهول يعد انتماء ناميا بطريقة أو بأخرى إلى موروث المتصوفة في الكتابة؛ بوصفها رؤية عالم الخيال في الحس، وكشفا مستمرا لما لا يتحرى بالعين المجردة.

ومن هذا المنطلق الذي عرّف به أدونيس الشعر وانحاز له طائفة من الشعراء كانت دراستنا للعلاقة التي تربط بين الرؤيا الصوفية من ناحية والكتابة الشعرية الحديثة من جهة ثانية وهذا ما سنكشف عنه من خلال المباحث التالية.

1. مفاهيم (الرؤيا) عند رواد حركة شعر:

أضحى مصطلح (الرؤيا) في الشعر والنقد العربيين من الألفاظ الأوسع انتشار والأكثر هيمنة لتداوله كثيرا في الساحة الأدبية، بل إن البعض يعتبره رديفا لحركة الحداثة الشعرية العربية، ومقوما من مقوماتها الأساسية، و«يعتبر جبران خليل جبران أول من قال بالرؤيا كعامل حاسم في توجيه العملية الإبداعية، وهو يؤسس لثورته ويقودها ضد الأشكال الجاهزة.. وهو- بهذا- يعتبر (الرؤيا) محكا حقيقيا للإبداع تضمن الغوص في أغوار الدهشة، وسرايب الخيال، وتقدم صورة هادئة مأهولة بالغرابات والنبوءات والحلم...»⁽⁵⁾. وبالرغم مما تقدم به جبران في مجال (الرؤيا) ونظرته الى الشاعر باعتباره نبيا، أو عرافا يرى بعيني قلبه ما لا يراه غيره وأن له يد السبق في ذلك؛ إلا أننا نعتبر شعراء مجلة (شعر) هم أول من اعتنقوا هذا المصطلح بحفاوة وحالوا تقديم تعريفات له تطبيقية في أشعارهم و نظرية في أعمالهم النقدية بدءا بأدونيس وانتهاء بالحاوي. فهذه الحركة انطلقت من مفاهيم وتصورات ترفض الاستيعاب الجمالي للواقع، فالشعر لا يعيد إنتاج الواقع بل يبتكر ويخلقه؛ يخلق عالما آخر بديلا تحدسه الرؤيا الشعرية، فمفهوم الواقع عندهم مخالف لما اعتادت عليه كتب الأدب، فكما أن هناك عالمين: عالم محسوس، وآخر غيبي لا يمكن

4- علي أحمد سعيد. زمن الشعر. دار الفكر بيروت، لبنان. ط5. ص59.

5- سعيد المولودي. تجليات الرؤية وفضاء الدلالة في شعر سعدي يوسف. كلية الآداب.

مكناس، المملكة المغربية. 2005. ص34.

إدراكه إلا بالحدس الرؤيوي، فإن هناك واقعين: واقع يدركه البصر وآخر تدركه البصيرة، ولما كان الأول مبدولاً لكل من هب ودب فإن الثاني هو من اختصاص الشعر وأهله، وهذا الذي سيتبين لنا في دراستنا التي نستهلها بتعريفات (الرؤيا) لكوكبة من أدباء الحركة.

أ. مفهوم (الرؤيا) عند علي أحمد سعيد إسبر (أدونيس):

إن التقاطع بين التجريبتين الصوفية والشعرية جعل أدونيس يعتمد في تعريفاته للحدثة والشعر على مصطلحات وعبارات صوفية نقلها من سياق التصوف إلى سياق الشعر ففي كتابه (زمن الشعر) يعرف أدونيس الحدثة ممثلة (الشعر الجديد) بأنها رؤيا جديدة يقول أدونيس: «ولعل خير ما نعرف به الشعر الجديد أنه رؤيا».⁽⁶⁾ و(الرؤيا) بهذا الاعتبار «قفزة خارج المفهومات السائدة؛ فهي تغيير في نظام الأشياء، وفي نظام النظر إليها».⁽⁷⁾

وهذه الرؤية لأدونيس في تعريفه لمصطلح (الرؤيا) تحيلنا أكثر على تعريف كبير المتصوفة لبناء صرح رؤياه للعالم والواقع، فالرؤيا عنده هي نوع من الاتحاد بالغيب، أو قل: هي نظرة تخترق الواقع إلى ما وراءه وهذا ما يسميه ابن عربي بـ (علم النظرة).

فـ «كما أن التصوف يطمح إلى كشف الحجب وتحقيق الوصل مع الذات الإلهية، كذلك الشعر عند أدونيس: هو كشف عن عالم يظل أبداً في حاجة إلى الكشف وهو نوع من السحر لأنه يهدف إلى أن يدرك ما لا يدركه العقل».⁽⁸⁾

فأدونيس يولي اهتماماً كبيراً للقلب في معرفته الرؤيوية؛ إذ يرى أن القلب هو المركز الأول والمسؤول عن (الرؤيا) وبه يسهل على الشاعر فهم وجوده وتفسير الظواهر المحيطة به، يقول أدونيس: «الرؤيا معرفة إشراقية في معزل عن العقل، وهذا الإشراق يتم عن طريق القلب، فهو الأداة لمعرفة العلم الباطن، وهو القوة

6- ينظر: عبد الرحمن محمد القعود. الإيهام في شعر الحدثة. عالم المعرفة. الكويت. مارس 2002. ص132.

7- عزيز الحدادي. الفلسفة ومذاق الحضارة. منشورات ما بعد الحداثة. مارس 2007. ص87.

8- المرجع السابق. ص87، 88.

الحقيقية التي تدرك الحقائق الإلهية إدراكا واضحا لا يخالطه الشك، ومتى تمت هذه المعرفة للإنسان سمي عارفا، يشاهد الحق في كل مجلى ويعبده في كل صورة»⁽⁹⁾، فالشاعر بهذا التعريف يماثل القشيري في مذهبه الذي يرى فيه أن (الرؤيا) ماهي «إلا خواطر ترد على القلب، وأحوال تتصور في الوهم، إذا لم يستغرق النوم جميع الاستشعار، فيتوهم الإنسان أنه كان في رؤية حقيقية، وإنما كان ذلك تصور وأوهاما تقرررت في قلوبهم». ⁽¹⁰⁾.

بعد أن بين أدونيس منبع (الرؤيا) وأنها قرينة القلب ولا دخل للعقل فيها، يؤكد ذلك في موضع آخر من كتابه (الثابت والمتحول) ويوضح لنا الهدف من (الرؤيا) فيقرنها بمفاهيم توحى بميتافيزيقيتها؛ ذلك أن الرائي (الشاعر) يرتبط بما فوق الواقع ويدرك الأشياء على حقيقتها المطلقة كما يعيشها وكما تراه عينه الباطنية، يقول أدونيس: «والرؤيا في ذاتها الأصلية وسيلة للكشف عن الغيب أو هي العلم بالغيب، ولا تحدث الرؤيا إلا في حالة الانفصال عن عالم المحسوسات، ويحدث الانفصال في حالة النوم، فتسمى (الرؤيا) عندئذ حلما»⁽¹¹⁾. فالحلم عنده منبع من منابع الرؤيا التي تكشف لنا عن عوالم الغيب، فالرؤيات في الأحلام وكذلك الأصوات تتواصل وتتشكل بشكل غير متجانس وغير منطقي.

ولعل مقولة أدونيس هذه تعود بنا إلى مقولة السابقة للقشيري إذ يورد العلاقة بين الرؤيا والحلم وأن لها علاقة وطيدة بالنزعة الصوفية؛ لكننا إذا تأملنا هذا التصور الأدونيسي فهو في أصله مأخوذ عن المدرسة الرمزية الفرنسية للرؤيا، وذلك عند كل من رامبو ومالارمييه وبودلير، هذه المدرسة التي أولت عناية مخصصة للرؤيا فقرنت بين الشعر و(الرؤيا)، واعتبرت الكتابة إدراكا حدسيا يقوم على معرفة مباشرة وداخلية في آن واحد ، فمهمة الشعر عند رامبو هي « رؤية مالا يرى وسماع ما لا يسمع، وقد طلب من الشاعر أن يتوصل إلى الكشف عن المجهول عبر تشويش الحواس ، وأن يكون سارق النار، وبعد عودته

9- عزيز الحدادي. الفلسفة ومذاق الحضارة. ص87.

10- علي المنقي. القصيدة العربية المعاصرة. المطبعة الوطنية. مراكش . 2009. ص246.

11- علي أحمد سعيد. صدمة الحداثة. ط02. دار العودة. بيروت، لبنان. 1979. ص166.

يشعرنا باكتشافه»،⁽¹²⁾ وغايتها هو الاقتراب من المجهول الذي يقتضي تشويش كل الحواس وإشاعة الاضطراب فيها، والجمع بين المتناقضات، وتخطي المرئي إلى اللامرئي هو ما يجعل من مذهب رامبو في (الرؤيا) تأملا ميتافيزيقيا مطلقا، وقد كان يقول « أريد أن أكون شاعرا وأنا أعمل عل أن أصبح رائيا». ⁽¹³⁾

أما (بودلير) فقد حاول أن يصل بالشعر إلى الكشف عن العلاقات الخفية والعوالم الباطنية من أجل أن يتغلب على آلام الوجود، فهو يستدعي الغيب وما وراء العالم ليأتي إلينا باحثا عن شفافية الأنا في حركة الكون. ⁽¹⁴⁾ الأمر الذي أدى إلى رفع منزلة الشاعر إلى مرتبة النبي أو ما يسميه رامبو (الشاعر الملهم)؛ أي أنه مزود بقوة خارقة تمكنه من رؤية ما وراء الأشياء في عالم الواقع، تمكنه من أن يفهم لغة الزهر والأشياء الجامدة، أن يكون مخلوقا مقدسا قادرا على أن يخترع عالمه.

وكخلاصة لما سبق من عرض لمفاهيم (الرؤيا) عند أدونيس والذي اعتبره الأكثر خوضا ومقاربة لمصطلح (الرؤيا) بين المذهبين الصوفي والسوريالي، متأثرا في ذلك بمبادئهما، ومحاولا صياغة مفهومه للرؤيا التي يعتبرها بحثا في المجهول واللامرئي، كما يمكننا أن نجمل رؤيا أدونيس في النقاط التالية:

أ. أن مفهوم الشعر عنده قرين بالرؤيا إذ لا يراوح أن يجمع بينهما في شتى كتاباته.

ب. يعتبر أدونيس (الرؤيا) سبب تأسيس الحداثة الشعرية، فالشعر تأسيس باللغة، و(الرؤيا) تأسيس عالم واتجاه لا عهد لنا بهما من قبل، أو كما قال.

ج. اتصال لفظة (الرؤيا) واقترانها بمصطلحات صوفية كالكشف والحلم، والغيب، الخيال لم يكن اعتباطيا؛ بل كان له من الدلالات والأفكار التي يسعى أدونيس إلى ترسيخها وبناء إيديولوجية جديدة.

12- علي المتقي. القصيدة العربية المعاصرة. ص246.

13- أبو يوسف سالم ساندي. قضايا النقد والحداثة: دراسة في التجربة النقدية لمجلة "شعر" اللبنانية. ص81، 82.

14- علي أحمد سعيد (أدونيس). الصوفية والسوريالية. ص53.

د. الرؤيا هي رفض صارخ لعالم المنطق والعقل فهي لا تقدم حقائق مع صيغة المؤلف؛ بل هي فيض وإشراق تظهر بشكل عابر، فليس الشاعر من يعقل ويمنطق، بل الشاعر من يقفز بحدسه فيما وراء العقل والمنطق.

ب. مفهوم (الرؤيا) عند عبد الوهاب البياتي:

يتفق عبد الوهاب البياتي مع أدونيس في كون مفهوم (الرؤيا) يتجاوز مفهومها الظاهر إلى الباطن، والحسي إلى المعنوي، والجزئي إلى الكلي؛ لكن يختلف معه من حيث النشأة والمرجعية، فأدونيس يرى بأن (الرؤيا) مشحونة بالدلالات الصوفية الباطنية ونظيرتها السورالية الحداثية، كما أنه يسلب عنها مفهوم الواقعية، فهي قفزة خارج المفهومات السائدة فلا يمكن تحديدها من الظاهر لأنها حالة داخلية في ذات الشاعر فتأتي من الأعلى خارج الواقع والتجربة، وبعيدا عن الوعي والفهم. وبخلاف ذلك فإن البياتي يربط (الرؤيا) بوعي الواقع والتجربة الفردية في المجتمع؛ فيذهب أبعد من ذلك إذ يعقد الصلة بين (الرؤيا) القلبية والرؤية العينية،⁽¹⁵⁾ فيرى أن الأولى لا تقوم ولا يستقيم عودها إلا على الثانية؛ لأن الرؤيا إنما تنشأ من خلال فهم الواقع وإدراكه إدراكا حسيا، فـ « الفهم الموضوعي للتناقضات التي تسود قانون الحياة وفهم واكتشاف منطق حركة التاريخ والتفاعل مع أحداث العصر يمنح الشاعر

15- يعتبر مصطلحي "الرؤية" و"الرؤيا" مصطلحين هامين فهما كثير من المصطلحات إذا اجتمعت افتترقت وإذا افتترقت اجتمعت، ف"الرؤية" هي: ما تراه العين أو هو فعل الحس البصري، فهي من فعل الباصرة في اليقظة، أما الرؤيا بمفهومها البسيط: هي ما يرى في النوم، أو من فعل التخيل في الحلم، وقد تطلق على أحلام اليقظة أو الرؤيا بالقلب، فالأولى حسية خارجية والثانية قلبية داخلية، والأولى ثابتة والثانية متغيرة ترى الأشياء بحسب تقلب الحالة النفسية، فتعيد اكتشافها وصياغتها من جديد. ولا يعني هذا أيضا انفصاما بين الرؤية والرؤيا فقد يتحد عملهما لإنتاج دلالة تعبيرية خاصة، لكن تضاهيهما على إنتاج الدلالة لا يعني عدم التفريق بينهما.

الرؤية الشاملة والقدرة على التجاوز والتوجه إلى المستقبل»⁽¹⁶⁾ ؛ بل إنه ينظر نظرة ازدراء إلى التجارب الشعرية القائمة على أساس صوفي فيصفها بالزائفة وبالهلوسة، يقول البياتي « ... والتوجه إلى المستقبل لا يمكن أن يتم إذا لم يستطع الشاعر أن يعايش ويستوعب الحاضر الذي يسقط ميتا في كل لحظة، لكي يصبح ماضيا، لأن المستقبل لا يولد من الفراغ أو اللاشيء، لذا فإني أنظر باستخفاف وازدراء لكثير من التجارب المشحونة بالهلوسة الصوفية وادعاء الاستبصار لأن أغلب هذه التجارب قائمة على أساس النظرة المثالية المعادية للعقل والعلم والواقع، بل إنها تزدرى الحاضر وتسقطه من حسابها بحكم نظرتها الطبقية، فتتأمل بشيء من الخوف والاحتقار إلى الثورة، وإلى نضال الجماهير وإن كانت لا تستطيع الجهر بذلك لجبنها وانتهازيتها»⁽¹⁷⁾.

إن كلام البياتي هذا ينسف قول أدونيس ومن ذهب مذهبه من أن (الرؤيا) معرفة إشراقية قلبية بمعزل عن العقل، فلا صلة للرؤيا « في هذا السياق بالصوفية لأنها ليست وليدة الخيال وإنما هي وليدة الاحتكاك بالواقع»⁽¹⁸⁾، فهذه النظرة للرؤيا هي التي ينظم بها الشاعر أشعاره الصوفية القائمة على استبطان الواقع وإعادة تشكيله في كتابة غارقة في التصوف والرؤى.

ج. (الرؤيا) عند: الماغوط، نذير العظيمة، خالدة سعيد وجبرا :

يعتبر محمد الماغوط أحد الأعضاء الرئيسيين في مجلة (شعر)، ومن الذين اعتمدوا (الرؤيا) محورا في أشعارهم، فهي من السمات البارزة في شعره إذ جاءت مبلورة موقفه من الحياة، مثرية تجربته الشعرية فهي « نابعة من إحساس الشاعر الصادق بالأشياء، ومعرفة ظواهر الإحساس وبواطنه، وخاصة عندما يقوم الماغوط بتقطيع الأحاسيس وإعادة دمجها لتشكل صورة للذات الفاقدة

16- عبد الوهاب البياتي. تجربتي الشعرية. ص34.

17- المرجع نفسه. ص34.

18- خالد بلقاسم. أدونيس والخطاب الصوفي. دار توبقال. الدار البيضاء، المغرب. 2000.

لملامحها الأساسية...»⁽¹⁹⁾ وهذه الملامح ما هي إلا (رؤيا الخلاص) الذي يسعى الشاعر من خلاله إلى نزوع الذات إلى الاكتمال، وأن « يعبر عن الحالة النفسية والمشاعر العاطفية، والمنظومة الاجتماعية في شرائحها وفئاتها المتباينة، وأوجه ثقافتها وتفكيرها ووعيها »⁽²⁰⁾.

يتجه نذير العظمة بالرؤيا ناحية (الموقف) وهو يتحدث عن (شعرية الموقف) عند نزار قباني فيقول : «إنها ما يسميه نقاد مجلة (شعر): الرؤيا، أو التجربة، أو المعاناة»⁽²¹⁾، وفي مبحث له من كتابه (أنا والحداثة ومجلة شعر) تحت عنوان: (التراث والرؤيا) قرن نذير بين (الرؤيا) و(المستقبل)؛ فمفهوم (الرؤيا) عنده هي نظرة الاستشرافية التي لا يمكن فصلها عن التراث، فهي تقودنا إلى الكشف عنه وإعادته إلى الضوء وصبر أعماقه ومخباته وتمكين استخدامه ونشر فوائده. فهي رؤيا لصيقة برؤيا الخلاص عند الماغوط، لكن الفرق بينهما أن الأولى هي حبيسة فكر الشاعر، فلا يسعى بها إلى بناء مستقبله إلا نادرا، بخلاف العظمة الذي ينطلق من تراثه لرسم ملامح مستقبله يقول في ذلك « ولنفهم فهمنا واضحا أننا لا يمكن أن نخلط مسؤولية بعث التراث ونشره بجعله الماضي مثالا للحاضر والمستقبل بقدر ما هو غذاء لنا ولفكرنا في تفاعلنا مع الحياة.. فالتراث ليس صنما يعبد أو إماما يقودنا في حاضر إلى المستقبل»⁽²²⁾. ولكن ذلك لا يتأتى عنده إلا من خلال ثورة على الموروث هذه الثورة التي لا تتنكر للماضي بل تعتبره الجسر لبناء مستقبل جديد، و«الثورة الحقيقية تصور ورؤيا ينبعان من اللحم والدم والعصب والفكر والنفس... و(الرؤيا) عند الشاعر الحق هي الجسر الذي تعبر منها مخبات النفس. ينبع من موقفه، ومن تصوره يشع، ينسكب من جبينه

19- راجي شاهين. الرؤيا في شعر الماغوط. الهيئة العامة السورية للكتاب. دمشق، سوريا. 2013. ص 05.

20- ينظر: راجي شاهين. الرؤيا في شعر الماغوط. نقلا عن: ممدوح السكاف. في تأمل الشعر. ص 22.

21- ينظر: عبد الرحمن محمد القعود. الإيهام في شعر الحداثة. ص 132، 133.

22- نذير العظمة. أنا والحداثة ومجلة شعر. دار نلسن. 2000. ص 17، 18.

وفي قلبه يسقط»،⁽²³⁾ فالإبداع والتراث وجهان لحقيقة واحدة هي حقيقة الإنسان والمجتمع، فالشاعر لا يمكنه بناء رؤيته والتعبير عنها إلا بالرجوع إلى ماضيه، فهو غذاء لفكره وخدام لحاضره ومستقبله.

أما خالدة سعيد وجبرا إبراهيم جبرا فقد وطدا العلاقة بين الرؤيا والحلم؛ إذ ترادف الحلم الإبداعي عند خالدة، فهي « خروج من اللحظة الجزئية إلى لحظة يتعانق فيها الماضي والمستقبل »⁽²⁴⁾، لأنها « تصور للعالم ينطلق من رغبات الإنسان العميقة الأصلية في غياب كل شكل من أشكال التسلط والظلم والاستغلال والتنازل والإذعان للأمر الواقع، والشعر -الرؤيا- أو الحلم احتجاج مستمر على واقع بات واقع قهر».⁽²⁵⁾

أما جبرا إضافة يرى بأن « الرؤية والرؤيا قد تتبادلان المعنى »،⁽²⁶⁾ فمفهوم (الرؤيا) عنده يكتسب « معاني تتخطى الحلم، حتى بإضافته المجازية، فهي الرؤيا بالعين والعقل والقلب معا، زائدا الحلم، زائدا ذلك التطلع الإنساني الأرحب الذي اقترن في ذهن البشرية بتوق الأنبياء والفلاسفة والشعراء، ذلك الماورائي، الذي يبدو صورا لا يعللها المنطق بالضرورة، ولكنها تكتض بالرموز لما هو في الصلب من الكينونة الإنسانية واندفاعاتها».⁽²⁷⁾

إن هذا المفهوم للرؤيا عند جبرا إبراهيم جبرا وخالدة سعيد قد جمعا فيه التعاريف السابقة عند رواد الحركة الذين أسلفنا ذكرهم، فالرؤيا حلم بالمفهوم الميتافيزيقي الأدونيسسي، وهي تطلع للواقع كما هو الحال عند البياتي، واندفاعي ثوري كرؤيا الماغوط، واستشرافية تعانق المستقبل عند العظمة.

23- المرجع نفسه. ص20.

24- خالدة سعيد. حركة الإبداع. دار العودة. بيروت، لبنان. 1979. ص262

25- المرجع السابق. ص130 .

26- جبرا إبراهيم جبرا. ينابيع الرؤيا. المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت، لبنان. 1979. ص07 .

27- المرجع نفسه. الصفحة نفسها.

منابع (الرؤيا) عند حركة (شعر):

بعد تقصينا لمفاهيم (الرؤيا) عند أبرز رواد حركة شعر الذين تعرضوا لمصطلح (الرؤيا) في كتاباتهم وأعمالهم النقدية، وجدنا أن هناك عدة عوامل أدت بهؤلاء إلى الاعتناء والاعتلاء بهذه المفردة، إذ قد تتوافق أحيانا بينهم وقد تتباين بحسب غاية كل واحد منهم في الكتابة، لكن الشيء المشترك بينهم أنها (تجسيد للحدثا الشعري) التي تشكل فيها القصيدة المعاصرة رحلتها من الذاكرة (الماضي) إلى المستقبل ولعلنا بذلك سنوضح شيئا من روافد الرؤيا الحدثا التي بنيت على:

أ- **الخيال**: يمثل عنصر الخيال عند شعراء حركة (شعر) أحد العناصر الهامة في الكتابة الشعرية، إذ لا يمكن فهم (الرؤيا) بمعزل عن التصور الخيالي، حيث تنطلق التجربة الشعرية على الخيال بوصفه ضربا من المعرفة وركنا من أركانها، وكذلك الحال بالنسبة للتجربة الصوفية، يقول الدكتور سهير حسنين: إن «سطوته _الخيال_ على المبدع، وسطوته على الصوفي بوصفه عنصرا لا غنى عنه في التجريبتين... فهو يقوم بدور المحرك الأساسي في العملية الإبداعية، وأهميته فيها كأهمية التجربة الصوفية»،⁽²⁸⁾ فمبدأ الخيال عند حركة (شعر) وغيرهم من شعراء الحدثا أنه يقوم على الجمع بين المتناقضات وخرق الألوف التي لا يمكننا جمعها في الواقع المحسوس؛ «فكان ما بين الرؤيا والخيال هو علاقة تفاعل حين يحفز أحدهما الآخر ويدفعه، إذ بدون هذا الخيال لن تكون للرؤيا قفرتها خارج المفهومات السائدة، ولن تتجاوز معطيات الإدراك الحسي المباشر، وبدون (الرؤيا) يصبح الخيال كسيحا لا طاقة له على الإطلاق ولا قدرة له على الاختراق».⁽²⁹⁾

ب- **الحلم**: إن الباحث في المفهوم الاصطلاحي الديني بين الرؤيا والحلم يجد أن هناك تعارض بين المفردتين فقد ورد في آيات قرآنية وأحاديث نبوية ما يفيد أن الرؤيا من الله والحلم من الشيطان فالفرق بينهما هو الصدق، فالرؤيا هي جزء من النبوة أو الوحي فتكون صادقة في أغلبها، أما الحلم فارتبط في القرآن

28- سهير حسنين. العبارة الصوفية في الشعر العربي الحديث. ص 28.

29- عبد الرحمن محمد القعود. الإيهام في شعر الحدثا. ص 138.

بالضغث، وهو في اللغة اللبس والخلط، فالأولى تحمل معنى إيجابيا أما الأخرى فذات معنى سلبي؛ لكن المتتبع لمفهوم الحلم شعراء الحركة يعي بأن القصيدة الحديثة عندهم لا تقوم إلا على هذا الأساس فهم يقدسونه ويتخذون منه «أداة حداثية للكشف عن أغوار المجهول وارتداد المطلق؛ لأن الحلم يفكك الواقع إلى عناصره الأولية ويعيد تركيبه على نحو لا يخضع فيه إلى قوانين الواقع الخارجي، متجاوزا معطياته ملتحما بالعوالم الميتافيزيقية»⁽³⁰⁾ فهو وسيلة كشف لا يتوصل إليها الشعور في حالة وعيه، وهو عند أدونيس لا يتأتى من الحقل الديني، حيث يتماهى عنده مفهوم (الرؤيا) بمفهوم الحلم. ففي ديوان (أغاني مهيار الدمشقي) يمجّد أدونيس الحلم شأنه في ذلك شأن السوراليين الذي أضحى الحلم عندهم ليس إلا شعرا غير إرادي، وهو الذي يكشف عن هذا العالم ويحرره.⁽³¹⁾

وفي هذا الشأن يصبح الشاعر عند خالدة سعيد هو «الإنسان ذو القامة الكونية، المتوهج بالألوهية، إنسان الحلم والسفر والتطلعات، هو كذلك إنسان الإبداع»⁽³²⁾ فهروبه إلى عالم الحلم هو تحرير للعقل من الأصول والقواعد التي تحكمه وتجعله مقيدا بطرق التفكير السائدة في المجتمع، فهو مثل الجنون تماما، «فبالحلم يرى الرائي ما طمسه عقله أو ما لم يقدر أن يراه بعينه العاديتين _وبذلك_ يفتح أبواب الواقع الآخر الذي هو أكثر غنى وجمالا من الواقع المباشر».⁽³³⁾

وبهذا تمحي الفروق التي تفصل بين الحلم والرؤيا وتلاشى، وتصبح حدودا غائمة بل غائبة، فتحرر كل الذوات وكل الأشياء من نقائصها، وتنفي الذات

30- بشير تاويريت. آليات الشعرية الحداثية عند أدونيس. عالم الكتب. القاهرة. 2009. ص 58.

31- ينظر: أمال منصور. أدونيس وبنية القصيدة القصيرة. عالم الكتب الحديثة. إربد. 2007. ص 8.

32- خالدة سعيد. حركية الإبداع. ص 34.

33- علي أحمد سعيد. الثابت والمتحول، صدمة الحداثة. ص 200.

الشاعرة نفسها نفيًا طوعيا عن الواقع المفروض إلى اختراق الزمان والمكان، بحثًا عن المواقع التي يجب تدميرها وإعادة بنائها بالوجه الصحيح.⁽³⁴⁾

ت- **الحدس**: لقد كان لمفهوم الحدس أهمية في تشكيل القصيدة المعاصرة، إذ تأثرت جميع الحركات بهذا المفهوم بدءًا من الكلاسيكية، والرومانسية وصولًا إلى شعر التفعيلة.

فرغم عدم التطرق له كمصطلح في المدرستين الأوليين إلا أنه كان حاضرا في تلك الحركات بآثاره المترتبة عنه. ومع نهاية الخمسينيات من القرن الماضي وبظهور قصيدة النثر لدى جماعة شعر، تبنى رواد هذه الحركة (الحدس الصوفي) الذي تعتمد عليه (الرؤيا) في كتاباتهم. فينطلق هذا الحدس من كون القصيدة المعاصرة هي نوع من المعرفة الإشرافية التي لها التأثير المباشر على شكل القصيدة، فأنسي الحاج يرى أنها يجب أن تكون قصيرة لتوفر عنصر الإشراق، شأنها في ذلك شأن الإيجراما⁽³⁵⁾ مما يؤكد أن الإشراق أو المعرفة بالإلهام يمثل عنصرا أساسيا في تصورات جماعة (شعر) بشكل عام.⁽³⁶⁾

وبما أن الشاعر يمتلك عينا ميتافيزيقية تركز على الحدس والتواصل مع عالم خفي لا يدركه إلا الشعراء؛ فقد تم حصر القصيدة لدى شعراء (شعر) داخل إطار (الحدس الصوفي) الذي يتأسس على عنصرين أساسيين: وحدة الوجود، ومفهوم (الرؤيا).

إن هذه الروافد السابقة من: خيال وحلم وحدس، وما لها من دلالات صوفية بحثة والتي توحى بميتافيزيقية الرؤيا الحداثية وبوصفها موقفا من العالم، وبتلقائية الإبداع وفوضويته، قد أفضت إلى نتائج وملاحظات هامة اصطبغت بها الكتابة الحداثية عند الجماعة يمكن حصرها فيما يلي:

34- ينظر: أمال منصور. **أدونيس وبنية القصيدة القصيرة**. ص 224، 225.

35- ينظر: عبد العزيز مواي. **قصيدة النثر من التأسيس إلى المرجعية**. المجلس الأعلى للثقافة. القاهرة. 2004. ص 65، 66.

36- ينظر: عبد العزيز مواي. **قصيدة النثر من التأسيس إلى المرجعية**. المجلس الأعلى للثقافة. القاهرة. 2004. ص 65، 66.

1. أثر (الرؤيا) في الكتابة الشعرية عند حركة شعر:

أ. الغموض وضعف اللغة: فالغموض هو حالة محايثة للتجربة الصوفيّة ذاتها، لكون هذه التجربة وجودية وعرفانية في الوقت نفسه... والغموض المقصود لدى الصوفيّة هو الذي أدى بهم إلى توظيف مصطلح الحدس والإشارة وهذه الأخيرة تحمل معنيين حيث تشير مرّة إلى التفسير والكشف ومرّة أخرى إلى السّتر والإضمار؛ « فالسّتر ملازم للغموض، وهو السّبب الأساس في حضوره؛ لأنّ التعبير عن التجربة في الحقيقة كشف لمعنى الوجود، لذلك كان استخدام السّتر بتوظيف الإشارات بطريقة رمزية إخفاء لما قد ينكشف».⁽³⁷⁾

وإذا كانت غاية الصّوفي من الغموض هي السّتر، فإن غايته لدى الشّاعر الحداثي هي خرق القواعد المتعارف عليها في الجانبين الأسلوبي والدلالي، وهذا الخرق يوصف بكونه انحرافا وخروجا عن المألوف وانتهاكا وتهديما لما تعارف النّاس عليه من طرق تعبيرية.

لقد تحدّث شعراء حركة شعر عن «الرؤيا الإشراقية، وعن الكشف الصّوفي وجعلوا ذلك أساسا فلسفياً للغموض الحداثي؛ إذ اعتبروا أنّ (الرؤيا) استمرار وضرورة دائمة وإبداع.. وصرّحوا بأن الإبداع كشف، ثم وصلوا إلى أنّ التغيّر المستمر ومناقضة الثبات هي مقياس الكشف الباطني الصّوفي، ومقياس المبدع».⁽³⁸⁾

فجل حتى لا نقول كل شعراء حركة (شعر) قد انتصروا إلى الغموض وجعلوه من أجلّ سمات الكتابة، « بل إن الكتابة التي تتسم بالمباشرة والتقريرية يصفونها بأنّها كتابة صحفية إخبارية، وليست لها أي علاقة بالكتابة الشعريّة الفنيّة، وهذا الغموض الدلالي أصبح مرضا في التّوظيف اللّغوي أثناء الكتابة؛

37- محمد كعوان. الرمز الصوفي في الخطاب الشعري المعاصر- وفعاليات التجاوز. رسالة دكتوراه. جامعة قسنطينة. 2006. ص 999.

38- سعيد بن ناصر الغامدي. الانحراف العقدي في أدب الحداثية. دار الأندلس الخضراء. جدة، السعودية. 2003. ص 954.

لأن التجارب الشعريّة المعاصرة قد أفضت صراحة بصعوبة التعبير عن الحالات النفسية العسيرة على الفهم»⁽³⁹⁾.

ب. التمرد والثورة على المفاهيم السائدة:

ينطلق شعراء الحركة من التصوف باعتباره رؤيا ثورية ابتكرت رؤيا جديدة للعالم، وأفاقا كانوا يصبون إليها في كتاباتهم؛ فلا تكاد صفة التمرد والثورية تنفصل عنهم متأثرين بكبتر المتصوفة كالحلاج والنفري وابن عربي الذين « عبروا بفكرهم وسلوكهم عن سخطهم على مجتمعاتهم، ومعارضتهم للسلطات الدينية والسياسية التي كانت تقوم على توجيه هذه المجتمعات والتحكم في مقدراتهم»،⁽⁴⁰⁾ وأنها « ثورة على المفاهيم السائدة ودعوة إلى تغيير الواقع السائد، ورؤيا جديدة للكون والوجود»،⁽⁴¹⁾ وقد دفعت هذه العوامل وغيرها بهذه الثورية عند هؤلاء الشعراء ورسمت لهم الطريق فوجدوا فيه ضالّتهم، فالماغوط مثلا الذي يصفه درويش بأنه (شامل التمرد) أسهم العامل التاريخي ونشأته في مجتمع قرمطي في ثورته على الموروث العربي وكل ماله له صلة بذلك، فكان « يرفض الشرائع والتقاليد الاجتماعية بأي شكل كانت، واقفا منها موقف المتمرد الذي خالف الجميع علانية ضاربا إياها عرض الحائط»،⁽⁴²⁾ ويتبعه في ذلك كبيرهم الذي علمهم الرفض والتمرد (أدونيس) والذي يرى في الثورة والتمرد على الشرائع والتقاليد هو ضرب من « نشدان للحرية، مادامت الشريعة خداعا واغتصابا، لكونها تمثل الإرهاب الإنساني بامتياز». ⁽⁴³⁾ ولهذا كانت الثورة الحقيقية عند نذير العظمة هي «تصور ورؤيا ينبعان من اللحم والدم والعصب

39- محمد كعوان. الرمز الصوفي في الخطاب الشعري العربي المعاصر. ص ٩٩٩

40- إيمان الناصر. قصيدة النثر العربية التغيرات والاختلاف. الانتشار العربي. بيروت، لبنان. 2007. ص 186، 187.

41- عبد الحميد جيدة. الاتجاهات الجديدة في الشعر العربي المعاصر. مؤسسة نوفل. لبنان 1980. ص 34.

42- ينظر: راجي شهين. الرؤيا في شعر الماغوط. نقلا عن: محمد الماغوط. وطن في وطن. ص 34.

43- خالد بلقاسم. أدونيس والخطاب الصوفي. ص 84.

والفكر والنفوس.. للثورة ثمن تقبضه عهود الكبت والقهر والحرمان لتعلو حرائق الحياة الجديدة، الثورة ذات تتفجر...»⁽⁴⁴⁾

بهذه العبارات وغيرها والتي لا يسعنا المجال لذكرها نستلهم حقيقة الثورية في أشعارهم فهي تجري في عروقهم مجرى الدم في اللحم.

ج. الغربة والقلق الدائم:

إن البحث عن المجهول وإثارة السؤال من خصائص التجربة الشعرية الصوفية، فالصوفي دائم البحث عن المجهول الذي لم ولن يصل إليه إلا من خلال تبنيه لرؤيا استشرافية تعانق العالم بتناقضاته، وهذا الذي يجعل مفهوم الحيرة والقلق مبدأ أساسيا في تجاربهم، فـ « الصوفي يعيش في قلق وغربة، غربة عن الواقع والمجتمع والناس، وغربة عن النفس ولذا نراه في رحلة مستمرة دائمة»⁽⁴⁵⁾ وكذلك كان الحال بالنسبة للشاعر المعاصر الذي يتوسل باللغة والحلم، سعيا وراء تحقيق واقع ممكن فكانت الرؤيا الكشفية باعثا له على القلق والاغتراب، حيث «تبدأ رحلة البحث عن الذات من موقع مجابهة الزمن، وتستمر بمعايشة لحظات الاغتراب والقلق ليجد الشاعر في زمن القصيدة فضاء للانبعاث، وفي هذه الحال تصبح القصيدة المساحة الوحيدة التي يمكن للذات أن تخرج إليها لتمارس بها التفكير وتبصر الواقع القمعي مدمرا»⁽⁴⁶⁾.

فمضض التساؤل واتساعه أوقع الحداثي في حيرة المعرفة والبحث عن الذات فهذا أدونيس كما يقول عنه بلقاسم خالد: (ينشغل بالتصوف ويتورط في أسئلته)، وكذلك كان الماغوط في صدام مستمر مع وجوده فكانت الغربة مآلا حتميا لحياته وهو كما قال عنه أحد النقاد (رهين غربيات ثلاث: الوطن والطبقة والعصر).

إلى جانب ما سبق فلا بد أن للموروث الصوفي الأثر البالغ في تشكيل هذه النفسية القلقة لدى الحركة فهذا ابن عربي يقول: (ما ثم إلا حيرة لتفرق النظر)، ويجاريه في ذلك ابن الفارض في قوله:

44- نذير العظيمة. أنا والحداثة ومجلة شعر. ص 18، 20.

45- إيمان الناصر. قصيدة النثر العربية التغيرات والاختلاف. ص 186.

46- المرجع نفسه. ص 52.

زدني بفرط الحب فيك تحيرا وارحم حشى بلظى هواك تسعرا⁽⁴⁷⁾

وختاما لا يسعنا إلا أن نورد بعض النتائج التي استخلصناها من هذا الورقة البحثية فنقول: إن الروافد السابقة الذكر من: خيال وحلم وحس، وما لها من دلالات صوفية بحتة توحى بميتافيزيقية الرؤيا الحداثية عند جماعة (شعر) بوصفها موقفا من العالم، وتلقائية الإبداع وفوضويته، مما أدى إلى انعكاسها على الكتابة الشعرية عندهم، ظهرت آثارها جليلة في غموض أشعارهم إلى درجة الإبهام في أغلب حالاته وشعورهم بالغرابة والضياع في عالم يغلب عليه طابع العبثية والتمرد والثورة.

المراجع:

1. أمال منصور. أدونيس وبنية القصيدة القصيرة. عالم الكتب الحديثة. إربد. 2007.
2. إيمان الناصر. قصيدة النثر العربية التغيرات والاختلاف. الانتشار العربي. بيروت، لبنان. 2007.
3. بشير تاويريريت. آليات الشعرية الحداثية عند أدونيس. عالم الكتب. القاهرة. 2009.
4. جبرا إبراهيم جبرا. ينابيع الرؤيا. المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت، لبنان. 1979.
5. خالد بلقاسم. أدونيس والخطاب الصوفي. دار توبقال. الدار البيضاء، المغرب. 2000.
6. خالدة سعيد. حركية الإبداع. دار العودة. بيروت، لبنان. 1979.
7. راجي شاهين. الرؤيا في شعر الماغوط. الهيئة العامة السورية للكتاب. دمشق، سوريا. 2013.
8. محمد كعوان. الرمز الصوفي في الخطاب الشعري العربي المعاصر - وفعاليات التجاوز. رسالة دكتوراه. جامعة قسنطينة. 2006.
9. نذير العظمة. أنا والحداثة ومجلة شعر. دار نلسن. 2000.
10. سعدي المولودي. تحليلات الرؤية وفضاء الدلالة في شعر سعدي يوسف. كلية الآداب. مكناس، المملكة المغربية. 2005.
11. سهير حسانين. العبارة الصوفية في الشعر العربي الحديث. دار شرقيات. القاهرة، مصر. 2000.
12. عبد الحميد جيدة. الاتجاهات الجديدة في الشعر العربي المعاصر. مؤسسة نوفل. لبنان. 1980.
13. عبد الرحمن محمد القعود. الإبهام في شعر الحداثة. عالم المعرفة. الكويت. مارس 2002.

47- ينظر: عبد الرحمن محمد القعود. الإبهام في شعر الحداثة. ص 45.

14. عبد العزيز موابي. قصيدة النثر من التأسيس إلى المرجعية. المجلس الأعلى للثقافة. القاهرة. 2004.
15. عبد الوهاب البياتي. تجربتي الشعرية.
16. عزيز الحدادي. الفلسفة ومذاق الحضارة. منشورات ما بعد الحداثة. مارس 2007.
17. علي أحمد سعيد. زمن الشعر. دار الفكر بيروت، لبنان. ط05.
18. صدمة الحداثة. ط02. دار العودة. بيروت، لبنان. 1979.
19. علي المتقي. القصيدة العربية المعاصرة. المطبعة الوطنية. مراكش . 2009.
20. علي عشري زايد. استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر. دار غريب. القاهرة، مصر. 2006.
21. سعيد بن ناصر الغامدي. الانحراف العقدي في أدب الحداثة. دار الأندلس الخضراء. جدة، السعودية. 2003.



اللغة العربية في الثقافة الجزائرية: الراهن والمأمول

عبد الكريم خليل

قسم اللغة والأدب العربي، معهد الآداب واللغات

المركز الجامعي لميلة.

ص.ب رقم 26.RP. ميلة 43000. الجزائر.

a.khelil@centre-univ-mila.dz

ملخص -

اختياري هذا الموضوع أن يكون مجالا للبحث والدرس أملاه شعوري بالخوف من الأخطار المحدقة والمتربصة بمصير اللغة العربية في الجزائر، ذلك أن المحنة التي واجهت وما تزال تواجه لغة الضاد في بلادنا تكاد أن تتحول إلى عداء طفق منذ زمن غير قريب يلاحقها في بلد المليون ونصف المليون شهيد. ويروم هذا البحث توضيح أسباب تقهقر اللغة العربية في حياتنا الاجتماعية والثقافية والاقتصادية وحتى السياسية مع أنها لغة وطنية دستورية وتبين مدى تقصير الهيئات الرسمية و الخاصة في تثبيتها وتجديرها في واقعنا المعيش.

وبطبيعة الحال فإن القول إن اللغة العربية لا خوف عليها في الجزائر ما دامت لغة دستورية، لا يكفي لتبرير هذه السياسة العرجاء المتبعة في التعامل معها؛ فإذا ما كانت فعلا في رأي الجميع لغة وطنية وتمثل حقا إحدى ثوابت الدولة الجزائرية فعلينا أن نلتزم بها مسؤولين ومواطنين على السواء. ويحاول هذا البحث أن يوضحَ راهن هذه اللغة المشرفة بكونها لغة القرآن الكريم، وكذلك البحث في الآليات والسبل والمناهج والطرق الممكنة للوصول بها إلى المكانة التي تستحق.

الكلمات المفتاحية -

اللغة العربية، الحضارة، الثقافة، صناع القرار، المؤسسات، الجودة.

Arabic language in Algerian culture : current and the wished for

Abstract-

What made me choose this subject the area of research and study, is that I am filled with fear of the dangers that beset the potential destiny of the Arabic language in Algeria.

This article aims at clarifying the causes of the decline of Arabic in our social, cultural, economic and even political life. Although it is a national constitutional language, it is revealed to what extent the official and private institutions failed to establish and entrench Arabic in our living reality..

There is no fear indeed since Arabic language as long as it is constitutional language , but this is not enough to justify this lame policy used in dealing with it; if really it is so in the opinion of the whole society and is it truly represents one of the constants of the Algerian state, then we have to abide both officials and citizens.

This article attempts to clarify the bet of this honorable language as the language of the Holy Quran, as well as the research into the mechanisms, ways, methods and possible ways to put it on the pedestal it deserves.

Keywords -

Arabic , Civilization, the culture, legislators, Institutions, the quality.

أولاً: اللغة ودورها في المجتمع:

من بين حدود اللغة الأكثر تداولاً تعريف "ابن جني" الذي يرى أنها عبارة عن "أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"¹، فهي "نظام صوتي يمتلك سياقاً اجتماعياً وثقافياً، له دلالاته ورموزه، وهو قابل للنمو والتطور"².

ويعد تعريف ابن جني من التعريفات الدقيقة إلى حد بعيد؛ لأنه يذكر الجوانب المميزة للغة. حيث أكد "ابن جني" أولاً على الطبيعة الصوتية للغة، كما ذكر وظيفتها الاجتماعية في التعبير ونقل الفكر، وأشار أيضاً إلى أنها تُستخدم في المجتمع، فلكل قوم لغتهم³، وتختلف اللغة باختلاف الأقوام والجماعات اللغوية.

ويتضح لنا أن المقصود باللغة الصوت الذي يحمل رموزاً تعارف جماعة من الناس على دلالاتها ليجعلوها وسيلة التواصل بينهم. وهي ضرورية لأي أمة من الأمم، فدونها لا يمكن أن يتواصل الناس، ويقضوا حوائجهم، كما أنها مقياس تطور الحضارات، فهي ميزان أي مجموعة اجتماعية إن شاء رفع من قدرها وإن شاء حطّ منه.

ويمكن أن يتسبب الأفراد في الجماعة اللغوية الواحدة في الزيادة من قدر لغته، بالاحتفاظ بها وصونها والرفع من قيمتها، كما يمكن لأولئك الأفراد أن يسهموا بقصد أو عن غير قصد في انحطاطها وتقهقرها في ميزان اللغات المختلفة.

واللغة ظاهرة إنسانية عجيبة، وهي عبارة عن منظومة متكاملة من العلامات الدالة منطوقة أو مكتوبة أو إشارية أو رمزية أو غيرها⁴.

¹ - ينظر: الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط 4، د ت، 34/1.

² - محمد الصالح الشنطي، المهارات اللغوية، دار الأندلس للنشر والتوزيع، ط 4، 1996م، ص: 448.

³ - ينظر: علم اللغة العربية، محمود فهمي حجازي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، د.ط، د.ت، ص: 09.

⁴ - ينظر، ادوارد سابير: مدخل للتعريف باللغة، ترجمة سعيد الغانمي، في "اللغة والخطاب الأدبي". المركز الثقافي العربي، 1993، ص: 230.

وهي وسيلة التخاطب بين الناس والتعبير عن حاجاتهم وأفكارهم ومشاعرهم ومعتقداتهم، كما أنها وسيلة التفكير والتواصل والإبداع، وهي الحافظ لذاكرة الأمة والضامن لوحدها وهويتها، ومستودع العلوم والمعلومات والتعاليم والقيم والإحساسات والطموحات.

إن كل مستعمل للغة مّا واقعٌ - لا محالة - تحت سلطتها من حيث هي الأداة الوظيفية وكونها المخزون المعرفي الذي يتحكم في تصوراته وقيمه وتقديراته، ولذلك يرى بعضهم أن "القوم يتكلمون كما يفكرون ويفكرون كما يتكلمون".

واللغة ظاهرة اجتماعية؛ لأنها من العناصر المسهمة في الحفاظ على وحدة وتماسك المجتمع، بالإضافة إلى دورها الأساس الذي يتلخص في "توصيل المعلومات الافتراضية أو الحقيقية"⁵.

ويرى الباحث "عز الدين صحراوي" أن اللغة لا يمكن لها أن تحقق تماسك المجتمع "إلا إذا كانت رمزا للهوية الوطنية ووسيلة للإبداع الفكري ومطلباً اجتماعياً، ونخبوياً يهدف إلى تأكيد السيادة الوطنية والوحدة اللغوية، ولذلك كانت بالنسبة لنا نحن الجزائريين عنصراً أساسياً في هويتنا الوطنية وطريقة تفكيرنا، فهي أخطر من أن تكون مجرد أصوات لغوية تستعمل أداة للتواصل"⁶. وبذلك فإن مسألة اللغة ككل تتجاوز الحد التعريفي المصطلحي في كونها عبارة عن أصوات منتظمة تحقق التعايش المجتمعي، والخطاب القومي بين الأفراد والجماعات اللغوية لأنها تمثل رمزا من رموز السيادة الوطنية التي لا يجب المساس بها.

واللغة مظهرٌ من مظاهر الحضارة لأيّ أمة من الأمم، فحضارات الأمم تقاس بلغاتها ومدى استيعابها لما ينتجه الفكر الإنساني في مختلف مجالات العلوم والفنون، لذا فمن الطبيعي أن يعتني بها أهلها عناية خاصة للحفاظ عليها والارتقاء بها، وكذا تخليصها مما يعلقُ بها من شوائب مع مرور الأزمان والقرون.

⁵ - اللغة وعلم اللغة، جون ليونز، دار النهضة العربية، د. ب، ط1، د. ت، ص: 190.

⁶ - اللغة العربية في الجزائر، التاريخ والهوية، عز الدين صحراوي، مجلة كلية الآداب والعلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، ع 5، 2009م.

والعربية من اللغات التي شهدت هذا الاعتناء، بل نكاد نجزم أنه ما من لغة حظيت بعناية ودراسة مثل ما حظيت به العربية لما تحمله في نفوس أبنائها من قدسية، ولا عجب في ذلك فهي لغة القرآن الكريم. قال الثعالبي: «... من أحبَّ الله تعالى أحبَّ رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم، ومن أحبَّ الرسول العربيَّ أحبَّ العرب، ومن أحبَّ العرب أحبَّ العربية؛ التي بها نزل أفضل الكتب على أفضل العجم والعرب، ومن أحبَّ العربية عني بها، وثابر عليها، وصرف همته إليها...»⁷.

إن الاعتزاز باللغة لدليل على عظمة شأنها وعلو مكانتها؛ لأنها لغة القرآن الكريم الذي أنزل على خير الخلق أجمعين، كما أن لها دوراً في قيام الحضارات واندثارها؛ لأنها تمثلها بكل ما تحمله الكلمة من معانٍ.

ثانياً: اللغة العربية في الجزائر وآفة الاستعمار:

إن الاستعمار حقيقة مُرّة، يجب الاعتراف به وبتبعاته المختلفة؛ لأنه لم يكن أمراً طارئاً أو مفاجئاً؛ فمنذ الاحتلال الجائر لبلادنا، والجزائر تعاني من هذه الأزمة الاجتماعية واللغوية العسيرة.

وقد وصل استعمار فرنسا للجزائر إلى قمة الطغيان والعريضة والوحشية وتجاهل الجوانب الإنسانية واحتقر المثل العلاء. وذلك بهدف (فرنسة) الجزائر. فالقتل والتشريد والتجويع في كل مكان. وانتشر الجهل والمرض وأصبحت البلاد في حالة مزرية⁸.

ومن جهود المستوطنين والاستعماريين أن حاربوا اللغة العربية والثقافة الإسلامية، وشوهوا التاريخ الإسلامي. ونشروا لغتهم وتاريخهم وعاداتهم في بلاد المسلمين⁹.

إن محنة اللغة العربية الحقيقية في الجزائر كانت مع الاستعمار الفرنسي الذي ما تزال تبعاته تلاحقها وتؤرق على منتسبيها نومهم، لأنه -وكما هو

⁷ - فقه اللغة وسر العربية، أبو منصور الثعالبي، تحقق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2002م، ص: 15 (المقدمة).

⁸ - موجز التاريخ الإسلامي منذ عهد آدم عليه السلام (تاريخ ما قبل الإسلام) إلى عصرنا الحاضر، أحمد محمود العسيري، دنا، ط1، 1996، ص: 396.

⁹ - المرجع نفسه، ص: 431.

معلوم- لم يترك أي طريقة أو سبيلا ممكنا لإضعافها والخط من شأنها وقدرها، مما يسهم في الفصل بينها وبين الشعب الجزائري، وفرض لغته الفرنسية مكانها جبراً؛ وذلك لإيمانه الراسخ والعميق أن اللغة من أهم عناصر الهوية الوطنية وعليها مدار الحضارات وشأنها.

ومعلوم أن الاستعمار - بشتى أشكاله - يهدف إلى طمس هويات الشعوب المغلوبة على أمرها والضعيفة؛ و"يحرص على أن يبقوا تحت وطأة الفقر والجهل والضعف"¹⁰. لذلك فإنه استعمل اللغة؛ كسلاح قاتل ذي حدين، حيث إنه عمد في البداية إلى إضعاف مكانة اللغة العربية، من خلال إبطاله التعامل بها في جميع المرافق؛ ومنها التعليم الذي جعلها فيه لغة ثانية كما أنه عمل - بكل ما أوتي من قوة- على إحلال لغته مكانها، حيث شجّع على تعلّمها وأقر امتيازات كثيرة لمستعمليها، خاصة في المدارس الأجنبية التي أنشأها لأبنائه وأبناء الأغنياء و"النبلاء" من أتباعه بهدف تكوين طبقة مستغربة وغربية، إيماناً منه أن اللغة أساس الهوية وروح الأمة وأداة التفكير والتعبير والتدبير، وقد أراد للشعب الجزائري أن ينسلخ عن لغته، فتنسلخ هي الأخرى عن وجودها وكيانها قصراً.

ثالثاً: واقع اللغة العربية في الجزائر، وسبل النهوض بها:

لئن كانت بعض الشخصيات الجزائرية العظيمة التي ارتوت من ضرع الوطنية والكرامة المثالية - غير المشوبة بشائب- تتحدث اللغة العربية في المحافل الدولية على الرغم من إتقانها للغات الأخرى؛ وتفرض على الحضور استعمال أدوات التنصت التي توفر لهم خدمة الترجمة الفورية، إلا أننا نجد مسؤولينا - وللأسف- يسبحون عكس التيار الذي أخذهم إلى حيث لا يستطيعون العودة.

يقول عبد الصبور شاهين: "أما على مستوى المؤسسات الرسمية سواء أكانت اقتصادية أو سياسية أو اجتماعية أو ثقافية، فإننا نلاحظ أن اللغة السائدة هي الفرنسية؛ حيث تعتبر في نظرهم لغة الحداثة والحضارة، فقد طغت على وجود اللغة العربية، ثم إن طوفانا من الألفاظ الجديدة يتدفق كل يوم على هذه اللغة المعزولة، ويراد منها أن تستوعبه، وهذه مشكلة تطرح علينا أسئلة محددة عن مدى قدرة اللغة على استيعاب الجديد، وما مصير الجديد المستوعب في كيان

¹⁰ - المرجع نفسه، ص: 385.

لغة يراد بها دائما إضعاف سيطرتها على مجالاتها الحضارية رغم محاولاتها المستمرة والمستميتة على البقاء"¹¹.

ويلق الباحث عز الدين صحراوي على هذا الكلام بقوله: "ولذا حُقَّ لنا الخوفُ على لغتنا العربية، وما يتربص بها ويهدد كيانها ووجودها، خاصة أننا في عصر التكنولوجيا والعصرنة بكل ما يرتبط به من تداخل لغوي وفكري، وهيمنة ووسائل اتصال أكثر تطورا واستجابة لروح العصر، وإن لغتنا تواجه مخاطر جاءت هذه المرة على يد أبنائها"¹².

ويقول في موضع آخر: "ولئن كانت هذه اللغة تعبر عن شخصيتنا وهويتنا الوطنية التي تتجلى من خلالها العقلية الجزائرية المميزة، لكونها مرآة صادقة لهذا المجتمع منذ القدم، وعبر مراحل تغيره وتطوره، وما اعترضته من محن وعراقيل جعلتها تتأثر بها سلبا وإيجابا؛ فإنه من باب الموضوعية الإقرار لأننا أسهمنا خاصة ذوي الاختصاص في انكماشها وتقهرها عندما حاولنا أن نعوضها بوسيلة لغوية أخرى فرضت علينا في وقت من الأوقات، وتأثرنا بالطروحات القائلة بأن العربية تجاوزها الزمن، وأنه لا سبيل إلى تقدمنا علميا وحضاريا إلا بالتخلي كلية عن اللغة العربية ووضعها في المتاحف"¹³.

أ) اللغة العربية في الدستور الجزائري:

إن محنة اللغة العربية لم تنته مع ذهاب الاستعمار العسكري والسياسي، وإنما بقيت جذورها متغلغلة داخل المجتمع الجزائري من خلال ما يعرف بـ: "الاستعمار الثقافي"؛ الذي هو أنكى وأدهى وأمر؛ فقد كان من أولى الشعارات المرفوعة أيام الكفاح الوطني وحركات التحرر من الاستعمار، استعادة مكانة اللغة العربية وإزالة هيمنة اللغة الأجنبية، وقد كان المتوقع والمفروض بعد الاستقلال وامتلاك زمام الأمور أن تُتخذ قرارات حاسمة في الموضوع، لكن شيئا من ذلك لم يكن مع كامل الأسف، واستمرت محنة اللغة العربية مع

¹¹ - عبد الصبور شاهين، في التطور اللغوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، د.ط، 1985م، ص: 7 وما بعدها.

¹² - اللغة العربية في الجزائر، التاريخ والهوية، عز الدين صحراوي، مجلة كلية الآداب والعلوم الاجتماعية والإنسانية، ص: 35.

¹³ - المرجع نفسه، ص: ن.

الاستقلال لكن - ربما- أشدّ مما كانت عليه مع الاستعمار؛ "وأول مظاهر التعسف في حق اللغة العربية في بلدانها وبين أبنائها أنها ما زالت تعاني في أوساط كثيرة من الخذلان والتهميش والإهمال، وأحيانا كثيرة من بعض العطف الكاذب المهين، والنفاق المزيف المقيت، وما زالت اللغة أو اللغات الأجنبية تحتل الصدارة في جميع المواقع والمعاملات"¹⁴.

ويحدد الدستور الجزائري في مادته الثالثة ويشير إلى أن "اللغة العربية هي اللغة الوطنية والرسمية"¹⁵، ولكن هذه المادة تبقى في الحقيقة بعيدة عن التطبيق الفعلي والميداني؛ لأن الحقيقة مخالفة تماما لذلك.

إن المفهوم الواسع لهذه المادة يجب أن يفرض على جميع المؤسسات والهيئات الحكومية والرسمية، وغير الرسمية أيضا، يجب أن يفرض عليها استعمال اللغة العربية في جميع المعاملات والتواصلات العادية والإدارية والرسمية، خاصة إذا علمنا بصور قانون آخر لتعميم استعمال اللغة العربية في الجزائر الذي صدر في 27 ديسمبر 1990م، من طرف المجلس الشعبي الوطني ووقعه آنذاك الرئيس الشاذلي بن جديد يوم 16 جانفي 1991م.

وتعاني العربية في الجزائر من جملة من الاضطرابات التي تقلل من شأنها، بل تهدد أمنها ووجودها، ويمكن لنا أن نشير إلى بعض النماذج والصور الحية التي تؤدي هذا الدور السلبي.

حال اللغة العربية وسبل النهوض بها في القنوات الرسمية:

رغم الإقرار بأن اللغة العربية لغة وطنية رسمية، وأن استخدامها أمر ضروري وإجباري وخاصة في المجالات الرسمية، إلا أننا نلاحظ في الواقع عكس ذلك الأمر تماما، حيث هناك من الرسميين من يفضل استخدام اللغة الفرنسية بدلا عن العربية، زعما منهم بأنها لغة الحضارة والثقافة، وتناسوا بأن أعظم حضارة في التاريخ هي الحضارة الإسلامية التي نزل بها القرآن الكريم بلسان عربي مبين.

¹⁴ - اللغة العربية بين التطور والصمود، محمد خرماش، منقول من:

<http://www.alsb3teen.com/archive/index.php/t-25051.html>

¹⁵ - الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، الأمانة العامة للحكومة، العدد

76، السنة 33، 1996م، ص: 08.

فالوزراء والمديرون التنفيذيون، ورؤساء المؤسسات والهيئات والمراكز الحكومية، وغيرها من الهياكل والمنشآت والمؤسسات يعتمدون إهمال اللغة العربية في خطاباتهم، وزياراتهم التفقدية، ومنهم من يفعل ذلك قصداً، زاعماً بأن العربية لا يمكن أن توجد في قاموس الحضارة والدبلوماسية الافتراضية.

وما يزيد الأمر تأزماً، هو أن أولئك المسؤولين تجدهم يحرصون أيما حرص على تجنب الوقوع في الأخطاء اللغوية المتعلقة باللغة الفرنسية، وفي مقابل ذلك لا يباليون، ولا يعيرون أدنى اهتمام للأخطاء والكسور التي تصيب لغتهم الرسمية.

وهذا وهم في الحقيقة، بل مرض يجب علاجه والتخلص منه؛ وهو لا يعدو إلا أن يكون الابن غير الشرعي للاستعمار الفرنسي في الجزائر.

هذا بالنسبة للمستوى الأول، وهو الرسمي الذي من المفترض أن يكون الحصن الأول الذي تحتمي به اللغة العربية، وتحفظ به نفسها مما يعلق بها من شوائب وآفات.

(ج) وضع وأفق اللغة العربية في مؤسسة التلفزيون الرسمي للدولة:

حين نتجه إلى التلفزيون الرسمي الجزائري فإننا نجده يسهم هو الآخر في تعطيل عجلة تقدم اللغة العربية، حيث إنك تجد المسؤولين - في قسم الأخبار- مثلاً يقومون بترجمة الخطابات والتصريحات الصحفية التي يصدرها المسؤولون والشخصيات الأجنبية التي تزور البلاد، بينما لا يقومون بترجمة خطابات المسؤولين والأفراد والشخصيات الجزائرية، وهذه مفارقة عجيبة يجب الوقوف عندها ملياً.

وفي بعض الأحيان يعتقد القائمون على شؤون التلفزيون أن جميع الجزائريين يفهمون الفرنسية، وحتى إن كان ذلك صحيحاً - وهذا مُحال- فإن الوطنية والسيادة الوطنية تفرض عليهم التعامل باللغة العربية في الوطن.

وللتخفيف من خطر هذا الأمر يتوجب على صُناع القرار بالجمهورية الجزائرية اتخاذ قوانين إلزامية توجه إلى جميع المسؤولين المدنيين والعسكريين، الرسميين وغير الرسميين، ومختلف الأشخاص الطبيعيين الذين يُحسبون على الدولة، وتُلزمهم بضرورة التقيد باستخدام اللغة العربية وتشجيع استعمالها وتعميمها، وعلى الرغم من صدور قانون تعميم اللغة العربية في الجزائر عام

1990م؛ إلا أنه لم يكن في مستوى تطلعات الشعب الجزائري والمشتغلين باللغة، ولذلك يجب أن يعضد ذلك المشروع بمشاريع قوانين جديدة تحمل طابع الإلزام، والمكافأة لمن يعمل على إجراء تدابير من شأنها أن تحسن وضع العربية في مختلف الدوائر والهيئات الحكومية والوزارية للجمهورية، وتتجاوز ذلك إلى فرض عقوبات جزائية كدفع الغرامات المالية، ولما لا، أن تصل حد الحبس لمن سوّلت له نفسه تجاوز نص التعليمات الرئاسية أو الوزارية التي نتطلع لإصدارها.

إن هذا القرار الشجاع الذي نتطلع إليه سيجعل من اللغة العربية لغة رسمية حقيقية، يلتزم بها الجميع، ويحترمونها، يعملون على تطويرها وانتشارها بشتى السبل والوسائل الممكنة.

والعجب العجائب أن تجد مسؤولاً أجنبياً مقيماً في الجزائر يفضل استعمال اللغة العربية بدل لغته الوطنية، فهذا "روبرت فورد"¹⁶ السفير السابق للولايات المتحدة الأمريكية بالجزائر، وهي أقوى دولة في العالم، ولغتها الأكثر انتشاراً واستخداماً، نجده يستخدم اللغة العربية في جميع خطابه عبر التلفزيون الجزائري أو في مقر عمله بالسفارة، وهذا دليل على وعي نادر يتمتع به الرجل وأمثاله ممن يحترمون الأرض والدولة والسيادة الوطنية للدول التي يشتغلون بها، كالسفير الصيني، وبعض القناصل والملحقين الدبلوماسيين.

ألا يمكن لنا أن نشعر بالخجل من أنفسنا؟، ألا يصيبنا الأرق ليلاً حين نخلد للنوم فنفكر كيف أن الأجانب ببلادنا يتحدثون بلغتنا العربية، ونحن الجزائريين أبا عن جد، نتكلم بلغة أخرى دخيلة؟.

(د) حال العربية في المدارس التعليمية والجامعات وسبل النهوض بها:

أمّا حال اللغة العربية في التعليم والمدارس الابتدائية، الأساسية والثانوية، فهو معتدل بعض الشيء، حيث إن التلميذ في الجزائر يتلقى تعليمه الأساسي

¹⁶ - روبرت ستيفن فورد (ولد في 1958) دبلوماسي أمريكي، شغل مؤخراً منصب سفير الولايات المتحدة الأمريكية في سورية، وقبل ذلك سفيراً في الجزائر من 2006 إلى 2008، وهو من مواطني منطقة دينفر الأميركية، ولكنه ظل فترة طويلة مقيماً في ولاية ميريلاند، وهو يجيد التحدث بخمس لغات: الإنكليزية، الألمانية، العربية، التركية والفرنسية.

ينظر ترجمته وسيرته الذاتية المفصلة في:

باللغة العربية منذ سن الخامسة تقريبا، حيث يبدأ في تلقي الحروف العربية والأرقام في دور ورياض الأطفال أو في المدارس التحضيرية، وهذا بصفة إلزامية ومجانية على جميع أبناء الشعب الجزائري، وتستحوذ اللغة العربية على أغلب المواد؛ كونها أساسية في التعليم، بينما يتعلم الطفل مبادئ وأسس اللغة الأجنبية الأخرى فرنسية كانت أو إنجليزية بصفة دورية خلال أيام الأسبوع.

كما أنه في المراحل التعليمية اللاحقة (المتوسط والثانوي) يحافظ التلميذ على النسق نفسه تقريبا من خلال مواصلة تلقيه لمختلف المواد والبرامج والمقررات الدراسية باللغة العربية، كما أن التخصصات العلمية الدقيقة هي الأخرى تُقدّم للتلميذ باللغة العربية.

غير أن التوجه السائد في جامعاتنا إلى تدريس المواد العلمية باللغة الأجنبية، أمرٌ غير منطقي، وكان اللغة العربية عاجزة على استيعاب تلك الاختصاصات العلمية، فكيف يُعقل للطالب الذي كان يدرس هذه المواد العلمية، طيلة المراحل التعليمية السابقة باللغة العربية، كيف يُعقل أن يجد نفسه عند انتقاله للجامعة أنه يدرس المواد العلمية والتكنولوجية باللغة الفرنسية، وهذه المسؤولية تتحملها الإدارة التي لم تحترم قانون تعميم اللغة العربية في مجالات الحياة المختلفة على مستوى الإدارة والمدرسة، وغيرها من المؤسسات.

ويتبين لنا أن للجامعة دورا أساسيا ومحوريا يمكن أن نستشعر من خلاله الخطر المحدق باللغة العربية، خاصة في التخصصات العلمية التي تدرس باللغة الفرنسية كالطب والرياضيات والإعلام الآلي مثلا، حيث إنه يمكن الاستغناء عن التدريس باللغة الأجنبية وإحلال العربية مكانها، على الرغم من أن ذلك صعب التطبيق لوجود بعض المصطلحات العلمية التي يصعب ترجمتها أو استبدالها بكلمات عربية أخرى مرادفة لها وتحمل معناها.

وهذه القضية يجب أن تُطرح بشدة على مستوى مراكز صنع القرار في الدولة والمجالس الوطنية والمؤتمرات التي تعنى بالعربية، كما يستحسن أن تبحث الجامعات اللغوية هذه المسألة وتضع لها قوانين ضابطة، وتصنع لها مصطلحات جديدة، كما هو الشأن مع الألفاظ العربية المستحدثة كـ "المرناة" (التلفزيون)، و"الذاكور" و"الحاسوب" (الكمبيوتر)؛ وغيرهما من الألفاظ والمصطلحات الجديدة.

خلاصة البحث:

إن ارتباط اللغة العربية بكتاب الله الذي وسعته لفظا وغاية، يُتلى بها، يضمن لها الاستمرارية والدوام، وذلك لأن القرآن الكريم ثبت له الحفظ، ولذلك فإنه يجب أن تتمسك الأمة الجزائرية بلغتها الضامنة لشخصيتها ولتراثها وتاريخها وحضارتها وهويتها.

يجب أن يعمد الغيورون على هذه اللغة إلى تنظيم محاضرات أو ندوات لبحث أحوال اللغة العربية وطرح قضاياها ومعرفة متطلباتها، وهي ظاهرة صحية تؤكد حياة العرب وحيويتهم وعدم استسلامهم للمؤامرات والمناورات، وتصديهم لكل ما يحاك لهم ولعرييتهم. والملاحظ أيضا وللغة العربية إمكانات زاخرة تساعد على مساهمة ركب العلوم والإعلام والمعلومات واستيعاب ثقافة الصورة وثقافة الرقميات، ولذلك فهي في تطور سريع ومواكبة لجميع المخترعات والمبتكرات¹⁷.

وعلى الرغم من كل ما يعتري العربية، فإنها تبقى واقفة غير مستسلمة لإيمانها العميق بإمكاناتها وتراثها الزاخر، الذي ما انفكَّ يزداد ويتطور بفضل رجالاتها الذين يسهرون عليها ويعملون في العلن والخفاء، من أجل الحفاظ عليها وتطويرها لتحقيق مزيدا من النجاح والسؤدد

¹⁷ - ينظر: اللغة العربية بين التطور والصمود، محمد خرماش، منقول من:

<http://www.alsb3teen.com/archive/index.php/t-25051.html>



الحرفية والتصرف في ترجمة أدب الأطفال

الزبير محمول¹، باية لكال²

1- قسم اللغة والأدب الفرنسي

جامعة غرداية. الجزائر

ص ب : 455 طريق المطار غرداية 47000. الجزائر

2- معهد الترجمة- جامعة الجزائر

ez-mehassouel@hotmail.fr

ملخص -

يعتبر أدب الأطفال لونا أدبيا عانى فترة طويلة من الإهمال والتهميش من طرف الدارسين والكتاب والمترجمين إلا أن الاهتمام به ودراسته أخذ يتزايد في السنوات الأخيرة، حيث أصبحت بعض الكتب الموجهة للأطفال تعتبر بمثابة كلاسيكيات في الأدب مثل كتاب بينوكيو، وهايدي، وهاري بوتر وغيرها، وتمت ترجمتها إلى العديد من اللغات، كما أنها أصبحت تستقطب القراء الكبار والصغار على حد سواء. ويرجع هذا الاهتمام المتزايد بترجمة أدب الأطفال إلى الحاجة إلى قراءة الأدب الموجه إلى الأطفال في البلدان والمجتمعات الأخرى. إلا أن ترجمة هذا النوع الأدبي وكغيره من الألوان الأدبية الأخرى تصطدم بالعديد من الخصائص اللغوية والثقافية التي تختلف من مجتمع إلى آخر. وسنحاول من خلال هذه الدراسة التطرق إلى ماهية أدب الأطفال وخصائص ترجمته في ظل بعض نظريات الترجمة، وذلك من خلال تحليل بعض نماذج ترجمة "سحر جبر محمود" لرواية "هاري بوتر وحجر الفيلسوف" Harry Potter and The Philosopher's stone "من الإنجليزية إلى العربية.

الكلمات المفتاحية -

أدب الأطفال، الترجمة، الثقافة، نظريات الترجمة، الحرفية، التصرف.

Literality And Adaptation In Translating Children's Literature

Abstract-

Children's Literature Had Long Been A Neglected Field Of Study, But Recently, There Has Been A Growing Interest In Studying And Translating This Literary Genre. Some Of The Books Written For Children Are Now Considered As Classics (Such As Pinocchio, Heidi, Harry Potter...Etc.), Have Been Translated Into Many Languages And Have Attracted Both Young And Adult Readers. This Growing Interest In Translating Children's Literature Is Explained By The Need To Read The Literature Destined To Children In Other Countries And Cultures. Yet The Translation Of This Literary Genre Is Faced By Various Linguistic And Cultural Peculiarities That Differ From A Society To Another. This Study Will Attempt To Shed Light On The Definition Of Children's Literature As Well As The Characteristics Of Its Translation From The Standpoint Of Some Translation Theories, By Analyzing Some Examples Taken From The Translation Of "Saharjibr Mahmoud" Of The "Harry Potter And The Philosopher's Stone" Novel Into Arabic.

Key Words-

Children's Literature, Translation, Culture, Translation Theories, Literality, Adaptation.

مقدمة -

تعتبر الترجمة جسر تواصل بين الثقافات والمجتمعات، فهي أداة رئيسية في تفعيل الاتصال ونقل المعرفة والعلوم، وإثراء التبادل الفكري والمعرفي، ذلك أن الحاجة إلى الترجمة تزداد يوما بعد يوم نظرا للتطور الهائل الذي تشهده وسائل الإعلام والاتصال وغيرها حيث شملت الترجمة العديد من الميادين والمجالات من طب وفلسفة، وسياسة، واقتصاد، وأدب إلى غير ذلك. فلم تدع ميدانا إلا وولجته من بابه الواسع لأن الإنسان بطبعه يميل إلى الاستفادة من علوم الآخرين وتجاربهم في الحياة، فيجد في الترجمة طريقا مختصرة تساعد على تجاوز عقبة الاختلافات اللغوية التي تقع حجر عثرة بينه وبين التواصل مع الآخرين وتبادل الخبرات والمعارف بينه وبينهم.

وتعتبر الترجمة الأدبية من بين أكثر أنواع الترجمة المثيرة للجدل بين منظري الترجمة والممارسين لها، ذلك أن الأدب يعد المرآة العاكسة لهوية

المجتمعات وثقافتها ، حيث يمكن من خلاله التعرف على نمط حياتها وتفكيرها، والقيم والمعتقدات السائدة بها. ومن بين أنواع الأدب التي اهتمت بها الترجمة نجد "أدب الأطفال"، الذي يعتبر لونا أدبيا عانى طويلا من الإهمال، ذلك أن الكتابة للأطفال كانت تعتبر دليلا على ضعف قدرات الكاتب التحريرية والإبداعية. لكن مع تطور الزمن أصبحت الكتب الموجهة للأطفال من بين أكثر الكتب روجا في العالم، حيث نشرت العديد من الكتب التي أصبحت تعد من كلاسيكيات الأدب، فمن منا لم يقرأ أو حتى لم يسمع بمغامرات أليس في بلاد العجائب وب"بينوكيو" وب"هايدي" وغيرها من الكتب التي صنعت أجمل أيام الطفولة .

ومع تطور أدب الأطفال وزيادة الاهتمام به، والرغبة في الإطلاع على أدب أطفال الثقافات الأخرى، برزت الحاجة إلى ترجمته ونقله إلى اللغات الأخرى كي يصل إلى أكبر عدد ممكن من جمهور القراء، وبرزت معه العديد من الآراء ووجهات النظر في ميدان الترجمة حول التقنيات والاستراتيجيات الواجب إتباعها من أجل ترجمة ونقل الكتب الأجنبية إلى القراء الصغار، فصدر الخلاف حول إشكالية تبني المنهج الحر في ترجمة أدب الأطفال والذي يهدف رواده من خلاله إلى تعريف الأطفال بالثقافات الأخرى، وإكسابهم خبرات جديدة في الحياة، وتقديم صورة لهم أوضح وأوسع عن العالم الذي يحيط بهم أو تبني الاتجاه الإلحاقى الذي يهدف من خلاله رواده إلى التصرف في الترجمة وتكييفها بحسب ما تقتضيه متطلبات القارئ الهدف، بحكم أن الأطفال لا يملكون ما يكفي من المعارف والتجارب في الحياة التي تسمح لهم بفهم واستيعاب الخصائص الثقافية والدينية والعقائدية للمجتمعات الأخرى. وعلى هذا الأساس طرحنا الإشكالية التالية: هل يتبنى المترجم تقنية الترجمة الحرفية أثناء ترجمته لأدب الأطفال أم يجب عليه أن يتصرف فيها ويكيفها بحسب ما تقتضيه ثقافة القارئ الهدف ؟ ما هي التقنية الأنجع في ترجمة أدب الأطفال ؟ كيف يتعامل المترجم مع الخصائص الثقافية والدينية والعقائدية المتضمنة في أدب الأطفال ؟

1. مفهوم أدب الأطفال:

تعتبر الطفولة الفترة العمرية الأولى من دورة حياة الإنسان، وتتميز بكونها المرحلة الحياتية التي توضع فيها الأسس الشخصية المستقبلية للإنسان الغد، فيها يحتاج الكائن البشري للرعاية والاهتمام من طرف الآخرين والمحيطين به. وتتفق أغلب الدراسات على أن الطفولة مرحلة تمتد من لحظة الولادة إلى غاية البلوغ والنضج، وأدبها وجد منذ وجودها، ذلك أن الأطفال كانوا ينامون على هدهدات وحكايات الأمهات والجذات اللواتي كنّ يقصصن عليهم مختلف الأساطير والقصص قصد تربيته وتعليمهم.

ولم يلتفت الكتاب والمبدعون إلى هذه الشريحة الاجتماعية إلا بعد تقدم العلوم وظهور التخصصات، وبذلك ظهر أدب الطفل كفن أدبي مستقل عن الأدب عامة، يحمل خصائص وسمات مميزة تتوافق وجمهوره، ومن بين الأنواع الأدبية التي تشكل جزءا من أدب الأطفال والتي يقبل عليها الأطفال بدرجات متفاوتة، وتشمل القصص والأشعار والمسرح والأناشيد وغيرها.

أما أدب الأطفال فقد تنوعت تعريفاته وتعددت، فهو عند العيد جلولي ذلك " الإنتاج الأدبي الذي يتلاءم مع الأطفال ويناسبهم، ومن ثمة فإن لهذا الأدب خصائص وسمات توصلت إليها الدراسات الأدبية والبحوث النفسية والتربوية"¹ ويرى عبد الفتاح أبو معال أن أدب الأطفال هو " جزء من الأدب بشكل عام وينطبق عليه ما ينطبق على الأدب من تعريفات، إلا أنه يتخصص في مخاطبة فئة معينة من المجتمع وهي فئة الأطفال. وقد يختلف أدب الأطفال عن أدب الكبار تبعاً لاختلاف العقول والإدراكات واختلاف الخبرات كما ونوعاً".² ويعرفه غوت كلينغبرغ بقوله :

¹- العيد، جلولي (2003) النص الأدبي للأطفال في الجزائر، دراسة تاريخية فنية في فنونه

وموضوعاته، بمساهمة ولاية ورقلة تحت إشراف مديرية الثقافة، الجزائر، ص9

²- عبد الفتاح، أبو معال (1988) أدب الأطفال دراسة وتطبيق، دار الشروق، ط2، عمان، ص12

"The term Children's Literature can refer to different concepts, such as literature recommended to children, literature read by children and literature published for children."¹

"يمكن لمصطلح أدب الأطفال أن يشير إلى مفاهيم مختلفة مثل الأدب المقترح للأطفال أو الأدب الذي يقرؤه الأطفال، أو الأدب الذي ينشر للأطفال" ترجمتنا. وإذا ما نظرنا إلى هذه التعريفات حول أدب الأطفال فإننا نجد أنها تشترك في أن أدب الأطفال يخاطب شريحة معينة من المجتمع وهي شريحة الأطفال، فيكون ملائماً ومناسباً لقدراتهم العقلية والإدراكية كما أنه لا يختلف اختلافاً كبيراً عن الأدب عامة لأنه جزء منه ومنشق عنه.

أما من ناحية الدور الذي يلعبه أدب الأطفال، فبالرغم من أن أغلب كتاب أدب الطفل ينظرون إلى أدب الأطفال على أنه وسيلة لتثقيف الطفل وتربيته وتعليمه، إلا أنه هناك بعض الكتاب من - أمثال سعد أبو رضا - الذين يرون أن دور أدب الطفل يتجاوز كونه أداة للتربية والتعليم إلى كونه أدباً فنياً وإبداعياً أيضاً. ولقد كثرت النصوص التي تنتسب إلى أدب الأطفال بالحق وبالباطل، وقليل منها هو الذي يحقق الغايات المرجوة لأن النص الأدبي للأطفال ليس عملاً تربوياً فحسب، وإنما هو عمل فني بالدرجة الأولى²

وتضيف ناتالي برانس Nathalie Prince أن أدب الطفولة يفتقر إلى الجانب الجمالي لأنه يغطي عليه الجاني التعليمي فتقول:

"...Cette faiblesse esthétique des textes pour la jeunesse peut être liée à des soucis de didactisme. Ecrits à des fins pédagogiques, ils font davantage passer des informations, des connaissances, des savoirs, qu'une qualité littéraire"³

¹ -Göte, Klingberg (2008) Facets of children's literature research, Lillemor Torstensson, Stockholm, p:8

² -سعد، أبو رضا (1993) النص الأدبي للأطفال أهدافه ومصادره وسماته، دار البشير للنشر والتوزيع، ط1، الإسكندرية، ص6

³ -Nathalie, Prince (2010), Littérature de jeunesse, Armand Colin, Paris, p :25

"يمكن ربط هذا الضعف في الجانب الجمالي في كتب الأطفال إلى اهتمامه بالجانب التعليمي. فبما أنه مكتوب لأغراض بيداغوجية، فإنه يقوم بنقل المعلومات والمعارف والعلوم أكثر من ما يهتم بنوعية الأدب" ترجمتنا.

2. خصائص الترجمة للأطفال:

تختلف الترجمة للكبار عن الترجمة للصغار في أن مترجم كتب الأطفال يستهدف قراء من نوع خاص، فبما أن الأطفال يتمتعون بقدرات لغوية وقدرات على الفهم محدودة فإنه لا يمكن للمترجم أن يتلاعب بكلمات وعبارات النص الموجه للأطفال كما يشاء بل عليه أن يكون على دراية بالمستوى اللغوي والعقلي للأطفال، وبمدى قدرة الأطفال على فهم خصوصيات لغوية وثقافية غريبة عنهم، وعلى التكيف وتعلم أشياء جديدة.

ومن المسائل التي تؤثر أيضا على الترجمة للأطفال انتماء هذا النوع الأدبي إلى النظام الأدبي والتعليمي في آن واحد، أي أن النص الأدبي للأطفال يحمل في طياته خصائص أدبية لكنه في الوقت ذاته يحتوي على جانب تعليمي وتربوي للطفل. حيث أن:

"Cette double appartenance influe de façon cruciale non seulement sur le statut de la littérature mais aussi sur la traduction de jeunesse, constamment déchirée entre des principes littéraires et d'autres impératifs de nature pédagogique-éducative, qui poussent les traducteurs à opter pour des manipulations en fonction du destinataire.¹"

"هذا الانتماء المزدوج يؤثر بشكل كبير ليس فقط على مكانة الأدب ولكنه يؤثر أيضا على ترجمة أدب الأطفال التي دائما ما تكون منحصرة بين مطرقة المبادئ الأدبية وسندان حتمية الطابع التعليمي والتربوي التي غالبا ما تؤدي بالمترجمين إلى التصرف في الترجمة بما يخدم القارئ" (ترجمتنا).

وبالإضافة إلى العامل الأدبي والعامل التربوي اللذان يؤثران على الترجمة للأطفال هناك أيضا العامل المطبعي أي دور دور النشر في التصرف في الترجمة، فدور النشر غالبا ما تفرض على المترجم ترجمة تستجيب للأهداف التي سطرته

¹ Roberta, Pederzoli (2012) La traduction de la littérature d'enfance et de jeunesse et le dilemme du destinataire, P.I.E. Peter Lang, Bruxelles, p:77

له، والتي غالبا ما تحكمها الأهداف الاقتصادية خاصة عندما يتعلق الأمر بترجمة الكتب التي حققت مبيعات كبيرة حيث يشكل هذا النوع من الكتب فرصة كبيرة لتحقيق أرباح كبيرة من خلال الترجمة. وتؤثر دور النشر في الترجمة من خلال استعمال:

"...Des images captivantes servent de décor pour une histoire souvent simple, dénouées de références culturelles ancrées dans un certain contexte et de toute ambition littéraire, qui sera traduites dans beaucoup de langues afin d'atteindre le public le plus vaste possible"¹

"صور خلابة كديكور لقصة بسيطة، فتكون خالية من الإيحاءات الثقافية المتضمنة في سياق معين، ومن أي طموح أدبي، حيث يتم ترجمتها إلى العديد من اللغات بغرض إيصالها إلى أكبر جمهور ممكن من القراء." (ترجمتنا).

وبالتالي فإن مترجم أدب الأطفال تحكمه العديد من العوامل التي تؤثر على ترجمته:

"Le traducteur se situe idéalement au centre de ce système complexe : s'il doit tout d'abord répondre de ses choix à l'éditeur, il ne peut qu'être conditionné par le contexte littéraire, éducatif et plus en général culturel dans lequel il travaille."²

"فالمترجم يحتل مكانة في وسط هذا النظام المركب: حيث أنه إذا كان يجب عليه الاستجابة لخيارات الناشر، فإنه يخضع للسياق الأدبي والتربوي وفي أغلب الأحيان إلى السياق الثقافي الذي يعمل فيه." (ترجمتنا)

إضافة إلى ذلك فإنه من خصائص الترجمة للأطفال هي أن :
"...a children's book must simultaneously appeal to both the "genuine reader-the child- and the background authority-the adult"³
"كتب الأطفال يشترط فيها أن ترضي كل من القارئ الحقيقي-

الطفل- والسلطة الخلفية- الولي- " (ترجمتنا).
أي أن كتب الأطفال لا تحاول الاستجابة للطفل القارئ فقط وإنما تخضع أيضا لرغبات الولي الذي يختار الكتاب للطفل أو يقرؤه له، فالطفل في أغلب

¹ -Ibid, p :78

² - Ibid, p :78

³ -Gillian, Lathey (2006) The translation of children's literature: A reader, Multilingual Matters Ltd, UK, p:54

الأحيان ليس هو الذي يختار الكتاب، لذلك يلجأ المترجمون إلى إخضاع ترجماتهم إلى رغبات الولي بذل رغبات الطفل.

3. إشكالية ترجمة أدب الأطفال في ظل بعض نظريات الترجمة:

نظرا للأثر الكبير الذي يتركه أدب الأطفال على قرائه الصغار ومكانته الكبيرة في حياتهم، بدأ الاهتمام بهذا النوع الأدبي يتزايد بشكل كبير، وذلك من أجل النهوض به وتطويره ليساهم في تنشئة نشء صالح وفعال في المجتمع. إلا أن هذا الاهتمام لم يقتصر فقط على الأدب المحلي الموجه إلى الأطفال، بل طال أيضا العديد من الكتب الأجنبية التي أصبحت بفضل الترجمة قاسما مشتركا بين أطفال العالم، حيث ساهمت ترجمة هذه الأعمال الأدبية إلى العديد من اللغات الأجنبية في تمكين الأطفال من التعرف على الآداب العالمية وقراءتها في لغاتهم الأم.

3.1 دعاة الحرفية في ترجمة أدب الأطفال:

من بين منظري الترجمة الذين نادوا بالحرفية في ترجمة أدب الأطفال نجد:

3.1.1 غوته كلينغبرغ Gote Klingberg:

يعد كلينغبرغ من أبرز الباحثين الذين قدموا الكثير لأدب الأطفال وإشكالية ترجمته حيث يعتبر من بين المؤسسين للجمعية الدولية للبحث في أدب الأطفال International Research Society for Children's Literature التي تم تأسيسها سنة 1976 بجنيف، والتي اعتبرت مرحلة حاسمة في مسار دراسة ترجمة أدب الأطفال .

ويعتقد كلينغبرغ أن الهدف الرئيسي من ترجمة أدب الأطفال هو تمكين الأطفال من التعرف على الآداب والثقافات الأجنبية عن طريق الحفاظ على غرابة النص الأصلي لكن العديد من المترجمين يقومون - حسب - بالتصرف في ترجمة هذا النوع من الأدب وهو ما من شأنه أن يحول دون الوصول إلى تحقيق هذه الأهداف.

ويرى كلينغبرغ أن الأهداف المرجوة من ترجمة أدب الأطفال لن تتحقق إلا بالحفاظ على روح النص الأصل، وخصائصه الثقافية واللغوية حيث يقول:

"Removal of peculiarities of the foreign culture or change of cultural elements for such elements which belong to the culture of the target language will not further the readers' knowledge of and interest in the foreign culture ."¹

"إن نزع غرابة الثقافة الأجنبية، أو تكييف العناصر الثقافية بما يتناسب مع ثقافة اللغة الهدف لن يساهم في تطوير معرفة القارئ بالثقافة الهدف واهتمامه بها." (ترجمتنا).

أي أن حذف الخصائص الثقافية للنص الأصل أو تكييفها حسب القيم والثقافة الهدف يؤدي إلى حرمان الطفل القارئ من التعرف على خصائص ومميزات الثقافات الغربية عنه.

فبالنسبة لكلينبيرغ يجب على النص الهدف أن يكون على نفس الدرجة من الصعوبة مقارنة بالنص الأصل، انطلاقاً من أن كاتب النص الأصل قد أخذ في الحسبان القارئ الطفل، واهتماماته وقدراته اللغوية وقدراته على القراءة، ثم جعل النص مناسباً له. كما يعتقد كلينبيرغ أن اتخاذ المترجم للعديد من الحريات في ترجمة أدب الأطفال يعتبر بمنزلة عدم احترام للأطفال الموجه إليهم النص، واستخفاف بقدراتهم في الفهم.

2.3.1. أسترند ليندغرن Astrid Lindgren:

لا تتفق أسترند ليندغرن مع فكرة أنه نظراً لقلّة تجارب الأطفال في الحياة فإنهم لا يستطيعون تقبل الأسماء الغريبة أو معرفة ثقافة الآخرين في الأدب، بل هي تعتقد أن الأطفال لديهم:

"... an extraordinary ability to adapt, that they are able to experience the most unusual things and situations given a good translator to help them"²

" قدرة عجيبة في التأقلم، وأنهم باستطاعتهم التكيف مع أغرب الأشياء والحالات شرط أن يساعدهم مترجم جيد في ذلك" (ترجمتنا)

أي أن الأطفال يملكون قدرات تسمح لهم بالتكيف مع الأشياء الجديدة، لكنهم بحاجة إلى من يمد لهم يد المساعدة وهذه المساعدة تكون عن طريق تقديم

¹ Gote, Klingberg (1986) Children's Fiction in the hand of translators, Lund: Gleerup, Sweden, p:9-10

² Emer, O'sullivan (2005) Comparative children's literature, Routledge Taylor & Francis, London and New York, p:81

شرح لهم وتقريب الصورة إليهم لكي يتسنى لهم التأقلم مع هذه العناصر الغريبة عنهم خاصة وأن الأطفال طوال فترة تعلمهم تصادفهم أشياء غريبة عنهم وجديدة بالنسبة إليهم، إلا أنهم يطورون مهارات تجعلهم يتكيفون ويتأقلمون معها.

من جهة أخرى تعتقد بريجيت ستولت (Bridget Stolt) أن التقيد بالنص الأصل هي بمثابة احترام له حيث أدانت بشدة التصرف في ترجمة أدب الأطفال معتبرة أن الدوافع التي تؤدي بالمترجم إلى القيام بذلك ليست شرعية، كما نادت على غرار كلينغبرغ باحترام النص الأصل عن طريق الحفاظ على خصائصه الثقافية واللغوية.¹

2.3 دعاة التصرف في ترجمة أدب الأطفال:

لقد طغت طريقة التصرف في الترجمة وتوطيئها على ترجمة العديد من كتابات أدب الأطفال، حيث يعتمد دعاة التصرف في ترجمة أدب الأطفال على أن الأطفال لا يمكنهم فهم الخصائص اللغوية والثقافية الغريبة عنهم تصادفهم في النص الأصل، ذلك أنهم لا يملكون المعلومات والتجارب الكافية التي تمكنهم من فهم النص الأصل، لذلك وجب حمايتهم من كل ما هو غير مألوف لديهم، ومن كل ما من شأنه أن يصدمهم خاصة كل ما هو مناف لثقافتهم ومعتقداتهم وقيمهم.

ومن أبرز منظري الدراسات الترجمية الذين دعوا إلى التصرف في ترجمة أدب الأطفال نجد:

2.3.1 ريتا أويتان Ritta Oittinen:

تعرف ريتا أويتان ترجمة أدب الأطفال بأنها عبارة عن اتصال وتفاعل بين الكبار والصغار، كما ترى أنه من الأفضل استعمال الترجمة للأطفال بدل ترجمة أدب الأطفال لأن المترجم دائما يترجم لقارئ معين، حيث يجب أن يضع في حسبانته القارئ الهدف ويعتمد على تجربته الطفولية كي يتمكن من تكييف الترجمة حسب ما يتطلبه عالم الطفل. حيث تقول ريتا أويتان:

¹ Pederzol, 2012.

" I prefer to speak of translating for children instead of translating children's literature; translators are always translating for somebody and for some reason. Translators are not replacing old things with new ones. Translating for children rather refers to translating for a certain audience and respecting this audience through taking the audience's will and abilities into consideration. Here the translator's child image is a crucial factor."¹

" أفضل أن أتكلّم عن الترجمة للأطفال بدل ترجمة أدب الأطفال، لأن المترجم دائماً يترجم لشخص معين ولغاية معينة فالمترجمون لا يقومون باستبدال أشياء قديمة بأشياء جديدة. كما أن الترجمة للأطفال تشير إلى الترجمة لجمهور محدد، واحترام هذا الجمهور عن طريق الأخذ بعين الاعتبار إرادته وقدراته. وهنا تعتبر الصورة التي يحملها المترجم عن الطفل عاملاً أساسياً." (ترجمتنا).

وتعتقد ريتا أويتنان أن الترجمة للأطفال هي عبارة عن حوار (dialogics) بين الكاتب والمترجم والطفل القارئ. فالمترجمون لا يترجمون الكلمات والعبارات بمعزل عن ثقافتهم ومعتقداتهم وإيديولوجياتهم، والصورة التي يحملونها عن الطفل، وعلاقة الحوار هذه لا تعني نقل النص الأصل كما هو من دون أي تكيف أو تغيير أو تحوير بل تقتضي أن يشارك المترجم في هذا الحوار ويترك بصمته الخاصة به:

" Dialogics does not mean submission to the authority of the original, but adding to it, enriching it, out of respect for-or loyalty to-the original".²

" الحوار لا يعني الخضوع لسلطة الأصل، بل تعني الإضافة إليه وإثراءه وذلك احتراماً - ووفاء - للنص الأصل." (ترجمتنا).

فبالنسبة لريتّا أويتنان، احترام المترجم للنص الأصل في ترجمة أدب الأطفال يكون عن طريق الأخذ في الحسبان القارئ الهدف وقدراته اللغوية وثقافته.

2.32. زوهار شافيت Zohar shavit:

¹ Ritta, Oittinen (2000) Translating for children, Garland Publishing Inc, New York, p:69

² Ibid, p :164

بالرغم من أن أفكار إيفان "زوهار" و"جدعون توري" قد ساهمت بشكل كبير في إخراج الأدب المترجم - بما في ذلك أدب الأطفال - من دائرة الإهمال إلى دائرة الدراسة والتحليل، إلا أن المنظرة الإسرائيلية الأخرى زوهار شافيت، قامت بتطوير نظرية تعدد النظم وتطبيقها على ترجمة أدب الأطفال، حيث تعتقد "شافيت" أنه نظرا للمكانة الثانوية التي يحتلها أدب الأطفال المترجم في النظام الأدبي المتعدد، فإن المترجم له الحق والحرية في التصرف في النص الأصل حيث تقول:

"Unlike contemporary translators of adult books, the translator of children's literature can permit himself great liberties regarding the text, as a result of the peripheral position of children's literature. That is the translator is permitted to manipulate the text in various ways by changing, enlarging or abridging it or by deleting or adding to it"¹

"على عكس المترجمين المحدثين لأدب الكبار، فإنه يمكن لمترجم أدب الأطفال أن يسمح لنفسه العديد من الحريات اتجاه النص، وذلك نتيجة للمكانة الجانبية لأدب الأطفال في النظام الأدبي المتعدد أي أن المترجم بإمكانه التصرف في النص بطرق مختلفة فبإمكانه أن يغير في النص، أو يطيل فيه، أو يقصر فيه أو يحذف منه، أو يضيف إليه." (ترجمتنا).

لكن شافيت قرنت هذه الحريات التي يتمتع بها مترجم أدب الأطفال اتجاه النص بشرطين أساسيين يركز عليهما أدب الأطفال ويجب على المترجم أن يلتزم بهما أو على الأقل أن لا يتعدى عليهما وهما:

"...an adjustment of the text to make it appropriate and useful to the child, in according with what society regards (at a certain point in time) as educationally "good for the child", and an adjustment of plot, characterization and language to the prevailing society's perceptions of the child's ability to read and comprehend".²

"..تعديل النص لجعله مناسباً ومفيداً للطفل، وذلك بما يتوافق مع ما يعتبره المجتمع (خلال مرحلة معينة من الزمن) حسناً للطفل من الناحية

¹ - Zohar, Shavit (1986) Poetics of children's literature, The University of Georgia press, Athens and London, p:112

² - ibid, p:113

التربوية، وتكييف الحبكة والشخصيات واللغة بحسب المفاهيم السائدة في المجتمع حول قدرة الطفل على القراءة والفهم." (ترجمتنا).

2.33. تينا بيورتنان Tiina Puurtinen :

تعتقد تينا بيورتنان أنه يجب على مترجم أدب الأطفال أن يكيف النص الأصل بما يناسب القدرات العقلية واللغوية للطفل حيث تقول:

" When children's books are translated, it may be necessary to make various adjustments in order to adhere to the notions of what is good and appropriate for children, as well as what is considered the suitable level of difficulty in a given target culture."¹

"عند ترجمة كتب الأطفال، من الضروري اللجوء إلى التصرف في الترجمة لكي تتكيف مع ما هو جيد ومناسب للأطفال، ومع ما يعتبر مستوى مناسب من الصعوبة في الثقافة الهدف" (ترجمتنا).

كما تعتقد أنه على المترجم أن يأخذ في الحسبان متطلبات القارئ الهدف، ومكانة النص الأصل وخصائصه وكذا العناصر الثقافية أثناء قيامه بالعمل الترجمي، كما أنه يجب عليه اختيار إستراتيجية معينة لترجمة النص المراد ترجمته.

وقد كان لتينا بيورتنان دور كبير في تطوير الدراسات التي تعنى بالمقروئية والمقبولية في ترجمة أدب الأطفال، فهي تعتقد أنه على المترجم استعمال أساليب سهلة تمكن القارئ الطفل من فهم النص المترجم، وتشجعه على القراءة، في حين أن استعمال التراكيب المعقدة من شأنه أن يحول دون وصول الطفل إلى المعنى المراد من النص المترجم، فبالنسبة لتينا بيورتنان مقروئية العمل الأدبي ومقبوليته مترابطتان ومتصلتان ببعضهما البعض، فكلما كان النص المترجم سهل القراءة وسهل الفهم، كلما زادت مقبوليته لدى الطفل، وهذان الخاصيتان تعتبران من بين الخصائص المميزة لأدب الأطفال:

"The requirements of a high degree of readability (i.e the text being easy enough for children to read and understand) and natural,

¹ -Tiina, Puurtinen (1998) Syntaxe, Readability and Ideology in Children's Literature, Journal des Traducteur/ Meta: Translator's Journal, Vol 43, n°4: <http://id.erudit.org/iderudit/003879ar>

unaffected style can be regarded as prevalent norms of children's literature." 1

"فاشترط درجة عالية من المقرئية (التي تعني أن يكون النص سهلا بما فيه الكفاية لكي يقرأه ويفهمه الأطفال) والأسلوب الطبيعي والسهل تعتبر من بين القيم السائدة في أدب الأطفال" (ترجمتنا).

كما تطرقت تينا بيورتنان إلى التراكيب اللغوية التي تحمل معاني إيديولوجية والتي من شأنها أيضا أن تؤثر على مقرئية النص المترجم كون أن الإيديولوجيات تختلف من مجتمع إلى آخر ومن ثقافة إلى أخرى، وخاصة إذا كانت هذه المعاني الإيديولوجية غريبة عن الطفل ولا تتوافق مع القيم والمعتقدات السائدة في ثقافته، وتعتقد تينا بيورتنان أن درجة مقرئية أدب الأطفال هي محل اختلاف:

"Whether high readability of children's literature is considered to be of primary importance or not in society is an ideological question itself." 2

"فكون نسبة المقرئية مرتفعة في أدب الأطفال تعتبر مهمة من الدرجة الأولى أم لا في مجتمع ما هي مشكلة إيديولوجية في حد ذاتها" (ترجمتنا)
فهناك من يعتمد استعمال الأساليب والتراكيب اللغوية المعقدة في أدب الأطفال ثقة في قدرة الأطفال على الفهم والاستيعاب، لكن تينا بيورتنان لا توافق وجهة النظر هذه وتعتقد أنه يشترط في أسلوب أدب الأطفال أن يكون في متناول الأطفال من الناحية اللغوية والإيديولوجية.

4. تحليل بعض النماذج من ترجمة ❖ سحر جبر محمود ❖ لرواية هاري بوتر وحجر الفيلسوف من الإنجليزية إلى العربية:

1.4 النموذج الأول:

"... they've had a downpour of shooting stars! Perhaps people have been celebrating Bonfire Night early...3 "

¹ -Puurtinen in Perderzoli (2012),p :224

² Tiina, Puurtinen, (1998), p:8

³ -J.K Rowling (1997) Harry Potter and the Philosopher's Stone, Scholastic Press, UK, p:6

وجاءت الترجمة على النحو الآتي:

"...أمطرت السماء سيلا من الشهب المتساقطة.. وكأنها أحد الاحتفالات التي تشعل فيها الألعاب النارية..¹"

نلاحظ من خلال هذه العبارة أن المترجمة سحر جبر محمود قد لجأت إلى تقنية التصرف من أجل نقل الخاصية الثقافية المتضمنة في النص الأصل إلى القارئ العربي والمتمثلة في "Bonfire Night ليلة المشعلة" وهي عبارة عن احتفالات تقام في الخامس من شهر نوفمبر، وتستعمل فيها الكثير من الألعاب النارية. وبالتالي فإن المترجمة قد وفقت في نقل هذه الصورة التي تعتبر غريبة وغير مألوفة لدى القارئ العربي وذلك عن طريق تقديم شرح بسيط لكيفية الاحتفال بهذه الليلة، ذلك أنه لو اعتمدت المترجمة على اقتراس هذه الكلمة أو ترجمتها ترجمة حرفية فإنه سيكون من الصعب على الطفل العربي استيعاب معنى هذه الكلمة التي توحى باحتفال غريب عنه وعن ثقافته العربية.

2.4 النموذج الثاني:

"..a few old women were sitting in a corner, drinking tiny glasses of sherry²"

وجاءت الترجمة كما يلي:

"...وتجلس في إحدى أركانه مجموعة من السيدات العجائز يحسبن بعض المشروبات..."³

نلاحظ من خلال هذه الجملة أن المترجمة قامت بالتصرف في ترجمة كلمة "sherry" التي تعني "خمر إسبانية الأصل"⁴، وقامت بالتعبير عنها بـ "بعض المشروبات" وهو اختيار موفق بحكم أن الخمر محرم في الإسلام، كما أنه يتنافى مع القيم السائدة في الثقافة الهدف وبالتالي فإن النص الموجه للأطفال يجب أن يكون خاليا من كل المأكولات والمشروبات التي لا تتماشى مع القيم والتعاليم التي تربي عليها الطفل.

¹ ج.ك. رولينج، 2008: 7

² J.K Rowling, 1997:68

³ ج.ك. رولينج، 2008: 59

⁴ منير، البعلبكي (2007) المورد قاموس إنجليزي - عربي، دار العلم للملايين، بيروت، ص 846

3.4 النموذج الثالث:

"...His turban, he told them, had been given to him by an African prince as a thank-you for getting rid of a troublesome zombie!

وجاءت ترجمته كالآتي:

"...كما تنذروا من عمامته التي قال الأستاذ أنها هدية من أحد أمراء

إفريقيا الذي أنقذه من إحدى الجثث الحية..."²

نلاحظ من خلال هذه العبارة أيضا أن سحر جبر محمود اعتمدت على أسلوب الشرح من أجل ترجمة كلمة "zombie" التي تعني "القوة الفوقطبيعية التي يزعم المعتقد الودوني أنها تدخل أجساد الموتى فتحياها،² ميت أعيد إلى الحياة بهذه الطريقة من غير أن يستعيد القدرة على الكلام وحرية الإرادة"³، حيث قامت المترجمة بإضافة شرح لمعنى هذه الكلمة، لكن معنى هذه الكلمة التي يقوم على عودة ميت إلى الحياة والتي معناها مستمد من الفكر الودوني -الذي هو دين زنجي، إفريقي الأصل، منتشر بين زنوج هاييتي، ويقوم في الدرجة الأولى على أساس من السحر والعرافة⁴ - وهو مناف للقيم والتعاليم التي تربي عليها الطفل العربي والتي تقوم على أساس أن الميت إذا قضى أجله فإنه لا يعود إلى الحياة مرة أخرى إلى أن يبعثه الله عز وجل وبالتالي عندما يقرأ الطفل عبارة "جثث حية" فإنه سيشعر بوجود تناقض وخلل في المعنى فإما أن يكون الكائن ميتاً أو حياً، ولا يمكن أن يكون جثة هامة ولكنها حية في نفس الوقت. وبالتالي كان من الواجب التصرف في نقل هذا المفهوم عن طريق استبداله مثلاً بـ "كائن شرير" فتصبح العبارة "...كما تنذروا من عمامته التي قال الأستاذ أنها هدية من أحد أمراء إفريقيا الذي أنقذه من إحدى الكائنات الشريرة..."، أو الاعتماد على تقنية الحذف كأن نقول مثلاً "...كما تنذروا من عمامته التي قال الأستاذ أنها هدية من أحد أمراء إفريقيا الذي أنقذه من ورطة كبيرة..."

¹ J.K Rowling ,1997:134

² - ج.ك. رولينج، 2008: 115

³ - منير، البعلبكي، 2007: 846

⁴ - المرجع نفسه، ص: 1036

4.4 النموذج الرابع:

"...Professor McGonagall pointed them into a classroom that was empty except for Peeves, who was busy writing rude words on the blackboard..."¹

وجاءت الترجمة على النحو الآتي:

"...أخذتهما الأستاذة إلى أحد الفصول الخالية ووجدوا به (بيف) الذي كان مشغولاً بكتابة كلمات سباب على السبورة..."²

نلاحظ من خلال هذا النموذج أن سحر جبر محمود اعتمدت على تقنية الترجمة الحرفية من دون تكييف ولا تغيير حيث قامت بترجمة "writing rude words on the blackboard" بـ "كتابة كلمات سباب على السبورة" في حين كان من الأفضل تكييف هذه الجملة والتصرف فيها، فكتابة كلمات بذيئة على السبورة هو تصرف غير لائق، لذلك وجب حذف هذا المقطع لكي لا يقوم الطفل القارئ بمثله، فالطفل يتأثر بكل ما يقرأ، وبالتالي كان من الأحسن التصرف في نقل هذه العبارة كأن نقول مثلاً: "...أخذتهما الأستاذة إلى أحد الأقسام الخالية ووجدوا به (بيف) الذي كان مشغولاً بالكتابة على السبورة..."، فتجنب ترجمة "الكلمات البذيئة" من شأنه أن يحول دون تأثير الأطفال بهذا الفعل وتقليدهم له. كما أنه كان بالإمكان تغيير الجملة كلياً وجعلها وسيلة لتربية وتعليم الطفل كأن نقول مثلاً: "...أخذتهما الأستاذة إلى أحد الأقسام الخالية ووجدوا به (بيف) الذي كان مشغولاً بتحضير دروسه..." فعلى الرغم من أن عبارة "تحضير الدروس" غير واردة في النص الأصل إلا أن استعمالها لا يخل بالمعنى بل يخلف أثراً إيجابياً على الطفل القارئ.

5.4 النموذج الخامس:

"...The cloaked figure reached the unicorn, lowered its head over the wound in the animals side, and began to drink its blood"³

¹ J.K Rowling ,1997:151

² - ج.ك. رولينج، 2008: 128.

³ J.K Rowling ,1997:256

وقد جاءت الترجمة على النحو الآتي:

"...ورأى مخلوقا مغطى الرأس يزحف كالوحش نحو وحيد القرن..ونظر (هاري) إليه بذهول وهو يقترب من جرح وحيد القرن، ثم بدأ يشرب من دمائه."¹

نلاحظ من خلال هذا النموذج أن المترجمة سحر جبر محمود قد اعتمدت على تقنية الترجمة الحرفية من دون تغيير ولا تكييف في نقل عبارة "began to drink its blood" حيث قامت بترجمتها بـ "ثم بدأ يشرب من دمائه"، في حين أنه كان من الأفضل التصرف في ترجمة هذا المشهد لأنه يتضمن صورة مروعة بالنسبة للقارئ، خاصة وأن هذه الرواية موجهة إلى الأطفال الصغار بالدرجة الأولى، وخاصة أن فعل شرب الدماء مناف للمبادئ والقيم التي نشأ عليها الطفل العربي. وبالتالي كان من الأحسن إيجاد تعبير لغوي يتلاءم مع متطلبات القارئ الهدف، كأن نقول مثلا " ورأى مخلوقا مغطى الرأس يزحف كالوحش نحو الحصان المصاب، وحاول أن يقضي عليه.."، ففي هذه الحالة نعتقد أن تقنية الحذف هو اختيار موفق في ترجمة مثل هذا المشهد، لأن الترجمة ستؤدي إلى ترك أثر سلبي على الطفل المتلقي.

6.4 النموذج السادس -

"...He gave his father a sharp tap on the head with his Smelting stick." 2

وجاءت الترجمة على النحو الآتي:

لم يكن (ددلي) معتادا أن يتجاهله أحد، فخبط بعصاه على رأس أبيه وقال بصوت مرتفع "..أريد أن أقرأ الرسالة..³

نلاحظ من خلال هذا النموذج أن المترجمة لم تراع الجانب التربوي لهذه الجملة حيث ترجمتها ترجمة حرفية من دون تغيير أو تكييف، في حين كان من الأفضل التصرف في نقل هذه الجملة، لأن فيها قلة أدب وعدم احترام للوالدين، فتكييف هذه الجملة من شأنه أن يحول دون تأثر الطفل القارئ بهذا التصرف وقيامه به، ذلك أن الطفل يجب أن يتربى على طاعة الوالدين واحترامهم.

¹ - ج.ك.رولينج، 2008: 217

² J.K Rowling ,1997:35

³ ج.ك.رولينج، 2008: 31

وبالتالي كان من الأفضل اختيار أسلوب لغوي يكون خال من هذا التصرف غير اللائق، كأن نقول مثلا "لم يكن (ددلي) معتادا أن يتجاهله أحد فشعر بغضب شديد وقال بصوت مرتفع "أريد أن أقرأ الرسالة.."

خاتمة -

كخلاصة لما سبق ذكره فإن أدب الأطفال يعتبر من الأنواع الأدبية التي تجلب انتباه الأطفال بل والتي تؤثر فيهم بشكل مباشر، ذلك أن الأطفال يتأثرون كثيرا بما يقرؤون وتنطلي عليه المفاهيم السيئة إذا سيقنت في قالب وفي أسلوب أدبي جميل. لذلك يجب على مترجم أدب الأطفال، خلال قيامه بالعملية الترجمة، أن يراعي الخصائص الثقافية التي تختلف من ثقافة لى أخرى وأن يضع في حسابه محدودية القدرات اللغوية والعقلية والثقافية التي يتمتع بها القارئ الهدف الذي هو الطفل. كما أنه على الرغم من الجوانب الإيجابية التي قد يمكن لتقنية الترجمة الحرفية أن تقدمه للقارئ الهدف، من تعريفه بالثقافات الأخرى وتوسيع نظرتة على العالم الذي يعيش فيه، إلا أن ذلك لا يجب أن يكون على حساب القيم السائدة في ثقافة القارئ الهدف، والتي يجب أن يترى عليها الطفل المتلقي، فالنص الموجه للأطفال هو نص تعليمي وتربوي بالدرجة الأولى أكثر من كونه نص ترفيهي.

قائمة المراجع -

المراجع العربية -

- العبد، جلوي (2003) النص الأدبي للأطفال في الجزائر، دراسة تاريخية فنية في فنونه وموضوعاته، بمساهمة ولاية ورقلة تحت إشراف مديرية الثقافة، الجزائر
- عبد الفتاح، أبو معال (1988) أدب الأطفال دراسة وتطبيق، دار الشروق، ط2، عمان
- منير، البعلبكي (2007) المورد قاموس إنجليزي- عربي، دار العلم للملايين، بيروت
- ج.ك. رولينج، هاري بوتر وحجر الفيلسوف، تر: سحر جبر محمود (2008)، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر
- سعد، أبو رضا (1993) النص الأدبي للأطفال أهدافه ومصادره وسماته، دار البشير للنشر والتوزيع، ط1، الإسكندرية، مصر

المراجع الأجنبية -

- J.K Rowling (1997) Harry Potter and the Philosopher's Stone, Scholastic Press, UK
- Emer, O'sullivan (2005) Comparative children's literature, Routledge Taylor & Francis, London and New York
- Gillian, Lathey (2006) The translation of children's literature: A reader, Multilingual Matters Ltd, UK
- Gote, Klingberg (1986) Children's Fiction in the hand of translators, Lund: Gleerup, Sweden
- Gote, Klingberg (2008) Facets of children's literature research, Lillemor Torstensson, Stockholm
- J.K Rowling (1997) Harry Potter and the Philosopher's Stone, Scholastic Press, UK
- Nathalie, Prince (2010), Littérature de jeunesse, Armand Colin, Paris,
- Ritta, Oittinen (2000) Translating for children, Garland Publishing Inc, New York
- Roberta, Pederzoli (2012) La traduction de la littérature d'enfance et de jeunesse et le dilemme du destinataire, P.I.E. Peter Lang, Bruxelles
- Tiina, Puurtinen (1998) Syntaxe, Readability and Ideology in Children's Literature, Journal des Traducteur/ Meta: Translator's Journal, Vol 43, n°4: <http://id.erudit.org/iderudit/003879ar>
- Zohar, Shavit (1986) Poetics of children's literature, The University of Georgia press, Athens and London



مجلة الواحات للبحوث والدراسات

ردمدم - 7163 P - 1112

ردمدم - 1892 E - 2588

<http://elwahat.univ-ghardaia.dz>

العوامل المعنوية في كتاب "معاني القرآن" لأبي زكريا الفراء

فاطمة رزاق

قسم اللغة والأدب العربي، كلية الآداب واللغات

جامعة غرداية. الجزائر

ص ب : 455 طريق المطار غرداية 47000. الجزائر

faridf47@gmail.com

ملخص -

يمثل كتاب "معاني القرآن" لأبي زكريا الفراء المصدر الذي صدرت عنه كتب النحو تحمل آراء الكوفيين النحوية، فقد اتخذ الفراء من النص القرآني نموذجا لتحليلاته اللغوية وتعليقاته النحوية، إذ بث فيه آراءه في كثير من مباحث اللغة والنحو عموما وما يتعلق بالعامل النحوي بصفة خاصة، فقد تفرّد بآراء في هذا المجال تنم عن تفكير أضفى تميزا على المذهب الكوفي، حيث توسّع في العوامل المعنوية خلافا للبصريين، فقد نسب لكثير من المعاني النحوية عملا في المفردات فذكر منها الخلاف والصرف والخروج والتجرد من الناصب والجازم والتقريب.

الكلمات المفتاحية -

الفراء، العامل اللفظي، العامل المعنوي، الخلاف، الصرف، التقريب، التجرد.

Semantic factors in the book of" Maani Al Qur'an" by AbiZakariaalfura'

Abstract-

The book "Meanings of the Quran" by Abu Zakariaalfura' is the source for which the books were published as the grammar of the Kufayn grammar. alfura' was taken from the Quranic text as a sample for its grammatical analyzes and grammatical explanations. Many views were shed on this book in many of the language, grammar. Unlike Albasriyne, It has been distinguished by opinions in this field, reflecting the thinking that added distinction to the kufi doctrine, where it expanded on the semantic factors. Many grammatical meanings were attributed to the work in the vocabulary.

Keywords-

alfura', verbal factor , semantic factor, disagreement, exchange, approximation, abstraction.

تقديم -

تعدّ نظرية العامل من الأسس الهامة التي قام عليها النحو العربي، وهي نظرية عربية خالصة، لأنها ولدت في بيئة عربية، ولم تتأثر بمؤثرات أجنبية، فقد ولدت في المرحلة التي تأسس فيها علم النحو واكتملت قواعده، فهي نظرية انضرد بها النحو العربي، وهي تدل على أن هذا النحو لم يوضع على أساس أجنبي، إذ إن المحور الذي تدور حوله بحوثه محور عربي خالص، وإنه من غير اليسير العثور على باب نحوي كتب بمنأى عن توجيه هذه النظرية وإحياءاتها.

1/أبوزكريا الفراء وكتابه " معاني القرآن":

الفراء هو يحيى بن زياد بن عبد الله (ت 207هـ) من أصل فارسي من الديلم، ولد بالكوفة ونشأ بها، وكما كان سيبويه تلميذا للخليل، كان الفراء تلميذا للكسائي، تلمذ له وطور ما أخذه عنه وأنضجه حتى استوى مذهبا واضحا

المعالم¹، يتسم بطابعه المتميز، وكان الفراء " أبرع الكوفيين، له مصنفات كثيرة مشهورة في النحو واللغة ومعاني القرآن"².

ويعدّ كتابه " معاني القرآن" من أهم ما صنف ، وتكمن أهميته في أن الفراء لم يكن يقصد إلى تفسير القرآن على النحو الذي نفهمه من كلمة التفسير، وإنما كان يهدف إلى أن يتخذ من النص القرآني نموذجاً للعربية يقيم عليه تحليله اللغوي، فهو يتتبع الكتاب الكريم سورة سورة ثم يختار من كل سورة ما يراه من الآيات في حاجة إلى تفسير لغوي، وهو في غضون ذلك يقدم النحو الكوفي في أهم مصدر من مصادره جميعاً³، فأكثر ما كان للكوفيين من آراء إنما هو للفراء، وعن طريق هذا الكتاب وما حمله تلاميذه عنه نقل إلينا نحو الفراء ونحو المذهب الكوفي، " ولعل هذا الكتاب هو المصدر الذي صدرت عنه كتب النحو تحمل آراء الفراء النحوية، والمنبع الذي استقى منه تلاميذه، وأتباع المذهب الكوفي"⁴.

3/ العوامل المعنوية عند الفراء:

إن العامل في اصطلاح النحويين هو ما أوجب كون آخر الكلمة مرفوعاً أو منصوباً أو مجروراً أو ساكناً، فقد عرفه الشريف الجرجاني بقوله : " العامل ما أوجب كون آخر الكلمة على وجه مخصوص من الإعراب"⁵ ، فالعامل إذاً هو الموجد لشيئين هما :

- الحالة الإعرابية من رفع أو نصب أو جر أو جزم.

¹ - ينظر: عبده الراجحي ، دروس في المذاهب النحوية، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، دط 1980، ص 92

² - مجد الدين الفيروز أبادي، البلغة في تاريخ أئمة اللغة ، اعتنى به وراجعته: بركات يوسف هبود، المكتبة العصرية، صيدا ، لبنان، ط1، 2001م، ص 195

³ - ينظر: عبده الراجحي، مرجع سابق، ص 93

⁴ - مهدي المخزومي، مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، دط ، دت ط، ص 133

⁵ - الشريف الجرجاني، معجم التعريفات ، تحقيق: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، دط ، 2004، ص 122

- العلامة الإعرابية التي تقع في آخر الكلمة ، وتدل على حالتها الإعرابية ، وهذه العلامة حركة أو حرف أو سكون أو حذف.

واتفق البصريون والكوفيون على أن ثمة عاملا في التركيب اللغوي ، وأن هذا العامل ضربان : لفظي ومعنوي، ووضعوا قواعدهم على هذا الأساس، ولكنهم اختلفوا في توجيه العامل وبيانه بين مسألة وأخرى، إذ "يبدو أن فكرة العامل كانت قد استقرت في أذهان الدارسين بعد الخليل، وكان البصريون والكوفيون قد اتفقوا على الأخذ بها، ولكنهم اختلفوا في التفاصيل اختلافا يرجع إلى ما بين المنهجين من اختلاف"⁶.

فأما العوامل اللفظية فهي عوامل منطوقة، تظهر من القول كالحروف والأفعال والأسماء، وأما العوامل المعنوية، والتي هي محور حديثنا " فهي العوامل التي يظهر أثرها على بعض الكلمات في الجمل ولا وجود لها في ظاهر القول "⁷ ، فاسمها يدل عليها "إنها معنى من المعاني لا نطق فيه ، فهو معنى يعرف بالقلب ، ليس للفظ فيه حظ"⁸ ، كعامل المبتدأ والخبر، أي التجريد عن العوامل اللفظية ، وعامل (يضرب) ، أعني التجريد عن الناصب والجازم فإنه معنوي، لأنه يعرف بالجنان ولا يتلفظ باللسان⁹، وهذه العوامل موضع اختلاف كبير بين نحاة البصرة والكوفة، إذ توسع أهل الكوفة في العامل المعنوي حتى كان مخرجا للحركات الإعرابية في كثير من الأبواب النحوية وتبريرا لها، فكان عندهم عدد كبير من العوامل، بخلاف البصريين، الذين لم يقولوا بالعامل المعنوي إلا في المبتدأ والفعل المضارع ، وأما الكوفيون فالعوامل المعنوية عندهم كثيرة ، إذ قالوا إن الفاعل ارتفع بالإسناد وهو عامل معنوي، أو بالفاعلية وهو عامل معنوي أيضا،

⁶ - مهدي المخزومي، مرجع سابق، ص 276

⁷ - خليل أحمد عمارة، العامل النحوي بين مؤديه ومعارضيه ودوره في التحليل اللغوي، ص 60

⁸ - وليد عاطف الأنصاري، نظرية العامل في النحو العربي عرضا ونقدا، دار الكتاب الثقافى، إربد، الأردن، ط2، 2014م، ص 53

⁹ - ينظر: الشيخ خالد الأزهرى، شرح العوامل المائة النحوية في أصول علم العربية لعبد القاهر الجرجاني، تحقيق: البدراوي زهران، دار المعارف، القاهرة ، مصر ، ط2، دت ط ، ص

وكذلك المفعولية حيث هي عامل النصب في المفعول به ، وهي عامل معنوي، والتجرد من الناصب والجازم في الفعل المضارع ، وكذلك هذا عامل معنوي، زد على ذلك الخلاف والصرف والخروج.

وقد اختلف النحاة في عدد العوامل المعنوية بين اعتراف ببعضها وإنكار لبعضها الآخر، فهي " تختلف بين المصادر كثرة وقلة تبعا لاعتراف النحاة ببعضها وإنكارهم لها، فقد اقتصر الجرجاني في كتابه " العوامل المائة" على اثنين هما : عامل الرفع في المضارع وعامل الرفع في المبتدأ والخبر ، وعند صاحب الأشباه والنظائر ستة عوامل معنوية ، لكن المتتبع للعوامل المعنوية في مختلف المصادر يكتشف أن ما قاله السيوطي والجرجاني لا يمثل العدد الموجود ولا يقاربه¹⁰.

ومن العوامل المعنوية التي نجدها ماثورة في كتاب "معاني القرآن" لأبي زكريا الفراء نذكر:

1/ الخلاف: مصطلح كوفي محض لم يقل به البصريون، وهو من أهم العوامل المعنوية عند الكوفيين عموما وعند الفراء خصوصا، ومعناه أن يكون في التركيب اللغوي ما يوحي باشتراك شيئين أو أكثر في حكم واحد ، ولكن العربي لا يريد ذلك بل يريد أفراد الثاني بحكم آخر ، فيأتي بحركة إعرابية مخالفة لحركة الأول ، فتكون قرينة على إرادة المعنى الآخر ، فإذا قلت : (لا تأكل وتتكلم) ، فأنت لا تريد أن تنهى المخاطب عن الأكل والتكلم في جميع الحالات، وإنما تريد أن تنهيه عن أن يجمع العاملين في وقت واحد، ولذلك نصبت (تتكلم) ولم تجزمه ، ليكون في النصب قرينة إعرابية تدل على المعنى المراد¹¹، وإلى الفراء ينتهي ما عرف عن الكوفيين من "النصب على الخلاف"، فهو صاحب الرأي فيه، وإن خالفه الكوفيون في نطاق تطبيقه، فقالوا به في مسألتين: نصب الظروف التي

¹⁰ - مصطفى بن حمزة ، نظرية العامل في النحو العربي (دراسة تأصيلية وتركيبية) ، ط1،

1425هـ / 2004، ص177

¹¹ - ينظر: وليد عاطف الأنصاري، مرجع سابق، ص 73

تقع أخبارا، ونصب المفعول معه، وتضرد عنهم بمسألة ثالثة: هي نصب الفعل المضارع الواقع بعد الواو والفاء المسبوقتين بنفي أو طلب¹².

ويبدو أن الكوفيين أفادوا مفهوم الخلاف من كلام الخليل وسيبويه في بادئ الأمر ثم طوروه وجعلوه عاملا معنويا في بعض المواضع، قال سيبويه: "هذا باب لا يكون المستثنى فيه إلا نصبا، لأنه مخرج مما أدخلت فيه غيره، فعمل فيه ما قبله كما عمل (العشرون) (في الدرهم) حين قلت: (له عشرون درهما)، وهذا قول الخليل رحمه الله، وذلك قولك: أتاني القوم إلا أباك، ومررت بالقوم إلا أباك والقوم فيها إلا أباك، وانتصب (الأب) إذ لم يكن داخلا في ما دخل فيه ما قبله، ولم يكن صفة، وكان العامل فيه ما قبله من الكلام"¹³، فالخليل يعلل نصب المستثنى بأنه مخالف ما قبله، ولكنه مع ذلك يصرح بأن العامل فيه ما قبله من الكلام¹⁴، وقد أشار إلى ذلك الدكتور مهدي المخزومي فقال: "فمقالة الخليل في نصب المستثنى بإلا - عندي - مبعث القول بالخلاف عند الكوفيين"¹⁵.

فقد قال الكوفيون إن الظرف إذا وقع خبرا للمبتدأ ينتصب بالخلاف نحو "عليّ أمامك أو زيد وراءك" وكذلك المفعول معه نحو "استوى الماء والخشبة" والفعل المضارع المنصوب بعد الواو والفاء المسبوقين بطلب أو نفي أو نهي أو تمن أو استفهام وأضاف بعضهم أو إلى الواو والفاء، وإنما قال الكوفيون بالخلاف لأن "الجواب مخالف لما قبله، وقبله أمر أو دعاء أو نهي أو استفهام أو نفي أو تمن أو عرض، ألا ترى إنك إذا قلت: "إيتنا فنكرمك" لم يكن الجواب أمرا، فإذا قلت "لا تنقطع عنا فنجفوك" لم يكن الجواب نهيا، وإذا قلت "ما تأتينا فتحدثنا" لم يكن الجواب نفيا، وإذا قلت "أين بيتك فنزورك" لم يكن الجواب استفهاما، وإذا قلت "ليت لي بعيرا فأحجّ عليه" لم يكن الجواب تمنيا، وإذا قلت "ألا تنزل فتصيب خيرا" لم يكن الجواب عرضا، فلما لم يكن الجواب شيئا من هذه الأشياء

¹² - مهدي المخزومي، مرجع سابق، ص 135

¹³ - سيبويه، الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط3،

1988، ج2، ص 330 - 331

¹⁴ - ينظر: وليد عاطف الأنصاري، مرجع سابق، ص 73

¹⁵ - مهدي المخزومي، مرجع سابق، ص 294

كان مخالفا لما قبله ، وإذا كان مخالفا لما قبله وجب أن يكون منصوبا على الخلاف على ما بيننا¹⁶، وواضح من كلام الكوفيين أن الفعل الثاني مخالف للفعل الأول حيث إن الفعل الأول دل على معنى لا يدل عليه الفعل الثاني، وقد جعل الكوفيون الخلاف عامل نصب نصبوا به في المواضع التالية¹⁷ :

أ- الفعل المضارع: ينصب الفعل المضارع بالخلاف في الحالات التالية:

1- إذا وقع بعد واو المعية، وهي المسبوقة بنفي أو طلب ، وذلك نحو قولك: "لا تأكل السمك وتشرب اللبن".

2- إذا وقع بعد فاء السببية، وذلك بعد الأجوبة الثمانية وهي النفي المحض والطلب المحض والنهي والاستفهام والعرض والتحضيض والتمني، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا﴾ (فاطر: 36)، وقوله تعالى: ﴿فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفْعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا﴾ (الأعراف: 53) وقوله تعالى: ﴿يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (النساء: 73)، فالمضارع في ذلك كله منصوب على الخلاف، والبصريون يرون نصب الفعل بأن المضمره وجوبا بعد الفاء.

3- إذا وقع بعد (أو) التي بمعنى "إلى أن" أو "إلا أن" نحو قول امرئ القيس:

فقلت له لا تبك عينك إنما نحاول ملكا أو نموت فنعذرا
أي (إلى أن نموت)، ونحو قول زياد الأعجم:
وكنت إذا غمرت قناة قوم كسرت كعوبها أو تستقيما
أي (إلا أن تستقيما).

ب- المفعول معه: ذهب الكوفيون إلى أن المفعول معه منصوب على الخلاف، وذلك نحو قولهم: "استوى الماء والخشبة"، واحتجوا بأن قالوا: إنما قلنا إنه منصوب على الخلاف، وذلك لأنه إذا قال: "استوى الماء والخشبة"، لا يحسن تكرير الفعل، فيقال: "استوى الماء واستوت الخشبة"، لأن الخشبة لم

¹⁶ - أبو البركات بن الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، تحقيق: جودة مبروك محمد جودة، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط1، 2002 ص 445- 446

¹⁷ - ينظر: وليد عاطف الأنصاري، مرجع سابق، ص 74

تكن معوجة فتستوي، فلما لم يصح العطف وكان ما بعد الواو مخالفا لما قبلها انتصب على الخلاف¹⁸.

ت- الظرف الواقع خبرا: كان الفراء يقول بالخلاف في نصب الظروف الواقعة أخبارا نحو: "خالد عندك" و"البحر أمامك"¹⁹، وذهب الكوفيون مذهبه في أن الظرف إذا وقع خبرا للمبتدأ نصب على الخلاف نحو قولك: "زيد أمامك"، وحجتهم في ذلك أن خبر المبتدأ في المعنى هو المبتدأ، فإذا قلت: "زيد قائم" كان (قائم) في المعنى هو (زيد) ولهذا كانت الكلمتان في حالة إعرابية واحدة وهي الرفع²⁰، ولكن الظرف (أمامك) ليس في المعنى هو (زيد)، ولهذا لم تكن الكلمتان في حالة إعرابية واحدة بل نصب الظرف على الخلاف ليضرقوا بينهما²¹، و"لقد صرح الأشموني بأن المخالفة حيثما وجدت اقتضت تغيير العلامة الإعرابية، وقد أخذ بهذا المفهوم فقليل بالخلاف في مواضع منها وقوع الخبر ظرفا في مثل زيد أمامك لأن الخبر في هذه الجملة غير المبتدأ، وقد نصب ليخالف جملة (زيد قائم) لأن القائم هو زيد ذاته، هذا على مذهب من يرى أن الظرف هو الخبر، وقد أجازوا أن يكون الخبر المتعلق باسم الفاعل أو بالفعل، فيقال (زيد كائن أمامك) أو (يكون أمامك) على خلاف في الموضوع، وكل ذلك ليس واجبا إذ يصح الظرف نفسه خبرا²².

ث- الحال الواقع خبرا للمبتدأ المصدر: وهو قول الكسائي والفراء وهشام وابن كيسان، فأنت عندما تقول: ضربني زيدا قائما، (فضربي) مبتدأ أضيف إليه فاعله و (زيدا) مفعول به له، و (قائما) حال خالفت المبتدأ، ولم تكن في المعنى المبتدأ عينه لذا نصب على الخلاف.

ولم يرض البصريون بما ذهب إليه الكوفيون من جواز نصب الخبر إذا كان ظرفا على الخلاف، وقالوا: إن الظرف منصوب بفعل مقدّر، وكذلك

¹⁸ - ينظر: أبو البركات بن الأنباري، مصدر سابق، ص 207

¹⁹ - ينظر: مهدي المخزومي، مرجع سابق، ص 295

²⁰ - ينظر: وليد عاطف الأنصاري، مرجع سابق، ص 76

²¹ - ينظر: أبو البركات بن الأنباري، مصدر سابق، ص 202

²² - ينظر: مصطفى بن حمزة، مرجع سابق، ص 177

المفعول معه، حيث قال البصريون : إنه منصوب بالفعل الذي قبله بتوسط الواو الدالة على المعية ، ورفضوا أيضا نصب الفعل المضارع الواقع بعد النهي والنفي والتمني والاستفهام والطلب والعرض والمسبوق بالفاء أو الواو ، وعللوا ذلك بأن الفاء مضمرة فيها " أن"²³.

2/ الصرف:

هو أشبه ما يكون بالخلاف ، وهو أيضا مصطلح أطلقه الفراء على الاسم المنصوب بعد واو المعية ، وعلى الفعل المضارع المنصوب بعد واو المصاحبة ، وقد عرفه الفراء بقوله : " أن تأتي بالواو معطوفة على كلام في أوله حادثة لا تستقيم إعادتها على ما عطف عليها "²⁴، وقد أعرب قول أبي الأسود الدؤلي :

لا تنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

فالفعل (تأتي) منصوب على الصرف، أي بعد واو الصرف ، فلا يجوز إعادة (لا) في (تأتي) ، ولا يمكن أن تعتبر الواو عاطفة ، لأنه لا يعطف خبر على إنشاء، وهذا الفراء يعلل ذلك بقوله: " ألا ترى أنه لا يجوز إعادة " لا" في " تأتي مثله" فلذلك سمي " صرفا" إذ كان معطوفا ولم يستقم أن يعاد فيه الحادث الذي قبله "²⁵، والأمثلة على الصرف كثيرة ، فمنها مثلا " لو تركت والاسد لأكلك، ولو خليت ورأيك لضللت"، والصرف ليس معناه النصب فقط ، وإنما متى عطف فعل على فعل أو اسم، ولا يستقيم لتلك الواو العاطفة أن يكون معناها للعطف، فهو الصرف، فصي المرفوع قال الفراء : " فإن العرب تجيز الرفع لو ترك عبدُ الله والاسدُ لأكله "²⁶، وهنا يجوز في الأسماء التي نصبت بالواو أن تعاد على الأسماء التي قبلها في حالة الرفع، وعبر عنها الفراء " بأن تكون مردودة على ما قبلها وفيها معنى الصرف "²⁸⁷ ، وحدد الفراء معنى الصرف عندما أعرب قول الله

²³ - ينظر: أبو البركات بن الأنباري، مصدر سابق، ص 445

²⁴ - أبو زكريا الفراء، معاني القرآن، عالم الكتب، بيروت ، لبنان ، ط3، 1983، ج1، ص 34

²⁵ - أبو زكريا الفراء، مصدر سابق، ج1، ص34

²⁶ - المصدر نفسه، ج1، ص 34

²⁷ - المصدر نفسه، ج1، ص 34

²⁸ - ينظر: أحمد مختار ديرة ، دراسة في النحو الكوفي من خلال معاني القرآن للفراء، دار

قتيبة، دمشق، سوريا، دط، 2003، ص288

تعالى: ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ (آل عمران: 142)، فالفعل " يعلم " منصوب وليس مجزوما عطفا على " ولما يعلم " ، قال الفراء: " والقراء بعد تنصبه وهو الذي يسميه النحويون الصرف " ²⁹ ، ويذكر للصرف أمثلة كقولك: " لم آتِه وأكرمَه إلا استخف بي " فالفعل " أكرمَه " ليس مجزوما عطفا على " لم آتِه " وإنما هو منصوب على الصرف ، ويعرفه الفراء بقوله : " والصرف أن يجتمع الفعلان بالواو أو ثم أو الفاء وفي أوله جحد أو استفهام ، ثم ترى ذلك الجحد أو الاستفهام ممتنعا أن يكرّ في العطف فذلك الصرف " ³⁰ ، فمتى اجتمع فعلا بينهما حرف عطف، وكان في أول الجملة جحد أو استفهام ولا يستقيم عطف الفعل الثاني على الأول نصب الفعل الثاني على الصرف ، ومعنى قول الفراء " أن يكرّ " أي أن يتكرر الجحد وهو النفي أو الاستفهام في الفعل الثاني، فإخراج الفعل الثاني من الحكم الذي للفعل الأول هو الصرف عند الفراء ³¹.

والصرف عامل معنوي يعمل النصب في الفعل المضارع بعد الواو أو الفاء أو بعد حرف أو ، إذا كانت هذه الحروف مسبوقة بنفي أو طلب ، كما في " لا تأكل سمكا وتشرب لبنا " ، والبصريون يخالفون في هذا ، فينصبون الفعل الثاني بأن مضمرة ، وذريعة الكوفيين اختلاف الثاني عن الأول ، فليس النهي عنهما معا ولو كان ذلك لوجب جزم الثاني كالأول، والصرف عند الكوفيين نوع من الخلاف وله موضع خاص.

والصرف كذلك يعمل النصب في الاسم المنصوب بعد واو المعية مثل: " استوى الماء والخشبة " ، فـ " الخشبة " منصوبة بعامل معنوي هو الصرف ، إذ إنه صرف عن المعنى الذي كان له أصلا بحركة الرفع ، وربما كان العامل المعنوي الآخر الذي يسميه الكوفيون الخلاف مما يمكن أن يدمج مع هذا العامل (الصرف) إذ إنهما يؤديان معنى واحدا ، وإن كان نحاة الكوفة قد استعملوه في عدد آخر من أبواب النحو ، فهم يرون أن العامل في الظرف الواقع خبر المبتدأ

²⁹ - أبو زكريا الفراء ، مصدر سابق ، ج 1 ، ص 235

³⁰ - المصدر نفسه ، ج 1 ، ص 235

³¹ - ينظر: أحمد مختار ديرة، مرجع سابق، ص 289

عامل معنوي هو الخلاف ، إذ الأصل أن يكون الخبر هو نفسه ولما وقع الخلاف بوقوع الظرف خبرا نصب ، وعاملوا (أفعل) في جملة التعجب بمعاملتهم الظرف الواقع خبرا في أن العامل فيه هو الخلاف، فهو (أفعل) عندهم اسم وموقعه خبر المبتدأ (ما) وقد نصب على الخلاف³².

3/ الخروج: هو مصطلح آخر ذكره الفراء في معانيه ولا يكاد يفرق بين الصرف والخروج والخلاف ، فالمصطلحات الثلاثة تلتقي عند نقطة واحدة ، وهي مخالفة الاسم أو الفعل لما قبله ، ولا يستقيم العطف بينهما فعندما أعرب " قادرين" في قول الله تعالى : ﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ لَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ ﴾ (القيامة: 3، 4) ، قال : " نصب " قادرين " على الخروج من " نجمع " ، فالخروج هنا لا يفهم منه إلا مخالفة " قادرين " في النصب لمفعول " نجمع " حيث لا يستقيم المعنى أن يعطف " قادرين " على " عظامه " ولذا " فقادرين نصب على المخالفة أو الخروج من المعنى الذي جاء في الآية بفعلها الأول (نجمع) حيث وقع الفعل في أول الآية منفيا بلن " لن نجمع عظامه " ، وجاء الجواب مثبتا " بلى قادرين " ، وهذا " لون من الخلاف يستوجب النصب "³³.

فهذه المصطلحات " الصرف والخلاف والخروج " كلها تدور حول مخالفة اللفظ المتأخر للفظ المتقدم في أحكامه اسما كان أم فعلا ، فالصرف خلاف والخلاف خروج³⁴ ، وهكذا دلت هذه المصطلحات على معنى يكاد يكون واحدا عدا فروق لا تدرك إلا من لغوي دقيق.³⁵

4/ التجرد من الناصب والجازم: وهو العامل الذي يرفع الفعل المضارع عند الفراء ، وعند غيره من الكوفيين ، فهم يرون أن الفعل المضارع يرتفع إذا لم تدخله النواصب والجوازم ، فإذا دخلت على المضارع دخله النصب أو الجزم ، وقد ناقش الفراء الآية الكريمة : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَآئِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ ﴾ (البقرة : 83) ، فقال " رفعت " تعبدون " لأن دخول (أن) يصلح فيها ، فلما حذف الناصب

³² - ينظر: خليل أحمد عمارة ، مرجع سابق ، ص 62

³³ - ينظر: أحمد مختار ديرة ، مرجع سابق ، ص 290

³⁴ - ينظر: عوض حمد القوزي ، المصطلح النحوي (نشأته وتطوره) ، عمادة شؤون المكتبات ،

جامعة الرياض ، السعودية ، ط 1 ، 1981 ، ص 188

³⁵ - المختار أحمد ديرة ، مرجع سابق ، ص 290

رفعه، كما قال الله: ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ﴾ (الزمر: 64)، وكما قال: ﴿وَلَا تَمُنُّ بِتَسْتَكْبِرُ﴾ (المدثر: 6)³⁶.

5/ التقريب: ومنها التقريب في مثل قولهم : كيف أخاف الظلم وهذا الخليفة قائما ، وهذا القمر طالعا ، ف (قائما) و (طالعا) منصوبتان على التقريب ، لأن ما بعد اسم الإشارة واحد في حقيقته (القمر) أو في سياقه فلا يحتاج إلى إشارة أو تنبيه إليه³⁷.

خاتمة -

ما قدّم يمثل صورا من أصداء الاتجاه المعنوي في تفسير العمل الإعرابي عند نحاة الكوفة عموما وعند أبي زكريا الفراء خصوصا، تجعل العامل في المفرد هو الوظيفة التركيبية التي يمثلها، لقد " اعتاد النحاة القدماء أن يكون لديهم مع التفسير اللفظي للإعراب شذرات تنسب إلى المعاني النحوية عملا في المفردات وأنت تقف على كثير من العبارات في كتبهم يجعل للمعاني التي هي وظائف تركيبية أثرا صوتيا فيما يرافقه من المفردات، ويصطلح له اسما يعبر عنه في التركيب"³⁸، والحقيقة أن العوامل المعنوية إنما تصلح لأن تكون ضروبا من التعليل لا أن تكون عوامل ، لأن هذه العوامل المعنوية تعتمد على معنى من المعاني ، والمعاني لا تعمل في الألفاظ، وإنما ينبغي أن تكون العوامل لفظية تقرر الحركة الإعرابية بلفظ من الألفاظ لأن اللفظ أقوى من المعنى أما العوامل المعنوية فهي تقيم أحكامها على أن العلاقات النحوية ووظائفها أمور معنوية خالصة، فتعيش محدودة الأبعاد ، إذ تغفل ما في التركيب من علاقات وانفعالات لفظية تتغلب على الأبعاد المعنوية³⁹.

³⁶ - ينظر: أبو زكريا الفراء ، مصدر سابق، ج1، ص 53

³⁷ - ينظر: المصدر نفسه، ج1، ص12

³⁸ - فخرالدين قباوة، مشكلة العامل النحوي ونظرية الاقتضاء ، ط1 ، دارالفكر، دمشق،

سوريا، 1434هـ / 2003م، ص 76

³⁹ - ينظر: المرجع نفسه، ص 79



أضواء على تحقيق كتاب "تخليص العاني" لأحمد أطفيش

عبد الوهاب بافلح

باحث في الدكتوراه، جامعة سيدي محمد بن عبد الله

فاس المملكة المغربية

abdelouahab.bafrah@usmba.ac.ma

الملخص -

تسعى هذه الورقة إلى تسليط الضوء على كتاب "تخليص العاني" لأحمد أطفيش (ت: 1323هـ) من خلال النظر إليه من زاوية لم يتطرق إليها. لقد نال الكتاب عناية بتحقيقه وإخراج نصوصه وكذلك قام مجموعة من الباحثين بإنشاء دراسات على مادته العلمية (د. محمد السعيد بن سعد، أحمد لقدي، د. فاطمة صغير)، لكن أحداً لم ينظر في عملية إخراج نصوصه التي تعتبر الأساس الذي من خلاله تنطلق الدراسات للوصول إلى نتائج علمية دقيقة. إن عملية إخراج النص للتداول تمر عبر مراحل متتابعة مترابطة، تنقص من حدة الوقوع في الأخطاء التي لا يسلم منها عمل الإنسان، وحال إخراج كتاب "تخليص العاني" يدعو إلى إعادة النظر في هذه العملية من خلال التتبع الدقيق لمراحل التحقيق العلمي.

الكلمات المفتاحية -

أطفيش، علم البلاغة، تحقيق المخطوطات، الاستلحاق، الخرم، النسخ الخطية.

Spotlights On The Critical Edition Of The Book "Takhliis Alaani" Of Amhammed Atfyach

Abstract -

This Paper Seeks To Shed Light On The Book "Takhliis Alani" By Amhammad Atfyach (1323 AH) By Dealing With It From An Angle Unlike What Researchers Did Before. The Book Was Given Great Attention To The Accomplishment And The Issuance Of Texts As Well As A Group Of Researchers Studied The Book Within Its Scientific Material. (Dr. Mohammed Al-Saeed Bin Saad, Amhamed Lqdi, Dr. Fatima Small) However, No One Considered The Process Of Text Critical Edition, Which Is Fundamental Through Which Studies Begin To Reach Accurate Scientific Results. The Process Of Critical Edition Of The Text To The Publishing And Transmission Passes Through Successive Consecutive Stages, Reducing The Severity Of Errors Which Is Ineluctable In Any Work. The Release Of The Book "Takhliis Alani" Calls For Reconsideration Of This Process Through Careful Tracking Of The Stages Of Scientific Investigation.

Keywords -

Atfyach, Rhetoric, Critical Edition, Apostille, Lacuna, Manuscripts.

تقديم -

لقد كان لإخراج الكتب التراثية من خلال عملية التحقيق العلمي دوراً فعالاً في دفع عملية البحث العلمي في العلوم كافة وفي العلوم اللغوية بالخصوص. وقد نال كتاب "تخليص العاني من رتبة جهل المعاني" هذه الخدمة، فخرج إلى التداول وتلقاه الباحثون بالدرس والتعليق، لكن مجموعة من الملاحظات على إخراج نصوصه تبدت من خلال تصفح النشرة الوحيدة التي حظي بها. وتسعى هذه الورقة إلى تقديم جملة من هذه الملاحظات، من خلال تعريف الكتاب ووصف نشرة تحقيقه، وكذا الدراسات السابقة عليه لتخلص في الأخير إلى نتائج تتعلق بقضايا تحقيق النصوص ونشرها، استخلصت من جملة الملاحظات على التحقيق.

تعريف كتاب "تخليص المعاني":

استطاع أحمد أطفيش أن يُنشئ مكتبة متكاملة بما أُلّف من مؤلفات في علوم متعددة تبقى ذخرا للأجيال اللاحقة. ويبرز كتاب "تخليص المعاني" في علوم البلاغة ضمن هذه المجموعة ليمثل نظرة أطفيش لقضايا علم المعاني. لم ينتظم الكتاب على أبواب مقسّمة، وإنّما كانت مادّته تحت عناوين يجرّ بعضها إلى بعض، فتحدّث عن الفصاحة وما تحتها من مسائل وقضايا كاللتّعيد والتّنافر، ثمّ أبواب الخبر والإسناد والحقيقة والمجاز وظواهر لسانيّة كالحذف والقصر والاستفهام والفصل والوصل، يبتغي جمع مادة علميّة تعليميّة تجمع بين مستويات مختلفة مراعاةً لتباين درجّات المتلقّين. لقد كان مؤلّفه الوحيد في علم المعاني، لم يعمد فيه إلى شرح متن ولم يجعله تحشّية على شرح، وإنّما جمع مادّته ونسقها من مختلف مطالعاته ودرسه لكتب هذا الفنّ الجليل.

دراسات على كتاب "تخليص المعاني":

إنّ خروج كتاب "تخليص المعاني" من هيأته المخطوطة مكنّ الباحثين من الإطلاع على مادّته، وإقامة دراسات عليه، يمكنُ عرضُ مجموعةٍ منها كما يلي:

- الشّيخ أطفيش (القطب) وعلوم البلاغة. د. محمد السعيد بن سعد المركز الجامعي - غرداية⁽¹⁾، قدّمت الورقة ضمن أعمال الملتقى الوطني الأوّل حول الشّيخ أطفيش القطب حياته وآثاره وفكره سنة 2011م.

قدّم الدّكتور مسحة حول أعمال أطفيش في علوم البلاغة (البيان المعاني، البديع) ثمّ حوّل اهتمامه للحديث عن كتاب "تخليص المعاني" من حيث الموضوع والمنهج معقبا عليه بالنّقد والتّوضيح.

- عنديّات القطب أطفيش البلاغيّة، أمحمد لقدي، جامعة الجزائر. قدّمت الورقة ضمن أعمال الملتقى الوطني الأوّل حول الشّيخ أطفيش القطب حياته وآثاره وفكره سنة 2011م.

تناول الباحث مجموعة من أقوال أطفيش البلاغيّة من خلال مجموعة من مؤلّفاته، وقد حظي كتاب "تخليص المعاني" باهتمامه، فانتقى منه ما رآه من

(1) مجلة الواحات، المركز الجامعي غرداية، ع14، أكتوبر 2011، ص389 - 399.

آراء خاصة بالمؤلف من خلال تتبع لفظة "وعندي" وخلص إلى أن أطفيش ينتبه إلى دقائق واختلافات بين الأوجه البلاغية⁽²⁾.

- جهود العلامة أطفيش في علم البلاغة، قراءة في كتابه تخلص العاني من ريقة المعاني. د (ة) فاطمة صغير ملحقة مغنية الجامعية تلمسان - الجزائر⁽³⁾. قدّمت الباحثة هذه الورقة ضمن أعمال الملتقى الدولي الثاني: العلامة أمحمد بن يوسف أطفيش الجزائري اسهاماته المعرفية وامتداداته في الجزائر والعالم سنة 2014م. تحدّثت عن مضمون الكتاب من حيث مكانته التاريخية ضمن المؤلفات الجزائرية ومن حيث أبوابه وطريقة معالجة مادته العلمية مقدّمة ملاحظات ومميّزات حول ذلك.

إنّ مجموع هذه الأعمال وإن كان كتاب "تخلص العاني" موضوعا اشتغلت عليه، إلّا أنّها اكتفت بجانب موضوعاته ومنهجها وغاب عنها البحث في تحقيق نصوصه والنظر في مخطوطاته، وهذا عين اشتغال هذه الورقة.

تحقيق كتاب "تخلص العاني من ريقة جهل المعاني"

أخرج د. محمد زمري نشره من كتاب "تخلص العاني من ريقة جهل المعاني" اعتمد فيها على نسخة المؤلف المحفوظة في خزانته بالرمز: أ- س 4. استطاع العناية بنص المؤلف بالتصحيح والتخريج وإرجاع النقول إلى أصحابها، وبجملة من الخدمات التي تقدّم عادة لنصوص المخطوطات إضافة إلى فهرس فنيّة ألحقت في آخر الكتاب. فكان عمله في مجلد من (عدد الصفحات 00) طبعته وزارة التراث والثقافة العمانيّة سنة 2009م. وفي نشره الكترونيّة للكتاب، لنفس المحقق، أدرج مجموعة من المقارنات على النصّ الأصليّ للمؤلف، من خلال اعتماد مخطوطة للكتاب بخزانة الشّيخ أحمد الخليلي بعمان بالرقم 110، استطاع من خلالها تصحيح مجموعة من النصوص وتتمّة قراءة جملة من الحواشي التي أصابها البتر والخرم بسبب سوء حفظ المخطوطة الأمّ.

(2) مجلة الواحات، المركز الجامعي غرداية، ع14، أكتوبر 2011، ص422 - 432.

(3) كتاب الملتقى الدولي الثاني: العلامة أمحمد بن يوسف أطفيش الجزائري اسهاماته المعرفية وامتداداته في الجزائر والعالم، 1/153 - 162.

لكن عمله على قيمته لم يخلُ من مزالق ترجع في أساسها إلى اعتماد نسخة واحدة من الكتاب، ثم إدراج مقارنة على نسخة ثانية، وفقت في إقامة نص الكتاب وتخليصه من الأخطاء والفرغات الناشئة عن الخروم والبت، لكن بإعادة مقارنة هذه النصوص استطعت جمع مجموعة من الملاحظات تدعو إلى إعادة إخراج جزء من الكتاب لما أصابه من تصرف وتغيير وإبهام سيتم توضيحه في خلال الورقة. وقبل التطرق إلى هذه الملاحظات ينبغي الوقوف على وصف مخطوطتين وصف نسختي مخطوط "تخليص العاني":

نسخة خزانة أحمد أفنديش رمزها "أ":

نسخة كاملة بخط المؤلف أحمد أفنديش نفسه، تتكوّن من 93 ورقة من الحجم الكبير (37 سطرا) على أوراقها ترقيم حديث بالقلم السّيال. كتبت المخطوطة بخط مغربي جميل منمّق، استعمل اللون البني لمتن الكتاب واللون الأحمر للعناوين. ضاعت جلدة الكتاب، كما أنّ جزءا معتبرا من أوراقها (من 1 إلى 29) قد أصابها قارص أو حشرة، فتلفت جملة من حواشيتها التي أضافها المؤلف بعد الانتهاء من الكتاب، وكذلك أجزاء من النص. ومن جملة ما أصيب عنوان المخطوطة نفسها وسأحدث عن ضبطه فيما يلي. لم يدوّن في النسخة تاريخ النسخ ولا مكانه.

نسخة مكتبة الشيخ أحمد الخليلي رمزها "ب":

النسخة هي الأولى ضمن مجموع من 238 صفحة. تتكوّن النسخة من 118 صفحة من الحجم الكبير (35 سطرا) بها ترقيم بالقلم الرصاص سقطت منها الصفحات (41- 44). ناسخها إبراهيم بن سليمان الشماخي، كتبت بخط نسخ مغربي. لم يكن للمخطوطة ورقة عنوان، لكن في النص ما يثبت صيغته نتعرض لها لاحقا. ولأهمية هذه النسخة في هذه الدراسة سجلت عليها مجموعة من الملاحظات فيما يتعلق بالنص:

- تجليد النسخة أتى على الأطراف اليسارية لأظهر الأوراق، وعلى الأطراف اليمينية لأوجهها، وهذا أعاق عملية قراءة الكلمات الطرفية، وذلك بمقدار كلمة أو كلمتين على الأكثر.

- احتفاظُ النُّسخة على لحاقات واستدراكاتٍ كثيرةٍ أضافها المؤلّف على هامشي النُّسخة الأصلِ أصابها الخرم، لكن بقيت سليمة في هذه النُّسخة، إذ أدخلها النَّاسُخُ داخلَ المَتْنِ.
- خلوُ النُّسخة من إضافاتٍ أضافها المؤلّف. مثلاً: لحاق بظهر الورقة الأولى على اليسار، في باب التنافر في الكلمة، وكذلك لحاق في الطرف اليساري العلوي لوجه الورقة الثانية من نفس الباب.
- هذه الملاحظات تنبئ بأنَّ المؤلّف قد أَلَفَ الكتابَ على ثلاثِ مراحل: المرحلة الأولى حين أقام النصَّ الأصليَّ للكتاب، الذي يحده الصفحات دون الاستلحاقات والاستطرادات على الهوامش، ثمَّ كان من المؤلّف أن راجع كتابه، وأضاف ما كان يراه مناسباً من تعليقات وإضافات مبيّنة للمتن الأصلي، لذلك نرى ناسخ النُّسخة الثَّانية لم يتوان في إدخال تلك الاستلحاقات بالمتن الأساس للكتاب، لتيقّنه من أنَّ المؤلّف قد رغب في ذلك، فاستدركها على هوامش الأوراق. ثمَّ إنَّ المؤلّف قد راجع كتابه مرّةً أخرى يدلُّ على ذلك غيابُ بعض الاستلحاقات عن النُّسخة الثَّانية لأنَّ النَّاسِخَ لم يتوصّل بها حين قام بالنَّسخ⁽⁴⁾.
- إنَّ الوقوف على هذا الأمر يُعدُّ من الانشغالات التي ينظرُ فيها المحقّقون لتمييز النُّسخة المسوّدة من النُّسخة المبيّضة من الكتاب، حتّى لا يقع المحقّقون في أغلاط تحقيق المسوّدات وترك المبيّضات، فإنَّ ذلك تشويّة للكتاب وزيعٌ به عن الحالة التي ارتضاها له مؤلّفه، وغاية التَّحقيق الوصولُ إلى هذه الحالة.
- أغفل المجلّد التَّرتيب الصَّحيح لبعض الأوراق، من مثل الورقة الثَّالثة إذ قلبها على وجهها، فأحال الظَّهر وجهاً.

استدراكات وتصويبات على التَّحقيق:

بالرَّغم من اعتماد المحقّق على النُّسخة الأصليّة للمؤلّف، أي النُّسخة التي كتبها المؤلّف بقلمه، إلّا أنَّ النُّسخة الثَّانية التي سبق وصفها كان لها إسهامٌ كبيرٌ في القراءة السليمة للمخطوط، وتعتبرُ المقابلة بين نسخ المخطوط بعد جمعها وترتيبها أهمُّ مراحل التَّحقيق العلميّ، والخطأ فيها يهدُّ العملية برمتها، وخاصةً الحال أنَّ النُّسخة الأصليّة بحاجةٍ إلى ترميمٍ بفعلِ الخروم التي

(4) ينظر مثلاً: "أ" [2]و.

أصابها. ومن خلال تتبعي لتحقيق الكتاب وقفت على جملة من الاستدراكات يمكن عرض مجموعة منها لأخلص في الأخير إلى نتائج تتعلق بتحقيق النسخة الفريدة ومخاطره.

عنوان الكتاب:

أثبت المحقق في غلاف النشرة عنوان: "تخليص العاني من ربة جهل المعاني" لكن النسختين الخطيتين لا تحملان ألفاظ هذا العنوان. لقد أصاب ورقة العنوان في النسخة "أ" خرم أضاع معظم مفرداته، وبقي منه فقط لفظة "تخليص". أما النسخة "ب" فقد خلت من ورقة العنوان. لكن أطفيش قد ذكر عنوان كتابه في مقدمته القصيرة على عادته. ولسوء الحظ فقد لحق الخرم آخر كلمة منه وبقيت ألفاظ: هذا تخليص العاني من ربة جهل (...)⁽⁵⁾. وفي النسخة "ب" ثبتت لفظة "المثاني"⁽⁶⁾. والأرجح أن المحقق قد أثبت العنوان مما كتب على الحافظة الورقية الملحقه بالنسخة "أ" لخلوها من التجليد⁽⁷⁾، إذ أن د. مصطفى ونتن الذي فهرس خزانة المؤلف وجرّد عناوينها قد أثبت العنوان بلفظ "المثاني"⁽⁸⁾. وقد علل المحقق إثبات هذا اللفظ في العنوان بأدائه للمعنى، ونفى عن لفظ "المثاني" تأديته لذلك⁽⁹⁾. ويبقى الجزم في الأداء الصحيح للعنوان مرتبطاً بالوثائق المسندة، إذ ليس في أيدينا ما يثبت صواب لفظة "المعاني" بمقابل لفظة "المثاني" فإن قول المحقق بثبوتها في النسخة "أ" يعوزه التدقيق.

إغفال إثبات موقع الخرم وتقديره:

وقفت على جملة من الاستدراكات على التحقيق مردها إلى خروم النسخة "أ" التي يمكن تقديرها وقراءتها استعانة بالنسخة "ب"، وهذا ما قام به المحقق، ونبه إلى ذلك بأن وضع ما قرأه من النسخة "ب" بين عارضتين. لكنّه قد سها عن مجموعة من هذه الخروم إما بعدم التنبيه عليها أصلاً وتقديرها أو بسوء قراءتها. وسأضرب على ذلك أمثلة تبين أهمية الاعتناء بهذه المسألة.

(5) أضاف المحقق لفظة "المعاني" رغم أن مكانها مخروم، ولم يُشير إلى المصدر الذي قرأها منه.

(6) لم يثبت الناسخ نقطة التاء. وليس في العربية لفظ "المثاني".

(7) كما أن معجم أعلام الإباضية قد ذكر الكتاب بإثبات لفظ "المعاني". 75/2.

(8) آراء الشيخ محمد بن يوسف أطفيش العقديّة، مصفى ونتن، ص 480.

(9) تخليص العاني، ص 60.

- "قرب المخارج أو بعدها أو الإدخال من الشفة"⁽¹⁰⁾ استلحاق وقع فيه خرم بمقدار كلمة لم يُشِرْ إليه فيكون التنبيه على نحو: "قرب المخارج أو بعدها أو [خرم] الإدخال من الشفة"⁽¹¹⁾.

- "إلى ما هو أسهل، وقد اجتمعت"⁽¹²⁾ استلحاق على ثلاثة أسطر، أصاب الجزء الأول منه خرم، لم يشِرْ إليه المحقق ولم يُقدّرْه، وقد قرأته بالاستعانة بالنسخة "ب" صوابه: "إلى ما هو أسهل، ومثله: "فسبحه" و "لا تزغ قلوبنا" بالجمع بين الغين والقاف ففي ذلك كله ثقل قليل لا يخل بالفصاحة، وقد اجتمعت"⁽¹³⁾. فانظر مقدار الضائع من النص وتفويته للمعنى.

الخطأ في القراءة:

لم يدخر المحقق جهدا في العودة إلى النسخة "ب" من أجل استكمال النص وقرأته قراءة صحيحة، لكنه قد وقع في هفوات غير قليلة يمكن التمثيل لها بما يلي:

- "فلا يخرج الكلام عن كونه عربيا إذا اللفظ العجمي معربا جيء به على طريقة العربية"⁽¹⁴⁾ النص في الأصل مخروم، وقع جبره من النسخة "ب" وصوابه: "فلا يخرج الكلام عن كونه عربيا إذا كان اللفظ العجمي اسما معربا جيء به على طريقة العربية"⁽¹⁵⁾. وعلى هذه القراءة يتضح معنى النص ويزول عنه الإبهام.

- "والعلا بالضم جمع العليا، والمراد: السموات أو أعالي [الأرض]"⁽¹⁶⁾ في الأصل استلحاق أصابه الخرم، صوابه: "والعلا بالضم والقصر جمع "العليا" والمراد جهات السماوات أو أعالي الأرض"⁽¹⁷⁾.

(10) تخليص العاني، ص3.

(11) "أ": [1ظ]. "ب": [1].

(12) تخليص العاني، ص5.

(13) "أ": [2و]. "ب": [3].

(14) تخليص العاني، ص5.

(15) "أ": [2ظ]. "ب": [3].

(16) تخليص العاني، ص6.

(17) "أ": [2ظ]. "ب": [3].

- "وابن جني معلّين [بما ورد عند ابن] سيده اقتضاء للمنقول تارة كشدة اقتضائه للفاعل" (18) في الأصل استلحاق لحقه الخرم، كان تقديره وتوجيهه غير صائب، صوابه: "وابن جني معلّين بأنّ للفعل شدة اقتضاء للمفعول تارة كشدة اقتضائه للفاعل" (19).
- "غير هذا أريد. فقال: [لا أدري] غير ذلك" (20). خرم في الأصل لم يوفق المحقّق في قراءته، صوابه: "غير هذا أريد. فقال: لا أرى غير ذلك" (21).
- "وهو كناية عن الحزن والأحبة" (22) لحاق في الأصل أصابه الخرم، لم يوفق المحقّق في قراءته، صوابه: "وهو كناية عن الحزن لفراق الأحبة" (23).
- "وإيضاح البيت أنّه أبقي على مباحثهم أي هو باعد نفسه وتحمل ذلك صابرا ليتربّ على صبره الفرح بالملاقاة. وحزن جزنا يترتب عليه البكاء" (24). لحاق أصابه الخرم لم يوفق المحقّق في قراءة بعض ألفاظه، صوابه: "وإيضاح البيت أنّه أبقي نفسه على مباحثهم أيّاه، أو هو باعد نفسه عنهم، وتحمل ذلك صابرا ليتربّ على صبره الفرح بالملاقاة. وحزن جزنا يترتب عليه البكاء" (25).
- "ثمّ يُجاء باسم آخر يضاف إلى آخر بتتابع" (26). لحاق أصابه الخرم لم يوفق المحقّق في قراءته، صوابه: "ثمّ يُجاء باسم آخر يضاف للآخر وعليه فيسقط لفظ تتابع" (27).
- "ففيه تكرير ابن الكريم والإضافة ولا عيب الإضافة في ذلك، ولا عيب التوكيد اللفظي حيث يكرر بعد ذلك مرّتين" (28). لحاق أصابه الخرم لم يوفق

(18) تخليص العاني، ص 13.

(19) "ا": [و4]. "ب": [7].

(20) تخليص العاني، ص 15.

(21) "ا": [و5]. "ب": [9].

(22) تخليص العاني، ص 24.

(23) "ا": [6ظا]. "ب": [13].

(24) تخليص العاني، ص 25.

(25) "ا": [6ظا]. "ب": [13].

(26) تخليص العاني، ص 26.

(27) "ا": [6ظا]. "ب": [14].

المحقق في قراءة بعض ألفاظه، صوابه: "ففيه تكرير ابن والكريم بالإضافة ولا عيب في ذلك، والأعيب التوكيد اللفظي حيث يكرر بعد المؤكد مرتين"⁽²⁹⁾.

- "فكل بليغ من كلام متكلم فصيح أو بعض الفصيح. والبليغ هو ما طابق مقتضى الحال من الفصيح"⁽³⁰⁾ في الأصل لحاق، أصابه الخرم، لم يوفق المحقق إلى قراءته. وأخطأ في تحديد نهاية الكلام وكذا حروف العطف، صوابه: "فكل بليغ من كلام أو متكلم فصيح، وبعض الفصيح بليغ، وهو ما طابق مقتضى الحال من الفصيح"⁽³¹⁾.

- "والفصاحة . لغة . لا تخرج عن معنى الظهور، فكل دلالة على ظهور تسمى فصاحة"⁽³²⁾ لحاق في الأصل أصابه الخرم، لم يوفق المحقق في تقديره ولم يقرأه قراءة سليمة، صوابه: "والفصاحة لغة لا تخرج عن معنى الظهور، وهي حقيقة فيه، فكل دلالة على ظهور تسمى فصاحة"⁽³³⁾.

- "فلذلك يقال: مقتضى الحال .. مهم. وهو: ذو الأحوال، فالأحوال ومقتضى على هذا [التأكيد] الظاهر من مقتضى الحال، فإنه قد يكون [.....]. وتركه مثلاً لأنه لم ينكر فيؤكد له تنزيلاً لمخاطبه منزلة المنكر، والظاهر أن لا يؤكد وكذا من حيث يجري الخالي مجرى المنكر، والمنكر مجرى الخالي لوضوح [المعنى] حتى كأنه لم ينكر فلا"⁽³⁴⁾. لحاق أصابه الخرم، اجتهد المحقق في قراءته، ولم يشير إلى المخروم مما لم يحاول قراءته، وصوابه: " فلذلك يُقال: مقتضى الحال بكسرهما، وهو: ذو الأحوال، فالأحوال على هذا التأكيد وتركه مثلاً ومقتضى الظاهر أخص من مقتضى الحال، فإنه قد يكون إخرم بمقدار كلمتين [التوكيد مثلاً لأنه لم ينكر فيؤكد له تنزيلاً لمخالفته بعلمه منزلة إخرم بمقدار كلمتين] المنكر، وهكذا فإن مقتضى الظاهر أن لا يؤكد

(28) تخلص العاني، ص 27.

(29) "ب": [7] و [14] و [15].

(30) تخلص العاني، ص 1.

(31) "ب": [1] ظا. "ب": [1].

(32) تخلص العاني، ص 1.

(33) "ب": [1] ظا. "ب": [1].

(34) تخلص العاني، ص 35.

وكذا حيث يجري الخالي مجرى المنكر، والمنكر مجرى الخالي لوضوح الأمر حتى كأنه لم ينكر فلا إخرم بمقدار كلمتين⁽³⁵⁾. ولقد أخفق المحقق في تحديد مكان اللّحاق، حيث اتّبع علامة الإلحاق رغم أن المؤلف قد عرض عنها وحوّلها إلى مكان آخر. وهذا النص رغم طوله فإنه يقدم معالجة مهمة لما يمكن أن تؤدي إليه المقابلة غير المضبوطة إلى إبهام النص وتغييب مراد المؤلف.

هناك مجموعة من الاستدراكات يمكن التّعذر لها من باب الأخطاء المطبعية، تتعلّق بسقوط حرف من الكلمة، أو تغيير مواقع الحروف فيها، ك: طبيعى⁽³⁶⁾، صوابها طبعي. و"من بعدها من غير"⁽³⁷⁾ صوابها: من بعدها أو من غير. و"وهي جفية لضعفها بجريان النفس"⁽³⁸⁾ صوابها: وهي خفية لضعفها وجريان النفس.

نتائج وخلاصات:

- بعد هذا العرض المركز على جملة من الملاحظات على تحقيق كتاب "تخليص العاني" يمكن الخلوص إلى مجموعة من النتائج كما يلي:
- ينبغي التنبّه على الكلام المبتور أو المخروم، في النسخ المنقول منها، فيعين مقدار الكلام الناقص بكلمة أو أكثر حسب المساحة المخرومة، ثم يجتهد في تتمته بما يتاح من الوسائل العلمية.
 - عدم الجسارة على النص الأصلي بالتغيير والاجتهاد، إذ ذلك يؤدي إلى التحريف على نية الإصلاح والتّصحیح، فينبغي الوقوف والتّحرّي، وإن لزم الاجتهاد في القراءة كان ذلك في الهامش.
 - تختلف درجات النصوص الملحقه بالمتن، وذلك يدعو إلى ضرورة العناية بها، وخاصة الحال أنّها من نص المؤلف، أي قد يعرج على نقول عنّت له يضيفها على الهامش، أو أنّ رأيا أو نظرا خاصاً به فتح عليه في لحظة لم يكن يتوقعها فدونه خارج النص خشية فلتة وضياعه.

(35) "أ": [8ظ]. "ب": [19].

(36) تخليص العاني، ص3.

(37) تخليص العاني، ص3.

(38) تخليص العاني، ص3.

- تمثل الطرر والهوامش المدرجة داخل سياق المتن شكلا من أشكال الإبرازة، فقد تكون نوعاً من المراجعات والاستدراكات يلحقها المؤلف بعد الانتهاء من تأليف فصول كتابه، فيعمد إلى قراءته أو إقرائه على غيره.
- إن كتاب "تخليص العاني" على أهميته العلمية والتاريخية، لا يزال بحاجة إلى عناية واهتمام، ليخرج على الهيئة التي أريدها مؤلفه عليه.
- لا تمثل هذه المراجعة استنقاصاً من جهد المحقق، فقد أظهر في مواطن متعددة شدة عنايته بالنص وضبطه لألفاظه، فيكفيه فضلاً أنه أخرج مخطوطاً مخزوناً في الرفوف إلى التداول وكتب الله أن يرى النور على يديه.
- لقد كان للمخطوطة الثانية إسهام كبير في القراءة الصحيحة للكتاب، لذلك كان من الضروري التحرز من الإقدام على تحقيق النسخ الفريدة دون استقصاء ما أمكن من نسخ المخطوط، ولأجل تفادي الهفوات القائمة على ذلك تقدم دراسات على هذا الشكل تراجع النصوص المحققة على ضوء ما استجد⁽³⁹⁾.

المصادر والمراجع -

- أمحمد بن يوسف أطفيش. تخليص العاني من ربة جهل المعاني. مخطوط بالرمز: أس4. مكتبة القطب، بلا تاريخ.
- أمحمد بن يوسف أطفيش. تخليص العاني من ربة جهل المثاني. مخطوط بالرمز: 110. مكتبة أحمد الخليلي، بلا تاريخ.
- أمحمد بن يوسف أطفيش. تخليص العاني من ربة جهل المعاني. تح: د. محمد زمري، ط1، مسقط: وزارة التراث والثقافة، 1430هـ - 2009م.
- أمحمد لقدي. "عنديا القطب أطفيش البلاغية". مجلة الواحات أكتوبر، 2011: 422 - 432.
- د (ة) فاطمة صغير. "جهود العلامة اطفيش في علم البلاغة، قراءة في كتابه تخليص العاني من ربة المعاني". كتاب الملتقى الدولي الثاني: العلامة أمحمد بن يوسف

⁽³⁹⁾ ينظر مثلاً: A magribī Copy of the Kitāb al-Faraj bad aš-Šidda, by the Irāqī qāi at-Tanūī. Study of a Manuscript of Liège University (Belgium) Élie Franssen, Journal of Islamic Manuscripts, Volume 1, Issue 1, pages 61 – 78.

- أطفيش الجزائري اسهاماته المعرفية وامتداداته في الجزائر والعالم نوفمبر، 2014: 153/1 - 162.
- محمد السعيد بن سعد. "الشيخ أطفيش (القطب) وعلوم البلاغة مقارنة في الموضوع والمنهج". مجلة الواحات أكتوبر، 2011: 389 - 399.
- محمد بن أمين الأقسهري. الروضة الفردوسية والحضرة القدسية. المحرر قاسم السامرائي. المجلد ط1. لندن: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، 1431 - 2010م.
- مصطفى بن الناصر وينتن. آراء الشيخ محمد بن يوسف أطفيش العقديّة. ط1. غرداية: جمعية التراث، 1417هـ / 1996م.
- معجم أعلام الإباضية (قسم المغرب) جمعية التراث - غرداية. برنامج الكتروني.
- Élise Franssen, A maġribī Copy of the Kitāb al-Faraj bad aš-Šidda, by the Irāqī qāī at-Tanūī. Study of a Manuscript of Liège University (Belgium), Journal of Islamic Manuscripts, Volume 1, Issue 1, pages 61 - 78.



الأبعاد الإيحائية للإيقاع الشعري قراءة في قصيدة "أقصيدي

رحمائك" للشاعر ابن سانية عبد الرحمن

بشير مولاي لخضر

قسم اللغة والأدب العربي، كلية الآداب واللغات

جامعة غرداية. الجزائر

ص ب : 455 طريق المطار غرداية 47000. الجزائر

Bachir.ossama@gmail.com

الملخص -

تحاول هذه المقاربة في ضوء القيمة المهيمنة كتجل للأدبية من جهة، وكمستوى للمقاربة والتحليل ينفرد بحضوره الطاغي في النص بالقياس إلى باقي القيم، تحاول أن تتوقف عند الإيقاع الشعري بوصفه لغة رامزة تختزل وتختزن في الوقت نفسه الكثير من الدلالات المتصلة بمكونات التجربة الشعرية، مختارة في هذه السبيل العنوان كعتبة أولى وإيقاعاته الموحية بالدلالة والبناء الشعري، والرؤيا العامة للقصيدة الأنفة الذكر. وتتكئ الدراسة في هذا المنحى على نظرية التلقي خاصة في مراهنتها على استجابة القارئ أو المتلقي متفاعلا مع البنيات النصية متعاققة ومتحاوررة فيما بينها، بعيدا عن أي شكل من أشكال الانطباعية أو الوثائقية.

كلمات مفتاحية -

إيقاع، شعر، دلالة، بناء

Suggestives Dimensions Of Poetic Rhythm Reading In The Poem " A Kassidati Ruhmaki " For Ibn Sania Abderrahmane

Summary -

This Study Attempts In The Light Of The Dominant Value As A Manifestation Of Literality On One Side, And As Access To The Approach And Analysis Of Another, Distinguished Essentially By Its Massive Presence Vis-A-Vis Others. Values; The Study In Question Attempts To Approach The Poetic Rhythm As A Symbolic Language Which Consists And Includes At The Same Time Several And Various Meanings Related To The Constituents Of The Poetic Experience By Choosing In This Course The Title Of The Text As The First Threshold By Supposing Its Allusions Related To The Meaning, The Structure And The General Vision Of The Poem Mentioned Above.

The Study Also Draws On His Debate On The Radical Principle Of Reception Theory Marked By The Presence Of The Reader And Its Effectiveness In Inspiring Textual Structures In Their Interaction, Far From Any Form Of Impressionism Or Documentation.

Key Words -

(Inspiration - Rhythm-Meaning-Construction)

توطئة -

لعل المتابع لحركة التجديد التي عرفها العصر العباسي وارتبطت بفض الشعر خاصة لا يملك إلا أن يصفها بأنها كانت حركة شمولية من حيث أنها مست المعاني والصور والأخيلة والموضوعات، والأغراض الشعرية أحياناً، كما طمحت إلى استحداث أوزان جديدة تتناسب مع الموضوعات الجديدة وإيقاع الحياة المغاير لما سبقه، وهو المتسم بالخفة والسهولة معبرة بذلك عن فلسفة في الفن والحياة معا. وإذا خصصنا بالحديث عناية هؤلاء بالتجديد في الأوزان والقوافي أمكن أن نلاحظ حجم ذلك التطوير ومساحاته، سواء تعلق الأمر بأوزان هي في أصلها مما كان مهماً في الدوائر العروضية، أو هي مما استحدثت ولم يكن له أصل فيها.

إلى هنا يسوغ التساؤل عن مشروعية التجديد ومعاييرها؛ من حيث أن النقد الأدبي الحديث والمعاصر كليهما من شأنهما أن يعولا على تلك التجارب التجديدية السابقة في التراث، وأن يتخذا منها برهانا ساطعا على أحقية كل جيل في إثراء صرح الشعر العربي وإغنائه بالقيم الجمالية والتشكيلية التي تستجيب لذوق العصر وتتفاعل مع ميوله واتجاهاته.

وعلى ذلك فلا وصاية على النقد الأدبي في تبديد الطريق والتأسيس لمنظورات جمالية، احتكم في ذلك إلى تجربة المناقضة والانفتاح على الآداب العالمية، أم أسس لطرح رائد من خلال قراءة التراث ومساءلته.

ويدعم فكرة الإثراء والتطوير انطلاقا من الروافد الأجنبية العالمية مسألة الشرط الحضاري، من حيث أن البيئة العربية اليوم بيئة مستقبلية مستهلكة في مختلف مجالات حياتها، تتذوق بذوق الآخر (وتتحلى بحلاه)- بتعبير ميخائيل نعيمة- فما بال الناعين على الحداثة والتحديث يتغاضون عن موقعهم الاستهلاكي في سائر الشؤون ولا يطيب لهم أن يصطفوا في خندق الأصالة إلا حين يتعلق الأمر بالأدب والنقد والشعر؟

توكيدا على فاعلية القارئ في التمثل، وتنويعا بأصالة معمار القصيدة العربية التقليدية وقيمها الفنية والتشكيلية، وخصوبتها وغناها ودفاعا عن فكرة "التمثل" سعت هذه المقالة إلى التوقف عند البنية الإيقاعية للقصيدة العربية ودلالاتها الإيحائية على مستوى المضمون والبناء الشعري، وذلك من خلال التمثل لتجربة شعرية جسدتها قصيدة "أقصيدي رحماك" للشاعر الجزائري ابن سانية عبد الرحمن. وقد عالجت فيها موقع كل من الوزن والقافية، بل الزحافات والعلل في الإيحاء بدلالات تتصل بالبناء الشعري من جهة، وبمضمون التجربة من جهة أخرى.

بنية العنوان الإيقاعية وعلاقتها بالبناء الشعري:

"أقصيدي رحماك..."

هذا العنوان الذي نقدر فيه انفتاحا دلاليا وأهلية للمقاربة التناصية، من خلال ما يمكن أن يستدعيه من نصوص غائبة، نشعر بأنه ممتاز بثرائه وطاقته

الإيحائية التي لا تنفذ، والتي لا يبدو أنها تنحصر في الحدود الدلالية فحسب، ولكنها تتجاوز ذلك إلى المستوى الأسلوبي والبنائي نفسه للنص.

كثيرة هي تلك العبارات التي تُجتزأ من المتن الشعري وتُتخذ عنواناً للقصيدة، دون أدنى تحوير يطالها، وفي مثل تلك الحالة لا يُستغرب أن تحافظ على بنائها الإيقاعي، وتلك العبارات لا تشرح لهذه الغاية مراعاة لجانب إيقاعي، وإن كان معتبرا، ولكن لمعيار دلالي أيضا يُكثف التجربة ويُلخصها بتركيز، أو هو يُلقي الضوء مهما كان خافتا على جانب أساسي فيها، هذا إن لم يُلخصها تلخيصا مقتدرا وفذا...

غير أن العنوان "أقصيدي رحماك" لا يمثل كليا ذلك الصنيع... إنه منزلة بين المنزلتين كما يقول المعتزلة، فإذا كانت "أقصيدي" مجتزأة من بداية البيت الأخير، فإن "رحماك" تنتم له ومن خارجه وإن ظلت وثيقة الصلة بالتجربة ككل. ومع هذا القدر، فقد استطاع العنوان أن يحافظ إلى حد بعيد على الإيقاع الخارجي المعتمد في القصيدة، إن "أقصيدي رحماك" تكافئ في وزنها: مُتَفَاعِلُنْ / مُتَفَاعِلُنْ

0/0/0/ 0//0///

بورود التفعيلة الأولى سالمة، ومكافأة التفعيلة الثانية لمُتَفَاعِلْ المضمر المقطوعة بتقدير زحاف "الإضمار" وهو تسكين الثاني المتحرك وعلّة بالنقص هي القطع المتحققة بحذف ساكن التودد المجموع وإسكان ما قبله¹ طرأت على التفعيلة الثانية فانتقلت من متفاعِلنْ إلى متفاعِلْ لتؤول إلى فعلاتنْ.

وما يجب أن يراعى في هذا المقام هو أن هذه العلّة (القطع)، إنما تلحق الضرب في الكامل، أي إنها لا تطال العروض ولا الحشو، فهي متصلة بآخر البيت لا بوسطه ولا بأوله... والسؤال المتبادر: أيمن لثل هذا الملمح في العنوان وبنيته الإيقاعية أن يوحي بدلالة خاصة لها تجليها في دلالة القصيدة وبناء النص؟

1 العروض العربي ومحاولة التطور التجديد فيه، فوزي سعد عيسى، دار المعرفة الجامعية، 1998، ص: 26، 29.

إذا راعينا أصوات المقطع الأول من العنوان، "أقصيديتي" والتفعيلة الأولى بالتبعية عبر متحركاتها وسواكنها:

أقصيديتي

0//0///

متفاعلن

أمكن أن يُلاحظ توالي ثلاثة متحركات يليهما ساكن ، ثم متحركان يليهما ساكن. أما المقطع الثاني والتفعيلة الثانية: (رُحْمَاك) والتي تترجم عروضيا بـ:

رُحْمَاكِي

0/0/0/

مُتفاعل = فعلاتن

فإنها وعلى خلاف الأولى تنبني على ثلاثة متحركات يلي كل واحد منها ساكن

وبالمقارنة بين المقطعين، يُلاحظ بوضوح كيف أن مساحة الساكن الذي يمثل فسحة للامتداد والانطلاق تبدو أوفر في المقطع الثاني، إن الساكن الذي يقابل ألف متفاعلن يبدو محاصرا بثلاثة متحركات في البداية وبمتحركين في النهاية. وبذلك يتقلص المدى وتضيق حدود الحركة... إن بنية "أقصيديتي" فيما يبدو تعكس صراعا يتفعل فيه حرف المد من قبضة المتحركات و ذلك يُمثل بمعنى من المعاني: حالة للحصار والتمرد في الوقت نفسه!

الموسيقى الداخلية للمقطعين: أقصيديتي/ رحماك...

وإذا ما انتقلنا بعد هذا إلى الموسيقى الداخلية للعنوان ، فإنه يمكن بوضوح الانتباه إلى الألف والقاف والياء، والذال التي تعقب الياء، ثم الياء أخيرا وتلك الحروف كلها حروف مجهورة لها جلبة وجرس قوي، وقد تحقق لها الحضور في المقطع الأول من العنوان، فهل كان ذلك صدى وترجمة لعراك داخلي في وجدان الشاعر تنعكس معاملة في علاقته بمحيطه وصراعه معه، في علاقة الشد والجذب، والضغط والرفض، بين ذكريات الأمس والماضي وحقائق الحاضر؟

ويبدو أن تلك الثورة والصخب، وأصداء العراك والصراع تتلاشى في المقطع الثاني "رحماك" فنعاين في البداية شيئاً من انطلاق: بتوالي لسواكن بعد متحركات، والأبعد من هذا على مستوى الموسيقى الداخلية اختفاء تلك الأصوات السابقة (الألف المفتوحة القاف و الدال). لنقف على الراء والميم (ضما وفتحاً) على الترتيب وهما حرفان مجهوران، ثم والحاء والكاف المهموسين (سكوناً وفتحاً)، وألف المد قبل الكاف، والياء العروضية بعدها: الراء المضمومة، والضمة تالية للكسرة في القوة، وهي حرف يتصف بالانحراف والتكرير صفاتها : متوسطة - مجهورة - مستقلة - منفحة.

الحاء الساكنة، والسكون أضعف الحركات (إملائياً)، وتمتاز الحاء بأنها رخوة - مهموسة - مستقلة - منفحة.

أما الميم فمفتوحة - والفتحة ثالث الحركات رتبة - فموصوفة بأنها متوسطة - مجهورة - مستقلة - منفحة - لا يكتمل صوتها إلا بالغنة.

والكاف المكسورة أخيراً، والكسرة أقوى الحركات، وتمتاز الكاف بأنها من أقصى اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى من المنطقة الصلبة والرخوة معاً، أسفل مخرج القاف قليلاً، فهي أقرب لمقدمة الضم.

صفاتها : شديدة - مهموسة - مستقلة - منفحة.

تري هل مثل الاختيار نوعاً من إعادة التوازن للتوتر الذي شهده المقطع الأول؟ وذلك عن طريق إعادة التوزيع؟ بحيث يتحقق نوع من التناسب بين صفة الحرف ومخرجه وحركته؟ في مقابل حروف المقطع الأول أو بعضها على الأقل؟

الحرف في المقطع الثاني	مخرجه	صفاته	مقابله في المقطع الأول	مخرجه	صفاته
رُ	طرف اللسان من جهة ظهره ، وما يحاذيه من لثة الشنيتين العلويتين بالقرب من مخرج النون ولكن أدخل منه قليلا.	متوسطة مجهورة مستفلة منفتحة	دُ	ظهر طرف اللسان العريض وما يحاذيه من غار الحنك الأعلى ، مما يلي أصول الشايات العليا بالقرب من نطع الفم	شديدة مجهورة مستفلة منفتحة
خُ	وسط الحلق	رخوة مهموسة مستفلة منفتحة	أُ	أقصى الحلق	شديدة مجهورة مستفلة منفتحة.
مُ	باطن الشفة العليا مع باطن الشفة السفلى بانطباقيهما..	متوسطة مجهورة مستفلة منفتحة لا يكتمل صوتها إلا بالغنة.	/	/	/
أُ(ساكنة)	أقصى الحلق	شديدة مجهورة مستفلة منفتحة	أُ(مفتوحة)	أقصى الحلق	شديدة مجهورة مستفلة منفتحة
كُ	أقصى اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى من المنطقة الصلبة والرخوة معا ، أسفل مخرج القاف قليلا ، فهي أقرب لمقدمة الفم.	شديدة مهموسة مستفلة منفتحة	قُ	من أقصى اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى من المنطقة الرخوة ، بالقرب من اللهاة	شديدة مجهورة مستعلية منفتحة مقلقلة

لقد راعينا في هذه المقابلة أن يكون الحرفان من نفس المخرج أو من مخرجين متقاربين أو متقابلين، ثم حركة كل حرف على حدة ودرجة تلك الحركة وأثرها في التقابل، إن الوظيفة المنوطة بحروف المقطع الثاني - بالنظر إلى مزاياها وخصائصها - أن تصنع التوازن وتخفف من حدة التوتر المشاهد في المقطع الأول، وكمثال على ذلك يمكن أن نتوقف مثلاً عند :
(رُ#د):

الراء: متوسطة(-) (مجهورة(+)) مستفلة (-) (منفتحة(+)) مضمومة(+)
#الذال شديدة(+)) مجهورة(+)) مستفلة(-) (منفتحة(+)) مفتوحة(-) ()
(الكاف#لقاف): إنهما من نفس المخرج ولكن:

اللقاف مجهورة(+)) مستعلية(+)) شديدة(+)) منفتحة(+)) مفتوحة(-) () #
الكاف مهموسة(-) () مستفلة(-) (منفتحة(+)) مكسورة(+)).

إننا أمام تناسب أقل هذه المرة، ولكننا مع ذلك لا نعدم حضوره كلياً. و ما يعوض باقي الصفات في حروف المقطع الثاني يتمثل في إضعاف حدة التوتر الذي كان يحدثه توالي المتحركات في المقطع الأول، وبذلك الصورة يتحقق قدر من التناسب، لا يصل في قوته ومداه إلى مرتبة المضاهاة ولكنه يعبر عن الحضور في المواجهة بدل الاستسلام الكلي.

ويبقى أن نجدد تساؤلنا عما إذا كان هذا النسق الذي أوحى به البنية الإيقاعية والموسيقى الداخلية للعنوان قد امتد أثره على مستوى بناء القصيدة؟ أي إن حالة الحصار التي عكستها (متفاعِلن) كمقطع أول في العنوان مع ما يترأى فيها من محاولة تفلت قد تجسدت في البناء الشعري للنص، لتغدو(متفاعل =فعلاتن) حالة حلمية تعبر عن الواقع المستقبلي البديل والمناقض في مضمونه ومشاهده للواقع الأول(متفاعلن).

بناء النص :

1 - 1 (مُتَفٍّ) والأبيات من 1 إلى 4

حتى متى يزداد ليلك طـولا يفني الحبيب ترقبا وذهولا
يا أيها الشمس البعيدة هل ترى تهدين طيفا في الظلام جميلا
طال الترقب و الجوانح هدها أمل يزيد مع البعاد نحولا
أمل كضوء الشهب يولد بغتة يغري ولكن لا يعيش طويلا²
حين ننظر في بناء هذه القصيدة نشعر أنها تتألف من أربع وحدات
تترابط فيما بينها ترابطا عضويا مجسدة تناميا للتجربة الشعرية ومعبرة
في الوقت نفسه عن الرؤية والموقف.

تتألف الوحدة الأولى والمناظرة للجزء (مُتَفٍّ) في البنية الإيقاعية
للعنوان من الأبيات الأربعة الأولى، وتاما كما مثلت (متف) طرف الحصار
الأول على (الألف) في تلك البنية، فإن هذا الشق من النص ممثلا الحاضر
يجسد طرف حصار أول لزمن آخر وقيم أخرى:

الحاضر في هذه الوحدة والمحطة معا، ليس مجرد زمن يجثم ويطول
فقط، ولكنه موضوع أيضا، هو بطوله يفني الحبيب ترقبا وذهولا، هو يفنيه
ما دام يقوم حاجزا بينه وبين شمس، ويمنع وصائلهما. كان الليل أبدا ستر
العاشقين، حليفا يفرعون إليه ويتدرعون بسجفه [البسيط]

أزورهم وسواد الليل يشفع لي وأنثني وبياض الصبح يغري بي³
وقبل ذلك كانت الليلة العمرية، التي نعم فيها عمر من "نعم" بوصال
عذب لذيد بعد أن غاب قمير وروح رعيان ونوم سهر: [الطويل]
وغاب قمير كنت أرجو غيوبه وروح رعيان ونوم سهر⁴

2 ديوان حبو على أعتاب مملكة الشعر، بن سانية عبد الرحمن، مطبعة صبحي، متليلي،
الجزائر، 2012، ص:9

3 العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب، الشيخ ناصيف اليازجي، دار صادر بيروت، ط2،
1431 هـ - 2010 مج2، ص: 307 .

غير أن ليل الشاعر في هذه القصيدة لا يمثل شفيعا ولا حليفا، إنه على العكس من ذلك يذيب الحبيب، ويحجب عنه شمسها التي يتلهف عليها في وله صوفي، ويتمنى عليها لو دلت على الحياة منها فتعطفت وأهدته من كيائها طيفا يخترق تلك الحجب به يتبلغ ويقوى على مصاولة هذا الليل البارد، تماما كما يتزود العاشق الولهان من إلهه بنظرة حانية تزرع في النفس أملا على الرغم من يقينه بأن (السفر طويل والعقبة كؤود و الزاد قليل)؛ ومع ذلك فليل الشاعر ماض في تعذيب ضحيته وأسيره، لأن ترقبه طال، وقد هدّ الجوانح أمل ازداد نحولا بمرور الأيام، وطول الفراق: أمل كان يغذيه إيمان يتعالى على الحاضر في جبروته، ولكنه مع ذلك يخفت ويخبو، إذ ليس في الأفق من قبسات يستضيء بها، ولا من زاد ليقنات به، فلا يلبث أن يتهاوى كشهاب أضاء فجأة ثم انطفأ.

وما يلفت في نطاق هذا المقطع على صعيد أفقي يلحظ في ملمح الفاعلية التي يتجلى بها "الليل" (متف) :هو يزداد طولاً ويُفني الحبيب ترقبا وذهولا، يقابل ذلك مفعولية تطل وجدان الشاعر وتنعكس في أمله الضعيف المحاصر تشي بها كل تلك المواقف التصويرية التي عبرت عن العجز الذي يكاد أن يتراءى مطلقا، وأوحت على نحو ما بالنضال "العبي" والصمود "الغر" الذي يطاول قوة عاتية: فالجوانح هدها الأمل "الكاذب" الذي يزداد مع الأيام نحولا، والأمل نفسه قصير يظهر فجأة ثم لا يلبث أن يتبخر، لا يعدو أن يكون كشهاب يضيء فيغري ولكنه يخبو وينطفئ ليخلف الخيبة والحسرات.

2 الكامل في اللغة والأدب، ج 2، محمد بن يزيد المبرد، أبو العباس (المتوفى: 285هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي - القاهرة 1417 هـ - 1997 م - ، ط2، ص: 183 .

2 - 1 (...آ....) والأبيات من 5 إلى 11:

عودي أيا أمل الضلوع وعانقي
عودي إلى الربيع الجميل وغردي
طيري إلى رحب الفضاء وقلّدي
وتسللي مثل النسيم عشية مترنما بين الزهــــــــــــور عليلًا

ها أقدمي مثل الربيع وأرسلني
ها غيّمي مثل الربيع وبلىي
ها أرجعي زمن القرى لمدائني
فالسَّعد عن مدني يشد رحيلا

في وقفتنا مع البنية الإيقاعية لـ (متفاعِلن) وإيحاءاتها الدلائلية المتصلة ببناء القصيدة ، وموضوع التجربة القائم على الحصار والتمرد و التفلت، كنا قد أشرنا إلى موقع الساكن بين المتحركات، والساكن الأول هنا هو الألف اللينة ، إنه يتوسط عددا من المتحركات لا لتحميه ولا لتؤازره وتمنع سقوطه، إنها على خلاف ذلك تحيط به محاصرة ، وكما اختلفت هذه الألف اللينة عن (مُتَفٍّ) و(عُلِّ) في الصورة والحركة، فأنكرناها ، فإن المقطع الثاني من 5 إلى 11 يشخّص الحالة السابقة نفسها، إنه حالة نوعية مختلفة عما سبقها وما يلحقها كما سنرى... (...آ....) النصية هنا تمثل حالة للاختراق والتفلت و التمرد، فالشاعر يتصل بشمسهِ ويناجيها ويستدعيها، يستنجد بها عساها تدركه، لتستبقي الحياة المستكنة في أعماقه وتبعثها من جديد، يدعوها بأفعال تحمل كلها معاني الحياة والحركة والحرية والانطلاق(عودي، طيري، تسللي ، أقدمي، أرسلني، غيّمي، أرجعي)، وبذلك يتجلى هذا المقطع معادلا للألف اللينة التي يمتد معها النفس، وتمنح بعضا من الراحة، وتلك الشمس بهاتيكَ الملامح تشخص كما ذكرنا معادلا حقيقيا لرغبة الشاعر في الخلاص والتحرر من إسار حاضره وحضاره له.

5ديوان حبو على أعتاب مملكة الشعر، ص:9

ولأن الموقف الشعوري هنا قائم على التجاوز والاختراق الذي كسر الحواجز والمسافات، وعبر عن تمثّل واستحضار لواقع جديد ونقيض للمعيش، فإن تلك المفعولية وذلك الغياب اللذين عايناهما سابقا يصوغهما الوجدان الجديد حضورا وفاعلية تحيل الليل ضياء والشتاء ربيعاً مشرقاً تملأه شمس الشاعر دفناً وتغريداً باللحن العذب على الغصون، وطيراناً في رحب الفضاء في محاكاة للفرش صعوداً ونزولاً... على نحو يُمارس فيه التغيير وتُرجع فيه الأشياء إلى طبيعتها وأصلها قبل أن يمتنّى الربع بالنكسة... لقد غاب الليل غياباً كلياً في هذه المناجاة والسفرة التي حملت الشاعر ووجدانه بعيداً، وكأنما هو التحم بذلك المشهد بصورة جعلته يعيشه كما لو أنه الحاضر وليس الحلم، ولا نكاد نستفيق من جديد على حرج الموقف إلا في آخر هذا المقطع حين يلفت الشاعر "شمسه" إلى ضرورة أن تعجل (فترجع زمن القرى إلى مدائنه لأن السعد يوشك أن يفارقها)، كان ذلك أشبه بلحظات لقاء عاشقين بعد طول فراق ومكابدة نعماً فيها بأنس اللقاء وذهلاً عن كل شيء، ليلفت العاشق الفارس حبيبته إلى جرح غائر تتدفق منه الدماء جهد أن يكتمه ولكنه أبى إلا أن يعكر صفو اللقاء وبهجته!

وقد نجح الشاعر في توظيف نهاية هذا المقطع (الحلم) كتمهيد للمشهد الموالي له، والذي يجسد كما ألفتنا سابقاً حركة ارتدادية إلى الماضي نفسياً ووجدانياً وإلى الحاضر رياضياً وموضوعياً.

3- 1 (.....عل...) والأبيات من 12 إلى 18 :

في زيف هذا الحاضر ضاعت مهجتي وفقدت فيه شهامة وأصولاً
وفقدت طعم الأكل حين أذوقه بل صرت أكل عادة وفضولاً
وفقدت لحناً صافياً يسري إلى شُعْبِ الفؤاد فيفتح المجهولاً
وبراءة الألوان في قسماتنا كانت على العزّ المهيب دليلاً
وتدوّقُ الكلمات دون خلاعة صارت تمهد للغناء قبُولاً

حُكْمُ العيون اليوم يسلب سمعنا بمجونه عرشا بناه جليلا6
 في حركة نفسية يتحقق معها معنى الارتداد، وترتسم فيها معالم
 للسرد القائم على التداعي، مضاهيا الإخراج السينمائي حين يكسر رتابة
 الحكمة التقليدية فيتنقل عبر الزمن من خلال "فلاشات" وومضات
 دالة...عبر هذا القبيل من الحركة يرتد النص إلى الحاضر بعد سفره في
 زمن الحلم، وتماما كما أطبقت (عل...) الحصار على (أ) في
 التفعيلة (متفاعلن)، فإن (عل...)النصية أي المقطع من (11 إلى 18) وبموقعه
 ترتيبا في تطور التجربة الشعرية يمارس نفس الضغط والحصار على (أ)
 النصية في القصيدة والتي كانت مجالا للحلم والانطلاق ... يتجدد هذا
 الارتداد إلى الحاضر ليكرس وعيا بحضوره وقوته وأثره في تجذر الاغتراب
 ولينوه أيضا بفداحة ما خلفه من تشويه...

لقد كان البيت 11 من (أ) النصية بؤرة دلالية رئيسة في هذه التجربة
 حين كشف عن مصدر المأساة وتبعاتها العميقة، تحقق ذلك حين التمس
 الشاعر من "شمسه" أن ترجع زمن القرى إلى مدائه" ومع أن لهذا البيت
 بنية عميقة في ارتباطه بشمس الشاعر الرمزية، إلا أن ما يعيننا في هذا
 المقام إنما هو أن نوه بقيمة فنية أخرى لهذا البيت من موقعه في البناء
 الشعري ككل، فقيمته لا تتجلى موضوعية بحثة من خلال إفصاحه كما
 ألفتنا سابقا إلى جذور معاناة الشاعر، بقدر ما أنه يمثل جسرا وحلقة
 حققت الترابط العضوي للنص، بتمهيده لرسم تفاصيل المشهد، إنه بعبارة
 مجازية ومن موقع الملاءمة مع الطابع السردى القائم على التداعي الذي
 تتداخل فيه الأزمنة أشبه شيء "ببوابة السفر عبر الزمن" كما يقدمها
 الخيال العلمي.

على أن القيمة الوظيفية لهذا المقطع في سياق التقابلات، ومن منطلق
 تمثيله لـ"عل..." النصية، إنما تتجسد بشكل خاص من خلال الارتداد إلى

6 ديوان حبو على أعتاب مملكة الشعر، ص: 9، 10 .

الحاضر / المرفوض والذي يرادف في واقع الأمر حالة انكسار وانتكاس ، وحيزا وجوديا تضيق فيه الحركة وتكتم فيه الأنفاس، وتلك الحالة تشخص بدءا من البيت 12 :

في زيف هذا العصر ضاعت مهجتي وفقدت فيه شهامة وأصولا
الطابع الاستعراضي الذي أوحى بها أفعال الفقد: ضاعت -
فقدت (المكررة ثلاث مرات) - يسلب" عبّر عن انتكاسة ضاعت معها بها
بهجة اللقاء الحلمى مع الشمس، التي تمثلها الشاعر تنطلق دونما حدود ،
بل إنها لتتجلى متعالية عن الهوية والأنية والأينية :فهي المغردة للحن
الجميل، الطائرة في رحب الفضاء تحاكي الفراش... المتسللة نسيما، و
ربيعا يشرق ويبشر بالحياة، وديمة تهمل لتمنح الخصب والنماء وقبل ذلك
الحياة... وهي الفارس المنقذ الذي يطيح بصروح الزيف ويفك عن القرية
طلاسم السحر ، ويزيح عنها أوصاب اللعنة، وكأنما هي "أديب" الذي ينهي
حصار "فينيكس" ... تلك الغفلة المختلسة، وذاك الوصال ، زحفت
عليه(عل)، فمحته أو كادت، لتتجدد المراثية بكل تفاصيلها المؤلمة
والمفجعة. وليتجدد معها الحصار المطبق.

4 - 1 (.....ن) والبيت الأخير 19:

أقصيديتي عودي فديتك إنني من غير رُوحك لا أعيش طويلا⁷
قد لا نكون مغالين بعد كل أشواط هذه المقاربة لتجليات البنية
الإيقاعية للعنوان والتفعيلة "متفاعِلن" في البناء الشعري للقصيدة، أن
نواصل بنفس النهج ، مقدّرين أن النون الساكنة في آخر متفاعِلن يترجمها
نصيا البيت الأخير، لا باعتبار عددي بطبيعة الحال، إذ لم يكن عدد الأبيات
مقياسا معتبرا في هذه المقاربة، ولا من حيث أن الساكن (ن) جزء مادي من
تفعيلة كما أن البيت جزء من القصيدة، إن النون الساكنة من متفاعِلن
معتبرة بمراعاة موقعها المضاهي لموقع آخر بيت وبعدها الإيحائي الذي

⁷ ديوان حبو على أعتاب مملكة الشعر، ص: 10 .

يرادف معنى الانفساح والتفتت من قبضة ووطأة المتحركات التي مارست الحصار، فالشاعر يتخلص من القبضة ويرسل نداء أخيراً . مهما كان خافتاً وضعيفاً . إلى شمسهِ، ملفتاً إلى مكانها من نفسه ، وهو الذي لا يتهياً له من غير رُوْحها أن يعيش طويلاً.... ولعل هذا الصوت الواهن وهذا النفس القصير في تلك الصرخة أن يكون بالفعل قد تناسب مع رتبة السكون بالقياس إلى غيره من الحركات.

2- 1 رحماك والقافية :

القافية هي المقطع المحصور" بين الساكنين اللذين في آخر البيت مع ما بينهما من الحروف المتحركة ، ومع المتحرك الذي قبل الساكن الأول .وهو تعريف الخليل"8.ولست أريد أن أخوض مع القارئ في تفصيلات القافية وحروفها وأنواعها... إلا بقدر ما يعني على استجلاء موقع "رحماك" منها على صعيد صيغتها الموسيقية قبل مؤداها المعنوي.

استشعرنا موقعا من البناء الشعري للتفعيلة متفاععلن بنية إيقاعية للجزء الأول من العنوان "أقصيدي" ، وقدرنا في جزئه الثاني "رحماك" حالة حلمية تعبر عن الرغبة في التحرر والخلص، وقد بدا أن "رحماك" =فعالتن = 0/0/0/ بتناسب متحركاتها وسواكنها لا تجد صداها في البناء الشعري على نحو ما استجليناه في "أقصيدي" متفاععلن = 0//0// التي عبرت عن معنى الحصار والتفتت. بقدر ما تجد هذا الصدى في المجال الموسيقي للنص. الكامل الأول هو:

متفاععلن متفاععلن متفاععلن

ولكن حين نعاين الكامل في هذه القصيدة نلاحظ أنه لم يأت من الضرب الأول التام الصحيح، ولكنه جاء من الضرب الثاني المقطوع ، وهو الذي تصير فيه متفاععلن إلى متفاعل وتحول إلى فعالتن، ومثاله:

موسيقى الشعر بين الاتباع والابتداء، صلاح شعبان، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ص: 276. 8.

من ذا يعيرك عينه تبكي بها أرأيت عينا للبكاء تعار⁹
فالضرب هنا هو "ء تُعار" والقافية هي "عارو".
وقد يستهويننا هذا الميل من الشاعر إلى الضرب المقطوع بدل الضرب
الصحيح ، ويغرينا باستجلاء دلالة وإيحائه في ارتباطه بالعنوان.
لقد التزم الشاعر هذا الضرب من الكامل ، وهو المنوط به، لأن القطع
من علل النقص، وحكم العلة أنها "لا تقع أصالة إلا في
العروض...والضرب....وأنها إذا عرضت لزمّت، فلا يباح للشاعر أن يتخلّى
عنها في باقي القصيدة"¹⁰.

ويمكن أن يلاحظ على صعيد آخر أن قافية القصيدة هي من نوع
المتواتر" وهي كل قافية بين ساكنيها حركة واحدة"¹¹ وهذا الاختيار في
تقديرنا يوحي بالجنوح المطلق للتححر والانطلاق في مقابل كل أنواع
القافية الأخرى: المتكاوس ، المتراكب، المتدارك، بل إن المتواتر هنا يبدو
أكثر مناسبة حتى من قافية المترادف و هي القافية التي التقى
ساكنها.ومن هنا تتجلى جمالية الانزياح الإيقاعي على مستوى القافية
بحيث يترسخ معه معنى الأسلوب في مقابل نموذج المعيار في صورته
النموزجية (متفاعِلن).

إذا استعدنا البنية الإيقاعية لرحمائك مجدداً تحصلنا على:

رُحْمَاكِي

0/0/0/

مُتَّفَاعِلٌ ⇔ فِعْلَاتُنْ

9 أهدى سبيل إلى علم الخليل العروض والقافية، مصطفى محمود، دار الفكر العربي
للطباعة والنشر،

بيروت، لبنان، ط1، 1997، ص: 38

المرجع نفسه ، ص: 14. 10.

11 المرجع نفسه، ص: 92 .

"رحماكي" بتتابع متحركاتها وسواكنها ، كما نوهنا بذلك سابقا أكثر انفساحا و أوسع وأرحب للحركة والانطلاق من متفاعلين، وثلاثاها "ماكي" يجانسان إيقاعيا قواي في هذه القصيدة (فاعل = فعلنْ).

ماكي = ذ(هولا) ، ج(ميلا) ، ذ(حولا) ، ط(ويلا) ، ح(قولا) ، أ(صيلا) ... إلخ
فهل مثل هذا العدول عن ضرب الكامل الأول إلى ضربه الثاني المقطوع
مظهر سعي لكسر حصار "متفاعلين التامة"؟

إن علة القطع تتحقق بحذف ساكن الوجد المجموع في متفاعلين وإسكان ما قبله لتصبح متفاعلٌ وهو ما يترتب عنه تراجع في قوة المتحركات بحيث يغدو الوجد ثنائيا بمتحرك وساكن : 0/ بعد أن كان ثلاثيا بمتحركين وساكن : 0// وهو ما يراصد تجسيدا للمقاومة وكسر الحصار، وقد تكرر هذا الصنيع 19 مرة محققا نسبة 20.52 %.

زحاف الإضمار في القصيدة:

كان يمكن أن يلزم الشاعر نفسه بما لا يلزم، فيلتزم الإضمار (وهو زحاف لا علة) والقطع بحذف ساكن الوجد المجموع في متفاعلين فتصير (متفاعلٌ) لتكافئ إيقاعيا رحماكي، نظير قول الشاعر: [الكامل]

نرف البكاء دموع عينك فاستعر عينا لغيرك دمعها مدراً 12

وهو ما لم يحدث في الضرب، ولكن الذي حدث هو زحاف الإضمار أي إسكان الثاني المتحرك من متفاعلين الذي فشا وشاع مرار في الحشو.

لقد مارست "متفاعلين" بنائيا الحصار في الاتجاه العمودي، ويبدو، أن (متفاعلين) . ، قد انتهكت عموديا وأفقيا. حرمة الحصار الذي "أقرته" متفاعلين

إضمـار	إضمـار
.....عروض	عروض
ضرب.....	حشو
حشو	حشو

لقد تكررت "متفاعلين" التي طالها الإضمار 12 مرة في أول الحشو في الاتجاه العمودي ، عبر 12 بيتا من مجموع 19 بيتا وهو ما يمثل نسبة 62.96 % من مجموع 108 تفعيلات

أما في الاتجاه الأفقي بمراعاة التفعيلة الثانية من حشو الشطر الأول، والتفعيلتين الأولىين من حشو الشطر الثاني عبر القصيدة كلها، فقد تكررت "متفاعلين" المضمرة، 36 مرة لتحقيق نسبة 33% من مجموع تفعيلات النص البالغ عددها 108 . وإذا جمعنا كسر الحصار عن طريق الإضمار وعن طريق علة القطع تحصلنا : $20.52 + 33\% + 12 = 65.52$.

فهل يصح لنا الزعم بأن القطع في متفاعل؛ والإضمار الذي انعكس في "متفاعلين" قد امتد إلى إيقاع القصيدة في الاتجاه الأفقي أيضا ليكسر ويخفف من حدة الحصار الذي أحاطت به "متفاعلين" النص في مساره عموديا؟ ولعل ذلك إن ثبت أن يجعلنا نستحضر في الزحافات والعلل أدوات ووسائل في التشكيل تمنح النص بعدا جماليا وتضطلع بوظيفة إيحائية بدل الاقتصار عليها تغييرات تلحق الأسباب والأوتاد لإقامة الوزن.

في ضوء ما سبق نحسب أن العنوان "أقصيدي رحماك" بجانبه البنائي والإيقاعي ، قد استطاع أن يسهم إسهاما قيما في تفجير المخزون الدلالي للقصيدة والإيحاء به، وأنه مثل "العنصر المهيمن" 13 الذي يتخذ منطلقا لاستحضار التجربة وتمثلها والخلاصة التي يمكن أن تفضي إليها الوقفات السابقة تتحدد في جملة من النقاط نوجزها في الآتي:

1. أن الشعر العربي القديم من منظور قيمه البنائية والتشكيلية يظل منفسحا ومثاليا لاستيعاب التجارب الحديثة والتعبير عنها.

13 نظرية المنهج الشكلي: نصوص الشكلايين الروس، ترجمة إبراهيم الخطيب، الشركة المغربية للناسرين المتحدين، مؤسسة الأبحاث العربية، الطبعة الأولى، 1982، ص: 29

2. أننا يجب أن نفرق تفريقاً حاسماً بين الشعر العربي القديم كإطار، وبين نص شعري يجسده ولا يقوى على تمثيله التمثيل الجيد.
 3. أن مقارنة الشعر العربي القديم سواء من جانب فلسفته الإبداعية أو من حيث نصوصه يجب أن تراعي حمولاته وعناصره المهيمنة بالصورة التي تفضي إلى استحياء الدلالات الكامنة بعيداً عن أي تحيز مدرسي.
 4. أن الانكفاء على منهج واحد في مقارنة نص أو جنس أدبي معين يظل في تقديرنا نوعاً من التعسف الذي لا يخدم القراءة "العادلة المنصفة"، لأن هذا النوع من القراءات يغيب بالضرورة زوايا نظر، كان يمكن أن تضيء التجربة.
- أما على مستوى القصيدة موضوع هذا الورقة، فهي تركز فكرة البحث عن المدخل ونوع حمولة النص، ومن ثمة مقارنته وفقاً¹⁴، وقد بدا لنا أن العنصر المهيمن في القصيدة إيقاعي وبنائي تكفلت (متفاعلات) التامة والمضمرة والمقطوعة بالإيحاء به في صورها المختلفة، بل لعلنا لا نجانب الصواب حين نزعماً بأن العنوان "أقصيدي رحماك" لخص في جزئه الأول موضوع القصيدة وشخص واقع التجربة، في حين أحال جزؤه الثاني على رؤيتها التي ينتصر فيها فعلاتن (الحلم) كأكمل صورة للانطلاق بتعاقب السواكن والمتحركات على متفاعلات (الواقع) بكل ما يتكرس فيها من معاني الحجر والتضييق.

14 لمزيد توسع ينظر: اتجاهات التأويل النقدي من المكتوب إلى المكبوت، دراسة، محمد عزام، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، 2008، ص 31.



التخفيف بالتسكين في كتاب سيبويه

عبد الجليل بوخيرة

طالب دكتوراه (ل.م.د)

تخصص: علوم اللسان العربي، قسم اللغة والأدب العربي

كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر بسكرة.

ص ب : 145 RP بسكرة 07000 الجزائر

abdldgalil@gmail.com

الملخص -

الحذف ظاهرة تُميّز اللغة العربية في أصواتها وكلماتها وتراكيبها، فالعربي يميل إلى الإيجاز إذا شعر بأنه يستطيع الاستغناء عن بعض أجزاء الكلام. ولا يجوز الحذف إلا إذا فهم المتلقي معنى العبارة، لأنّ الكلام إذا كان غامضاً، فلن يفهم المتكلم ما يُقال له، وعندئذ لا تؤدي اللغة دورها وهو حسن التواصل بين الناس.

ويعتبر حذف الأصوات من أهم الأدوات التي استعملتها العرب للتخفيف من ثقل الألفاظ، فحذفوا الأصوات التي يفهم المعنى بدونها، ومن الأصوات المحذوفة حركة الحرف، وعندما تُحذف الحركة يصير الحرف ساكناً؛ أي خالياً من الحركة وقد علّل سيبويه في كتابه تسكين الحرف المتحرك بأن العرب أرادوا به التخفيف عن أنفسهم، وذلك عندما تكون الحركة ثقيلة على اللسان بسبب مجاورتها لحركة أخرى. والحركات التي تُحذف هي الضمة والكسرة، وأما الفتحة فإنها لا تحذف لأنها خفيفة.

ويتفق هذا المبدأ الصوتي - وهو ميل المتكلم إلى التخفيف - مع ما توصلت إليه اللسانيات الحديثة، وسُمّي بالاعتقاد اللغوي، ولذلك سيتناول هذا البحث تحليل سيبويه لحذف حرف من الكلمة في ضوء الدرس الصوتي الحديث.

الكلمات المفتاحية -

العلة، التخفيف، حذف الحركات، كتاب سيبويه، الثقل، المقطع.

Softness By Abolishing Vowels (A Reading In The “ Book” “ El-Kitab” Of Sybaweeh.)

Summary -

Elision Is A Phenomenon That Identifies The Arabic Language In Its Voices, Words And Structure .Arabs Tend To Sum Up If Felt That They Can Do Without Some Parts Of Speech. And It Is Not Allowable To Elide Unless The Recipient Understands The Meaning Of The Words Clearly, Because If The Language Is Blurred, The Recipient Does Not Understand What Is Being Said To Him, And Thus It Does Not Lead To Effective Communication Between People.

The Omission Of Sounds Is Considered One Of The Most Important Tools Used By Arabs To Reduce The Value Of Words. They Deleted The Sounds That Do Not Affect The Meaning Such As The Elision Of Some Vowels (Harakat) And When Removed, The Letter Is Pronounced With A Voweless Sound.

In His Book, Sibawayh Explained That The Arabs Wanted To Ease Themselves When The Vowel (Haraka) Was Heavy On The Tongue Movement Because Of Its Proximity To Another Vowel. The Vowels That Are Deleted Are The Damma And Kasra, But The Fatha Is Not Deleted Because It Is Light.

This Voice Principle - The Tendency Of The Speaker To Lightening - Corresponds To The Findings Of Modern Linguistics, Called The Linguistic Economy. Therefore, This Research Will Deal With Sibawayh's Explanation In Deleting A Letter From The Word In The Light Of The Modern Voice Lesson.

Key Words -

Reason, Lightening, Elision Of Vowels (Harakat), Sibawayh's Book, Weight, Syllable.

تمهيد -

الصوت هو أصغر وحدة من وحدات اللغة، وهو الأساس الذي تُبنى عليه مفرداتها وجملها، ولذلك انطلق منه ابن جني في تعريفه للغة بأنها «أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم» (1).

وقد أرفق سيبويه في كتابه القواعد الصوتية للغة العربية بالتعليل، والعلة هي «الوصف الذي يكون مظنة وجه الحكمة في اتخاذ الحكم، أو بعبارة أوضح هي الأمر الذي يزعم النحويون أن العرب لاحظته حين اختارت في كلامها وجهاً معيناً من التعبير والصياغة» (2).

ومن أبرز العلل التي علل بها سيبويه للقواعد الصوتية علة التخفيف؛ لأن من خصائص اللغة العربية - واللغات البشرية عموماً - الميل إلى الخفة والسهولة والابتعاد عن الثقل، مع الحرص على أداء المعنى، اقتصاداً للجهد العضلي والذاكري. ويشمل التخفيف جميع مستويات اللغة؛ صوتاً وصرفاً ونحواً، وهو يقابل مصطلح الاقتصاد اللغوي L'economie linguistique في اللسانيات الحديثة.

وللتخفيف في اللغة العربية آليات متعددة، منها الحذف والإمالة والإدغام والإبدال والإعلال... ويُعتبر الحذف من أهم الأدوات التي استعملها العرب للتخفيف من ثقل الألفاظ، فحذفوا الأصوات التي يفهم المعنى بدونها، ومن الأصوات المحذوفة حركة الحرف، وعندما تُحذف الحركة يصير الحرف ساكناً. وهذا البحث يحاول الإجابة عن الإشكالية التالية:

ما هي تجليات التخفيف بالتسكين في كتاب سيبويه؟ وما هي تعليلاته؟

وسيتكون هذا البحث من عنصرين:

- تعريف السكون والغاية منه.

- علل حذف الحركات القصيرة.

(1) ابن جني، عثمان أبو الفتح: الخصائص تح/ محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، مصر، (د. ط.)، (د. ت.)، ج1، ص: 33.

(2) مازن المبارك: النحو العربي العلة النحوية نشأتها وتطورها، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط3، 1401هـ / 1981م، ص: 90.

1- تعريف السكون والغاية منه:

الأحرف العربية الصحيحة لا تأتي في الغالب منفردة، بل تأتي بعدها حركات قصيرة تؤدي مهمة صوتية، قال سيبويه: «وزعم الخليل أن الفتحة والكسرة والضمة زوائد، وهنّ يلحقن الحرف ليُوصل إلى التكلم به. والبناء هو الساكن الذي لا زيادة فيه. فالفتحة من الألف، والكسرة من الياء، والضمة من الواو. فكل واحدة شيء مما ذكرت لك» (1).

فالحركات القصيرة تلي الأصوات الصحيحة لتيسير النطق بها والانتقال من صوت إلى صوت. واعتبر سيبويه أن الفتحة والكسرة والضمة أبعاد حروف العلة، وهو يتطابق مع ما ذهب إليه علماء الصوتيات حين قسموا الحركات Les vowels إلى ست: ثلاث طويلة، وهي حروف المد؛ الألف والواو والياء، وثلاث قصيرة، وهي الفتحة والضمة والكسرة (2).

وقد يلجأ العرب إلى حذف الحركات - وهو ما اصطاح علماء العربية على تسميته بالتسكين أو الإسكان - وعندها يصير الحرف ساكناً. وقد عرف الشريف الجرجاني (ت816هـ/1413م) السكون بأنه «عدم الحركة عما من شأنه أن يتحرك، فعدم الحركة عما ليس من شأنه الحركة لا يكون سكوناً، فالموصوف بهذا لا يكون متحركاً ولا ساكناً» (3).

وعرفه أيوب بن موسى الكفوي (ت1094هـ/1684م) بأنه «عبارة عن خلو العضو من الحركات عند النطق بالحروف، ولا يحدث بغير الحرف صوت فينجزم عند

(1) سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان: الكتاب، تح/عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1408هـ/1988م ج4، ص: 241، 242.

(2) ينظر: التميمي، صبيح: إرشاد السالك إلى ألفية ابن مالك، دار الشهاب، باتنة، الجزائر، (د.ط.)، (د.ت.)، ج1، ص: 312. والراجحي، عبده: التطبيق الصريفي، دار المسيرة، عمان، الأردن، ط1، 1428هـ/2008م، ص: 137. وتمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، (د.ط.)، 1994م، ص: 72، 73.

(3) الجرجاني، علي بن محمد (ت816هـ): كتاب التعريفات، تح/عبد المنعم الحفني، دار الرشاد، القاهرة، مصر، (د.ط.)، (د.ت.)، (باب السين)، ص: 136.

ذلك، أي: ينقطع، فلذلك سُمّي جزماً اعتباراً بانجزام الصوت وهو انقطاعه، وسكوناً اعتباراً بالعضو الساكن»(1).

والتعريفان يتفقان على أنّ السكون هو أن تنعدم الحركة فينقطع الصوت، وهو ما ذهب إليه سيبويه حين قال: «وليس في الأسماء جزم لتمكنها وللحاق التثوين، فإذا ذهب التثوين لم يجمعوا على الاسم ذهابه وذهاب الحركة»(2)، ويقصد بذهاب الحركة الجزم بالسكون.

ويختلف تعريف الجرجاني عن تعريف الكفوي في اشتراط الجرجاني لاعتبار الحرف ساكناً أن يكون من شأنه الحركة، ولم يشترط الكفوي ذلك، وهو ما يميل إليه الباحث، مع التمييز بين مصطلحين، وهما: الساكن والتسكين، فالحرف الساكن هو الذي انعدمت فيه الحركة، سواء أكان من شأنه أن يتحرك أم لم يكن من شأنه الحركة، وأما التسكين فهو جعل الحرف ساكناً بعد أن كان متحركاً.

والكتابة الإملائية للسكون هي رأس خاء صغيرة، قال سيبويه: «وللذي أُجري مجرى الجزم والإسكان الخاء»(3)، والمقصود بها أول كلمة خفيف(4).

ويرى خالد بن عبد الله الأزهري (ت905هـ) أن السكون هو رأس خاء مختصرة من استرح؛ لأن الوقف استراحة، وجعله بعض الكتاب على شكل دائرة؛ لأن الدائرة صفر والصفر لا يدل على عدد، كما أن السكون لا يدل على حركة(5)، وهو ما اشتهر اليوم في الكتابة الإملائية الحديثة.

(1) الكفوي، أيوب بن موسى أبو البقاء: الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تح/عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط2، 1419هـ/1998م، (فصل الضاد)، ص: 571، 572.

(2) سيبويه، (مصدر سابق)، ج1، ص: 14.

(3) المصدر نفسه، ج4، ص: 169.

(4) الجرجاني، علي بن محمد، (مصدر سابق)، ص: 136.

(5) ينظر: الأزهري، خالد بن عبد الله: شرح التصريح على التوضيح، تح/ محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1421هـ/2000م، ج2، ص: 623.

والعلة في تسكين الحرف المتحرك هي طلب الخفة والفرار من ثقل الحركات، وقد عَنَوْنَ سيبويه أحد أبواب كتابه بقوله: «هذا باب ما يسكن استخفافاً وهو في الأصل متحرك» (1).

ويُفسّر تسكين الحرف المتحرك في الصوتيات الحديثة بكرة العربية لتتابع المقاطع القصيرة (2)، وميلها إلى التخلص من تواليها، نظراً لما يؤدي إليه من ثقل في الكلمة. وفي هذه الحالة يتم حذف قمة أحد المقاطع، وهي الحركة القصيرة: الضمة أو الكسرة.

2- علل حذف الحركات القصيرة:

يُحذف العرب الحركات المتسببة في ثقل الكلمة تخفيفاً. ولما تعرّض سيبويه لحالات تسكين الحرف المتحرك علّل لها بمجموعة من العلل، وهي:

2- 1 ثقل الانتقال من حرف مفتوح إلى حرف مكسور:

تُسكّن عين الكلمات التي على وزن (فعل) (3) سواء أكانت أسماء أم أفعالا، مثل: فَخِذْ، كَبِدْ، عَلِمَ، تصير: فَخِذْ، كَبِدْ، عَلِمَ، وهي لغة بكر بن وائل وأناس كثير من بني تميم (4).

(1) سيبويه، (مصدر سابق)، ج4، ص: 113.

(2) فوزي الشايب: أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة، عالم الكتب الحديث، اربد، الأردن، ط1، 1425هـ/2004م، ص: 103.

(3) في (فعل) الحلقي العين سواء كان فعلاً أو اسماً، كَشَهَدَ، وَفَخِذْ، فيه ثلاث تفرعات، واحدة تختص بالحلقي العين، واثنان يشاركه فيهما ما ليس عينه حلقياً؛ فأما الفرع الذي يختص به الحلقي العين فإتباع فائه لعينه في الكسر. وأما اللغتان اللتان يشترك فيهما حلقي العين وغيره، فهما فعل بفتح الفاء وسكون العين، مثل: شَهَدَ في الفعل، وَفَخِذْ في الاسم. وفي غير الحلقي العين، عَلِمَ في الفعل، وَكَبِدَ في الاسم. والتفرع الثاني الذي يشترك فيه فعل حلقي العين وغيره هو (فعل) بكسر الفاء وسكون العين، مثل: شَهَدَ وَفَخِذْ في الحلقي، وَكَبِدَ وَكَبَفَ في غيره، ولم يسمع عن العرب (فعل) في غير الحلقي من الفعل، مثل: عَلِمَ في عَلِمَ. قال الرضي: «وجميع هذه التفرعات في كلام بني تميم، وأما أهل الحجاز فلا يغيرون البناء ولا يفرعون». ينظر: الاسترأبادي، رضي الدين (ت686هـ): شرح شافية ابن الحاجب، تح/ محمد نور الحسن ومحمد الزفراف ومحمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1402هـ/1982م، ج1، ص: 40- 42.

(4) سيبويه، (مصدر سابق)، ج4، ص: 113.

قال سيبويه عن علة تسكين عين (فعل): « وإنما حملهم على هذا أنهم كرهوا أن يرفعوا السنتهم عن المفتوح إلى المكسور، والمفتوح أخف عليهم، فكرهوا أن ينتقلوا من الأخف إلى الأثقل... » (1).

فالعلة في تسكين عين (فعل) هي كراهة العرب الانتقال من حركة خفيفة إلى حركة أثقل منها (2)؛ لثقل النطق بحرف مفتوح فمكسور، فينتقل اللسان من حرف خفيف إلى أثقل منه « في البناء المبني على الخفة؛ أي بناء الثلاثي المجرد، فسكنوه لأن السكون أخف من الفتح، فيكون الانتقال من الفتح إلى أخف منه » (3). وسيبويه - بعد استقراء كلام العرب - يقرر قاعدة من قواعد الثقل والخفة، وهي أن الانتقال من صوت ثقيل إلى صوت خفيف، أخف على المتكلم من الانتقال من صوت خفيف إلى صوت ثقيل، وهو أمر واقع في سلوك الناس، فالبدء بشغل شاق قبل شغل سهل أيسر على الإنسان من الانتقال من عمل يسير إلى عمل شاق؛ لأن البدء بالأشق يجعل النفس تستسهل ما هو أقل منه صعوبة، واللغة سلوك إنساني لا يختلف عن غيره من أنواع السلوك في هذا الأمر.

ويجوز في ما كان على وزن (فعل) تسكين عينه وكسر فائه، مثل: شهد ولعب ونعم وبئس، وأصلها: شهد ولعب ونعم وبئس على وزن (فعل)، ومثل ذلك: فيها ونعمت (4). أصلها: فيها ونعمت. وقال الأخطل (5): (الطويل) إذا غاب عنا غاب عنا فرائنا وإن شهد أجدى فضله وجداوله (6).

(1) المصدر نفسه، ج4، ص: 114.

(2) أخف الحركات الفتحة، وأثقلها الضمة، وأوسطها الكسرة.

(3) الاسترأبادي، رضي الدين: شرح شافية ابن الحاجب، ج1، ص: 42.

(4) روى أبو داود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من توضع يوم الجمعة فيها ونعمت، ومن اغتسل فهو أفضل). رواه السجستاني، أبو داود سليمان بن الأشعث: سنن أبي داود، بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ص: 64. رقم الحديث: 354.

(5) ديوان الأخطل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1414هـ / 1994م، ص: 243، بلفظ: وإن شهد أجدى فيضه وجداوله.

(6) ينظر: سيبويه، (مصدر سابق)، ج4، ص: 116.

وذكر سيبويه حالتين سكّن العرب فيهما الحرف المكسور بعد حرف مفتوح في غير الفعل الثلاثي (فعل)؛ لاجتماع الفتحة مع الكسرة في سياق واحد، هما:

- تسكين الفاء في قولهم: أراك منتفخاً، أي منتفخاً؛ فالحروف التي بعد النون على وزن (كيد)، فكما سكّنت الباء من (كيد) سكّنت الفاء من (منتفخ).

- تسكين اللام من قولهم: انطلق، وأصله: انطلق، سكّنت اللام تخفيفاً فالتقى ساكنان، ففتحت القاف للتخلص من التقاء الساكنين. واستشهد سيبويه بقول رجل من أزد السراة (1): (الطويل)

عَجِبْتُ لمولود وليس له أبٌ وذي ولدٍ لم يلدْهُ أبوان
الشاهد في البيت تسكين اللام من (يلدْهُ) تخفيفاً، وفُتح الدال المجزومة لمّ للتخلص من التقاء الساكنين (2).

والتخفيف بتسكين الحرف المكسور المسبوق بحرف مفتوح له دور في تغيير التكوين المقطعي للكلمة، مثال ذلك كلمة (كيد)، وتحليلها المقطعي هو:

كَيْدٌ = كَ / بَ / دُنْ

تم حذف قمة المقطع الثاني / بَ /، فتحوّلت بادئة المقطع الثاني /ب/ إلى خاتمة للمقطع الأول، فصارت (كَيْدٌ)، وبنيتها المقطعية هي:

كَيْدٌ = كَ / بَ / دُنْ

صارت الكلمة مكونة من مقطعين بعد أن كانت مكونة من ثلاثة مقاطع، فالتسكين أسهم في التقليل من عدد المقاطع.

2-2 ثقل الانتقال من حرف مضموم إلى حرف مكسور:

ثُقِلَ على العرب أن ينتقلوا من حرف مضموم إلى حرف مكسور في صيغة الفعل المبني للمجهول من الثلاثي، الذي على وزن (فعل)، فسكّنوا عينه تخفيفاً،

(1) البيت في شرح شافية ابن الحاجب للاسترابادي، ج2، ص: 238. وشرح الرضي على الكافية لرضي الدين الاسترابادي، تح: يوسف حسن عمر، منشورات جامعة قان يونس، بنغازي، ليبيا، ط2، 1996م ج1، ص: 408 بلفظ: عَجِبْتُ لمولود...

(2) ينظر: سيبويه، (مصدر سابق)، ج4، ص: 115.

نحو: عُصِرَ في عُصِرَ. واستشهد سيبويه بِمَثَلٍ وَبَيَّتْ؛ أَمَّا المثل فقولهم: لَمْ يُحَرِّمْ مَنْ فُصِدَ لَهُ (1)، وَأَمَّا البيت فقول أبي النجم (2):
 لَوْ عُصِرَ مِنْهُ الْبَانُ وَالْمُسْكُ انْعَصَرَ
 والشاهد تسكينُ الفاءِ في (فُصِدَ)، وتسكينُ الصادِ في (عُصِرَ) والأصل: عُصِرَ (3).
 وعلة ذلك أَنَّ العربَ « كرهوا في عُصِرَ الكسرة بعد الضمة، كما يكرهون الواو مع الياء في مواضع. ومع هذا أَنَّهُ بناءٌ ليس من كلامهم إِلَّا في هذا الموضع من الفعل، فكرهوا أَنْ يحوَّلوا ألسنتهم إِلَى الاستثقال » (4).
 علل سيبويه كراهة العرب الانتقال من الضمة إِلَى الكسرة في (فُعِلَ) بأمريين:

- كراهة العرب للكسرة بعد الضمة لثقلهما، كما يكرهون اجتماع الواو مع الياء مثل: لَوِيَّةٌ، قلبوا الواو ياءً وأدغموها في الياء فصارت: لِيَّةٌ.
- أَنَّ صيغة (فُعِلَ) لَا تُوجَد إِلَّا في الفعل الماضي المبني للمجهول من الثلاثي، فكره العرب أَنْ يتحولوا من الفعل المبني للمعلوم الخفيف في صياغته إِلَى الفعل المبني للمجهول ثقل الصياغة، فيكون الفرع أَثْقَلَ من الأصل، خلافا لما اعتاده العرب من تخفيف الفروع؛ لأنها بحاجتها إِلَى الأصول ثقيلة معنويا، فخفضوا ألفاظها تنبيها عليه (5).

(1) قال السيرافي: « يَعْنِي فُصِدَ الْبَعِيرُ لِلضَّيْفِ، (وَفُصِدَ لِلضَّيْفِ) أَنَّهُ عِنْدَ عَوَزِ الطَّعَامِ يَفْصِدُونَ الْبَعِيرَ لِيَشْرَبَ الضَّيْفُ مِنْ دَمِهِ فَيُمْسِكُ جَوْعَهُ ». السيرافي، أبو سعيد (ت368هـ): شرح كتاب سيبويه، تح/ أحمد حسن مهدي وعلي سيد علي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1429هـ / 2008م، ج4، ص: 491.

(2) شرح شافية ابن الحاجب للاسترابادي، ج1، ص: 43 بلفظ: لَوْ عُصِرَ مِنْهُ الْمُسْكُ وَالْبَانُ انْعَصَرَ.

(3) ينظر: سيبويه، (مصدر سابق)، ج4، ص: 113، 114.

(4) المصدر نفسه، ج4، ص: 114.

(5) ينظر: الاسترابادي، رضي الدين: شرح شافية ابن الحاجب، ج3، ص: 88.

وتفسير ذلك في علم اللغة الحديث أنّ مقطع (فعل) ليس من التراكيب المقطعية في اللغة العربية، لذا عدّل العرب عنه إلى ما يوافق بناءهم المقطعي (1). وينفي الرضي أن تكون العلة في تسكين عين الفعل المبني للمجهول من الثلاثي هي ثقل الانتقال من حركة خفيفة إلى حركة ثقيلة فيقول: «فليس التخفيف في مثله (أي فعل من فعل) لكراهة الانتقال من الأخف إلى الأثقل كما كان في كَيف وعَضُد، كيف والكسرة أخف من الضمة والفتحة أخف من الكسرة؟ بل إنما سكن كراهة توالي الثقيلين في الثلاثي المبني على الخفة، فسكن الثاني لامتناع تسكين الأول، ولأن الثقل من الثاني حصل؛ لأنه لأجل التوالي» (2).

فالضمة والكسرة ثقيلتان؛ لأنهما من الواو والياء، فإذا تجاوزا في كلمة ازدادا ثقلا فحُفّضا بتسكين الثاني منهما؛ لأنه سبب الثقل بتواليه مع الأول. والمقاطع الصوتية للكلمة (فعل) هي:

ف — / ع — / ل —

حُذفت قمة المقطع الثاني / — /، فتحوّلت بادئة المقطع الثاني / ع / إلى خاتمة للمقطع الأول، وصارت الكلمة مكونة من مقطعين، هما:

ف — ع / ل — = فُعَل

فالتسكين أسهم في التخفيف بتقليص عدد المقاطع.

2- 3- ثقل الانتقال من حرف مفتوح إلى حرف مضموم:

سَكَنَ بكر بن وائل وأناس كثير من بني تميم العين المضمومة من الكلمة التي على وزن (فعل)، مثل: عَضُدٌ، رَجُلٌ، كَرَمٌ، تصير: عَضُدٌ، رَجُلٌ، كَرَمٌ (3). وسبب تسكين الحرف المضموم الذي قبله حرف مفتوح، هو ثقل الانتقال من حركة خفيفة إلى حركة أثقل منها؛ لأن الفتحة أخف من الضمة.

(1) ينظر: الشهراني، سعيد بن عبد الله: التخفيف، مجلة علوم اللغة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة مصر، 2000م، مج: 3، ع: 1، ص: 144.

(2) الاسترابادي، رضي الدين: شرح شافية ابن الحاجب، ج: 1، ص: 44.

(3) ينظر: سيبويه، (مصدر سابق)، ج: 4، ص: 113، 114.

وتسكين الحرف المضموم المسبوق بفتحة يؤدي إلى تغيير البنية المقطعية للكلمة، مثل: كلمة رَجُلٌ، وتحليلها المقطعي هو:

رَجُلٌ = ر - ج / - / ل - ن

حُذِفَتْ قِمْةُ المَقْطَعِ الثَّانِي / - / فتحوّلت بادئة المقطع الثاني /ج/ إلى خاتمة للمقطع الأول، وصارت الكلمة مكونة من مقطعين هما:

ر - ج / ل - ن = رَجُلٌ

فحذف الحركة أسهم في التخفيف بتقليص عدد المقاطع.

2- 4- ثقل توالي ضمتين:

سكّن العرب - تحفيفاً - عين الكلمات التي على وزن (فُعْل)، مثل: الرُّسُل والطُّنُب(1) والعُنُق. قال سيبويه: «وإذا تتابعت الضمّتان فإنّ هؤلاء يخفّفون أيضاً كرهوا ذلك كما يكرهون الواوين، وإنّما الضمّتان من الواوين، فكما تُكره الواوان كذلك تُكره الضمّتان لأنّ الضمّة من الواو. وذلك قولك: الرُّسُل، والطُّنُب، والعُنُق تريد الرُّسُل، والطُّنُب، والعُنُق»(2).

استثقل العرب تتابع ضمتين في ما كان على وزن (فُعْل)(3) فسكّنوا الثانية منهما كما يستثقلون التقاء الواوين؛ لأنّ الحركات أبعاض حروف العلة.

وقد ورد في القرآن الكريم إسمان العين في ما كان على وزن (فُعْل)؛ فنافع وابن كثير قرآ بتسكين الكاف من (الأكل) في قوله تعالى: (وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ) (الرعد:4)(4). وقرأ نافع بتسكين غين (شغل) من قوله تعالى:

(1) في لسان العرب: « الطُّنْبُ والطُّنْبُ معاً حَبْلُ الْخَبَاءِ وَالسُّرَادِقُ وَنَحْوَهُمَا ». ابن منظور، محمد بن مكرم، : لسان العرب، دار صادر، بيروت ، (د.ط.)، (د.ت.)، ج1، (مادة طنب)، ص:560.

(2) سيبويه، (مصدر سابق)، ج4، ص: 114.

(3) حُكِيَ عَنِ الْأَخْفَشِ أَنَّ كُلَّ (فُعْل) فِي الْكَلَامِ يَجُوزُ ضَمُّ عَيْنِهِ، إِلَّا مَا كَانَ صِفَةً أَوْ مَعْتَلَّ الْعَيْنِ، مِثْلُ: حُمُرٌ وَسُوقٌ، فَلَا يَثْقُلَانِ إِلَّا فِي الْضَّرُورَةِ الشَّعْرِيَّةِ. وعن عيسى بن عمر أن كل ما كان على وزن فُعْل، فمن العرب من يسكّن عينه، ومنهم من يضمها، مثل: عُسْرٌ وَيُسْرٌ. ينظر: الاسترأبادي، رضي الدين: شرح شافية ابن الحاجب، ج1، ص:46.

(4) ينظر: القاضي، عبد الفتاح: البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدرّة، مكتبة أنس بن مالك، مكة المكرمة، ط1، 1423هـ/2002م، ص:208.

(إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَاكِهُونَ) (يس:55)(1). وقرأ - أيضا - بإسكان الذال من قوله تعالى: (وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ) (التوبة: 61)(2).
وَأَسْكَنَ الشَّيْنِ مِنْ (خُشْبٍ) قَبْلَ وَأَبُو عَمْرٍو وَالْكَسَائِيُّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (كَأَنَّهُمْ خُشْبٌ مُسْنَدَةٌ) (المنافقون:4)(3).

وتسكين عين الكلمات التي على وزن (فعل) يؤدي إلى تقليص مقاطع الكلمة فكلمة (رُسل) تتكون من ثلاثة مقاطع هي:

رُ - س / ل - ن = رُسل

ثم حذف قمة المقطع الثاني / - / فصارت الكلمة مكونة من مقطعين متوسطين مغلقين هما:

رُ - س / ل - ن = رُسل

والسبب في التخفيف بحذف قمة المقطع الثاني هو تفادي الرتابة، قال عادل نذير الحساني: «إن الخفة المنشودة بالحذف لم تتولد على صعيد حذف قمة صوتية كانت تشغل مساحة زمكانية على المؤدي وحسب، بل الخفة تحققت عن طريق توفير بناء مقطعي مغاير لبناء مقطعي أثقلته الرتابة الناجمة عن توالي قمتين من جنس واحد»(4).

2- 5 ثقل توالي كسرتين:

تُسَكَّنُ الْبَاءُ فِي نَحْوِ (إِبِلٍ) بِسَبَبِ ثَقُلِ اجْتِمَاعِ كَسْرَتَيْنِ. قَالَ سَيِّبُوه: «وَكَذَلِكَ الْكَسْرَتَانِ تُكْرَهُانِ عِنْدَ هَؤُلَاءِ كَمَا تُكْرَهُ الْيَاءَانِ فِي مُوَاضِعٍ، وَإِنَّمَا الْكَسْرَةُ مِنَ الْيَاءِ، فَكَرَهُوا الْكَسْرَتَيْنِ كَمَا تُكْرَهُ الْيَاءَانِ وَذَلِكَ فِي قَوْلِكَ فِي إِبِلٍ: إِبِلٌ»(5).

(1) ينظر: المرجع نفسه، ص: 331.

(2) ينظر: المرجع نفسه، ص: 168.

(3) ينظر: المرجع نفسه، ص: 405.

(4) ينظر: الحساني، عادل نذير بيبري: التعليل الصوتي عند العرب في ضوء علم الصوت الحديث، قراءة في كتاب سيبويه، ديوان الوقف السني، العراق، ط1، 1430هـ/2009م، ص: 329.

(5) سيبويه، (م س)، ج4، ص: 115.

وتسكين الضمة الثانية من الضمتين المتتاليتين أكثر من تسكين الكسرة الثانية من الكسرتين المتتاليتين؛ لأن الضمتين أثقل من الكسرتين. قال الرضي: « وهذا التخفيف في نحو عُثْقُ أكثر منه في إِبْل؛ لأنَّ الضمتين أثقل من الكسرتين حتى جاء في الكتاب العزيز وهو حجازي رُسَلْنَا ورُسَلَهُمْ، وهو في الجمع أولى منه في المفرد لثقل الجمع معنى» (1).

وتسكين الباء من كلمة (إِبْل) أدَّى إلى تغيير البناء المقطعي للكلمة التي تتكون من ثلاثة مقاطع:

إِبْل = ع / ب / ل — ن

تم حذف قمة المقطع الثاني / ب / فصارت البنية المقطعية هي:

ع — ب / ل — ن = إِبْل

وهي تتكون من مقطعين متوسطين مغلقين، فالتخفيف تم بحذف مقطع. فإذا تَوَالَتْ فتحتان في كلمة فإنَّ العرب لا يُسَكِّنُونَ الثانية منهما؛ لأنَّ الفتحة خفيفة. قال سيبويه: « وأما ما تَوَالَتْ فيه الفتحتان فإنَّهم لا يُسَكِّنُونَ منه، لأنَّ الفتحة أخفُّ عليهم من الضم والكسر، كما أنَّ الألف أخفُّ من الواو والياء... وذلك نحو: جَمَلٍ وَحَمَلٍ ونحو ذلك» (2).

فالفتحة أخفُّ من الضمة والكسرة؛ لأنَّ النطق بالضمة يكلف ضمَّ الشفتين ومطَّهما وتدويرهما، والنطق بالكسرة يكلف كسر مجرى الهواء وحنى طرف اللسان عند اللثة، وأما الفتحة فلا تكلف الناطق بها إلا إرسال النفس حرا (3). ومما يدلُّ على أنَّ الفتحة لا تُخَفَّف بالتسكين، محاورَةُ الأصمعي لأبي عمرو بن العلاء (ت 154هـ) الذي كان يجنح إلى الخفة في النطق، فقد « قال الأصمعي:

(1) الاسترابادي، محمد بن الحسن: شرح شافية ابن الحاجب، ج 1، ص: 44.

(2) سيبويه: (مصدر سابق)، ج 4، ص: 115. والزجاجي، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق: اللامات، تح/ مازن المبارك، دار الفكر، دمشق، سورية، ط2، 1405هـ/ 1985م، ص: 35.

(3) إبراهيم مصطفى: إحياء النحو، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، (د. ط)، (د. ت)، القاهرة، مصر، ص: 56.

قلت لأبي عمرو: لم لا تقرأ رَغْباً وَرَهْباً مع ميلك إلى التخفيف، فقال: « ويلك أَحْمَلٌ أخف أم حَمَلٌ، يعني أَنَّ المفتوح لا يُخَفَّفُ » (1).

وبعد تخفيف الفتحة استدل الأستاذ إبراهيم مصطفى على أَنَّ الفتحة أخف من السكون، وأيسر في النطق؛ لأنه لو كان السكون أخف من الفتحة لسُكِّن الحرف المفتوح كما سُكِّن المضموم والمكسور. واستدل - أيضاً - على أَنَّ الفتحة أخف من السكون بكون السكون يستلزم ضغط النفس عند المخرج، مع الاعتماد على الحرف والاحتفاظ به، وفي هذا كلفة ومشقة (2). والباحث يميل إلى قول إبراهيم مصطفى نظراً لما يمثله السكون من صعوبة في النطق إذا ما قارناه بالفتحة.

وقد ورد في القراءات القرآنية تسكين الحرف الثاني من الحرفين المفتوحين، وذلك في قراءة أبي عمرو (في قلوبهم مرض) (البقرة: 10) بسكون الراء، لكن ابن جني رأى أَنَّ (مرض) ليس مُخَفَّفاً من (مرض)؛ لأنَّ المفتوح لا يخفف، وإنما يُخَفَّف المكسور والمضموم، ولكنَّ (مرض) الساكن لغة في (مرض) المفتوح، كالحلب والحلب، والطرد والطرد، والشل والشلل، والعيب والعاب، والذيم والذام (3).

كما استبعد ابن جني أن يكون تسكين عين (الجمَل) تخفيفاً من فتحها؛ لأنَّ الفتحة خفيفة، وذلك في قراءة أبي السَّمَّال: ﴿حتى يلج الجمل في سم الخياط﴾ (الاعراف: 40)، بفتح الجيم وسكون الميم (4).

(1) ابن خالويه: مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، مكتبة المتنبى، القاهرة، مصر، (د.ط.)، (د.ت.)، ص: 95.

(2) إبراهيم مصطفى: إحياء النحو، ص: 56، 57، 58.

(3) ينظر: ابن جني، أبو الفتح عثمان: المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، تح/ علي النجدي ناصف وآخرين، وزارة الأوقاف، القاهرة، جمهورية مصر العربية، (د.ط.) 1415هـ/ 1994م، ج 1، ص: 53، 54.

(4) ينظر: المصدر نفسه، ج 1، ص: 249.

ولعلّ الصواب هو أنّ تلك الأسماء التي عيّنها على وزن (فَعَلَ)؛ ليست مُخَفَّفة من (فَعَلَ) المفتوح العين؛ لأنّ الفتحة أخف من السكون - كما رأى إبراهيم مصطفى- ولا يُنْتَقَل من الخفيف إلى الثقيل.

2- 6- ثقل الواو المضمومة:

إذا كان الفعل المضارع معتل اللام بالواو المسبوقه بضمة مثل يغزُو، فإن ضمة الإعراب تُحذف من الواو في حالة الرفع، وأمّا في حالة النصب فإنّ الفتحة تظهر. قال سيبويه: «واعلم أنّ الواو في يَفْعُلُ تعتلّ إذا كان قبلها ضمة ولا تقلب ياءً ولا يدخلها الرفع، كما كرهوا الضمة في فَعُلْ، وذلك نحو البُون والعُون. فالأضعف أجدر أن يكرهوا ذلك فيه. ولكنهم ينصبون؛ لأن الفتحة فيها أخف عليهم، كما أنّ الألف أخف عليهم من الواو... وذلك قولك: هُوَ يَغْزُوكَ، ويريد أن يَغْزُوكَ»⁽¹⁾.

علل سيبويه حذف ضمة الإعراب من الفعل المضارع المعتل اللام بالواو بأنّ العرب يتخلصون من ضمة الواو إذا كانت عينا للكلمة وهي أقوى، مثل تسكين الواو في البُون والعُون فتصيران: البُون والعُون، فإذا كانت الواو لاما للكلمة فذلك أولى أن تثقل عليها الضمة؛ لشدة ضعف حرف العلة حين يكون لاما للكلمة؛ إذ كلما ابتعد عن آخر الكلمة كان أقوى، قال سيبويه عن الواو والياء: «وكلما بعدتا من آخر الحرف كان أقوى لهما؛ فهما عيناتٍ أقوى، وهما فاءاتٍ أقوى منهما عيناتٍ ولاماتٍ»⁽²⁾.

وعلل سيبويه ظهور الفتحة على الواو في الفعل المضارع معتل اللام بالواو في حالة النصب - خلافا للرفع - بخفة الفتحة، فهي أخف من الضمة، كما أنّ الألف أخف من الواو.

والتحليل المقطعي لكلمة (يغزُو) هو:

يغزُو: ي - غ / ز - و -

تمّ حذف قيمة المقطع الثالث، وإطالة حركة المقطع الثاني في حالة الرفع، فصارت البنية المقطعية هي:

(1) سيبويه، (مصدر سابق)، ج4، ص: 382.

(2) المصدر السابق، ج4، ص: 381.

ي — غ / ز — — = يغزؤ

وبذلك تخففت الكلمة بالتخلص من المقطع الثالث القصير / و — /

2- 7- ثقل الياء المكسورة والمضمومة:

إذا كانت الكلمة منتهية بالياء المكسور ما قبلها مثل: القاضي يَمْشِي، فإن كسرة الإعراب وضمته تُحذفان من الياء وتُسكَن.

قال سيبويه: « وإذا كان قبل الياء كسرةً لم يدخلها جرٌّ كما لم يدخل الواو ضمٌّ لأن الياءات قد يكره منها ما يكره من الواوات، فصارت وقبلها كسرةً كالواو والضمّة قبلها، ولا يدخلها الرفع إذ كُرِه الجرُّ فيها... فلما تركوا الجر كانوا لما هو أثقل مع الياء وما هو منها أثركَ» (1).

علل سيبويه حذف كسرة الإعراب من الكلمة المنتهية بياء مكسور ما قبلها بأن الياء يستثقل فيها الجر كما يستثقل الضم على الواو. وعلل حذف الضمة من الياء في حالة الرفع بحذف الكسرة من الياء في حالة الجر، والضمّة أثقل من الكسرة، فهي أولى.

وأما الفتحة فإنها تظهر على الكلمة المنتهية بياء مكسور ما قبلها لحفتها، كما تظهر عليها حين تنتهي بالواو. قال سيبويه: «وأما النصب فإنه يدخل عليها؛ لأن الألف والفتحة معها أخفّ كما كانتا كذلك في الواو. وذلك قولك: هذا راميك وهو يرْمِيك، ورأيت راميك ويريد أن يرْمِيك» (2).

فلو حللنا كلمة (الرّامي) مقطّعيًا قبل أن تحذف منها الضمة والكسرة لكانت:

الرّاميّ = ء — ر / ر — — / م — — / ي — —

الرّاميّ = ء — ر / ر — — / م — — / ي — —

يتمّ في حال الرفع والجر حذف قمة المقطع الأخير / ي — — / ي — — وإطالة المقطع الثالث، فتعاد هيكله بنائها المقطعي ليصير:

ء — ر / ر — — / م — — = الرامي

(1) المصدر نفسه، ج4، ص: 382، 383.

(2) المصدر نفسه، ج4، ص: 383.

فتمّ التخفيف بالاستغناء عن المقطع الرابع/ي—،/ي—/ .
لقد كان سيبويه موفقاً في تعرّضه لحذف حركة الإعراب من آخر الكلمة المعتلة اللام في الأبواب الصوتية لا النحوية؛ لأنّ حذف حركة الإعراب من حرف العلة سببه الثقل، وهو سبب صوتي لا نحوي.

الخاتمة -

بعد البحث في تعليل سيبويه لحذف الحركات القصيرة نصل إلى النتائج التالية:

- علّل سيبويه تسكين الحرف المتحرك بمجموعة من العلل، هي: ثقل الانتقال من حرف مفتوح إلى حرف مكسور، وثقل الانتقال من حرف مضموم إلى حرف مكسور، وثقل الانتقال من حرف مفتوح إلى حرف مضموم، وثقل توالي ضميتين، وثقل توالي كسرتين، وثقل الواو المضمومة، وثقل الياء المكسورة والمضمومة، وكل تلك العلل ترجع إلى علة واحدة هي علة طلب الخفة والفرار من الثقل.

- من خلال نصوص سيبويه نلاحظ أنّ العرب يتخلصون من ثقل الحركات القصيرة بحذفها وتسكين الحرف المتحرك عندما يشعرون بثقل الانتقال من حركة خفيفة إلى حركة ثقيلة، أو من صوت صامت إلى حركة، أو يستثقلون تتابع الحركات. والحركات التي تُحذف فيسكن الحرف هي الضمة والكسرة، وأما الفتحة فلا تُحذف؛ لأنها خفيفة والمُخَفَّف لا يخفف.

- حذف الحركة القصيرة يؤثر على البناء المقطعي للكلمة، ويلاحظ أنّ حذف حركة من بنية الكلمة يسهم في إعادة هيكلة بنيتها المقطعية مؤدياً إلى التخفيف؛ وذلك بتقليص عدد المقاطع.

- يرى إبراهيم مصطفى أنّ الفتحة أخفّ من السكون؛ لأنه أصعب نطقاً.
- علماء اللغة المحدثون درسوا التخفيف بحذف الحركات القصيرة ضمن مبدأ الاقتصاد اللغوي وقانون السهولة والتيسير؛ أي أن المتكلم يميل إلى تقليل الجهد أثناء عملية التواصل اللغوي مع المحافظة على وضوح المعنى لدى المتلقي.

المصادر والمراجع -

1. إبراهيم مصطفى: إحياء النحو، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، (د.ط)، (د.ت)، القاهرة، مصر، ص:
2. الأخطل: ديوانه ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1414هـ / 1994م، ص: 243، بلفظ: وَإِنْ شَهِدَ أَجْدَى فَيَضُهُ وَجَدَاوُهُ.
3. الأزهرى، خالد بن عبد الله: شرح التصريح على التوضيح، تح/ محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1421هـ / 2000م.
4. الاستراباذي، رضي الدين (ت686هـ): شرح شافية ابن الحاجب، تح/ محمد نور الحسن ومحمد الزفراف ومحمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1402هـ / 1982م، ج1، ص: 40- 42.
5. الاستراباذي، رضي الدين (ت686هـ): شرح الرضي على الكافية لرضي الدين الاستراباذي، تح: يوسف حسن عمر، منشورات جامعة قان يونس، بنغازي، ليبيا، ط2، 1996م .
6. تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، (د.ط)، 1994م.
7. التميمي، صبيح: إرشاد السالك إلى ألفية ابن مالك، دار الشهاب، باتنة، الجزائر، (د.ط)، (د.ت)،
8. الجرجاني، علي بن محمد (ت816هـ): كتاب التعريفات، تح/ عبد المنعم الحفني، دار الرشد، القاهرة، مصر، (د.ط)، (د.ت).
9. ابن جني، عثمان أبو الفتح (ت392هـ): الخصائص تح/ محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، مصر، (د.ط)، (د.ت).
10. ابن جني، أبو الفتح عثمان (ت392هـ): المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، تح/ علي النجدي ناصف وآخرين، وزارة الأوقاف، القاهرة، جمهورية مصر العربية، (د.ط) 1415هـ / 1994م.
11. الحساني، عادل نذير بيبري: التعليل الصوتي عند العرب في ضوء علم الصوت الحديث، قراءة في كتاب سيويو، ديوان الوقف السني، العراق، ط1، 1430هـ / 2009م.
12. ابن خالويه: مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، مكتبة المتنبي، القاهرة، مصر، (د.ط)، (د.ت).
13. الراجحي، عبده: التطبيق الصريفي، دار المسيرة، عمان، الأردن، ط1، 1428هـ / 2008م.
14. الزجاجي، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق (ت337هـ): اللامات، تح/ مازن المبارك، دار الفكر، دمشق، سورية، ط2، 1405هـ / 1985م.
15. السجستاني، أبو داود سليمان بن الأشعث (ت275هـ): سنن أبي داود، بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.

16. سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان (ت180هـ): الكتاب، تح/عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1408هـ/1988م.
17. السيرافي، أبو سعيد (ت368هـ): شرح كتاب سيبويه، تح/أحمد حسن مهدي وعلي سيد علي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1429هـ/2008م.
18. الشهراني، سعيد بن عبد الله: التخفيف، مجلة علوم اللغة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة مصر، 2000م، مج:3، ع:1، ص:144.
19. فوزي الشايب: أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة، عالم الكتب الحديث، اريد، الأردن، ط1، 1425هـ/2004م.
20. القاضي، عبد الفتاح: البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدرة، مكتبة أنس بن مالك، مكة المكرمة، ط1، 1423هـ/2002م.
21. الكفوي، أيوب بن موسى أبو البقاء (ت1094هـ): الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تح/عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط2، 1419هـ/1998م.
22. مازن المبارك: النحو العربي العلة النحوية نشأتها وتطورها، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط3، 1401هـ/1981م.
23. ابن منظور، محمد بن مكرم (ت711هـ): لسان العرب، دار صادر، بيروت، (د.ط.)، (د.ت.).



Stratégies argumentatives dans le discours rapporté: Cas de l'argument ad hominem

ROUBACHE Izzeddine

Doctorant en science du langage

Ecole Normale Supérieure de Bouzaréah/ Alger

Roubache_izzeddine@hotmail.com

Résumé -

La présente étude s'inscrit dans le champ de l'analyse du discours. Elle vise une analyse d'énoncés de discours rapporté (désormais DR) puisés dans des articles des quotidiens algériens Le Quotidien d'Oran et El-Watan diffusés durant les mois de janvier/ février 2011, période qui coïncide avec une situation de crise socio-politique en Algérie.

Nous essayerons, dans cet article, d'étudier l'argumentation ad hominem dans un corpus de la presse écrite en adoptant une approche descriptive et analytique. Notre objectif est de dégager et expliquer quelques stratégies argumentatives mises en œuvre par les journalistes lors du processus d'appropriation/ réappropriation du discours autre, et dans lesquelles ils recourent à l'argument ad hominem.

Mots clés –

Discours rapporté, Polyphonie, Argument ad hominem, Stratégies argumentatives, Presse écrite.

Argumentative strategies in the reported discourse: Case of the ad hominem argument

Abstract -

The present study is part of the discourse analysis. It aims at analyzing reported speech statements taken from some articles in the Algerian daily newspapers Le Quotidien d'Oran and El-Watan published during January and February 2011, which coincides with a situation of socio-political crisis in Algeria.

In this article, we will try to study the add hominem argumentation in a corpus of the written press by adopting a descriptive and analytical approach. Our objective is to identify and explain some of the argumentative strategies used by journalists during the appropriation/reappropriation process of the discourse of the other, within which they resort to the ad hominem argument.

Keywords -

Reported speech, polyphony, Ad hominem argument, Argumentative strategy, Written press.

Introduction et problématique

L'intérêt de cette manœuvre s'inscrit dans le domaine de l'analyse du discours. Notre problématique s'appuie sur la théorie de l'argumentation dans le discours. Il s'agit de dégager les différentes stratégies argumentatives relatives au DR; en particulier celles de l'argumentation ad hominem. En l'occurrence, nous tenterons de répondre à la question suivante: Comment le journaliste utilise-t-il l'argument ad hominem pour convaincre les lecteurs de son propre point de vue?

Notre corpus décrit une situation de crise socio-politique que l'Algérie a connue à l'aube de l'an 2011. Ce choix est motivé, d'abord, par le fait qu'une situation comme celle-ci crée une atmosphère dialectique et un contexte de débat d'idées politiques. Cet état de choses se répercute, nécessairement, dans le discours journalistique, vu le rôle important que les médias jouent dans la vie quotidienne des sociétés. Ensuite, le discours rapporté joue un rôle important dans la transmission de l'information, les journalistes qui n'avaient pas de

contact direct avec les faits représentaient des sources secondaires dans la connaissance des événements, ils s'appuyaient donc sur les témoignages. Encore, parfois le discours constitue en lui-même un événement qui doit être rapporté, comme les déclarations des responsables politiques. Enfin, les journalistes recourent à la citation à cause de ses effets d'authentification et de distanciation, autrement-dit ils utilisent le DR comme un moyen d'objectivation de leurs discours. En l'occurrence notre choix de décrypter les stratégies argumentatives employées par les journalistes dans le discours rapporté est motivé par l'aspiration de mettre en exergue la subjectivité journalistique dans un moyen d'objectivation du discours (c'est-à-dire le DR), ce qui veut dire que notre problématique s'inscrit dans la problématique plus générale de l'objectivité/subjectivité du discours de la presse écrite.

Pour répondre, efficacement, à notre problématique, nous débiterons, dans un temps premier par présenter succinctement l'historique des événements de janvier/février 2011 en Algérie, ce qui nous facilitera, par la suite, la compréhension et l'explication des exemples analysés parce que le discours ne peut être significatif que par rapport au contexte dans lequel il a été produit. Ensuite, nous passons à la théorie de l'argumentation de Chaïm Perelman dont un aspect essentiel, qui nous intéresse ici, insiste sur la relation entre la personne et son discours. En fin nous passerons, à l'analyse de quelques exemples de notre corpus afin d'illustrer et expliquer les stratégies de l'argumentation ad hominem dans la presse écrite.

Présentation des événements de janvier/février 2011 en Algérie

L'Algérie n'était pas à l'abri de ce qui se passe au monde arabe. Les manifestations en Algérie débutent quelques jours après la révolution tunisienne. Le 03 Janvier 2011 des émeutes de jeunes algériens réclament la flambée des prix de certains aliments¹.

Ainsi l'Algérie rejoint rapidement les revendications des autres peuples arabes. Cependant il n'y avait pas des réclamations pour un changement constitutionnel, parce qu'au début la seule revendication

¹Cf. MIDJEK. F., « Les produits alimentaires exposés à des augmentations en 2011 », El-Watan économie n°270 du 03/01/2011, p.06

apparente était de mettre fin à la cherté de la vie, résultat de la crise économique mondiale de 2009.

Quelques jours après les premiers émeutes, les manifestations prennent une autre allure avec la création du CNCD (: Coordination Nationale pour le Changement et la Démocratie) le 21 janvier 2011. Le CNCD réclame dès le premier jour de sa création le lever de l'état d'urgence, la libération des jeunes arrêtés durant les émeutes du 5 janvier 2011 et l'ouverture politique et médiatique².

Le CNCD organise des manifestations le 14 et le 19 février. Ces manifestations provoquent la levée de l'état d'urgence, en vigueur depuis 1992, le 24 février. Le 15 février le chef de l'Etat Abdelaziz Bouteflika procède à une deuxième révision constitutionnelle.

La prise en compte de la personne dans la théorisation de l'argumentation

Perelman reproche à Descartes d'avoir imposé une conception trop étroite de la raison, réduisant celle-ci à la certitude et à l'évidence, en rejetant tout ce qui est douteux ou controversé en dehors de la connaissance.

La Nouvelle rhétorique de Perelman constitue une cassure avec le rationalisme des Lumières, reproché d'être étroit. Chaim Perelman & Lucie Olbrechts-Tyteca débute leur chef d'œuvre "Traité de l'argumentation, la nouvelle rhétorique" par la phrase suivante:

"La publication d'un traité consacré à l'argumentation et son rattachement à une vieille tradition, celle de la rhétorique et de la dialectique grecques, constituent une rupture avec une conception de la raison et du raisonnement, issue de Descartes, qui a marqué de son sceau la philosophie occidentale des trois derniers siècles "³

La théorie de l'argumentation de Perelman adopte une perspective absolument différente du raisonnement cartésien. Un aspect important de ce changement réside dans le fait de prendre en considération la personne et ses actes, dans l'argumentation.

² Cf. CHARFAOUI. Z., « Partis de l'opposition et sociétés civiles : Une coordination se met en place », El-Watan du 22/01/2011, p.03

³ PERELMAN, Ch., & OLBRECHTS-TYTECA, L., (1992) "Traité de l'Argumentation. La nouvelle rhétorique" (5^e éd.). Bruxelles : Editions de l'Université de Bruxelles, P.01

"Si la personne est construite à partir de ses manifestations, celles-ci sont interprétées en fonction de l'idée que l'on se fait de la personne: la personne et ses actes sont en constante interaction"⁴

Perelman s'attache à étudier les "techniques discursives permettant de provoquer ou d'accroître l'adhésion des esprits aux thèses qu'on présente à leur assentiment"⁵, cela ne peut se dérouler dans un espace dépersonnalisé et qui requiert la participation des individus qui avancent des arguments ou y répondent.

Par ailleurs, à l'inverse des théories qui refusent fermement de reconnaître l'importance de l'auditoire, Perelman affirme que:

"Toute argumentation, quelle qu'elle soit, se propose d'influencer un auditoire - dans le sens large de ce mot, qui englobe non seulement des auditeurs, mais aussi des lecteurs -"⁶

La Nouvelle rhétorique insiste, ainsi, sur le rôle de la personne dans l'argumentation, parce que celle-ci ne se déroule pas dans le vide, mais dans une situation socialement et psychologiquement déterminée, qu'elle engage pratiquement ceux qui y participent. Perelman affirme que cette interaction entre locuteur et discours serait même la caractéristique de l'argumentation, par opposition à la démonstration.

Discours rapporté et argument ad hominem: Stratégies argumentatives dans la presse écrite

Etymologiquement, ad hominem signifie «à l'homme». Il s'agit d'un type d'argument par lequel on attaque l'adversaire directement dans sa personne en lui opposant ses propres paroles ou ses propres actes. Selon Plantin:

"L'argumentation ad hominem est un jeu développant et réarticulant les actes, les croyances ou les paroles de l'interlocuteur"⁷.

⁴ PERELMAN, Ch., (1997) " L'empire rhétorique: rhétorique et argumentation", Librairie philosophique J. Vrin. Paris, p.119

⁵ PERELMAN, Ch., & OLBRECHTS-TYTECA, L., (1992), Op.cit. P.05

⁶ PERELMAN, Ch., (1952), "Raison éternelle, raisons historique", Actes du VIème Congrès des sociétés de philosophie de la langue française, Paris, P. 351

⁷ PLANTIN, Chr., "Dictionnaire de l'argumentation Une introduction notionnelle aux études d'argumentation", PDF, p.28

Ainsi, nous avons renoué le DR et l'argument ad hominem pour distinguer trois stratégies argumentatives employant le DR dans le discours de la presse écrite:

01) La présentation de la source du DR: Argument ad hominem circonstanciel

Cette stratégie consiste à donner au locuteur original une présentation particulière dans le but d'orienter et influencer la lecture de son discours.

Selon Patrick Charaudeau, Présenter ses sources implique un mode de dénomination qui peut traduire une certaine posture de déférence ou de familiarité⁸.

De son côté, Chaïm Perelman "insiste sur le fait que l'argumentation met inévitablement l'accent sur les personnes spécifiques impliquées dans l'argumentation et que la relation entre le locuteur et ce qui est dit est toujours pertinente et importante."⁹

C'est sur cette relation locuteur-discours que se fonde ce stratagème: En révélant les défauts du locuteur original, le journaliste rapporteur amoindrit la portée argumentative du discours qu'il rapporte. Il attaque le locuteur original, d'une manière ou d'une autre dans ce qu'il est, c'est à dire dans sa personne. C'est ce que le philosophe Arthur Schopenhauer appelle "argument ad personam"¹⁰ afin de le distinguer de "l'argument ad hominem" qui, selon lui, concerne l'incohérence des propos de l'adversaire.

Chez Gauthier, cet argument ad personam correspond tout à fait à ce qu'il appelle argument ad hominem circonstanciel alors que l'argument ad hominem - tel que caractérisé par Arthur Schopenhauer - est l'équivalent de l'argument ad hominem logique. Du fait du caractère polysémique de l'argument ad hominem, nous allons adopter tout au long de cet article la terminologie de Gilles Gauthier.

⁸ CHARAUDEAU. P., (2005), "Les médias et l'information. L'impossible transparence du discours", p.129.

⁹ LEFF. M., « Perelman, argument ad hominem et ethos rhétorique », Argumentation et Analyse du Discours [En ligne], N° 02/2009, mis en ligne le 01 avril 2009, Consulté le 10 mars 2017. URL : <http://aad.revues.org/213>

¹⁰ SCHOPENHAUER. A., (1830), "L'art d'avoir toujours raison (titre original Eristische Dialektik)", (trad. Dominique Miermont), éd. Mille et une nuits, 1998, p. 66

Pour illustrer cette stratégie, nous prenons les exemples suivants:

Exemple (01)

Dans un article intitulé " Quand Belkhadem parle de «dialogue civilisé»", le journaliste Fayçal Métaoui rapporte les discours de quelques représentants du gouvernement algérien: le représentant personnel du président Bouteflika et le secrétaire général du FLN, à savoir Abdelaziz Belkhadem, le premier ministre Ahmed Ouyahia et le ministre de l'Intérieur Daho Ould Kablia.

«Nous sommes pour l'expression, mais pas n'importe comment, nous sommes pour le dialogue civilisé. La protestation doit s'exprimer de manière pacifique», a déclaré le secrétaire général du FLN. (...) Le FLN, qui s'est mis à genoux devant le nouvel ordre, est traversé par une crise interne que A. Belkhadem n'a pas pu juguler pacifiquement. Depuis sept ans, le parti, qui n'arrive pas à sortir de la culture de l'unicité de pensée, est livré à des secousses sporadiques qui l'empêchent d'avoir une vision politique à long terme. Bloqué dans «les douceurs» du passé, ce parti s'est adapté aux activités à huis clos, loin de la rue, de l'opinion publique et de la contestation réelle. (...) Sous les lumières aveuglantes du palais d'El Mouradia et derrière l'ombre furtive de Abdelaziz Bouteflika, Belkhadem n'a pas vu la tempête venir. Il était incapable d'anticiper la révolte.

Lui, comme Ahmed Ouyahia qui semble avoir perdu l'usage de la parole, n'avait trouvé aucune gêne à s'adapter au «débat» au sens unique et à tourner dans le même cercle. Au Parlement, le Premier ministre a même prévenu contre le recours à l'émeute. «Celui qui a mal la tête coupe la route et brûle les pneus», a-t-il dit, presque sûr de lui.

La réponse a été fulgurante. Ouyahia, Belkhadem et tout le pouvoir dénoncent la violence – comme le fait avec maladresse Daho Ould Kablia, ministre de l'Intérieur – alors qu'ils ont tout fait pour empêcher les Algériens de s'exprimer pacifiquement, même à l'intérieur des salles.

El Watan - Lundi 10 janvier 2011 – 2

Les représentants du gouvernement reprochent aux manifestants de recourir à la violence au lieu de manifester pacifiquement. Le journaliste ne semble pas convaincu par cette opinion et il s'efforce de convaincre les lecteurs que la cause des émeutes qui secouent le pays est la politique adoptée par le gouvernement algérien et non pas les citoyens qui veulent exprimer leur ras le bol.

Pour argumenter son point de vue le journaliste développe un argument *ad hominem* circonstanciel.

"L'argumentation *ad hominem* circonstancielle est une tentative pour mettre en contradiction avec lui-même un locuteur du fait d'une incompatibilité entre la position qu'il affiche et quelque trait de sa personnalité ou de son comportement."¹¹

Le journaliste-rapporteur donne des présentations variées aux sources des DR. ces présentations ne sont ni gratuites ni innocentes. En fait, par une présentation particulière qu'il donne au locuteur original il en oriente la lecture de son message. De ce fait, il convainc l'auditoire de son propre point de vue et non pas de ce que le locuteur s'efforce de transmettre.

Dans le premier paragraphe de notre exemple, le journaliste s'attaque à la personne de Belkhadem et aussi au FLN, la secte à laquelle il appartient. Il réfute le point de vue de ce responsable en faisant valoir que ce dernier n'a pas un comportement conséquent à ce point de vue. Le rapporteur affirme que le président du FLN n'était pas capable de juguler pacifiquement une crise interne au sein de son parti. Il veut dire, en comparant et en s'interrogeant, que Belkhadem exige de la population (qui est trop vaste et dont les occupations et les problèmes sont trop variés) de régler ses problèmes de manière pacifique alors qu'il est incapable de régler pacifiquement des problèmes au sein d'un parti politique dont il est le chef. Encore, il compte contre lui et son parti d'être loin de la rue et de la population ce qui le rend incapable d'anticiper la colère populaire. Par cette présentation que le journaliste a donné à Belkhadem, il lui construit dans les conceptions des lecteurs l'image d'un diplomate incompetent. Ainsi, il diminue grandement la portée argumentative de son discours; les lecteurs ne vont pas vraiment croire au propos de Belkhadem.

Pour présenter Ouyahia, le journaliste rapporteur utilise dans la locution introductive du DR l'expression "qui semble avoir perdu l'usage de la parole". Cette expression s'en prend directement à la personne d'Ouyahia, elle nuit à son image de ministre et politicien et le montre comme quelqu'un qui ne sait pas comment parler, qui n'a

¹¹ GAUTHIER, G., (1995) "L'argumentation périphérique dans la communication politique : le cas de l'argument « *ad hominem* ». HERMÈS - n° 16 - ARGUMENTATION ET RHETORIQUE (II), CNRS Editions, Paris, p. 175

pas de rhétorique ou par exagération comme un aphasique! Cela influence la lecture du discours rapporté. Encore, le commentaire "presque sûr de lui" qui vient juste après la citation désoblige le ministre et remet son discours en doute.

Dans le dernier paragraphe de notre exemple, le journaliste bien qu'il n'a pas cité la parole du ministre de l'Intérieur Dahou Ould Kablia qui s'est exprimé la veille aux médias¹², il essaye d'influencer la vision de l'auditoire vis-à-vis de ce que le ministre a dit. Pour ce faire, il utilise "avec maladresse" par ces mots il porte atteinte à la personne de Ould Kablia et le présente comme un maladroit, ainsi il influence sur l'auditoire, ce dernier n'irait pas s'adhérer aux propos du ministre car il est maladroit (selon le journaliste rapporteur).

Finalement, nous devons mentionner qu'un extrait de l'article a été repris et réécrit en gras au milieu de la colonne de l'article. "Le système instauré par Abdelaziz Bouteflika depuis 1999 est clairement opposé à toute expression pacifique dans la rue ou dans les espaces publics" donc la seule solution est le recours à la violence. En fait, cela représente la principale thèse défendue dans l'article, ou selon les termes de J.-M. Adam, la conclusion à laquelle doit s'adhérer le lecteur après la lecture de l'article.

Exemple (02)

Du haut de ses 78 ans, Dahou Ould Kablia, ministre de l'Intérieur, se livre depuis quelques jours à un véritable réquisitoire contre les jeunes Algériens. Des jeunes coupables d'avoir manifesté, parfois avec excès, leur ras-le bol, leur mal de vivre et leur dégoût. Les propos du successeur de Yazid Zerhouni désavouent de manière claire toute l'action du Président qui l'a nommé à ce poste pour «gagner» la confiance des jeunes.

Après avoir gardé le silence pendant 48 heures, le ministre de l'Intérieur s'est exprimé dans une interview accordée d'abord à l'agence officielle APS, puis au site d'information Algérie-Plus. Dans les deux interventions, la haine se dégage comme une tache blanche sur un tapis noir. «La frange de jeunes, dont nous connaissons par ailleurs la situation difficile, s'est mise en position de fracture totale par rapport au reste de la société», a-t-il tranché. Autrement dit, les

¹² "Le ministre de l'Intérieur s'est exprimé dans une interview accordée d'abord à l'agence officielle APS, puis au site d'information Algérie-Plus." El Watan - Mardi 11 janvier 2011 - 7

milliers de jeunes qui étaient dans les rues depuis le 5 janvier 2011 sont en «rupture» avec la société mais pas avec le pouvoir. Dans la lecture approximative de Ould Kablia, les jeunes sont en «guerre» avec la société, donc «c'est entre eux». Le pouvoir, dominé par les septuagénaires et les sexagénaires, n'a rien à se reprocher. Par conséquent, la société ne doit s'en prendre qu'à elle-même.

A Algérie-Plus, le ministre va plus loin, sans crainte de passer à côté de la vérité et de blesser la majorité des Algériens :

«Depuis le début des années 2000, nous savons qu'il y a une jeunesse qui est en train de constituer une génération tout à fait différente de celles qui l'ont précédée, avec les mêmes conditions de mal vie et les mêmes problèmes qu'ils considèrent comme insolubles pour leur avenir, mais avec la différence qu'il y a chez eux une dose de violence plus importante qui est justement née de cette période qu'ils ont vécue lors de la décennie 1990. Ils sont extrêmement nihilistes et pessimistes», a-t-il affirmé. (...) il y a une dose de mépris chez cet homme politique qui dépasse toutes les bornes. D'un seul coup et sans aucune précaution, le ministre a décidé que les jeunes sont... nihilistes.

Comme la réflexion est limitée, Daho Ould Kablia n'a pas tenté d'expliquer pourquoi les jeunes sont dans ce qu'il croit être un état d'esprit. Il s'est contenté de citer des raisons qui peuvent facilement être puisées dans un cercle proche de l'extrême droite européenne : «Manque de loisirs, scolarité perturbée, milieu familial désintéressé, l'influence de la rue et des médias étrangers.»

Les difficultés d'accès constatées hier au réseau social facebook ou à YouTube – des sites que Daho Ould Kablia ne connaît peut-être pas – soulignent que le pouvoir passe à un stade supérieur de la censure.

El Watan - Mardi 11 janvier 2011 – 7

Dans cet exemple, le journaliste rapporte les paroles du ministre de l'Intérieur. Nous pouvons remarquer clairement que le journaliste s'attaque directement à la personne du ministre par des propos désobligeants, blessants et grossiers.

En premier lieu, nous distinguons l'argument *ad hominem* circonstanciel relatif à l'âge du ministre (Du haut de ses 78 ans, Le pouvoir dominé par les septuagénaires et les sexagénaires). Par ces expressions le journaliste focalise l'attention des lecteurs sur l'âge avancé du ministre; il veut dire que le ministre est trop âgé, qu'il y a une grande différence d'âge entre lui et les jeunes manifestants. Donc, il ne peut pas comprendre les aspirations de la jeune génération. Cet

argument, relatif au facteur de la différence d'âge et par conséquent à la différence de mentalités et de modes de vie entre les générations, se trouve réconforté par l'expression à la fin de notre exemple (des sites que Daho Ould Kablia ne connaît peut-être pas) -en parlant de Facebook et de YouTube- pour dire que Daho Ould Kablia ne connaît rien de la vie des jeunes d'aujourd'hui.

En second lieu, on peut déceler le deuxième argument *ad hominem* circonstanciel par lequel le journaliste injurie la personne du ministre dans sa compétence professionnelle. Selon lui, Ould Kablia "désavoue de manière claire toute l'action du Président qui l'a nommé à ce poste pour «gagner» la confiance des jeunes." Ainsi, il transmet un message aux lecteurs, selon lequel cette personne ne mérite pas ce poste diplomatique parce qu'il est incompetent; le président lui a donné cette valise diplomatique afin de gagner la confiance des jeunes alors que lui, par ces agissements qui relèvent de son incompetence diplomatique, crée une rupture entre les jeunes et leurs gouverneurs.

Le troisième argument *ad hominem* circonstanciel blesse le ministre dans sa morale (la haine se dégage comme une tache blanche sur un tapis noir), cette comparaison signifie que le cœur du ministre n'est pas sain, il porte de la répugnance et de l'inimitié contrairement à l'éthique de l'Islam et de tout l'humanité.

Dans son discours, Daho Ould Kablia déclare que les jeunes qui sont à la l'origine des émeutes ont une dose de violence important. Il explique cela par le fait qu'ils ont vécu leur jeune âge durant la décennie noire (1990/2000). Le journaliste rapporteur ne semble pas convaincu par cela et il invite son auditoire à ne pas croire au propos du ministre. Pour argumenter son point de vue, le journaliste présente sa source comme une personne insolent et outrecuidant, il écrit: (Sans crainte de passer à côté de la vérité et de blesser la majorité des Algériens). Juste après le DR, il ajoute: (il y a une dose de mépris chez cet homme politique qui dépasse toutes les bornes), par ce commentaire il accable le ministre d'immoralité et de mépris de la jeunesse algérienne dont il est l'un des responsables qui, normalement, doivent œuvrer pour améliorer les conditions de vie de ces jeunes et non pas les mépriser.

Le quatrième argument *ad hominem* circonstanciel atteint le ministre dans sa réflexion et son intelligence. Dans le dernier DR de notre exemple, Daho Ould Kablia tente d'expliquer pourquoi les jeunes sont dans ce qu'il croit être un état d'esprit. Pour introduire son discours le journaliste rapporteur a choisi l'expression (Comme la

réflexion est limitée ...) pour disqualifier le ministre et convaincre, ainsi, les lecteurs que l'explication avancée par celui-ci est injuste.

Pour résumer le principe de cette stratégie argumentative ainsi:

X dit Q, or X est (défauts dans la personnalité de X : incompetent, maladroit, etc.) donc non-Q (il ne faut pas croire à son point de vue)

02) DR contre DR du même locuteur: L'argument ad hominem logique

Cette stratégie consiste pour le journaliste à chercher une contradiction dans les paroles du locuteur original pour qu'il s'en prenne à ses idées. Elle se fonde sur une contradiction d'ordre sémantique entre un "dire" et un autre "dire" assertés simultanément par le locuteur original. En partant de cette contradiction dans les propos du locuteur original, le journaliste développe une argumentation ad hominem logique. Il met ce locuteur en contradiction avec lui-même du fait qu'il endosse de quelque façon une contradiction logique.

Exemple (01)

Pour illustrer cette stratégie, nous proposons cet exemple, que nous avons extrait d'un article, du journal El-Watan, intitulé (MOHAMED JOULI. SOCIOLOGUE À L'UNIVERSITÉ DE TUNIS «Nous avons abattu la sécuritocratie !»).

L'universitaire (sociologue tunisien Mohamed Jouili) était tellement excité par ce qui est arrivé à son pays qu'il n'a pas hésité à lancer : «Nous souhaitons évidemment qu'il y ait un effet domino pour notre révolution dans tous les pays arabes.» S'étant rendu compte qu'il professait dans un pays en «stand-by» démocratique (l'Algérie), Mohamed Jouili a tout de suite lénifié son discours, un brin désolé, en déclarant : «Nous n'avons pas l'intention d'exporter notre révolution pour la simple raison qu'elle est dénuée de tout fondement idéologique.»

El Watan - Mercredi 2 février 2011 - 7

Nous remarquons qu'il y a une contradiction sémantique entre les deux discours rapportés. Or, ces deux déclarations émanent du même locuteur, en l'occurrence, L'universitaire (sociologue tunisien Mohamed Jouili):

- Propos A: «Nous souhaitons évidemment qu'il y ait un effet domino pour notre révolution dans tous les pays arabes.»

- Propos B: «Nous n'avons pas l'intention d'exporter notre révolution pour la simple raison qu'elle est dénuée de tout fondement idéologique.»

Il y a une incompatibilité intrinsèque entre les deux propositions. Dans la première le locuteur original souhaite un effet domino de la révolution tunisienne aux autres pays du monde arabe; alors que dans la deuxième il ne préconise pas la propagation de cette révolution.

"En elle-même cette contradiction ne peut évidemment pas donner lieu à un argument *ad hominem*"¹³. C'est seulement sur un plan pragmatique, du fait que les deux propositions sont assertées simultanément par le sociologue tunisien, que ce dernier est devenu susceptible d'une attaque *ad hominem* de la part du journaliste rapporteur. Ce dernier cherche à mettre en cause la deuxième proposition. Selon lui, l'universitaire tunisien souhaite vraiment exporter la révolution tunisienne à tous les pays du monde arabe, mais le contexte dans lequel il parle l'oblige à détourner son discours: "S'étant rendu compte qu'il professait dans un pays en «stand-by» démocratique, Mohamed Jouili a tout de suite lénifié son discours ". Ainsi, le journaliste a fait valoir le propos A sur le propos B.

03) Discours contre l'acte

Contrairement à la stratégie précédente, qui suppose une contradiction d'ordre sémantique entre un "dire" et un autre "dire" assertés simultanément par le locuteur original, cette stratégie consiste à confronter le discours du locuteur original à son acte. Le journaliste rapporteur utilise cette stratégie quand le comportement du locuteur contredit son discours. C'est le "dire" contre le "faire". Cela correspond à l'argument *ad hominem* circonstanciel qui peut "faire l'objet d'une évaluation praxéologique s'il est possible de mettre en évidence une incompatibilité entre la proposition affichée par l'adversaire et sa conduite."¹⁴

Pour illustrer cette stratégie argumentative, nous présentons trois exemples qui portent sur le même thème: Dans les trois extraits

¹³ GAUTHIER, G., (1995), *Op.cit.* p.173.

¹⁴ GAUTHIER G., (1998), « L'argument *ad hominem* politique est-il moral ? Le cas des débats télévisés », Communication 18-2 (<http://www.tau.ac.il/~adarr/index.files/bibliographies/adhomresumes/Gauthier2000.pdf>) p.13

suivants les journalistes mettent le gouvernement algérien face à une contradiction entre son acte, relatif à l'interdiction des manifestations pacifiques (en vertu de l'état d'urgence instauré depuis 1992), et les appels reproduits par ses représentants (ministres et représentant personnel du président de la république), qui ne cessent d'inviter le peuple à se manifester pacifiquement.

Exemple (01)

Poursuivant, Belkhadem dénonce le recours à la violence comme moyen d'expression. «Les marches ne sont pas interdites à l'intérieur du pays. A Alger, il y a des réserves à cause du risque terroriste. Mais ceux qui veulent organiser des rassemblements dans les salles, ils n'ont qu'à demander des autorisations», dit-il, faisant mine d'ignorer que l'opposition et les organisations autonomes font face à une répression féroce et qu'elles ne sont pas autorisées à se rassembler ni à Alger ni ailleurs.

El Watan - Jeudi 13 janvier 2011 - 7

Pour dénoncer la violence des émeutiers, le représentant personnel du président déclare que les marches ne sont pas interdites en Algérie à la réserve de la capitale. Il ajoute que ceux qui veulent manifester, il leur suffit de demander une autorisation.

De son côté, le journaliste rapporteur essaye de montrer l'incohérence des propos tenus par Belkhadem. Pour cela, il les a mis vis-à-vis des comportements du gouvernement algérien (dont Belkhadem est l'un des plus hauts responsables) qui réprime toute tentative de manifester et refuse les demandes de se rassembler.

Ainsi, le journaliste réfute l'argumentaire de Belkhadem et invite les lecteurs à évaluer sa parole qui est en parfaite contradiction avec ses actes.

Exemple (02)

Niet ! Il n'y aura pas de marche à Alger. Les autorités l'ont rappelé encore une fois au RCD. «Je vous informe que votre demande est rejetée», a écrit le wali d'Alger dans une correspondance adressée, jeudi 13 janvier, au parti de Saïd Sadi qui avait formulé, la veille, une demande d'autorisation d'une marche populaire, à Alger, devant être organisée mardi prochain.

En effet, comme il fallait s'y attendre, le ministère de l'Intérieur, représenté par les responsables de la wilaya d'Alger, a été prompt à signifier, sans explication aucune, l'interdiction de cette action visant

à accompagner la contestation sociale légitime, exprimée lors des dernières émeutes.

(...)

Pourtant, le ministre de l'Intérieur, Daho Ould Kablia, avait reproché aux partis de l'opposition de ne pas solliciter d'autorisation pour les manifestations pacifiques. Avant lui, le ministre de la Jeunesse et des Sports, Hachemi Djiar, avait dénoncé le recours à la violence comme moyen d'expression, invitant les citoyens à utiliser des procédés pacifiques pour exprimer leurs doléances. Mais ces déclarations ne sont finalement que conjoncturelles.

El Watan - Samedi 15 janvier 2011 – 8

Ici, La mise en opposition (Acte contre Parole) est marquée par l'usage de l'articulateur logique d'opposition "pourtant". En premier lieu, le journaliste présente l'acte des autorités représentant du ministre de l'Intérieur qui refuse fermement de donner une autorisation pour une marche populaire. Ensuite, il rapporte le discours de ce ministre et aussi celui de Hachemi Djiar (ministre de la Jeunesse et des Sports) qui reprochent aux partis de l'opposition et aux jeunes de ne pas solliciter d'autorisation pour exprimer leurs doléances par des manifestations pacifiques.

Exemple (03)

Et lorsque le ministre de la Jeunesse et des Sports, Hachemi Djiar a appelé les jeunes Algériens «à manifester pacifiquement», de nombreux observateurs politiques se demandaient s'il faisait dans la provocation ou si simplement il ignorait l'interdit en vigueur. Le RCD, qui essaie de prendre le train en marche, a voulu organiser une manifestation, il n'y a pas été autorisé, c'est dire que le verrouillage du champ de l'expression est bien réel.

Le Quotidien d'Oran Samedi 15 janvier 2011 p.03

Comme dans les exemples d'ElWatan, le journaliste de "Le Quotidien d'Oran" rapporte le discours du ministre qui appelle les jeunes algériens aux manifestations pacifiques. Ensuite il confronte le DR au comportement du gouvernement qui a interdit le RCD d'organiser une manifestation. Il y a là une remise en question l'appel de ce ministre.

Dans les trois exemples, ci-dessus, les journalistes-rapporteurs mettent en exergue l'inconsistance entre les propositions et la conduite des locuteurs originaux. En montrant cette incompatibilité, ils influencent la lecture des discours qu'ils rapportent.

D'ailleurs, nous constatons, aussi, l'usage de quelques expressions qui accusent les locuteurs, dont on rapporte les paroles, de tartuferie:(faisant mine d'ignorer, Mais ces déclarations ne sont finalement que conjoncturelles, de nombreux observateurs politiques se demandaient s'il faisait dans la provocation ou si simplement il ignorait l'interdit en vigueur).

Cela nous conduit à conclure que les journalistes-rapporteurs ont développé des arguments *ad hominem* circonstanciels de sorte tartuffes.

En fait, Gilles GAUTHIER distingue différents sorte d'arguments *ad hominem* circonstanciels. Parmi lesquelles "l'argument du tartuffe qui consiste à mettre en évidence l'incompatibilité entre la conduite d'un adversaire et le discours qu'il tient."¹⁵

Conclusion

A partir de l'analyse des exemples de notre corpus, nous constatons que l'attaque d'une personne donne lieu à des stratégies argumentatives certes communs quant à leur finalité mais néanmoins relativement différents quant à leur forme. Pour argumenter son propre point de vue, le journaliste-rapporteur influence la lecture du discours rapporté de différentes manières. Il peut attaquer frontalement le locuteur original ou bien presser ce dernier en le mettant en contradiction avec soi-même, cette contradiction peut être entre deux discours soutenus simultanément par le locuteur original ou bien entre son discours et son acte.

¹⁵ GAUTHIER G., (1998) « L'argument *ad hominem* politique est-il moral ? Le cas des débats télévisés », Communication 18-2, (<http://www.tau.ac.il/~adarr/index.files/bibliographies/adhomresumes/Gauthier2000.pdf>) p.13

Références –

- CHARAUDEAU, P., (2005), "Les médias et l'information. L'impossible transparence du discours", Bruxelles : De Boeck Université.
- CHARFAOUI, Z., « partis de l'opposition et sociétés civiles : Une coordination se met en place », ElWatan du 22 janvier 2011
- GAUTHIER, G., (1995) "L'argumentation périphérique dans la communication politique : le cas de l'argument « ad hominem ».
- HERMÈS - n° 16 - ARGUMENTATION ET RHETORIQUE (II), CNRS Editions, Paris
- GAUTHIER G., (1998) « L'argument ad hominem politique est-il moral ? Le cas des débats télévisés », Communication 18-2, pp. 71-87. (<http://www.tau.ac.il/~adarr/index.files/bibliographies/adhomresumes/Gauthier2000.pdf>)
- LEFF, Michael, « Perelman, argument ad hominem et ethos rhétorique », Argumentation et Analyse du Discours [En ligne], 2 | 2009, mis en ligne le 01 avril 2009, Consulté le 10 mars 2017. URL: <http://aad.revues.org/213>
- MIDJEK, F., « Les produits alimentaires exposés à des augmentations en 2011 », ElWatan économie n°270 du 03/01/2011
- PERELMAN, Chaim & OLBRECHTS-TYTECA, L. (1992). "Traité de l'Argumentation. La nouvelle rhétorique" (5^e éd.) Bruxelles : Editions de l'Université de Bruxelles
- PERELMAN, Ch., (1997) " L'empire rhétorique: rhétorique et argumentation", Librairie philosophique J. Vrin. Paris
- PERELMAN, Ch., (1952) "Raison éternelle, raisons historique", Actes du VI^{ème} Congrès des sociétés de philosophie de la langue française, Paris, PP. 347-354
- PLANTIN, Chr., (2016) "Dictionnaire de l'argumentation Une introduction notionnelle aux études d'argumentation", PDF
- SCHOPENHAUER, A., (1830) "L'art d'avoir toujours raison (titre original Eristische Dialektik)", (trad. Dominique Miermont), éd. Mille et une nuits, 1998, p. 66



De l'usage de la métaphorisation en sciences humaines et sociales : analogie, détour et/ou détournement de sens. Réflexions épistémologiques à partir de quelques phénomènes sociolinguistiques perçus en Algérie.

BECETTI Ali

Ecole Normale Supérieure (Bouzaréah/Alger)

Chercheur associé EA 4428 Dynadiv

Université François-Rabelais de Tours

babdelali@hotmail.com

Résumé -

L'auteur tente de défendre l'idée que les usages métaphoriques sont certes d'une importance capitale dans le champ des sciences humaines et sociales (SHS). Il en prend pour exemple le champ de la sociolinguistique, discipline pleinement anthropolinguistique, pour explorer quelques métaphores y circulant et les soumettre à un questionnement épistémologique. Celui-ci permet de montrer, entre autres, que les déplacements de sens ne sont pas nécessairement salutaires et seraient même heuristiquement d'un certain risque de routinisation voire de dogmatisation si aucune entreprise de distanciation et de renouvellement critique n'était menée pour filtrer justement les exercices analogiques de leur sédimentation conceptuelle.

Mots clés -

Métaphorisation - phénomènes sociolinguistiques - épistémologie – sens

ملخص -

يحاول الكاتب الدفاع عن القول بأن الاستخدامات المجازية هي بالتأكيد ذات أهمية قصوى في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية. وهو يأخذ على سبيل المثال علم اللسان الاجتماعي وهو مجال إنساني ولساني بمعنى الكلمة وذلك لاستكشاف بعض الاستعارات المتداولة فيها ووضعها أمام تساؤل إبستمولوجي. هذا الأخير يسمح بإبراز أن حركات المعنى ليست بالضرورة مفيدة بل قد تنطوي من الناحية التجريبية على جملة من المخاطر من بينها جعل المجاز ينساق وراء روتينية ودغماتية من الصعب بمكان تجاوزها دون إبعاد و تجديد نقدي لتصفية الممارسات التناظرية من ترسبات المفاهيم.

The use of metaphorization in human and social sciences: analogy, detour and / or misuse of meaning.

Epistemological reflections from some sociolinguistic phenomena perceived in Algeria.

Abstract –

The author attempts to defend the idea that metaphorical uses are certainly of paramount importance in the field of human and social sciences (SHS). He takes as an example the field of sociolinguistics, a fully anthropological linguistics, to explore some metaphors circulating and subject them to epistemological questioning. This work show, among other things, that the movements of meaning are not necessarily beneficial and would even be heuristically a certain risk of routinization or dogmatization if no work of distancing and critical renewal was conducted to filter precisely the analog exercises of their conceptual sedimentation

Key words –

Metaphorization – sociolinguistic phenomena – epistemology – meaning

Introduction

L'une des interrogations centrales qui occupe l'esprit des chercheurs en sciences humaines et sociales (SHS) est sans doute l'usage métaphorique ou métaphorisé pour rendre compte de phénomènes sociaux dont la référence ou l'explication exige des

détournements et des interprétations médiates. Ces emplois tropologiques seraient, de l'avis de beaucoup d'épistémologues, évidents voire nécessaires tant est incontournable l'activité de symbolisation à laquelle recourt le scientifique pour tout procès d'interprétation ou de mise en significations du monde.

On peut, de ce fait, trouver légitime de se demander si la métaphorisation est nécessaire dans les recherches en SHS et comment on pourrait l'associer à un type de questionnement épistémologique suscité par la fréquentation d'un champ disciplinaire éminemment social car anthropolinguistique : la sociolinguistique.

Dans les limites de cet article, et selon un certain niveau de pertinence qui ne peut être défini que « par référence aux questions qu'un langage théorique de questionnement permet de poser à un corpus d'observation¹. », nous allons nous intéresser à certains usages métaphoriques ayant cours en sociolinguistique. Nous nous appuierons sur un certain nombre d'observations empiriques² qui se rapportent à la matérialité langagière, et nous tenterons d'interpréter ses multiples manifestations dans le tissu, complexe et dynamique, des interactions sociales.

S'il y a un procès de métaphorisation dès lors que l'on se propose de décrire des entités symboliques telles que les langues et les phénomènes qui résultent de leurs « contacts »³, tout l'enjeu est d'en circonscrire alors les limites interprétatives et d'en jauger la portée heuristique. C'est ce à quoi tentera de répondre, en partie, l'objet de cette contribution.

¹ PASSERON, J-C., 2000, « Analogie, connaissance et poésie », Revue européenne des sciences sociales, Tome XXXVIII, n°117, pp.20. URL : <http://ress.revues.org/706> (30/12/2011).

² Ces observations ont été conduites dans le cadre de notre doctorat intitulé (Becetti, 2012) « approches sociolinguistiques des répertoires verbaux des jeunes algériens : pratiques et représentations » et dont s'inspirent en grande partie, les remarques de cet article.

³ On voit bien ici qu'on ne saurait échapper, en fait, à la métaphorisation non seulement en tant que procédé descriptif ou outil explicatif mais aussi en tant que procédé rhétorique puisqu'en l'évoquant, nous avons parlé du «contact», qui serait une autre métaphore qui circule dans le champ sociolinguistique, en particulier (cf. Tabouret-Keller, 2008).

1. Sciences sociales et sociolinguistique : des langues, des sociétés et des métaphores

Le champ sociolinguistique - mais est-il le seul ? - est sillonné de nombre d'usages métaphoriques qui servent, entre autres, à décrire et à expliquer des situations linguistiques, comme celles de langues en contact. A cet égard, il est sans doute instructif de signaler que les métaphores de « code », « switching », « dynamique⁴ », « poids », etc., pour n'en citer, à titre indicatif, que celles qui sont les plus fréquemment en usage sous le clavier des chercheur-e-s en sociolinguistique, ont été assez fécondes pour recouvrir des phénomènes langagiers dans leur extrême hétérogénéité, labilité et complexité. Ainsi, nombre de sociolinguistes n'hésitent pas à user de la métaphorisation – peuvent-ils y échapper, d'ailleurs ? - en en soulignant aussi bien l'importance que la valeur heuristique⁵.

Il est remarquable de noter qu'existe un ensemble de métaphores bien enracinées dans les pratiques de recherche en sociolinguistique, inspirées de diverses disciplines et « filées » de telle façon à orienter l'interprétation des phénomènes observés selon la vision des chercheur-e-s. En témoignent les multiples usages métaphoriques circulant dans plusieurs disciplines auxquelles a emprunté la linguistique, et qui renvoient, entre autres, à l'économie « avec son vocabulaire de prix, profit, consommateurs, etc.⁶ », à la biologie, en référant à des interprétations biologisantes prévalentes au XIX^e siècle chez les comparatistes et où justement les langues sont perçues comme des organes qui « naissent, vivent et meurent⁷ » ou celles, mâtinées de vitalisme, qui ont cours aujourd'hui concernant les

⁵ ROBILLARD de, D., 2007, « La linguistique autrement : altérité, expérenciation, réflexivité, constructivisme, multiversalité : en attendant que le Titanic ne coule pas » in Carnets d'atelier de sociolinguistique N°1, pp 01-149. <http://www.upicardie.fr/LESCLaP/spip.php?rubrique55>. (20/09/2010).

BLANCHET, Ph., 2002, Langues, cultures et identités régionales en Provence. La Métaphore de l'aïoli, Paris, L'Harmattan.

⁶ MOREAU, M-L (éd.), 1997, Sociolinguistique, concepts de base, Mardaga, pp.204.

⁷ CALVET, L-J., 2007, « Pour une linguistique du désordre et de la complexité », in Carnets d'atelier de sociolinguistique N°1, pp 18. <http://www.upicardie.fr/LESCLaP/spip.php?rubrique55>. (20/09/2010)

langues en danger à l'écologie, avec l'emploi de « milieu ambiant », d'« acclimatement/acclimation⁸ » ou encore, pour ne pas alourdir la liste, à la théorie du chaos en lui empruntant les concepts d'« attracteurs étranges⁹ ».

Cependant, il ne faudrait pas omettre de souligner le fait que la métaphore, à la fois, à cheval sur l'heuristique et la rhétorique, peut conjointement avoir des atouts et des inconvénients.

En effet, la sociolinguistique, au carrefour d'autres disciplines humaines et sociales, semble faire une place toute particulière, même de façon implicite, aux schèmes métaphoriques et à leurs pertinences heuristiques dans l'explication de l'hétérogène et la construction des modélisations. La persistance et la fréquence avec lesquelles sont utilisées certaines métaphores, comme celles de « contact », « mélange », « métissage », « hybridité », « distance », « guerre », etc., fortement perceptibles, en littérature, dans la description des situations plurilingues et pluriculturelles, qu'elles soient francophones ou autres, montre clairement qu'en sociolinguistique mais aussi comme partout dans les autres disciplines, qu'il s'agisse des sciences de la nature¹⁰ ou des sciences sociales et humaines¹¹, il est illusoire de vouloir se servir d'un langage qui soit aussi « a-métaphorisé » que possible puisque

« sans ces schèmes, l'élaboration des présupposés, des catégories, des grilles de description, des protocoles de vérification ne serait pas possible et le chercheur ne pourrait plus « fabriquer » du sens, donner des formes au réel, argumenter sur des objets dont les significations restent indexées sur des référents singuliers susceptibles d'interminables rectifications sémantiques. Le chercheur ne saurait plus comment s'accommoder de l'incapacité des systèmes sociaux à s'autosuffire sémantiquement. En somme, grâce à ces schèmes

⁸ Calvet, L-J, *ibid.* p. 51.

⁹ ROBILLARD, D. (de), 2001a, « Peut-on construire des « faits linguistiques » comme chaotiques ? Quelques éléments de réflexion pour amorcer le débat ». *Marges Linguistiques*.1, p.12 (www.margeslinguistiques.com).

¹⁰ LICHNEROWICZ, A., PERROUX, F., & GADOFFRE, G., (dir.), 1980, *Analogie et connaissance. Tome I - Aspects historiques*. Paris, Maloine.

¹¹ DE COSTER, M., 1978, *L'analogie en sciences humaines*. Paris, PUF.

métaphoriques, nous pouvons analyser les processus sociaux, agencer les représentations du social, généraliser les descriptions des phénomènes échappant aux transcriptions directes, aller au-delà des énumérations des caractères des phénomènes observables, arriver à circonscrire des nouveaux champs perceptifs, lier la conceptualisation de la description à celle de l'explication, réorganiser l'instabilité des données et des énoncés, multiplier les constats plus ou moins pertinents¹². »

Les vertus heuristiques des schèmes métaphoriques, énuméré supra pour le cas de la sociologie, sont également valables en sociolinguistique et ne semblent ainsi pas à contester, étant justiciable d'un « paradigme compréhensif¹³ » voire réflexif intimement lié aux postures qualitatives et herméneutiques, qui font la part belle à l'historicité, la multiplicité, la contextualisation, la fonctionnalité et l'expérimentation comme autant de processus compatibles avec les processus métaphoriques et « mixocompatibles » entre eux pour ouvrir ou multiplier/pluraliser les portes de rencontres avec l'autre et ainsi construire avec lui des significations toujours occasionnées, in situ, dans le hic et nunc des rapports intersubjectifs.

En revanche, reconnaître la valeur heuristique des schèmes métaphoriques pour rendre compte de l'hétérogène socio-langagier et ainsi nourrir « le raisonnement sociolinguistique » et cela, de par les multiples processus de similitude, de contraste, de correspondance et de différence, bref les déplacements analogiques auxquels ils font appel, n'en implique pas moins certains questionnements quant à leur pouvoir interprétatif des observables complexes. En effet, il semble

¹² BUSINO, G., 2003, « La place de la métaphore en sociologie », Revue européenne des sciences sociales [En ligne], XLI-126, pp.91.URL : <http://ress.revues.org/539>

¹³ BLANCHET, Ph., 2003, « contacts, continuum, hétérogénéité, polynomie, organisation « chaotique », pratiques sociales, interventions... quels modèles ? pour une (socio)linguistique de la “complexité” », dans BLANCHET, PH., & ROBILLARD, D. de, (éd.) Langues, contacts, complexité. Perspectives théoriques en sociolinguistique, Cahiers de Sociolinguistique n°8, Rennes, Presses Universitaires de Rennes, pp. 299-300.

qu'il y ait, parfois, une certaine tendance scientifique à vouloir toujours ramener le divers à des schémas métaphoriques pré-construits, déjà inscrits dans des modélisations ou conceptualisations théoriques elles-mêmes situées socio-historiquement et cela, en faisant l'économie d'interroger quelques présupposés qui, sans doute, fondent les processus analogiques. Cette façon de faire serait une sorte de « routinisation » voire « dogmatisation des concepts¹⁴ » puisque, justement, ces schémas métaphoriques, à l'instar de la notion de « code-switching » et ses présupposés structuro-technicistes tendanciellement monolingues « tendent à focaliser l'attention sur certains aspects des logiques sociales analysées, et à en laisser d'autres à l'abri du regard¹⁵. »

Pire, les usages métaphoriques, à force d'être repris par les chercheur-e-s dans des logiques d'interprétation du monde social – dont la composante linguistique – finissent par être routinisés et, à terme, perdent de leurs potentialités évocatrices et herméneutiques en l'absence de tout questionnement critique et comparatif

« la conceptualisation métaphorique devient stérile dès qu'elle se réduit à la répétition mécanique d'une ressemblance qui tourne en rond dans un modèle monotone d'interprétation, soustrait par la répétition à toute contre-interrogation comparative des différences. La croyance en la validité d'un schéma intangible d'identification des faits est autodestructrice dans une science où l'intelligibilité est toujours celle des rapports entre des faits qui sont sans cesse reconstruits par un langage théorique. Si la fixation obsessionnelle d'un discours scientifique sur une métaphore révèle presque toujours un enfermement d'école ou l'alignement mécanique sur une mode, c'est qu'une fois vulgarisée, la métaphore fige le sens social ou culturel des occurrences historiques dans la référence à un centre obligatoire du discours. L'usage routinier d'une métaphore impose,

¹⁴ CORCUFF, Ph, 2011, «Présupposés anthropologiques, réflexivité sociologique et pluralisme théorique dans les sciences sociales », revue Raisons politiques. Études de pensée politique n°43, pp.197.

¹⁵ Corcuff, *ibid*.

avec le même automatisme qu'un tic de langage, une interprétation centripète de toutes les formes descriptibles¹⁶. »

Dans cette optique, c'est en partant des considérations exposées supra que nous nous livrons, infra, à un retour réflexif sur quelques usages métaphoriques, à l'image de « poids », « code-switching », en nous proposant d'en critiquer certains éléments stratégiques. Pour ce faire, nous tâcherons de réfléchir constamment et, au besoin, conjointement à leur force heuristique et à leurs limites interprétatives.

2. Et si l'on mettait les langues dans la balance : retour sur quelques enjeux de la métaphore du « poids des langues »

Reposer ici la question du poids des langues n'a pas pour objectif d'attiser des polémiques déjà suscitées ailleurs¹⁷ sur le pour()quoi et donc le comment du « pesage des langues ». Si la métaphore du « poids » renvoie, certes et d'emblée, à une conception quantitativiste puisqu'il est entendu ainsi que l'on pèse des entités mesurables plus ou moins chiffrables à l'aide ou à l'aune de certains étalons de mesure fabriqués de façon ad hoc, en revanche, ses implications et son interprétation n'en débordent pas moins, qualitativement, en tous cas, le seuil statistique.

En effet, toute la charge sémantique « physiciiste » véhiculée par le terme « poids des langues » et ses succédanés tels que « mesure », « pesée », « masse », « pesanteur », etc. fait allusion à un objet quantifiable, tangible, palpable, « massifiable » et « réifiable » dont on

¹⁶ Passeron, *ibid.* p.20.

¹⁷ GASQUET-CYRUS, M., & CÉCILE PETITJEAN, C.,(dir.), 2009, *Le poids des langues. Dynamiques, représentations, contacts, conflits*, Paris, L'Harmattan, coll. « Espaces Discursifs ». cette publication fait suite à un colloque tenu à Aix-en-Provence en septembre 2007 sur la question des poids des langues et dont les actes ont été réunis sous la direction de Gasquet-Cyrus & Petit-Jean (2009) demeure, à nos yeux, le seul événement scientifique qui ait explicitement été dédié à cette problématique et cela, même si l'Observatoire de la langue française, en 2008, a essayé de discuter des modalités d'observation du français dans le monde en ayant un regard critique sur la valeur et le poids des langues.

peut évaluer la consistance : la langue. Or, à peine pose-t-on devant soi cet objet pour le « peser », que l'on se pose, alors, la question, délicate, de savoir en quoi il consiste. Pèse-t-on, pour le cas de la langue, des unités, sécables et clairement identifiées ? ou encore pour ce qui est des situations de contacts linguistiques, les plus fréquentes et les plus partagées dans le monde, d'ailleurs, des morceaux de langues, des unités « multiplexes¹⁸ » ou « indécidables » ? Il est clair que la métaphore de « poids », en offrant probablement l'avantage de la figuration analogique et cela, par les rapprochements interprétatifs qu'elle fait entre des réalités peu tangibles et préhensibles comme les langues, permet justement d'appréhender l'hétérogénéité sociolinguistique et d'en donner une intelligibilité sous forme de « diagnostic / pronostic de l'avenir d'une langue ou d'une communauté linguistique¹⁹ ».

Cette description sociolinguistique ainsi conçue a déjà permis, par ailleurs, d'établir plusieurs grilles pour des situations francophones plurilingues²⁰ et semble fondamentalement nécessaire, à la fois, à une échelle planétaire, sous forme « d'un index des langues du monde²¹ » en vue de connaître l'évolution des langues du monde en termes de diffusion et de praticabilité, autant de voies pour l'aménagement linguistique, et à une échelle locale, pour envisager des politiques éducatives et didactiques contextualisées.

Or, ce à quoi peut référer encore la métaphore du « poids » est que les langues peuvent pré-exister à leurs usages, éminemment pluriels,

¹⁸ BLANCHET, Ph., 2004, « L'identification sociolinguistique des langues et des variétés linguistiques : pour une analyse complexe du processus de catégorisation fonctionnelle », MIDL, Paris, pp. 31-36.

¹⁹ BULOT, Th., & BLANCHET, Ph., 2008, « Propositions pour une analyse glottonomique de la complexité des situations sociolinguistiques francophones », dans Séminaire international sur la méthodologie d'observation de la langue française dans le monde, AUF, Paris, pp.130.

²⁰ CHAUDENSON, R. & RAKOTOMALALA, D., 2004, Situations linguistiques de la Francophonie, AUF.

²¹ CALVET, L-J, 2008, « Le poids des langues : Vers un « index des langues du monde » et les éventuelles applications régionales de ce projet », dans Séminaire international sur la méthodologie d'observation de la langue française dans le monde, AUF, Paris, p.37.

polyfonctionnels, complexes qu'elles ne sont que des entités tangibles et chosifiées, qu'on peut identifier, catégoriser et éventuellement, accommoder à sa propre critériologie en omettant ou feignant d'ignorer tous les investissements subjectifs et coûts interprétatifs dont les chargent leurs locuteurs, sans qui elles ne peuvent d'ailleurs pas exister.

Ainsi, le comptage des unités linguistiques effectué dans le cadre des analyses quantitatives des répertoires des jeunes algérois-e-s²² a pu montrer que l'on peut tenter un « pesage » relativement pertinent des langues et cela, par le biais d'un système de calcul approximatif basé sur une approche « digitale²³ ». Cette technique nous a permis, entre autres, d'établir des échelles d'évaluation des variétés de langues présentes dans les répertoires verbaux des jeunes sujets enquêtés, d'en fournir une physionomie globale au sein des espaces discursifs où elles ont été produites et observées et de tisser des pertinences corrélationnelles avec des variables indépendantes (site géographique, profil socio-professionnel, sexe) qui, selon des critères de fréquence, d'absence/présence, de certaines variétés de langues, ont été autant d'indicateurs de la diffusion desdites langues dans le tissu urbain des sites géographiques dont sont issu-e-s les différent-e-s enquêté-e-s.

Ainsi, nous avons pu, à titre d'exemple, voir comment se répartissent les langues par locuteur, sexe et affiliation socio-territoriale en fournissant les scores quantitatifs enregistrés par rapport à chacune des langues identifiées. A cet égard, il est utile de rappeler que le français s'est avéré être une langue, à la fois, tendanciellement territorialisée à Alger-centre, y faisant office de médium de travail et de communication dans les différentes instances et structures qui s'y condensent et tendanciellement sexuée, étant usitée par les jeunes filles qui, indépendamment du site géographique considéré, apparaissent plus francophones que les jeunes garçons.

²² BECETTI, A., 2012, *Approches sociolinguistiques des répertoires verbaux des jeunes algériens : pratiques et représentations*, Thèse de doctorat, ENS, Alger.

²³ CALVET, L.-J., 2004, *Essais de linguistique. La langue est-elle une invention des linguistes ?*, Paris, Plon.

3. Langues « poids lourd », langues « poids plume » : métaphores pesées, métaphores pesantes ?

En fait, la « mise en unités²⁴ » a révélé que certaines langues, comme l'anglais ou l'arabe fusha, ne « pèsent » pas beaucoup dans les pratiques linguistiques des jeunes enquêtés et cela, en regard de leur faible occurrence dans l'économie globale de leurs répertoires verbaux. Cette « pesée » a pu ainsi rendre compte d'une certaine « évidence paradoxale », pour le cas de l'arabe fusha notamment, en ce sens que le discours officiel, qui légitime cette langue – entendue comme la variété classique, celle du coran - en la reconnaissant comme la langue de tous(tes) les Algérien-ne-s, semble succomber à son propre « poids » en créant une espèce d'apesanteur pour le fusha qui se trouve être, de facto, dans les productions langagières des jeunes sujets, peu utilisé et donc bien en deçà des « vues » et autres vœux pieux politiques.

Il est donc de toute importance de rappeler la vertu heuristique de la métaphore du « poids » à pointer la relativité des valeurs des langues sur le marché, les unes étant plus fréquentes, plus usitées, plus « familières » (français, arabe dialectal et les résultats de leurs contacts) que d'autres (anglais ou arabe fusha).

Or, si la « pesée » des différentes (variétés de) langues de façon « digitaliste » nous a été d'une certaine valeur heuristique en nous permettant des outils « falsificateurs » de certaines hypothèses formulées au départ de notre recherche, il n'en demeure pas moins qu'elle peine à rendre compte de certaines matérialités langagières complexes, rétives, voire « désobéissantes », qui ne se situent pas dans l'orbite habituel des pratiques et des outillages descriptifs des chercheurs puisqu'elles sont « entre les langues²⁵ », très fréquentes

²⁴ BLANCHET, Ph., 2009, «Gravité et relativité du pesage des langues : avantage, inconvénients et limites d'une métaphore », dans GASQUET-CYRUS, M., & PETITJEAN, C., (dir.), Le poids des langues, pp.81.

²⁵ ROBILLARD, D. (de), 2001b, « En lizje kokê patat ên lizje vej gardjê* ? La linguistique peut-elle passer « entre les langues » ? Exemples de

dans les situations plurilingues francophones, cas sans doute similaires de beaucoup d'autres dans le monde.

Sans reprendre ici la technique de comptage que nous avons utilisée, nous pouvons, en revanche, en dessiner quelques traits, symptomatiques d'une interprétation des pratiques langagières à l'aune d'une perspective « structuro-techno-linguistique²⁶ ».

En fait, la démarche « atomiste » et « structuro-systémiste » que nous avons adoptée pour le pesage des langues en présence dans les répertoires verbaux des jeunes algérois-e-s présuppose déjà résolue la question de l'objet à saisir, en l'occurrence « la langue ». Ainsi, les découpages monématiques et graphématiques auxquels nous avons procédé dans la matérialité langagière récoltée ont montré que les différentes langues à la disposition des jeunes enquêté-e-s, à l'image de l'arabe dialectal, l'arabe fusha, l'anglais, etc., n'ont pas, quantitativement parlant, les mêmes proportions et leur « poids » semble ainsi relativement modulé en fonction des scores statistiques enregistrés pour les unités en relevant.

A cet égard, il est utile de signaler le fait que cette présentation chiffrée des résultats a pu peut-être donner l'impression qu'il y ait des hiérarchisations entre les langues : celles qui seraient « poids lourd²⁷ », comme pour ce qui nous concerne ici, l'arabe dialectal ou encore le français et celles, moins produites, qui seraient « poids plumes²⁸ » comme l'arabe fusha ou l'anglais. On voit bien que cette

contacts français/créoles à la Réunion », Cahiers d'études africaines, n°163, pp. 465-496.

²⁶ BLANCHET, Ph., CALVET, L.-J. & ROBILLARD, D. (de), 2007, Un siècle après Saussure : la linguistique en question, Carnets D'Atelier de Sociolinguistique, n°1, L'Harmattan.

²⁷ TABOURET-KELLER, A., 2009, « La métaphore du poids est-elle pertinente pour traiter de la langue? », dans GASQUET-CYRUS, M., & PETITJEAN, C., (dir.), Le poids des langues, Paris, L'Harmattan, Coll. Espaces discursifs, pp. 39-40.

²⁸ PIEROZAK, I., 2009, « Le « poids » des langues sur internet. La revanche des « poids plume » ? », dans GASQUET-CYRUS, M., & PETITJEAN, C., (dir.), Le poids des langues, Paris, L'Harmattan, Coll. Espaces discursifs, pp. 293.

façon de peser les langues et d'en rendre compte est relativement mutilante puisqu'elle est biaisée par un certain nombre de paramètres, entre autres, son appui sur des critères quantitatifs polémiques. En fait, les découpages morpho-syntaxiques entre les langues arabe fusha, arabe dialectal et français, notamment, faisaient comme si elles étaient pré-existantes à leurs pratiques, bien identifiées, ayant leur propre autonomie, indépendantes des usages qu'en font les locuteurs. Or, si l'on adhère à une conception plutôt « sociolinguistique » des langues, celle qui « se veut **radicalement écolinguistique**²⁹, dans le sens où l'on peut penser que les langues et les sociétés (et les sciences) se modèlent mutuellement, en constituant un milieu ambiant l'un pour l'autre, en se co-configurant, comme la main polit, use le manche de l'outil, et l'outil rend la main calleuse, la modèle même parfois³⁰. »

Il est clair que les langues n'ont pas de « poids » en elles-mêmes et pour elles-mêmes mais sont relativement plus importantes, plus saillantes, plus valorisables et tendanciellement fonctionnelles lors de leur actualisation par leurs usagers dans leurs différentes et multiples situations de communication.

En outre, la préhension des langues arabe fusha, arabe dialectale et française dans la démarche de pesage ne les appréhendait que comme étant des entités autonomes, indépendantes les unes des autres, la manipulation par « unités » permettant de les séparer et de les quantifier. Cela a eu pour conséquences (et non des moindres !) de laisser, parfois, dans l'ombre, d'invisibiliser et éventuellement de mettre à la marge bien des zones de contact entre ces langues³¹ comme

²⁹ Soulignement de l'auteur lui-même.

³⁰ ROBILLARD, D. (de), 2005, « Quand les langues font le mur lorsque les murs font peut-être les langues : Mobilis in mobile, ou la linguistique de Nemo », in Revue de l'Université de Moncton, vol. 36, no 1, 2005, pp.133.

³¹ Cela même si l'on avait bien conscience que ces (variétés de) langues étaient en contact, générant des formes complexes, comme celles ayant été observées entre l'arabe dialectal et le français. D'où, d'ailleurs, notre prudence scrupuleuse à ne pas escamoter les phénomènes de contact qui en résultent en préférant les intégrer dans un couple variétal arabe dialectal/français, certes, ambigu, mais qui permet, en revanche, de référer justement aux mélanges qui se produisent.

les mélanges, les métissages et autres formes « interlectales³² ». Et nous pouvons, de ce fait, faire nôtres les interrogations de Blanchet³³ « comment peser ces formes probablement majoritaires à la surface de la Terre que sont les parlers mixtes, les interlectes, les compétences plurilingues et autres variétés au statut flou ? »

Ainsi, certaines formes identifiées comme faisant partie du couple variétal arabe dialectal/français, à l'image de « **ma y'passiwahch** » (ils ne le font pas passer), « **démarit** » (j'ai démarré), « **entraînit** » (je me suis entraîné), « **t'cassé** », (tu casses), « **yt'sépparéw** », (elles se séparent), etc., et traitées comme « indécidables » pour être difficilement mesurables à l'aune des étalons structurels des deux langues dont elles sont présumées dériver, appellent à plus de prudence quant à la modalité de « pesage » de ce type de faits de langue et aux résultats que l'on espère en tirer.

Il est probablement excessif voire erroné d'inférer des pourcentages relativement peu conséquents de ces formes repérées dans les répertoires verbaux des jeunes algérois-e-s le fait qu'elles n'y font pas le poids, donc marginales, éventuellement « minoritaires » ne survenant qu'à titre d'exceptions. C'est ici que l'on peut attraper la métaphore du « poids » en flagrant délit d'« illusionnisme » en donnant à penser des hiérarchisations, des étagements et des stratifications entre les langues façonnés par « les illusions d'optique » des descripteurs sans que les visions des locuteurs et leurs représentations et autres investissements subjectifs ne soient impliqués ou considérés.

Or, en s'intéressant justement à la façon dont les jeunes sujets appréhendent leurs propres pratiques langagières et celles des autres, nous avons pu révéler que le couple variétal arabe dialectal/français n'a pas fait l'objet de discours épilinguistiques. Les jeunes sujets percevant probablement leurs répertoires comme étant intrinsèquement donc naturellement plurielles, polyfonctionnelles et dynamiques, n'y voyaient pas les discontinuités dessinées par les

³² PRUDENT L-F, 1981, « Diglossie et interlecte », *Langages*, Vol.15, N° 61, pp. 13 – 38.

³³ Blanchet, Ph., *Ibid.* 81.

descripteurs et faisaient même comme s'ils avaient, certes, une langue, la leur, mais dont les contours sont à géométrie variable, constituée d'usages hétérogènes, complexes et pluriels. Cela peut nous renseigner, entre autres, sur le fait que la préhension des langues en tant qu'entités tangibles et quantifiables, qui plus est, sans la dimension qualitative que représente la part des « dire³⁴ » des usagers sur leurs activités linguistiques et, de surcroît, selon une perspective monolingue biaisée tourne le dos à la dynamique sociolinguistique éminemment fonctionnelle, complexe et protéiforme et peut conduire à des artefacts qui, au mieux, réduisent l'hétérogénéité langagière à des schémas préétablis et, au pire, n'ont aucun ancrage empirique.

Vu l'étendue des implications, à la fois, théoriques, méthodologiques et épistémologiques auxquelles nous amènent les réflexions critiques supra sur le « pesage » des langues, il est clair que l'on ne peut qu'effleurer certaines zones, stratégiques, de la question en prenant parfois peu d'exemples pour illustrer nos propos. Toutefois, il est sans doute instructif de noter que nos remarques visaient seulement la significativité voire l'indexicalité en misant plus sur la dimension critique et la portée qualitative des arguments avancés que véritablement sur leur aspect quantitatif.

Et pour conclure sur les quelques enjeux de la métaphore du « poids des langues » exposés supra, il s'avère que si les langues n'ont certes pas de poids en elles-mêmes, la façon dont on les mesure et appréhende « pèse » en revanche beaucoup dans la balance des évaluations linguistiques et des actions glottopolitiques ou « glottonomiques³⁵ » qu'elles induisent. La question a pu soulever ici d'autres questionnements fondamentaux qui touchent à la perspective adoptée (quantitative/qualitative ; émique/étique), au positionnement

³⁴BILLIEZ, J. & MILLET, A., 2001, "Représentations sociales : trajets théoriques et méthodologiques" Les représentations des langues et leur apprentissage. Références, modèles, données et méthodes, ss.dir. MOORE, Paris: Didier, pp.31-49.

³⁵ BLANCHET, Ph., 2008, «La nécessaire évaluation des politiques linguistiques entre complexité, relativité et significativité des indicateurs», dans Les Cahiers du GEPE, N°1, en ligne sur : <http://www.cahiersdugepe.fr/index898.php> (23/10/11).

épistémologique (positiviste/herméneutique) et aussi à l'angle de considération des faits de langues (monolingue/plurilingue). Autant d'interrogations qui, de façon aigue, bouleversent le champ sociolinguistique, notamment francophone, ces dix dernières années et continuent, toutes aussi critiques, de traverser l'ensemble des Sciences du langage. L'éclatement de la linguistique, science-pilote dans les années 60, a complètement reconfiguré la scène scientifique, son objet, « la langue », s'étant révélé hétérogène et hétéroclite, n'est plus consistant, au point qu'on a pu croire à sa « dilution ³⁶ » tant il semble, homogène, n'exister que dans la tête des linguistes les locuteurs, eux, optent pour des pratiques plurielles, fonctionnelles, localement significatives.

Pour ce faire, l'une des issues possibles pour sortir des éventuels dilemmes dans lesquels peuvent nous enliser les implications de cette métaphore, serait de réfléchir à la relativité sociolinguistique des langues en les concevant non plus en termes « physico-astronomiques », qui les apparenteraient à des entités inertes au point d'être réifiées mais plutôt selon des visions « écologiques ³⁷ » où, considérées dans leur extrême variabilité, elles sont perçues comme étant des pratiques hétérogènes, plurielles, « complexes », « chaotiques ») et « tendanciennes » inscrites pleinement dans des logiques de forces d'attractivité ou « gravitationnelles » mues, agies et modelées, qu'elles sont par des « besoins » qui « tantôt s'associent tantôt se heurtent les uns aux autres. L'harmonie et l'antinomie relatives entre les besoins est un fait dont on n'a pas encore tiré toutes les conséquences, mais qui constitue sans doute le facteur principal de la stabilité ou de l'instabilité des systèmes linguistiques ³⁸ ».

Cela étant, si les conceptualisations métaphoriques, comme celles du « poids », apparaissent parfois comme « routinisées », « stériles » voire compromettantes, s'avèrent, en revanche, souvent « fécondes » quand elles permettent de nouvelles passerelles analogiques entre les

³⁶ HOUDEBINE A.-M., 1991, « La dilution de l'Objet », Où en sont les sciences du langage dix ans après ? BUSCILA, Paris, 55.

³⁷ CALVET, L.-J., 1999, Pour une écologie des langues du monde, Plon, Paris.

³⁸ FREI, H., 1929 □ □ La Grammaire des fautes, Paris, Slatkine.

concepts et les objets favorisant ainsi des jalons pour des découvertes scientifiques mais « sous la double condition qu'elles ne cessent de creuser la distance qu'elles entretiennent avec leur concept-source et que la fréquence de leur répétition ne les transforme pas en lieux communs³⁹ ».

4. « Code-switching » : usages métaphorique, pragmatique et polémique

L'autre métaphore dont nous voulons exhiber ici quelques aspects critiques, devenue un concept heuristiquement opératoire, au fil du temps, dans la littérature sociolinguistique, et qui a été aussi au centre de nos préoccupations dans cette thèse, est le « code-switching » (alternance de codes ou alternance codique).

Il est peut-être étonnant que nous parlions de « métaphore » alors que d'aucuns pourront ne percevoir rien de tel tant le concept de « code-switching » - désormais (CS) - n'évoque, en sociolinguistique, qu'une catégorie, descriptive et interprétative, subsumant nombre de phénomènes de contacts linguistiques où différentes (variétés de) langues sont utilisées au sein du répertoire verbal du locuteur ou d'une communauté données pour remplir différentes fonctions discursives. Toutefois, si l'on remonte un peu dans l'histoire de cette notion, le schème métaphorique semble, en creux, fonctionner comme un principe d'économie, un rasoir d'Occam, prégnant à toutes les phases ou avatars par lesquels il est passé pour couvrir ou désigner certains comportements bi-plurilingues.

En effet, nombre de productions scientifiques, prolifiques, qui traitent des phénomènes de langues en contact sous le désignant générique « CS », sont imprégnées de l'empreinte « physicienne » de la notion de « code », qui trouve ses origines dans les sciences physiques avant de circuler dans d'autres sciences humaines et sociales telles l'anthropologie politique ou encore la sociolinguistique des contacts

³⁹ ANCORI, B., 2005, « « Analogie, évolution scientifique et réseaux complexes », dans Nouvelles perspectives en sciences sociales : revue internationale de systémique complexe et d'études relationnelles, Vol. 1, n° 1, pp. 56.

de langues⁴⁰. L'un des effets tangibles de cette empreinte est que les langues en contact sont perçues comme étant des variétés distinctes, bien identifiées, ayant leur propre autonomie et indépendance, pré-existantes à leurs usages, et qui peuvent être juxtaposées alternativement au sein d'un même échange verbal. Leur reconnaissance, en tant que telles, par les linguistes a permis de leur attribuer, in situ, certaines fonctions discursives qui sont (présumées) remplies par telle ou telle variété, et qui jouent le rôle de « contextualisation cues ».

Or, c'est cette association même, « mécanique », entre variété/fonction discursive, cristallisant l'idée de « code », pièce maîtresse des schémas de communication de Saussure ou encore de Jakobson qualifiés, parfois, de « ping-pong⁴¹ » qui a, selon nous, vraisemblablement renforcé la métaphore « physiste » du CS. Nous pouvons ici faire nôtres les critiques « sémiotiques » que décoche Klinkenberg à l'encontre du schéma jakobsonien et qui, assurément, valent aussi pour le CS tant tous deux reposent sur la notion de « code ».

Revenant à l'origine de cette notion, Alvarez-Cacàmo fait remarquer le poids de la théorie de l'information dans la formalisation du schéma jakobsonien où « code » est notamment entendu « as mechanism for the unambiguous transduction of signals between systems⁴² ». Les opérations d'encodage, décodage, recodage semblent ainsi être autant de processus engagés par les protagonistes en vue de s'envoyer des messages et cela, pourvu qu'ils aient le même code.

Le chercheur note, au passage, que la notion de CS utilisée par Jakobson renvoie non seulement à une alternance entre deux langues

⁴⁰ Une énumération des recherches qui traitent du CS serait, sans doute, ici de trop tant elles sont abondantes. La bibliographie qui figure en fin de cette recherche peut donner une idée de cette profusion scientifique sur la question.

⁴¹ KLINKENBERG, J-M., 2000, Précis de sémiotique générale. De Boeck Université.p.64

⁴² ALVAREZ-CÁCCAMO, C., 1998, « From “switching code” to “codeswitching” : Towards a reconceptualisation of communicative codes », In P. Auer (Ed.), Codeswitching in conversation, London: Routledge., pp. 29–50.

mais aussi entre deux styles au sein d'une même langue et pointe, en filigrane, du doigt le fait que dans la conception de jakobsonienne, faisant probablement allusion au glissement sémantique qui a affecté l'usage du CS, au fil de ses avatars historiques, jusqu'à finir par référer à l'emploi de deux codes distincts.

A cet égard, on voit bien l'impact du travail analogique à l'œuvre dans la notion de « code » dont s'emparent, ultérieurement, plusieurs sociolinguistes intéressés par la problématique des langues en contact.

5. Regarder les pratiques plurilingues avec le monocle du CS : les limites d'une métaphore

En fait, nombre de recherches sur le CS, même si elles reconnaissent plusieurs variétés utilisées par les locuteurs, ayant des valeurs localement interprétives et cela, pour autant que l'on s'inscrive dans un cadre pragma-interactionniste, font comme si elles étaient déjà clairement identifiées et ne remplissent, en contexte, qu'une seule fonction discursive. Pour prendre un exemple, sans doute illustratif de beaucoup d'autres parmi les observables, le passage à l'une ou l'autre (variété de) langue comme l'arabe dialectal, le français ou encore l'anglais, utilisées dans les tours de parole de certain-e-s jeunes enquêté-e-s, a été interprété par nous comme « indexant » certaines fonctions discursives : la convergence linguistique pour le français, l'esquive discursive pour l'anglais et l'effet émotif pour le cas de l'arabe dialectal.

En fait, même si cette analyse en termes de rapports d'indexicalité entre activités linguistiques/valeurs pragmatiques garde toute sa pertinence heuristique, toute une littérature sociolinguistique inspirée par les travaux pionniers de Gumperz en témoignant, il n'en demeure pas moins qu'elle est très discutable puisqu'elle semble s'appuyer sur une approche dite « pragmatique » mais « emballée » dans des formats « structuro-systémistes », qui préconçoit les langues comme des entités déjà délimitées, avec des frontières nettes, position privilégiée par ceux, encore agrippés à une conception monolingue des phénomènes de pluralité linguistique se complaisent à « se situer dans une logique de séparation / d'addition-juxtaposition, de frontières

stables et déterminées à l'avance, de l'extérieur, voire de manière objective et naturalisante⁴³. »

Dans cette optique, Castellotti rappelle, à juste titre d'ailleurs, que cette vision monolingue des parlers plurilingues hérite d'une tradition nord-américaine léguée par une conception gumperzienne « additionniste/juxtaposante » de ce qu'est une alternance codique.

En outre, il est utile de rappeler que cette vision « monolingue » du CS et des langues en général, serait, au fond, fortement liée, aux XIXe et XXe siècles, à une linguistique structurale radicalement « glossophobe », imposée et cela, dans le dessein de soutenir ses projets politico-idéologiques « nationalitaires⁴⁴ » tendanciellement colonialistes.

Cela étant, pour en revenir aux observables linguistiques traités comme des cas de CS, il s'avère polémique de soutenir la vision « monolingue » à partir de laquelle ont été envisagés certains exemples de contacts français/arabe dialectal, pour ne citer que des langues relativement fréquentes dans les productions langagières des jeunes algérois-e-s, puisque l'identification de segments ou unités linguistiques comme faisant partie de telle ou telle (variété de) langue a été faite, souvent, sur la base des grammaires respectives des langues impliquées. Or, plusieurs chercheurs⁴⁵ appellent à une certaine prudence à ne pas traiter les énoncés plurilingues comme s'il s'agissait d'une combinatoire de deux énoncés monolingues.

La perception des parlers plurilingues à l'aune d'une vision monolingue a nourri maints travaux « structurellement basés », qui, «

⁴³ CASTELLOTTI, V., 2011, « Alternances, parlers plurilingues, interlecte ? Quelle(s) terminologie(s) pour quelle(s) conception(s) de la pluralité ? in Langues et cité, Bulletin de l'observatoire des pratiques linguistiques, n° 17, pp.4-5.

⁴⁴ LE DU, J., & LE BERRE, Y., 1990, « Langue et institutions. A propos du breton » dans PULA N° ¾, Les langues polynomiques, Université de Corse, p.291.

⁴⁵ AUER, P., 2007, « The monolingual bias in bilingualism research, or: why bilingualism is (still) a challenge for linguistics », in: M. Heller (dir.), Bilingualism: A social approach, Houndmills: Palgrave, pp. 319-339.

cherchent, à travers les différentes et diverses situations plurilingues qu'ils explorent, à trouver une grammaire universelle du CS en dénichant les zones des « contraintes grammaticales⁴⁶ ». Sans réitérer ici les griefs adressés supra à l'encontre des « approches monolingues », il n'est pas sans doute redondant de rappeler certains biais qu'elles induisent :

« In sum, research on the grammar of 'code-switching' as a specific phenomenon shows a certain circularity of design. Where two or more 'languages' are assumed to pre-exist in a 'bilingual' s' speech, it is not surprising that the data are explained as a result of 'switching' in rather circumvoluted ways from one system to another⁴⁷ ».

« L'effet de circularité » dont parle l'auteur de cette citation témoigne de la posture « positiviste » et « prédictibiliste » de certains chercheurs qui pré-structurent les parlers plurilingues selon leurs propres catégories, souvent mono- en les supposant existants en soi et cela, avant même d'être actualisés par les usagers plurilingues et se lancent, ensuite, dans la recherche de leurs propres catégories qu'ils ont initialement projetés sur les phénomènes étudiés.

Ces considérations invitent donc à être beaucoup plus prudent voire assez réaliste pour ne pas succomber à l'attrait structuraliste auquel font recours certaines traditions sociolinguistiques qui, faisant la chasse aux contraintes grammaticales universelles dans les parlers plurilingues, donnent l'impression d'un « néo-générativisme sociolinguistique ». Ces appels à la vigilance scientifique contre l'emprise du « monoperspectivisme épistémologique⁴⁸ » se sont

⁴⁶ POLACK, S., 1980, "Sometimes I'll start a sentence in Spanish Y TERMINO EN ESPAÑOL: toward a typology of code-switching.", *Linguistics* 18, pp. 581-618.

⁴⁷ Alvarez-Cacàmo, *ibid.* p.36.

⁴⁸ BECETTI, A., 2011, « Quelques exemples de contacts français/arabes à Ténès. Gad youdjadou fi nahri mala youdjadou fi lbahri : français, arabe, « francarabe » ou ce qu'une approche « émique » peut donner à penser à la linguistique. », *Annales de l'Université de Craiova, Series Philology, Linguistics, ANUL XXXIII, N°1/2*, p. 46.

multipliés cette dernière décennie et invitent à arpenter d'autres voies où ce ne sont pas seulement les langues qui doivent être perçues et traitées comme étant plurielles, complexes, hétérogènes et fonctionnelles mais aussi et notamment la posture et les points de vue à partir desquels on les observe et pense.

Conclusion

Les usages métaphoriques, comme on a pu ici le mettre en évidence, servent à rendre plus intelligibles des processus sociaux, économiques, langagiers, culturels, etc. en apparence complexes et expriment des mises en signification dont on ne saurait rendre compte par la seule référence à leur inscription dans certaines dynamiques ou réalités sociales ; en parallèle, les dits usages métaphoriques, à force d'être asservis dans des projets de modélisation et de simplification, perdent de leur force interprétative et heuristique et tendent même à converger vers des processus de routinisation des phénomènes mis en question, voire de dogmatisation des schèmes qui en sont abstraits.

Ainsi, l'étude de quelques métaphores circulant en sociolinguistique (poids, code switching) a permis de révéler que ces détournements offrent, dans le champ des sciences du langage, en particulier, et en sciences humaines et sociales en général, des possibilités indéniables pour l'interprétation des données observées en situation et leur conceptualisation dans des représentations savantes toujours réexpliquées, réexaminées à l'aune de perspectives et approches, se nourrissant sans cesse d'analogies et de procès de déplacements constructifs.

Toutefois, la puissance de symbolisation et d'illustration que permettent les usages métaphoriques devrait être tempérée par leur double excès : la réduction et la naturalisation. En fait, rendre compte de phénomènes complexes au moyen de concepts métaphoriques permet certes d'en fournir une certaine intelligibilité mais n'en constitue pas moins un acte de réductionnisme dans la mesure où la mise en signification est déjà biaisée par la valeur sémantique portée par la métaphore utilisée. En outre, concevoir les processus sociaux, entre autres sociolinguistiques, par le truchement de métaphores, tend à les rendre naturels quand bien même on s'efforcerait à suivre les dynamiques de leur construction et de leur évolution.



A Rhetorical Analysis of the Persuasive Strategies in Political Discourse The case of Barack Obama's 2012 electoral campaign speeches

Miss MEDJEDOUB Rima¹, Prof. HAMITOUCHE Fatiha²

1-Department of Foreign Languages

Abdelhafid Boussouf University Center-Mila / Algeria

2-Department of English Algiers2 University / Algeria

medjrim@yahoo.fr¹

F_hamitouche@yahoo.com²

Abstract –

Given the outstanding importance bestowed on rhetoric and persuasive strategies as they are critical in many spheres, among them politics, this article came to analyze political discourse applying an innovative rhetorical framework that draws on the Burkean cluster analysis to answer the following question: what are the persuasive strategies employed by Barack Obama in his last electoral campaign? The data are comprised of the last campaign speech Obama delivered in 2012. The contribution of this research lies in: (i) providing an answer(s) to the research question and (ii) suggesting an inductive perspective to carry out rhetorical analyses. The results proved the efficiency of the suggested method as it permitted the identification of a combination of tactics Obama utilized. They are: emotional arousals, credibility, attack, and metaphor - albeit the existence of a heavy reliance on pathos.

Key terms -

rhetorical analysis, persuasive strategies, political discourse, inductive analysis, Barack Obama.

الملخص -

إن الأهمية البالغة التي تكتسيها البلاغة والاستراتيجيات الإقناعية في العديد من المجالات منها السياسية، دفعتنا إلى إنجاز هذا المقال الذي يرمي إلى تحليل الخطاب السياسي بتطبيق إطار تحليلي بلاغي جديد مستمد من طريقة بورك (1969) الموسومة بـ "طريقة التحليل بتجميع الكلمات" وهذا بغرض الإجابة على الإشكالية التالية: ما هي الاستراتيجيات البلاغية التي استعملها باراك أوباما في حملته الانتخابية الأخيرة؟ ولذلك قمنا باختيار آخر خطاب ألقاه أوباما في حملته الانتخابية الأخيرة في 2012 بغية تحليله. إذن سيساهم هذا البحث في: (1) إيجاد إجابة للإشكالية المطروحة و(2) اقتراح منهج استقرائي جديد للتحليل البلاغي. وقد أثبتت النتائج فعالية الطريقة المقترحة إذ مكنت من تحديد مجموعة من الاستراتيجيات التي استعملها أوباما وهي: المؤثرات العاطفية (الأمل، الاحتياجات، الخوف، المزاح والقيم)، والمصدقية، والهجوم والاستعارة- رغم وجود استعمال واسع للعاطفة.

الكلمات المفتاحية -

التحليلي البلاغي، الاستراتيجيات الإقناعية، الخطاب السياسي، التحليل الاستقرائي، باراك أوباما.

Introduction

People are flooded daily with thousands of statements demanding assent. If those messages or speeches are to get through to them – or to be listened to at all – they must be interesting and persuasive. To fulfill these requirements successfully, a rhetor's address must contain some strategies; these so-called persuasive strategies are the subject matter of rhetoric. So, it is the task of the rhetorical theory to pave the way for a successful persuasive endeavor. The most common use of the rhetorical theory is within political speeches.

In point of fact, political scientists, linguists and discourse analysts focus on different aspects when they discuss the relationship between language and politics as style, organization of ideas, and semantic meanings. The current paper is rather interested in how language is utilized for effective communication - now that rhetorical analysis has

seen a sort of revival, after a long period of disuse. I will analyse a sample of the US 2012 campaign speeches delivered by Obama applying the cluster analysis method. I will investigate Obama's use of rhetorical strategies as part of his struggle to gain and maintain his position in the White House.

For me, persuasive skills are valuable because they are highly employed in social and work situations; persuasive discourse can be found in various disciplines: media, advertising, and politics; it also goes on in courtrooms, universities, and the business world. Raymond (1982, p. 781) notes: "Rhetoric, applied to the humanities or any other field is even less certain than science, but also more useful." Therefore, language learners and users need to know these persuasive strategies and how they are used in order then to benefit from them in writing effectively, getting empowered for rigorous and constructive debates, and even protecting themselves from intellectual despotism.

1. Definition of Key Terms

The present research is concerned with the analysis of the rhetorical persuasive strategies in Barack Obama's discourse. The key terms in this endeavour are discourse, political speech, rhetoric and persuasion. We will shed some light on them because it is common for one concept to have slightly different definitions and interpretations. Inconsistency in the use of concepts may cause problems; therefore, one should aim at precision.

1.1. Discourse

Crystal (1997) conceptualizes discourse as a stretch of language, spoken or written, in context. It is the definition I shall adopt in this research work for though there are features which characterize written language in contrast with the spoken language (like absence of incomplete sentences) (Brown & Yule, 1983), I do not want to make a distinction between spoken and written discourse since I intend to analyse campaign speeches and we know that most of them are written, prior to – or following – delivery.

1.2. Political Speech

Political speeches are a genre of political discourse produced orally by politicians in front of an audience; they are usually carefully crafted by professional speechwriters. Their purpose is primarily persuasion rather than information or entertainment. So, such a speech is produced with the aim to convince the audience to decide according to the orator's proposal or, at least, to persuade them that the orator's opinions, advice or decisions are correct or plausible (Dedaic', 2005).

1.3. Persuasion

Seiter and Gass (2004) view persuasion as a form of influence that achieves its goal by guiding people toward the adoption of an idea, attitude, belief, viewpoint, behavior, intention, feeling and/or action through appeals to reason, emotions, or some other means rather than force.

Sometimes persuasion is defined as an art of speaking or writing. The idea of *art* is connected to rhetorical studies in that rhetoric is the art of persuasion. Aristotle (2010) claims that persuasion requires three fundamental techniques: appeal to logic, emotion and to the speakers' character.

1.4. Rhetoric

The English word *rhetoric* originally stems from the classical Greek phrase *rhêtorikê* which is usually translated as 'the art of rhetoric'. Over the course of 2500 years, the term rhetoric has been used in the context of public speech (Bogost, 2007) designed especially for persuasion. Aristotle defines rhetoric as "the art of discovering all the available means of persuasion in any given case" (Bizzell & Herzberg, 1990, p. 160).

2. A Revised Version of Cluster Analysis

2.1. Its Significance

Rhetoric is the art of persuasion and the rhetorical theory offers a method for discovering the means of persuasion in discourse.

The classical rhetorical theory has long focused on areas pertinent to persuasion since the Greek period (the contributions of the Sophists, Plato and Aristotle) and the Roman one (the works of Cicero and Quintilian).

In the turn of the twentieth century, the new rhetoric broke down with the old tradition that confines rhetoric to persuasion. New theories have promulgated in a quantity and audacity unprecedented in the history of rhetoric. Brock et al. (1990), for instance, identify twelve methods of rhetorical criticism; only seven of them are germane to the analysis of a persuasive discourse as the Social Movement Approach, the Identification Approach, the New Rhetoric Approach, Toulmin's Approach, etc. However, most such analytical methods, if not all of them, can be considered top-down in orientation. That is, all of them permit the conduction of a deductive analysis which means they risk imposing theoretical structures on a text that may resist them. The ready-made framework permits looking for elements discussed in the theories and present within the texts whilst ignoring other devices that

might be missing from the theories yet existent in the texts. Additionally, within the deductive paradigm, the same results are most likely to emerge from any text that falls under the persuasive category.

In contrast, and to contribute with something new, the research at hand supplies a revised version of Burke's cluster analysis method which makes an inductive approach possible. This latter would let the texts guide the findings, prevent predetermined results and help achieve a thorough investigation of a variety of the persuasive devices included in a discourse. Thus, one can see the need for and utility of a new perspective of analysis.

Furthermore, the use of the traditional deductive rationale have customarily necessitated searching an artifact before deciding on a method so as to consider suitable methodological approaches to reduce the likelihood that an artifact will be 'forced to fit' into a method that is inappropriate for that discourse. A bottom-up procedure will open room for either choosing a method first or an artifact first because, surely, such a perspective is capable of closely capturing the persuasive elements embedded in a text.

In sum, what I will bring to the field of Discourse Analysis is an alternative inductive systematic method for analyzing persuasive strategies in a discourse. I will, besides, demonstrate the utility of this method by applying it for the ultimate goal of identifying the rhetorical strategies deployed in Barack Obama's 2012 campaign rhetoric.

2.2. Method of Analysis

To undertake a discourse analysis, I undoubtedly need a framework, a method. Foss (1989) gives three possibilities when selecting a method: use of an existing method, creation of a method from an existing concept, or creation of a new method. In this endeavor, I decided on the second option in that I draw on Burke's cluster analysis to provide a framework.

To begin with, cluster analysis was initially formulated by Burke (1969) to study a writer's motives. Later on, it was used to discern a rhetor's ideology and to detect a text type but I redirect its use, here, towards the identification of a writer's persuasive strategies and argue for this possibility bellow.

First, in analyzing a persuasive discourse, the motive is already known: persuasion; so no need to use this method to know the motive. I suggest instead using it as a tool to investigate the persuasive strategies in a persuasive discourse.

Second, I will present the original version of the Burkean method and see, subsequently, how it is applicable to our case. Cluster analysis involves spotting the key symbols (or their synonyms) and the symbols that cluster around them in an artifact, then grouping the clusters into patterns from which the motives are deduced (Burke *ibid*).

Now, a writer, especially one whose purpose is persuasion, is normally conscious of the act of writing and conscious of selecting specific kinds of images to reinforce a certain kind of mood, feeling or reaction. Rhetoric requires primarily an awareness of the language choices we make. It would be illogical to say that a speaker, while trying to persuade others, would randomly choose key linguistic items (or their synonyms) and their clusters (also called equations). It is my belief that since keywords are generated non-arbitrarily, we have in turn a non-arbitrary basis for claiming that they form part of the writer's strategy to achieve his/her objective. Because the aim is to persuade, the options for particular items in a discourse represent a strategy to reach that aim. Furthermore, I consider the linguistic selections of a rhetor as part of his/her persuasive strategies as he/she would, purposefully, I think, associate some acts, images, colors, personalities or situations with specific notions and beliefs so as to direct the audience attention towards a specific way of perceiving something; of thinking, positively or negatively, about something; of seeing a way of doing things; and/ or of appreciating something. For these reasons, the whole work of selecting key terms and their equations in a discourse is done for the sake of persuasion. Certainly, then, the whole endeavour of extracting key terms and the clusters of terms around them by an analyst could be a means to denote a writer's persuasive strategies. For instance, a cluster analysis of a speech encouraging people to get insurance on their houses so that they do not remain unsheltered in case of a disaster may reveal that the speech is based on such terms as 'whole life', 'family', 'best' and 'disaster' and their associated clusters of terms. The study of those key terms and their clusters will probably end up by suggesting that the persuasive strategies here are fear and desire: instilling fear from sudden threats and tapping into one's desire for protecting family and leading a decent life.

To signal a final point, one would probably rush to compare this innovative application of cluster analysis to an analysis of the use of diction in a discourse and conclude that both processes are akin. I

would say, here, that an analysis of diction is an examination of the choice of *vocabulary* items (whether or not appropriate, ambitious, strong, etc.); however, my suggestion involves noting what subjects cluster around other subjects to transmit particular meanings to and effects on the audience.

2.3. The Analysis Steps

Let it be noted that four steps form the essence of a cluster analysis: identification of key terms on the basis of frequency and intensity¹, charting the clusters around the key terms, discovering the patterns in the clusters, and naming the rhetor's persuasive strategies.

2.4. Criticism

Cluster analysis is a method that shows how, in a persuasive discourse, appeals to interests, feelings, rational thinking and the like are revealed in perhaps the most innocent-seeming terms and their clusters. It might fail, however, to account for the role of the aesthetic dimension of language, elegance of style, or organization of ideas which are crucial for persuasion.

3. Methodology, Results, and Analysis

The methodology part provides the research question and describes in some detail the type of this research, its tool, the way this tool was put into practice, and the data on which it was applied. The analysis of the rhetorical situation and the campaign speech come subsequently followed with a discussion.

3.1. Research Question

The present article has addressed the following question: What persuasive strategies are used in Barack Obama's 2012 electoral campaign speeches?

3.2. Research Design

This research seems to be essentially descriptive, qualitative and interpretive. The descriptions, explanations and interpretations were conducted personally; therefore, this analysis is subjective: another researcher may interpret the data differently. Given the nature of the method adopted, the research was carried out inductively i.e. supporting arguments precede the standpoints.

¹ A term selected on the grounds of intensity is one which may not be consistently repeated but it may be extreme in degree, size, strength or depth of feeling conveyed. It may be, for example, a term that is used as the starting point for some of the rhetor's arguments and/or the focus of some conclusions. It is naturally charged or particularly significant in the works being studied.

3.3. Research Tool

The cluster analysis method was applied as the central framework for the analysis of Obama's discourse.

3.4. Data

In order to find out what persuasive strategies are employed in campaign speeches, I have chosen as a sample for analysis a transcript of a speech delivered by Barack Obama during the 2012 presidential elections campaign. It is entitled "*Remarks by the President at a Campaign Event in Columbus, Ohio*" and was downloaded from the white house official website: <http://www.whitehouse.gov>.

3.5. Analysis of the Rhetorical Situation

The rhetorical situation, which is quite illuminating for the analysis, refers to any set of circumstances that involves at least one person using some sort of communication to modify the perspective of at least one other person. Bitzer (1968) highlights the importance of the context within which rhetoric arises as a major factor in shaping it claiming that, "it is the situation which calls the discourse into existence" (p. 2). In order to analyze the rhetorical situation, I used the rhetorical triangle (Aristotle, 2010). It is composed of: the rhetor (their background help identify their attitudes), subject or issue (i.e. evidence or proofs), and audience (their knowledge and expectations with regard to the subject). The triangle, however, needs to be modified so as to reflect the vital element of context – a convergence of time, place where the writing or reading occurs (Roskelly & Jolliffe, 2009). All in all, the rhetorical situation will be analysed in terms of the context, the audience, and the orator.

3.5.1. Context

The speech is part of the 2012 general elections campaign in which the then President Obama ran against the candidate Mitt Romney from the Republican Party. Obama's speech took place on November 05th, 2012 with the intent to persuade the audience to vote for him. Throughout this period, the US was experiencing a terrible economic crisis that had started back in 2008. As for the place, the speech was delivered in a Nationwide Arena at Columbus, Ohio. Columbus has a generally strong and diverse economy based on education, insurance, banking, fashion, defense, aviation, steel, energy, medical research, health care, retail, and technology. It could not be a coincidence that this was the venue of Obama's final rally in which he emphasized the various economic activities on which his plan is grounded to aid his

country prosper again. Perhaps an audience which is accustomed to a diversified economy would be more open to the addressor's vision.

3.5.2. Audience

Certainly, the candidate's communication is directed at an audience, a term which implies both the specific audience, the spectators who are physically present or watching the speeches on TV; and the general audience, whom the speaker wants to reach later on via YouTube, websites, media i.e. the 'mass-mediated' audience by the technology of electronic communication. The rhetorical audience, here, is one consisting of every American – legal or otherwise. Although the estimated specific audience is more than 20000, the candidate seems to address the nation as a whole.

An audience as wide as the American nation varies definitely in knowledge, values, age, gender, intellectual capacity, social status, ethnic group, party affiliation – among other qualities. The effectiveness of a discourse could be influenced by any or all of these variables; for example, a speaker, in front of non-experts, might just pitch their comments avoiding details that can be reckoned necessary when facing intellectual recipients. In addition, audiences carry different expectations to a speaking occasion. Americans, in 2012, were expecting a candidate that would resolve their economic problems. These expectations did, I assume, shape the speech.

3.5.3. The Orator Barack Obama

Barack Hussein Obama (August 4, 1961) was the forty fourth President of the United States from 2008 to 2016. Obama is a graduate of Colombia University, in political science, in 1983, and of Harvard Law School in 1992. He worked in the field of law from 1992 to 2004 before serving three terms in the Illinois State Senate from 1997 to 2004. In 2008, he defeated the Republican John McCain and was nominated as the first African American President on January 20, 2009. In the same year he was awarded the Nobel Peace Prize. Three years later, he ran against Romney for the general elections and beat him to hold the office for a second term.

It is noteworthy that Barack Obama splashed onto the political scene with an inspirational, rousing speech at the Democratic National Convention in July 2004 (Price, 2008). In fact, Obama has not written all of his own speeches by himself. Some of his best speeches during his political career as a senator were his creations; but he has not written them all exclusively any more since. From 2008 until early 2013, the chief speechwriter of Obama was a young man named Jon

Favreau. Throughout his political career, the President has virtually always collaborated with his speechwriter, offered his own revisions, made changes where necessary and provided considerable input.

3.6. Data Analysis

As stated before, the framework of the analysis is the cluster analysis method. Accordingly, the analysis passed by four stages. The identification of the key terms formed the first stage. After that, the clusters that emerged around the key terms were charted, a process that was done on draft and is excluded from this part just for the sake of not sounding repetitive. Then, the clusters were examined in turn and grouped into patterns in a way that each pattern stands for a persuasive strategy. That is, steps three and four overlap in the section entitled 'analysis of the speech'. Each inferred persuasive strategy appears in bold type.

When extracting the patterns, quotes from the corpus illustrating each pattern are supplied. To facilitate the referencing of the quotes, the speech is numbered to refer the reader to the quotes. A quote followed by this parenthesis (15-16) means that it is situated in lines fifteen and sixteen in the speech; obviously, the example whose parenthesis is (15) implies that it is located in line fifteen.

3.6.1. Identification of the Key Terms

Before going any further, I have to detail how the key terms were identified even if we already know that this is done on the basis of their repetition rate and intensity.

Key terms	frequency
Fight	18
Change	17
Country	13

Table: *The frequency of the most repeated words in the speech*

From the table above, it is apparent that 'fight', 'change' and 'country' are the most recurrent ones in the speech.

With regard to the intensity criterion, I selected as key terms: 'opportunity' and 'storm'. These selections were made on the grounds stated hereafter. Concerning the term 'storm', it was chosen as a key term because the speech was given a week after hurricane Sandy, one of the strongest tempests that have ever hit America. At this moment, people were still affected by the storm and I wanted to see how the candidate seized the incident to appeal in some way to the audience especially that personalities like Bill Clinton declared that the

hurricane and its aftermath ended up helping Obama in that it affected the voter turnout for the Democratic Party (Camia, 2012). As for the term ‘opportunity’, it brings to our minds the ideal of the American Dream which makes success available for Americans as long as they work hard. It was my belief that this word is loaded in meaning and emotion as long as all Americans long for prosperity (especially after a crisis) and endorse this ideal. Of course, appeal to something shared, rather than something new, facilitates the persuasion process.

If the frequency criterion leads to an objective identification of the key terms, the intensity criterion does not seem so. It is relevant to personal estimations after several close readings of the speech to find that particular words could have an impact on the audience.

It is to be noted that the intensity-based selections are fewer in number in comparison with repetition-based ones. This is partly because the nowadays American speeches tend to be plain, void of strong charged words and rather full of ordinary ones.

All in all, the analysis is concerned with a totality of five terms: three of the most repeated words (‘fight’, ‘change’, and ‘country’) and two other whose identification was built on the intensity condition (‘opportunity’ and ‘storm’).

3.6.2. Analysis of the Speech

i. The Key Term ‘fight’

Around ‘fight’ is found a cluster of terms entailing what Obama and his assistants are and will be fighting for: “a growing thriving middle class” (65-66), children “languishing in poverty” (63), children “barred from opportunity” (64-65), “a fair shot” for everybody (67), “you and your family” (135), “real change” (139), “train 2 million Americans...with the skills that businesses are looking for now” (150-151), “tax breaks to companies that are investing ... in US” (162-163), “job” for veterans (172), “you” (197), and for “the future” (233). It is noteworthy that it is the words ‘what’ and ‘that’ which come near the term ‘fight’ but in the cited examples I substituted the two pronouns with the phrases they refer to for the sake of clarity. This cluster embodies most, if not all, the issues the candidate deemed of highest priority in his plan. The fight for these issues evokes the scene of a battlefield in which the fighters are Obama and his government members, the weapon is his plan and the enemy is the circumstances that led or would lead to poverty, lack of equal opportunities, or a lesser future. It seems that **war metaphor** is one of the speaker’s strategies to persuade the addressees of his own agenda. Moreover,

when he said “Our fight goes on” (67), he was depicting life as progression and political life, in particular, as a journey; hence, the **journey metaphor**.

Here is another cluster around the key term ‘fight’: “what we need to fight for.” (30), “our fight goes on.” (64, 65, 67), “what we’re fighting for” (153), “what we’re fighting for” (164) and “things that we’ve got to fight for” (206). Without doubt, the cluster is an echo of the idea of **unity**. In fact, it is the appearance of the pronoun ‘we’ and ‘our’ that led to such a conclusion.

The idea of **togetherness with the audience** crops up again through this cluster: “you... may” (140), “we have” (140), “we can’t give up” (140-141), “that’s what we are fighting for” (152).

Obama, further, mentioned some of his physical features to launch a **laughter** among the audience: “the scares” (139) and “the gray hair” (139). This is to prove to his people that he has made his best to tackle the aforementioned issues, to fight for change.

The final cluster around the key term ‘fight’ is really inspiring, full of **hope** and determination. We feel that in it Obama’s unwillingness “to give up on the fight” (213), his possession of “a whole lot of fight left in” him (123) and his wish that his people have that “lot of fight” in them when he said “I hope you do, too”, (214). Because of ellipsis, the term fight is implicit: instead of repeating “I hope you have a whole lot of fight too”, the rhetor used the auxiliary” ‘do’.

The persuasive strategies deduced from all I said above are: war and journey metaphors, unity, humour and hope.

ii. The Key Term ‘country’

While addressing his people, Obama shows his care of the nation thinking about its **future** and about taking it in the direction to attain the goals. Undoubtedly, anybody can see this in the light of the terms clustered around the key term ‘country’ (or around the pronoun *it* referring to ‘country’: “what it should be” (29), “what it can be” (30), “the future I see for this country” (156) and “to move this country forward” (201), “That’s the future I see for this country” (164-165).

Upon scrutiny of the surroundings of the key term ‘country’, I could also extract the American **value of hard work orientation**. It could be figured out from these sets of words: “families ... working harder” (61-62) and “workers here in Ohio and across the country building long-lasting batteries, building wind turbines.” (158-159).

Another value, that of **equal opportunity**, sprang from this cluster of terms neighbouring ‘country’: “As long as there’s a child anywhere

in this country who's languishing in poverty, and barred from opportunity, our fight goes on" (63-64), "a country where every American has a shot at a great education" (142-143), "if you fought for this country you shouldn't have to fight for a job when you come home" (171-172) and "in this country ... you can make it if you try" (240-241).

"This spirit has guided this country along its improbable journey" (49) and "to move this country forward" (202) are two instances directly quoted from Obama's speech. The main idea conveyed, through them, is that political activity and political life, in general, are conceived as a **journey** in which long distances have already been walked and other distances will be marched. In addition, as the orator **personified** the term 'country' in "I spoke for the country" (44), he thought of 'country' as standing for the whole American people. The **regenerative metaphor** is also present in the surroundings of the key term 'country'. An evidence of this would be: "this country's legacy of innovation" (153).

Here is another cluster around the key term country: "I spoke for the country" (44), "that spirit has guided this country along" (49), "families anywhere in Ohio, anywhere in the country" (61-62), "workers... across the country" (158). Assuredly, the essence of such a cluster is Obama's care to **address everyone in the nation**, not only a narrow group.

The last cluster around this key term is one denoting **unity**, a dear ideal for the Americans. The rhetor could make a hint to such an ideal when he spoke of anti-partisan politics in "I spoke for the country -- is that we will be with them every step of the way on the hard road to recovery" (44-45) and "I will work with anybody of any party to move this country forward" (201-202).

Drawing on the cluster analysis of 'country', it is found that Obama exploited the values of future orientation, hard work orientation, and equal opportunity, as well as the ideal of unity and metaphor (the journey metaphor, the regeneration metaphor and personification) so that his fellow citizens become inspired to adopt his plan.

iii. The Key Term 'change'

America, for Barack Obama, and perhaps for the audience also, needs change. Obama, in a kind of an **attack**, depicts Romney's plans as not representing change. Around the key term 'change' is spotted a number of clauses which illustrate this: "more power to the biggest

banks is not change” (119), “tax cutting favoring the wealthy not change” (120), “rubber stamp the sea party’s agenda in Congress not change” (123).

Near the key term change are located also the pronouns ‘them’ and ‘that’ which alone do not give a clear meaning. Thus, I preferred to write explicitly between brackets what each pronoun refers to so that the ideas around the clusters are clearer. The clusters are stated hereafter: “Giving them [old ideas] as change” (116) and “that’s [refuting to answer questions about the details of your policies until after the election] definitely not change” (121). When examining all those clusters, we easily notice that Obama is describing Romney’s plans and ideas as reflecting no change. This **attack**, whether justified or not, is reiterated in this sentence implicitly: “we know what change looks like” (118).

After accusing Romney of not making any change, Obama turned to presenting his own plans as the ones which embody the real **needed change**. Such an idea is noted through some words located in close proximity with the term ‘change’: “every American has a shot at a great education” (142), “train 2 million Americans” (150) “innovation” (153), “do some nation building” (166) and “reduce our deficit” (173).

The orator, besides, tried to **gain the audience confidence** by relying on his first term **deeds**: “you’ve been me fight for it [i.e. for change]” (138) and “you may be frustrated at the peace of change. So, am I” (129) in which he exhibits his honesty.

Again **personification** crops up when the rhetor associated the key term ‘change’ with other terms as in “what real change looks like” (138) and “change comes when..” (153) in which he compares change to a person whose traits are, perhaps, not clear and whose arrival is expected and, more than that, needed. However, this person is walking slowly “you may be frustrated sometimes at the pace of change” (128-129). In this last quote, we come, once more, across the **journey metaphor** by which Obama describes change as movement, or say travel, towards a destination.

The **value of equal opportunity** surfaces upon studying this cluster around the key term ‘change’: “Giving more power to the biggest banks is not change” (119), “tax cut favoring the wealthy -- not change” (120), “change we’re going to . . . – a country where every American has a shot at a great education” (142-143) and “Change is a future where we have to reduce our deficit, but do it in a balanced way” (174).

Equal opportunity is not the only value stemmed from words surrounding the key term ‘change’, there is another **value**, that of **honesty**, which is conveyed through these items: “You may be frustrated sometimes at the pace of change. I promise you, so am I” (129).

All in all, the strategies we have inferred are: attack, appeal to needs, credibility, the journey metaphor and personification, the values of equal opportunity and honesty, and unity.

iv. The Key Term ‘storm’

Two clusters appear nearby the key term ‘storm’. The first one contains words like “worst” (39) and “bad” (47), just for the sake of introducing the issue and **recognizing** the enormity of the storm.

As far as the second cluster is concerned, it conveys a sense of solidarity with and reassurance of the victims on the part of the speaker: “we will be with them” (44), “we will help them rebuild” (46) and “We are all in this together” (47). It is to be noted that the term ‘storm’ is implicitly referred to in examples (44) and (46). These clusters may also be an allusion to **unity** as Obama took a bipartisan position and his attitude was presidential vis-à-vis providing help to all the victims during and after the storm. I also notice the presence of the pronoun ‘we’ in the three extracts above. Fairclough (1989) describes pronouns as encoding certain values. In this case, ‘we’ might be used to spread responsibility and attempt to involve all the audience (government, political parties, other people, etc.) in the process of aiding people in storm damaged areas. In its entirety, Obama’s message about a current issue helped him probably to grab attention, **establish trust, evoke emotion, and promote unity**, a value highly appreciated by the American people.

Going through the clusters around the key term ‘storm’ permits the understanding that Obama tried to gain credibility and boost unity to expand his peoples’ support.

v. The Key Term ‘opportunity’

Through the key term ‘opportunity’ and the cluster around it, Obama conveys the message that he wants to promote the value of **equal opportunity** and to guarantee a life without barriers for education, prosperity, and success. The speaker relied on the following fragments to reflect his belief in and pursuit to enhance equal opportunity: “As long as there’s a child anywhere in this country who’s languishing in poverty, and barred from opportunity, our fight goes on” (64), “paths of opportunity for everybody” (66),

“everybody gets a fair shot” (68), “everybody does their fair share” (68), “everybody plays by the same rules” (69), “opportunity for everybody” (77), “everybody has a chance to get a great education”, (81-82), and “everybody has chance to learn the skills...” (82) and “broaden opportunity” (239). It bears drawing attention to my consideration of *chance* as a synonym to the term ‘opportunity’.

Applying the cluster analysis method to the corpus, I have found that the techniques utilized are grouped into four categories: emotional arousals (hope; needs; humour; values like future orientation, hard work orientation, equal opportunity and honesty; and ideals such as unity), metaphor (construction, regeneration, journey and war metaphors as well as personification), credibility, and attack. I would like to emphasize the dynamic relationships among speaker, text, audience, and context. Obama, for instance, would not have made appeals to, among others, needs, or hope if recipients were not experiencing an economic turmoil. His economic speech was delivered in a manufacturing state, Ohio, an avenue that manifests the importance he bestows on economy.

4. General Discussion

So far, I have tried to uncover Obama’s basic principles and elements involved in influencing the electorate in the American 2012 elections. I may say that the full power of persuasion is derived from the successful combination of several tactics.

Of the discovered strategies is the appeal to audience needs and hopes. Besides, to cause emotion to surge, Obama complied with the audience’s values. This is to say that such an appeal permits Obama to gain people’s trust as he could be a preserver of their values, the fact that promotes his credibility. In short, emotional appeals may sometimes work in conjunction with credibility appeals. Up to now, we have seen that credibility stands on, *inter alia*, the merits of emotional appeals.

This interplay between the various appeals is also witnessed in metaphoric influence. Metaphor is an efficient element to simplify concepts, relief tension, raise interest, intrigue hope and foster unity. That is, metaphorical instances help a speaker to connect psychologically with the audience. This work has also revealed that one reason for Obama’s success is that his linguistic choices are conveyed in captivating metaphors which often emerge from the American values and vice versa. We can say that there is an interrelationship between metaphor, rhetoric and politics.

The orator recognized that a purely logical speech would help gain agreement but will not be so interesting to the audience, and that some pathos – in fact there is a heavy reliance on pathos – is needed to keep the audience's attention and to excite them enough to act. At the same time, he also understood that a speech which only engages emotions may not bring the desired results for voters tend to expect a variety of strategies; thus, Obama's use of several kinds is justified by his willingness to follow the audience.

In sharp contrast to those who commend the practice of appealing to pathos, proponents of deliberative democracy oppose introducing passions into political speeches arguing that rhetoric, thus imbued with emotions, would manipulate people into an irrational consensus. More recently, however, postmodernists posit that reason itself is not neutral but a means of control and a form of coercion. Yet, for many other postmodernists, political speeches and persuasive argumentation coercion-free is possible within discourse.

Actually, the emotional appeal can aid to persuade listeners with limited mental capacities. A lay man, for example, will not have the ability to follow the complexities of detailed scientific proofs. So, pathos should be used to strengthen logical argumentation. Humour is an instance in this area. Making the listeners pleased and friendly is preparing them to receive a message.

Surprisingly, Obama, the first president of the United States of African heritage, does not explicitly, nor implicitly, try to limit his audience by sending specific messages to the blacks. He does not highlight, for example, the special impact of the recession on the blacks. The last Democratic president, Bill Clinton spoke often of the special concerns of African Americans. Obama, in his attempt to appeal to the whole nation, tells African Americans that the positive programs the government is working on will benefit equally all social groups i.e. wide audience. This is due, perhaps, to being half-white and /or to his upbringing outside the country away from the African American culture privilege, the fact which did not allow him to share their everyday experiences and struggles. His "betrayal" of the blacks could also be attributed to his determination to be a social *climber* and search for gain by "taking a cautious stance on America's race issues in an attempt to appeal to white voters" (Panorama, TV program).

Embedded in Obama's speech are the American ideal (unity) and values (hard work, honesty, future orientation and equal opportunity).

They are a proof of Obama's attention of contextual adjustment in language choice. In fact, any discourse with the purpose of persuasion requires the account for the cultural values of the society in which it is produced. Clark (1984, p. 23) said that, "The most fundamental requirement in constructing a persuasive message is to select arguments that are consistent with the beliefs and values of the audience."

The previous idea is concomitant with the contention of Jowett and O'Donnel (1992, pp. 22-23) that: "people are reluctant to change, thus, in order to convince them to do so, the persuader has to relate change to something in which the listener already believes." It seems that the orator followed this advice by incorporating his people's values and ideals.

As articulated previously, the rhetorical situation is made up of: context, audience and rhetor. We have already tackled the influence of the context and the audience on the message. Now concerning the orator's life course impact on his oratory, we have found that some of his ideas are relevant to his background. His frequent hint to equal opportunity and commitment to hard work reflect his life path and strive to move from the middle class to a popular successful leader.

Prior to concluding this discussion, I would like to state that with the application of the cluster analysis method, I could reliably infer a macroscopic picture about Obama's rhetorical mechanics to convince the American people of his capability to handle the country's affairs. The analysis, which is centred on key terms, permitted the identification of the persuasive strategies in the discourse but it failed to sort out all the instances in which a given tactic is deployed for the simple reason that that particular tactic might appear in other contexts in the same speech but not in the surroundings of the chosen key term.

Finally, the analysis of the political rhetoric of Obama revealed that he is quite adept and mature at using various persuasive tools and that he succumbs to the exigencies of the situation and the audience. The US ex-president, Obama, is possibly one of the greatest most polished orators. His ability to communicate well and excite audiences was illustrated throughout his campaigns.

5. Implications

The following points will tell about the possible implications of this analysis.

a. Teachers, on the basis of this research, might equip students with a critical awareness of how persuasive writing works, and a

better understanding of how persuasive devices can be deployed in their own writings. A weakness of much of the students' written productions is that they engage one appeal too heavily and ignore the others. They might focus strongly on logical appeals and leave feelings or trust to chance.

b. English learners can become more aware of the multitude of communicative and persuasive possibilities that exist in the language. They could utilize them not only in writing but also in speaking situations requiring their use.

c. Some English students may go onto careers in journalism or in speech writing and campaign design on behalf of political candidates.

d. This research can give directions in the area of language training of politicians; world events are triggered by the words and actions of national leaders and politicians. Thus, the work of politicians is largely based on their ability to use language well – to convince and persuade.

6. Limitations of the Study

a. Due to space constraints only one speech has been analysed. This both restricts our understanding of Obama's use of persuasive strategies and prevents drawing generalizations that cover political discourse in general.

b. Paralinguistic features (like body language and facial expressions) and prosody (rhythm, stress, and intonation) contribute also to the persuasiveness of a speech; however, they are excluded from this study.

7. Suggestions for Future Research

An analyst working within the rhetorical domain could look for clues about existing and changing persuasive strategies throughout time embraced by a particular personality or movement. A comparative study between pre- and post-election speeches could clarify the difference, if any, in the type of the rhetorical techniques Obama adopts. Similarly, one may choose to study the speeches of both a republican and a democrat and draw a comparison between the persuasive strategies each one uses. Another route some could take is to compare the ways in which persuasiveness is accomplished across two or more genres: business negotiations, judicial trials, advertising, and news writing. Sill with respect to comparative studies, one can draw the distinctions in the rhetorical persuasive tools between those of a US president and an Arab leader. Furthermore, it seems interesting to find out any gender differences and preferences when

males and females use language for persuasive ends. Of most importance is the application of Cluster Analysis over a wide corpus to end up with a theory of persuasion.

8. Conclusion

In spite of the fact that the newly suggested method of cluster analysis cannot account for all the persuasive techniques, including the paralinguistic and prosodic features; the results proved its efficiency as it helped identify the strategies Obama used as the emotional appeals, establishment of trust, attacking one's rival, and metaphors which convey purposeful underlying messages that are capable of changing people's positions. Needless to say that each of these strategies is not used in isolation but in conjunction with the others to maximize effect.

References

- Aristotle. (2010). *Rhetoric* (W. Roberts, trans.). Pennsylvania: Pennsylvania State University. (Original work published 320 BC).
- Bitzer, L. (1968). *The Rhetorical Situation*. *Philosophy and Rhetoric*, 1, 1-14.
- Bizzell, P., & Herzberg, B. (Eds.). (1990). *The Rhetorical Tradition: Readings from Classical Times to the Present*. Boston: Bedford.
- Bogost, I. (2007). *Persuasive Games*. Cambridge, MA: MIT Press.
- Brock B. L., Scott R. L., & Chesebro J. W. (Eds.). (1990). *Methods of Rethorical Criticism: A Twentieth Century Perspective* (rev. 2nd ed.). Detroit, MI: Wayne State University Press.
- Brown, G and Yule, G. (1983). *Discourse Analysis*. Cambridge: Cambridge University Press.
- Burke, K. (1969). *A Rhetoric of Motives*. California: University of California Press.
- Camia, C. (2012, November 15). Romney: Clinton said Hurricane Sandy Helped Obama. *USA Today*. Retrieved July 17, 2013 from <http://www.usatoday.com/story/onpolitics/2012/11/15/romney-clinton-election-sandy/1706831/>
- Clark, R. A. (1984). *Persuasive messages*. New York: Harper & Row.
- Crystal, D. (1997). *A Dictionary of Linguistics and Phonetics*. Oxford: Basil Blackwell.
- Dedaic', M. (2005). *Political Speeches and Persuasive Argumentation*. In R. Wodak, (Ed.). *Encyclopedia of Language and Linguistics* (pp. 728-740). On Politics and Language. CT: Elsevier.
- Fairclough, N. (1989). *Language and Power*. London: Longman.
- Foss, S. K. (1989). *Rhetorical Criticism: Exploration and Practice*. Prospect Heights, IL: Waveland.
- Jowett, G.S., & O'Donnel, V. (1992). *Propaganda and Persuasion*. Londres: Sage publications.
- Price, J. F. (2008). *Barack Obama: a Biography*. Westport, CT: Greenwood Press.
- Raymond, J. C. (1982). *Rhetoric: The Methodology of the Humanities*. *College English*, 44, pp. 778-783.
- Roskelly, H. S., & Jolliffe, D. A. (2009). *Everyday Use: Rhetoric at Work in Reading and Writing*. New York: Longman.
- Seiter, J. S., & Gass, R. H. (2004). *Perspectives on Persuasion, social influence, and compliance gaining* (2nd ed.). Boston: Pearson Custom Publishing.



A silent shouting towards Suicide

Slimane ABDELHAKEM

Université of Ghardaïa

abdel4767@yahoo.fr

Abstract -

In this article, the idea of suicide is depicted along Hemingway's writings. A sample of Ernest Hemingway stories about a character he called Nick Adams will be studied. Hemingway gave the hero of so many of his early stories the name of "Nick Adam" portraying in various collections. The study proved to be plausible only after Hemingway's death, in 1972, when the stories were collected, arranged in the chronological order of Adams' life which were found after Hemingway's death. It will be revealed that the paths towards suicide were clearly seen on the ground of the Hemingway's narratives. And the closer his steps towards suicide, the deeper his footsteps were in the land of his writings.

Key words-

Death, Steps, Stories, Suicide.

Résumé -

Dans cet article, l'idée du suicide est décrite dans les écrits d'Hemingway. Un échantillon d'histoires d'Ernest Hemingway sur un personnage qu'il a appelé Nick Adams sera étudié. Hemingway a donné au héros de tant de ses premières histoires le nom de «Nick Adam» dans différentes collections, et l'étude ne s'est révélée plausible qu'après la mort d'Hemingway, en 1972, lorsque les récits ont rassemblé la vie d'Hemingway qui a été retrouvée après sa mort. On révélera que les chemins vers le suicide étaient clairement visibles sur le terrain des récits d'Hemingway et plus ses pas vers le suicide étaient proches, plus ses pas étaient profonds dans le pays de ses écrits.

Mots clés-

Mort, Pas, Histoires. Suicide

الملخص -

في هذه المقالة، يتم تصوير فكرة الانتحار على طول كتابات همنغواي. سيتم دراسة عينة من قصص إرنست همنغواي حول شخصية يدعى نيك آدمز. قدم هيمغواي بطلا لكثير من قصصه المبكرة اسم "نيك آدم" يصور في مجموعات مختلفة، وقد أثبتت الدراسة أنها معقولة فقط بعد وفاة همنغواي، في عام 1972، عندما جمعت القصص، مرتبة ترتيبا زمنيا لـ "آدامز" الحياة التي عثر عليها بعد وفاة همنغواي، وسوف تكشف أن مسارات الانتحار ظهرت بوضوح على أساس روايات همنغواي، وكلما اقتربت خطواته نحو ، كلما كانت خطواته أعمق في أرض كتاباته. الانتحار

الكلمات الدالة -

الموت، الخطوات، القصص. انتحار

Introduction

Suicide is the act of intentionally causing one's own death. Suicide is often a result of despair, the cause of which is usually related to a mental disorder such as depression, alcoholism, or drug abuse, as well as stress factors such as financial difficulties and interpersonal problems.

It was, common among Romans and Vikings, less so with the Creeks, to praise suicide as the noblest form of death. However, Semitic religions such as Judaism, Christianity and Islam condemn it unanimously and with abhorrence, although they praise martyrdom. It is worth saying that there is a nuance between suicide and martyrdom.

In America, suicide tends to be regarded as a psychological or sociological phenomenon; it is likened to depression, mental illness, anomie⁵, egoism, social ostracism⁶, self-consciousness, boredom. Whereas the French, even though they gave us Durkheim, are also capable of understanding the phenomenon metaphysically, in terms of being, representation, consciousness, absurdity, fate. However, some sociologists have asserted that the mere act of suicide provides sources of pleasure and therefore of motivation.

Suicide in literature is a common theme. The character's act of deliberately killing himself. This theme is very widespread and commonly met in many important works of literature. Authors use the suicide of a character to depict, frustration, boredom, despair, love, or

honor. All these feelings result either from devotion or depression, the act of suicide was and is a prevailing a within literatures.

If one would like to explore the treatment of suicide in literature, a good start, I guess, should be with Hamlet, where Ophelia throws herself into a river- I leave the pleasure for you to go within the play-.

Suicide, in literature, is not restricted to heroes. In his work *Madame Bovary*, Gustave Flaubert implicates Emma, heroine, who lives a series of frustrations and hopes of a mirage .Being tired of the huge struggle of her life and the limits she is willing to step beyond in search of pleasure and enjoyment. Suicide comes after her failure to secure a lover, as well as her colossal debt, shove her to commit suicide. Suicide is the only answer to her dilemmas.

Some authors who have devised characters and made them commit suicide have committed suicide themselves. Ernest Hemingway shot himself in 1961. That is why, no wonder that some of his short stories included suicidal themes. The poet Sylvia Plath committed suicide by self-asphyxiation in 1963.

Realists introduced the new image of America by gathering a wide variety of details resulted from observation and documentation.

In other words, realists succeeded to give this new image characterized only by common aspects American society was sharing. Hemingway succeeds to use language, history, fact and fiction together; he told naked stories in a naked language. Working with concept of truth and beauty and realism, Hemingway makes it possible to see the way it was an idea of naked truth.

Hemingway expatriate beginnings on the continent of Europe during the period 1920-1925 shaped his literary activities and it is hard to ignore the importance of the European experience in Hemingway's development as a special writer. Ernest Hemingway's works concentrating on his experiences during World War I, World War II, and the Spanish Civil War, and thanks to his journalistic style that makes many of his short stories seem more fact than fiction.

When we read two passages, one from *A Farewell to Arms*, the other from *The Old Man and The Sea*, they will show the wide range of Hemingway's naturalism "if people.....If you are none of these you can be sure that it will kill you too but there will be no special hurry." (FTA. p.193) and in the second passage from 'TOMS' he thinks clearly about man and nature "Then he was sorry for the great fish that had nothing to eatit is enough to live on the sea and kill our true brothers.(p.66)

Hemingway's novels present a symbolic interpretation of life. They are written in a simple but unconventional style. He has portrayed the modern man a directed thing obeying the unavoidable

world which increasingly seeks to reduce him to an uncontrolled thing.

After reading many of Hemingway's novels and short stories, and especially because this quotation "The seven eights of Hemingway's meaning are under the iceberg" haunts my mind, many questions seem ineluctable and for this chapter I content myself with this one:

Why did Hemingway pass away the way he did (suicide)?

In 1918 he was struck by mortar-burst which a sparkle was ushering him to write; working for newspaper syndicates. At the same time, Hemingway's obviously autobiographical works, *Green Hills of Africa* and *A Moveable Feast*, are barely more autobiographical than his fiction, in many ways, just as fictional. In *Hemingway A to Z*, Charles Oliver describes the work of the narrator: "It is journalism written by a man who was fascinated by death." In his eight first years as a writer, between 1925 and 1933 Ernest Hemingway published sixteen stories about a character he called Nick Adams. Hemingway gave the hero of so many of his early stories the name of Nick Adam portraying in various collections, the narratives appeared disconnected and incomplete. After Hemingway's death, in 1972, the stories were collected, arranged in the chronological order of Adams' life, which were found after Hemingway's death. From this reorganization emerged a coherent picture of Nick's life. Hemingway's hero from his boyhood is in upper Michigan through his adult experiences. Nick Adams' life is nothing but Hemingway's life.

It is easy to reveal the profound moral language of Hemingway but it is there. Hemingway presents human life as a omnipresent struggle which ends in death. It is no avail to fight this battle, where man is reduced to a pathetic figure by forces both within and without. However, what matters is the way one faces the struggle. In a world of pain and failure, the individual also has his own weapon to assert the dignity of his existence. The freedom of will is to create human's own values and ideals

All the writers at that time, Steinbeck and Dos Passos, Mencken and Lewis, Cather and Fitzgerald as well as Faulkner and O'Neil had their words to say. Hemingway who takes precedence over the question of honor, analyses the individuals' behaviors put through constraints. These writers didn't find in America the shelter for their art and thought to immigrate to Paris. The prohibition of the selling of alcohol made these people furious (Gray and Hofstadter. p.114.)

Hemingway in his writing uses a unique style to tell hard stories. He depicts characters in his stories such as bloodied prize fighters, hire killers, bull fighters, crippled soldiers, hunters of wild animals and deep sea fisherman. Hemingway wanted his characters being heroes, but they all in some way dealt with the perception of death.

Every main episode, in many of his novel, ends, evidently, in physical brutality, and usually in death. An abusing exposure to violence and death produced first a compulsive fascination with dying, and ideal symbols for it. Death is the recurrent theme in many of his novels. The perception of death is obvious and eminent in many of his novels along with his own biographical background. Hemingway wrote about characters that in some way or another dealt with death because Hemingway himself wanted to die. He has been deeply depressed by the deaths of his good friend. Ernest had written to the family in 1918, after being wounded, that dying was a very simple thing, for he had looked at death and he knew. He said that it was undoubtedly better to die in the happy period of youth, going out in a blaze of light, rather than having one's body worn out and old, and illusions shattered

Hemingway life was characterized by emotional turmoil, constant travel, frequent illness and accidents. There were both physical and psychological reasons for Hemingway's numerous accidents; he was huge, clumsy man with a bad temper, behaved recklessly and irrationally, drank heavily and was frequently out of control. He deliberately placed himself in risky situations in driving, boxing, skiing, hunting and war. He was also extremely strong and able to take punishment, felt that he was indestructible and had amazing powers. He willingly tested his body, to the point of self-destruction, in a self-hardening process that proved he was indifferent to wounds and pain, eager for the extremes of experience.

The best characters, for Hemingway, are men who deal with death and get ready to its risk. To understand the reason why Hemingway makes his characters spiraling down in the cavernous vortex of violence, we, beforehand, should look at his own life and how the essence of death haunted Hemingway himself.

Great writers always withdraw their essence from their own experience. They write about their youth, their fear, their hopes and their desire and their despair.

Never man instinctively hated human life, our human life...more than Melville did. And never was a man so filled with the sense of vastness and mystery of life which is non-human. He was mad to look over our horizon...to get away, out...to cross a horizon into another life. Away from humanity. To the sea.. to go to sea, to escape humanity.(Lawrence p.142)

The first story of Hemingway was an initiation into violence and pain, acquainting, in an early age, with the harsh and unpleasant reality of life; it was his first contact with birth, pain and death. What led to the Indian father's death by suicide is undoubtedly the Indian mother's both the physical and the emotional pains. When analyzing this first event we feel in need to state what Freud asserts when he

goes beyond creative writers by giving this truth a theoretical basis. Anxiety insofar it is “the reproduction of an old event,” repeats childhood reactions to traumas when similar traumas occur in an adult life. Freud states, It is only experience in childhood that explain susceptibility to later traumas (Henry Idem. p.16)

What did Freud said was that he suggested that there exists in psychic life a “repetition compulsion,” which goes beyond “the pleasure principle.”

Freud adds:

The earlier psychic state may not have manifested itself for years but nevertheless continues to exist to the extent that it may someday again become the form in which psychic forces express themselves, in fact the only form, as though all subsequent developments had been annulled and made regressive. This extraordinary plasticity of psychic development is not without limits as to its direction; one can describe it as a special capacity for retrograde action or regression, for it sometimes happens that a later and higher stage of development that has been abandoned cannot be attained again. But the primitive conditions can always be reconstructed; the primitive psyche is in the strictest sense indestructible.(Ibid p.27).

Short stories of Ernest Hemingway

Along his eight first years as a writer, Ernest Hemingway published sixteen stories about a character he called Nick Adams, published posthumously in 1972. Appearing in various collections, the narratives appeared disconnected and incomplete. Arranged in the chronological order of Adams’ life, and from this reorganization emerged a coherent picture of Nick’s life. Hemingway’s hero share many experiences and regrets. Only with a scrutinized eye Hemingway’s reader, we can feel the writer’s regret and guilt as he realizes that he will die before he has written what he truly wished to write. We need to dive under the iceberg, deep under the surface, where we meet the dilemma that language creates between words and what they seek to signify, as the main character, Harry, Hemingway’s hero drifts closer toward death, and away from concrete thought Hemingway’s hero from his boyhood in upper Michigan through his adult experiences. Nick Adams’ life is nothing but Hemingway’s life.

While his wife is about to deliver, when a husband should be happy to have a baby, death is there, but suicide is there. The husband commits suicide when he is supposed to be happy and celebrate his baby’s birth.

The idea of suicide is certainly in Hemingway’s mind that he pours in his writings. In Nick Adams written in 1933 and the angst of death and suicide remains all along the years and appears in 1929 in A

Farewell to Arms. When in his 44, the idea is reinforced through the Nick Adams but still an inner conflict to get an answer.

Dr. Adams explains to Nick, he does not hear the screams-In fact, he hears them but the screams do not matter that he is concentrates on his work that is why they are not important. Nick hears them, though, and refuses to look as his father goes about his work. Dr. Adams does not pay attention to the woman's husband listening in the upper bunk. The other Indian men cannot stand that sight and have left the camp to get away from the sound of the screaming, but the husband has cut his foot with an axe and cannot leave the bunk. When the operation, a success, is finally over, Dr. Adams basks in the glory of his accomplishment, but his postoperative exhilaration is brief. "Ought to have a look at the proud father," he says expansively. "They're usually the worst sufferers in these little affairs." When he pulls the blanket back, he sees—and so does Nick—that the woman's husband has cut his throat from ear to ear.

"They're usually the worst sufferers in these little affairs." When he pulls the blanket back, he sees—and so does Nick—that the woman's husband has cut his throat from ear to ear.

In the rowboat afterwards, Nick asks his father the kinds of questions about dying, and suicide, that have been troubling him.

"Why did he kill himself, Daddy?"

"I don't know, Nick. He couldn't stand things, I guess."

"Do many men kill themselves, Daddy?"

"Not very many, Nick."

"Do many women?"

"Hardly ever."

"Don't they ever?"

"Oh, yes. They do sometimes." . . .

"Is dying hard, Daddy?"

"No, I think it's pretty easy, Nick. It all depends."

(Complete Short Stories, 69–70)

Five years after Nick Adams was written, Ernest Hemingway's father, a doctor who helps to give life to babies and the doctor whose task acts against death and suicide, took his own life.

The Snows of the Kilimenjaro

Ernest Hemingway short stories include ,The Short Happy life of Francis Macomber, A Clean, Well-Lighted Place, The Capital of the World, Hills Like White Elephant, The Killers, Old Man at the Bridge, A Simple Inquiry and Up in the Michigan.

Nature, in with its beautiful landscapes and wholesome surroundings, asserts its presence in Hemingway's short fiction. It is one of the important things in the text, animate or inanimate, that is described in a positive or rhapsodic mode. Hemingway has always

inspired his power from the power of nature, both in terms of its beauty and its challenges, to improve one's quality of life. He has spent all his life as an outdoorsman; his attitude towards nature is not easy to define. When nature is being used for sport- skiing, fishing, big-game hunting, bull-fighting-for Hemingway, it is beneficent. In addition, Hemingway's characters look to majestic landscapes and other manifestations of natural beauty for hope, inspiration, and even guidance during difficult or challenging times.

From the above list of Ernest Hemingway short stories, the first and the last ones are selected so that the emotions and the attitudes can be felt in intervals of time. Furthermore, Hemingway excessive love of nature, towards 'death' can be fairly highlighted. "Also a near-constant presence in Hemingway's stories is the theme of death, either in the form of death itself; the knowledge of the inevitability of death, or the futility of fleeing death. Clearly evocative of death are the stories in which Hemingway describes actual deaths: the war experiences of "The Snows of Kilimanjaro" and "In Another Country;" the suicides of "A Clean, Well-Lighted Place" and "Fathers and Sons;" and the accidents of "The Capital of the World" and "The Short Happy Life of Francis Macomber."

Hand-in-glove with the theme of death is another Hemingway favorite: fatalistic heroism or heroic fatalism. This attitude entails facing one's certain death with dignity. In addition, Hemingway can be seen to embrace nihilism, the belief that life is meaningless and that resistance to death is futile, in some of his stories. In short, Hemingway, critics have speculated, feared death but was fascinated by it; it crops up in one form or another in nearly every one of his stories (**Homer FTA.p.46**)

This short story reflects several of Hemingway's personal concerns during the 1930s regarding his existence as a writer and his life in general. Harry is the protagonist of the story. He is a writer and has had many experiences in Europe. He also very much enjoys big-game hunting. When the story begins, Harry is suffering from gangrene in his leg and he is dying in the African backcountry while waiting for a plane to take him to the city. He begins to see Death personified, nearing sourly on him. Both the beginning and the end of the story bear the notion of death making the reader get tortured all along the story.

The internal conflict when he felt alienated from the church which he felt obliged to distance himself from. He starts recalling his experiences in the world of wars and the war in Spain. It is indeed a real trauma. He is torn between the doctrine of pleasure and his humanism feelings. The reader is living with Hemingway the wounded hero and the process of his injuring, disillusionment break

with respectability, the hero emulation of the man with the code and his efforts to attain to it. In this story, the turn is for death to humiliate our hero. Death enters as a central motif on the physical level first of all. It was truly the start of everything he was ever going to do. The Snows opens with an introductory paragraph whose symbols state better part of the story's meaning "Kilimanjaro is a snow-covered mountain 19,710 feet high, and is said to be the highest mountain in Africa. Its western summit is called the Masai "Ngaje Ngai," the House of God. Close to the western summit there is the dried and frozen carcass of a leopard. No one has explained what the leopard was seeking at that altitude." (Young.p.77)

Hemingway puts the leopard at the altitude, which is not his adequate place; he wants to reach the summit. It is a place of death for the leopard there, his carcass is dried and frozen. The leopard did not quite reach the summit and in his mysterious attempt to reach it perished, he died in the attempt to save his soul. Hemingway likens his hero Harry to the leopard. He is always eager to test his body, to the point of self-destruction, in a self-hardening process that proved he was indifferent to wounds and pain.

Hemingway considered life to be a kind of arena in which men used their courage, endurance and will as weapons. He also considered that literature was a ritual of truth. Ernest Hemingway was a very successful writer but he had destroyed his talent by not using it to its utmost, he was betrayed by himself he says to his writer in The Snow of Kilimanjaro, "the thought of his own death obsessed him..." (Homer.FWBT.p.2)

It was a proof that Hemingway gave himself too much time thinking about death. Death, in a basic sense, is the ultimate honesty, the final act that cannot be falsified or cheated. "Mountains are good and so are streams to fish in, but in The Snows of Kilimanjaro is a death symbol." (Homer.p.47)

Hemingway's fears of lack of creativity make him see the world from a new angle. That state of mind, I guess, prepares him a new thought of how to deal with life, probably suicide, why not?

"He had seen the world change; not just the events; although he had seen many

of them and had watched the people, but he had seen the subtler change and he could remember how the people were at different times. He had been in it and had watched it and it was his duty to write of it; but now he never would." Harry (thought)."The Snows of Kilimanjaro."p.69.

When going deep into the quotation above, one can feel the total frustration emerged from the change of society, the despair that characterizes Harry's state of mind. He is frustrated and afraid of early

dementia .The new sight to life completely changed .The despair with himself for being present in various places and was acquainted with so many different people at so many lovely times but does not succeed in memorializing any of his experiences in writing. According to Harry's stream-of-consciousness descriptions, these events surely appear important and lovely whatever the feelings were. The miscellaneous emotions; love and hatred, joy and sadness, quietude and fear made from these contradictory feelings a world living in harmony. Harry, wants to see those images of that time to put them inked on white pages. Harry is his own bitter critic, he laments his skill of writing when he realizes that his creativity never comes back again. Harry reflects Hemingway's feelings.

Close observation of life is critical to good writing, said Hemingway. For him, writing is not a mere sight to the surroundings but it is the sharing the emotions the people around feel .It is only through this feeling that the truest writings emerge. Unfortunately, this is exactly what Hemingway loses all of a sudden .This inner struggle that have always won when in his early teens seems a forlorn hope. In *Death in the Afternoon*, Hemingway writes about his early struggle to master this:

It is notable that the element that makes this self-criticism so bitter is Harry's absolute certainty of the greatness of his writing talent. If his talent were not so extraordinary, it would hardly matter the he had not written about his life, but because it is, "it was his duty" to use it, and the fact that he had not sharpened his regrets.

UP In Michigan(1925)

Hemingway entered serious fiction by way of short stories. It was a natural way to begin. For example, Hemingway grew up traveling to Michigan to hunt; he enjoyed the adventure aspect of those hunting, his love of outdoor adventure, would later be reflected in many his fiction or stories. What might appear to be violence to many seems to be adventure to Ernest Hemingway. This point is particularly significant if taking James Hillman's position that "psychology means 'logos of psyche,' the speech or telling of the soul", and that "the logic of psychology is necessarily the method of understanding which tells of the soul and speaks to the soul in its own language" (**James Hillman,p.51**).

Right from the beginning of his first work, one can notice signs of violence, though he was only in his old ripe age of twenty two. In *Up in Michigan*, Ernest Hemingway tells his story with a simple style, rather in the simplest style form, exempting the readers from diving under the iceberg to get the meaning, yet it is his first work. If Ernest Hemingway can help delaying such technique sine die, he cannot, however oppress his inner feeling and have to explore his conflicting

emotions openly to his readers. The story opens in a small town in Michigan called Horton's Bay. The countryside round about the town is farming and timber country and catches breezes from Lake Michigan. Jim Gilmore, originally from Canada, is the town blacksmith, does a good job, and takes his meals at D.J. Smith's, where Liz Coates works in the kitchen. Liz is obsessed with Jim but he doesn't think about her much beyond a vague sense of appreciation at how neat her hair is.

We shall come close the two main characters, Jim and Liz. The former falls in love with Jim; she loves his mustache, his white teeth and his walk. She was an easy-girl for him but Liz prefers using violence to get her; after having drunk to celebrate their kill when returning back from a deer-hunting trip, all along with the Smiths, for whom Liz works as a waitress.

After supper and a few more drinks, Jim goes to the kitchen and invites Liz for a walk; they go to the end of the dock where Jim's hands explore Liz's body. She is frightened and begs him to stop but forces himself upon her and passes out on top of her. In spite of Liz's protests, arguably rapes her. It is not at all paradoxical; it is one of Hemingway's particularities and especially of his born-with eccentricities. This is but the beginning of Hemingway's attitudes towards violence paving the way to the ultimate violence which is death.

In Our Time (1925)

In Our Time is a collection of short stories about the years before, during, and after World War I. The stories, a series of separate chapters written by Ernest Hemingway, the new author, was a consolation to the readers, as he wrote with a style very different than what the readers were accustomed to. And since style, according to Schopenhauer: 'is the physiognomy of the mind' more than that, F.L.Lucas says : 'Style is a means by which a human being gains contact with others it is personality clothed in words, character embodied in speech '

In Our Time opens with an introduction by the author "**Introduction**" in a sense that is sets the tone for the whole collection in that the events were particularly significant for him. It have been meant to indicate that the material was contemporary, and to some extent representative of early twentieth-century. Here, exactly where the hero of Hemingway seems coward, because he dislikes dying like a rabbit:" while the bombardment was knocking the trench to pieces at Fossalta, he lay very flat and sweated and prayed,' Oh Jesus Christ get me of here. Dear Jesus, please get me out. Christ, please, please, please, Christ" (**In Our Time p. 87**)

This piece describes Turks and Greeks at a quai at Smyrna, where there are women who will not give up their dead babies, and soldiers who dispose of their baggage mules by breaking their legs and dumping them into the shallow water of the port to drown. And there is the harbor itself with 'plenty of nice things floating around in it'. Here Hemingway portraying death seen from different angles and scattered along the scene but always omnipresent as if threatening the Hemingway writer.

The first of the seven Nick Stories especially that of "Indian Camp" is about an event which is violent or evil, or both, or at the very last is the description of an incident which brings the boy into contact with something that is perplexing and unpleasant. The idea of fatherhood emerges in several places throughout *In Our Time*. In "Indian Camp," Nick's father teaches him about childbirth and tries to answer Nick's questions about death. Nick, here, I guess, is stereotyping the other people, and simply seems to happen to Nick is around. The story, to my knowledge, is not about Indians or the doctor. Our protagonist is no one but Nick. Nick is an initiation to pain, and to the violence of birth and death. Hemingway has begun with his first story a pattern of contacts with violence and evil for Nick that he develops in the rest of the fifteen short stories. The theme of violence can be obviously seen, for Hemingway's faithful readers, in the first short stories. Hemingway wants to characterize what it is like to live "in our time" amid continual violence and threat. The collection of short stories, *In Our Time*, contains evidence that he encountered horror and terror even in his boyhood, at least on the hunting and fighting trips he made with his father in Michigan, and that he never afterwards quite got them off his mind.

A Clean, Well-Lighted Place

Among his seven completed novels, five end with the death of a male protagonist, and a sixth with the death of the heroine. Hemingway postpones the death of the protagonist in *The Sun Also Rises*, and gives him prolongation to live until another day that may be laden with bitterness and macabre.

Some critics have argued that Hemingway makes the contrasts to accentuate the difference between the old man and the young people around him, and uses the inability of hearing for the old man as a symbol for his separation from the rest of the world. Hemingway predicts the future and sees himself in the old man. Hemingway has always that gerascophobia (fear of getting old). To an extent, most of us are afraid of growing old. No one wants to lose their youthfulness, develop wrinkles and face other health problems that are inevitable with age but famous persons anticipate this fear and get prepared to answer that coming feeling. In the *A Clean, Well-Lighted Place* The

old waiter defends the drinking man because he can embody himself in him and even see himself in the very man. He sympathizes knowing that he, too, prefers a clean well lighted place to drink and will later appreciate such a place in his old drinking age.

Deafness, in fact is the inability to remember the experiences. He can hear what is around but the most important events he experienced cannot come back again. He knows they are there and other people can hear about these events though they have not experienced .Whereas, he who is supposed to remember, is deprived to take part in those discussions the other people have. Hemingway wants to convey a message that getting old, even keeping the sense of hearing, makes the old deprived of that sense since he cannot remember the events he experienced when in his young age.

Yet the old man hears all too well. In his mind he hears the bombs and missiles of the First World War, which he experienced and which he survived, and perhaps even went deaf from too many explosions. The older waiter heard them, too, and this is why he feels empathy for the old man. The young waiter did not experience the war, and knows nothing of the terror of war. He knows only how to make a living in a cafe.

Bibliography

Boni & Liveright Ernest Hemingway's first collection of short stories, published in 1925, New York

Ernest HEMINGWAY UP In Michigan. Ed. E. O'Brien

Ernest Hemingway. A Clean, Well-Lighted Place, first published in Scribner's Magazine in 1933

Ernest Hemingway. A farewell to arms. New York: Scribner p 355. 1957

Ernest Hemingway. The Snows of Kilimanjaro. Editions Scribner: p 221.1961

Freud, Sigmund. Instincts and their Vicissitudes. The Standard Edition of the Complete Psychological , Volume XIV (1914-1916)

Harry Sylvester (1936), "Ernest Hemingway: A Note, "The Commonweal,XXV.

Hillman, James. Suicide and the Soul. Dallas: Spring Publications, Inc., 1978.

Kurt Gray, Why people die by suicide. First Harvard University Press paperback edition, 2007.

Lawrence Amsel, Spencer Harbo and Amitai Halberstam. There is nothing to fear but the amygdala: applying advances in the neuropsychiatry of fear to public policy. Mind & Society: Cognitive Studies in Economics and Social Sciences, 2015, vol. 14, issue 1, 141-152

Philip Young (1952) Ernest Hemingway. Rinehart and Company, Inc, New York. Oxford University Press. P 297

Instructions aux auteurs

Soumission d'un article

Soumission recommandée (électronique) via le courrier électronique de la section de domaine relatif au sujet de manuscrit. Lors de la soumission, il est demandé aux auteurs de proposer une liste d'au moins deux spécialistes susceptibles d'expertiser le travail et d'y joindre leurs adresses électroniques et leurs affiliations.

Il est recommandé ainsi de faire joindre à l'article soumis, une lettre d'accompagnement, où il est mentionné que le travail soumis a été approuvé par tous les auteurs et qu'il n'a pas été soumis à une autre revue.

Préparation de manuscrit

Les articles soumis à la revue « ELWAHAT » pour les Recherches et les Etudes, peuvent être rédigés en anglais, en français ou en arabe et doivent comporter obligatoirement un résumé en français ou en arabe et un autre résumé en anglais. Le résumé doit être suffisamment clair et informatif pour permettre la compréhension du sujet sans lire l'article entier. Le résumé comporte au maximum 200 mots. Cinq à sept mots-clés bien adaptés pour indexer le manuscrit.

- Les manuscrits doivent contenir quatre parties: Introduction, Matériel et méthodes, Résultats et Discussion, et Conclusion (facultatif) (police 12 gras). Les manuscrites ne doivent pas dépasser 15 pages ou 3000 mots (excluant les références, les tableaux et les légendes des figures).

La longueur des textes comportant de nombreuses références ne devrait pas dépasser 40000 signes (espaces compris). Les manuscrits soumis en ligne à la revue, passent par plusieurs étapes successives:

- Vérification de la conformité du manuscrit (lettre d'accompagnement, «anonymisation» du texte, résumés bilingues, etc.);
- Vérification de conformité à la ligne éditoriale de la revue et d'originalité des résultats;
- Evaluation anonyme par au moins deux experts choisis parmi ceux qui sont proposés par les auteurs et par les membres du comité de rédaction.

Le manuscrit doit être écrit en police : New Time Roman et comporte les éléments sous cités qui vont être regroupés dans un seul fichier rendu anonyme et qui se présentent comme suit:

Sur la première page :

- Le titre de manuscrit en français ou en arabe et en anglais (20 mots au maximum ; police 14 gras);
- Les noms, les affiliations, et les références des auteurs ainsi que l'adresse postale et l'adresse électronique du premier auteur et/ou de l'auteur correspondant (police 11 gras) ;

- Un résumé en français ou en arabe et un abstract en anglais de 300 mots maximum chacun (police 12);
- Cinq à sept mots clés, en français ou en arabe et en anglais, extraits du thésaurus (police 12);
- Puis le texte intégral au format MS. Word (fichier .doc(x) ou rtf) avec illustrations. Les tableaux, les photos et les figures (illustrations) seront appelés dans le corps du texte (police 12);
- Une liste de références bibliographiques soigneusement choisies, récentes et accessibles aux lecteurs, selon les normes suivantes:

Références bibliographiques

Les références bibliographiques sont présentées par le nom de l'auteur ou des auteurs (sans prénom (s)) suivi d'une virgule, puis de l'année de publication. Selon leur position dans le texte sont à présenter comme suivant:

- Un seul auteur : texte (auteur, année de publication) texte...
- deux auteurs : texte (auteur1 et auteur2, année de publication) texte...
- plus de deux auteurs : texte (auteur1 *et al.*, année de publication) texte...

ou: Selon auteur (année de publication) texte... ; selon auteur1 et auteur2 (année de publication) texte... ; selon auteur1 *et al.* (année de publication) texte...

Dans le cas de plusieurs citations d'auteurs- année de publication, il est recommandé des séparations par un point-virgule.

(auteur, année de publication ; auteur et auteur, année de publication ; auteur *et al.*, année de publication).

Si un auteur donné ou plusieurs mêmes auteurs ont publié la même année, ajouter les lettres a, b, c, etc. après l'année de publication. Auteur (s), année de publication a, b, c, etc.

Dans la liste bibliographique, les références seront classées dans l'ordre alphabétique des noms des premiers auteurs. Tous les auteurs doivent être mentionnés.

Exemples de structuration

Livre : Bruneton J., 1996.- *Plantes toxiques: Végétaux dangereux pour l'homme et les animaux*. Ed. Lavoisier, Paris, 687 p.

Thèse : Pibiri M. C., 2005.- *Assainissement microbiologique de l'air et des systèmes de ventilation au moyen d'huiles essentielles*. Thèse de doctorat, Ecole Polytechnique Fédérale de Lausanne, 160 p.

Article : Schoonhoven L. M. et Derksen-Koppers I., 1976.- Effects of some allelochemicals on food uptake and survival of a polyphagous aphid, *Myzus persicae*. *Entomologia Experimentalis et Applicata*, vol. 19 (1): 52-56.